

العلم

في التاريخ

لابن الأثير

دار النشر والتوزيع
بيروت

الذِّكْرُ كَامِلٌ
وَالشَّارِحُ

التكامل في

فالتاريخ

للامام العلامة عمده المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيبياني المعروف بابن الاثير
الجزري الملقب بعز الدين
المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

الجزء الاول

عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه
نخبة من العلماء

وتميزت هذه الطبعة بفهارس شاملة

الناشر

دار الناشر العربي

صرب ٥٧٦٩٠-١١ بيروت

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الخامسة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار النايب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٠٨٣٢ ٨٠٠٨١١ ٨٠٥٤٧٨
تلکس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب بريقياً: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

الجزء الأول

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين * وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين *

أما بعد فإن علم التاريخ هو الحافظ للعلوم بنقلها من الماضي إلى الحاضر والآتي، الكافل بتبيان صورة تدوينها مع التنويه بأسماء المؤسسين والناشرين والمحققين * وهو الناقل لنا صور الماضي وما فيه من حوادث وقصص وعبر لتكون خير مرشد للمتأخرين * وهو نعم الداعي إلى الفضيلة باذاعة مناقب أرباب الكمال وأولى النهى والمزايا العظيمة * وأحسن زاجر للطغاة عن طغيانهم بما يسود صفحاته من أعمالهم، وبما ينعاها على عمال الفساد في أفعالهم، وهو مفزع العلماء إذا عميت السبل، وموئل غيرهم للاستفادة من حوادث الماضي، والمحذر من الوقوع في أسباب الكوارث التي قوضت أمما، وأفسدت شعوبا، ومزقت قبائل، وخربت قرى وبلدانا كثيرة * وهو السلسلة التي تربطنا بمن قبلنا، وتعرفنا بهم وبما كانوا عليه وما صدر عنهم وفيهم من الأحوال والشؤون *

لهذا كله رأت الإدارة المنيرية أدامها الله تعالى أن من تمام الخطة التي رسمتها ونشرتها للبلاد سابقاً - وهي نشر الكتب النافعة من علوم الكتاب والسنة وما يتوصل إلى فهمها من أدب وسنة ولغة وأخبار وتراجم - أن تسعى لاجتماع كتب التاريخ *

وكان في طليعة كتبه المنتشرة تاريخ الكامل للعلامة الكبير أبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري فإنه جمع فيه خلاصات كتب من سبقه وهذبها ونقحها حتى جاز أن يكون هو الحائز لقب سبق على مسواه من كتب التاريخ، إذ استطاع أن يأتي بكل ما كتبه أبو جعفر الطبري وزاد عليه حقائق كثيرة استخرجها من التواريخ الأخرى غيره حسبما ذكر ذلك في خطبة كتابه — علاوة على أنه يشتمل على أربعة قرون آخر، وهي التي فيها التطورات الكثيرة، والوقائع العجيبة، والحوادث الغريبة ولكن طباعته قد نفذت ولا تخلو من أغلاط وتصحيحات لا يدركها إلا الإخصائيون في هذا العلم الواسع الأرجاء، والمتراعى الأطراف، والمتشعبة أقسامه التي يضيق عنها الحد — فقررت الإدارة إعادة طبعه صحيحاً متقناً على ورق صقيل، وحرف جميل *

ولكى يخرج خالياً من عيوب التحريف ونقص التصحيف كلفت المؤرخ الكبير والاستاذ الجليل صاحب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار أستاذ التاريخ في قسم التخصص في الأزهر الشريف الآن وفي الجامعة المصرية سابقاً بأن يعضدها في إصلاح ما وقع في نسخه المطبوعة من غلط وأن يجود عليها برأيه الثاقب وبيان ملاحظاته على ما في الكتاب مما يراه مستحق النقد أو خلاف الصواب فوعد بأنه يتكرم بذلك ولا يتأخر عن مد يد المساعدة بفكره الصائب وقلبه الحر السيال * فكان هذا خير منشط للإدارة على الإقدام على طبعه لو ثوقها بأن هذه الطبعة ستكون أصبح ما طبع بقطع النظر عن جودة الطبع وحسن الحرف وصحته واله رق الجيد الصقيل فإن ذلك عادة الإدارة في مطبوعاتها عامة والله نسأل أن يسدد خطواتنا ويجزينا مزال الخطأ والخطل إنه سميع الدعاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القديم . فلا أول لوجوده * الدائم الكريم . فلا آخر لبقائه ولا نهاية لوجوده * الملك حقا فلا تدرك العقول حقيقة كنهه * القادر فكل ما في العالم من أثر قدرته * المقدس فلا تقرب الحوادث حماه * المنزه عن التغيير فلا ينجو منه سواه * مصرف الخلائق بين رفع وخفض * وبسط وقبض * وإبرام ونقض * وإماتة وإحياء * وإيجاد وإفناء * وإسعاد وإضلال * وإعزاز وإذلال * يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء * ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء * بيده الخير وهو على كل شيء قدير * مبيد القرون السالفة * والأمم الخالفة * لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلا وحرزاً * فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟ * بتقديره النفع والضرر * وله الخلق والأمر * تبارك الله رب العالمين * أحمده على ما أولى من نعمه * وأجزل للناس من قسمه * وأصلى على رسوله محمد سيد العرب والعجم * المبعوث إلى جميع الأمم * وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم * صلى الله عليه وعليهم وسلم *

* (أما بعد) * فاني لم أزل بمجالسة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، مؤثرا للاطلاع على الجلى من حوادثها وخافيتها ، مائلا الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها ، فلما تأملت رأيها متباينة في تحصيل الغرض * يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى الغرض * فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات * ومختصر قد أخل بكثير مما هوأت * ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات * والمشهور من الكائنات * وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الأعراض عنها أولى ، وترك تسطيرها اخرى ، كقولهم خلع فلان الذي صاحب العيار ، وزاد رطلا في الاسعار ، وأكرم

فلان؛ وأهين فلان، وقد أرخ كل منهم إلى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه * وأضاف المتجددات بعد تاريخه اليه * والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب، والغربي قد أهمل أحوال الشرق؛ فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال *

فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا، ولا أقول إنى أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ فان من هو بالموصل^(١) لا بد أن يشذ عنه ما هو بأتمشى الشرق والغرب، ولكن أقول إنى قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الامام أبو جعفر الطبري^(٢) إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف اليه، فاخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها، وقد ذكره في أثر الحوادث روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه، فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت اليها من غيرها ما ليس فيها وأودعت كل شيء مكانه فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً واحداً على ما تراه *

فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها الى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ووضعت كل شيء منها موضعه إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ فاني لم أضف الى ما نقله أبو جعفر شيئاً الا ما فيه زيادة بيان أو اسم انسان أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله * وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين اذ هو الامام المتقن حقا، الجامع علماً وصحة اعتقاداً وصدقاً، على انى لم أنقل الا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة مادونوه، ولم أكن كالحابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصباء واللاالى، ورأيتهم أيضاً

(١) هي محل اقامة المصنف رحمه الله . تقع على شاطئ دجلة ويقابلها من الجانب الشرقى نينوى وتلقب الآن بالموصل العتيقة . قال في مراصد الاطلاع : وسميت الموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات (٢) هو الامام محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري كان اماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وعده ابو اسحق الشيرازي صاحب المذهب من المجتهدين وله تأليف كثيرة، واد سنة ٢٢٤ ودفن يوم الأحد في داره في السادس والعشرين من شوال سنة ٣١٠ ببغداد *

يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت، فأنت متأسفة متأسفة قد أخذ بعضها برقاب بعض، وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فأنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فاني أذكر جميع حاله من أوله الى آخره عند ابتداء أمره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به، وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهورى العلماء، والأعيان والفضلاء، وضبطت الأسماء المشتبهة المتولفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الإشكال، ويعنى عن الأتقاط والأشكال، *

فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت، وقواطع توالى وتعددت، ولان معرفتي بهذا النوع كملت وتمت، ثم ان نفرا من إخراني؛ وذوى المعارف والفضائل من خلاني، ممن أرى محادثتهم نهاية أوطارى، وأعدهم من امائل مجالسى وسمارى؛ رغبوا الى فى أن يسمعوه منى، ابرووه عنى، فاعتذرت بالاعراض عنه وعدم الفراغ منه فأنى لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح ما أصلح^(١) فيها من غلط وسهو، ولا اسقطت منها ما يحتاج الى إسقاط ومحو، وطالت المراجعة مدة وهم للطلب ملازمون؛ وعن الاعراض معرضون، وشرعوا فى سماعه قبل اتمامه وإصلاحه؛ وإثبات ماتمس الحاجة اليه وحذف ما لا بد من اطراحه، والعزم على اتمامه فاتر، والعجز ظاهر؛ للاشتغال بما لا بد منه لعدم المعين والمظاهر، ولهموم توالى، ونوائب تتابعت، فانا ملازم الاهمال والتوانى، فلا أقول: انى لأسير اليه سير الشوانى^(٢) *

فبينما الأمر كذلك اذ برز أمر من طاعته فرض واجب، واتباع أمره حكم لازب، من أعلق^(٣) الفضل باقباله عليها نافقة^(٤)، وأرواح الجهل باعراضه عنها نافقة^(٥) من أحياء المكارم وكانت أمواتاً، وأعادها خلقاً جديداً بعد أن كانت رفاتا، من عم رعيته عدله

(١) الظاهر أن لفظ أصلح لازوم له (٢) الشوانى جمع شانية وهى فى عرف أهل زمان المؤلف سفينة كبيرة تشحن فيها المؤن والجنود (٣) جمع علق وهو النفيس من كل شيء (٤) أى رأبحة وطلابها كثير ون (٥) نافقة هنا بمعنى زاهقة يقال نفقت الدابة بمعنى زهقت روحها وماتت *

ونواله ، ، وشملهم إحسانه وإفضاله ؛ مولانا مالك الملك الرحيم ، العالم المؤيد ، المنصور ، المظفر بدر الدين ، ركن الاسلام والمسلمين ، محي العدل في العالمين ، خلد الله دولته *
 فحينئذ ألقيت غنى جلباب المهمل ، وأبطلت رداء الكسل ، وألقت الدواة (١) وأصلحت القلم ، وقلت هذا أو ان الشد فاشتدى زيم ، (٢) وجعلت الفراغ (٣) أهم مطلب * واذا أراد الله أمرا هيا له السبب * وشرعت في آتامه مسابقا * ومن العجب ان السكيت (٤) يروم ان يجيء سابقا * ونصبت نفسي غرضا (٥) للسهام * وجعلتها مظنة لأقوال اللوام * لان المآخذ اذا كانت تتطرق الى التصنيف المهدب * والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب * الذي تكررت مطالعته وتنقيحه * وأجيد تأليفه وتصحيحه * فهي بغيره أولى * وبه أخرى * على اني مقر بالتقصير ، فلا أقول ان الغلط سهو جرى به القلم * بل أعترف بان ما أجهل أكثر مما أعلم *

* (وقد سميته) * اسما يناسب معناه وهو الكامل في التاريخ * ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ، ويظن بنفسه التبجر في العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدرجها ، ويعرض عنها ويلغنها ، ظنا منه أن غاية فائدتها انما هو القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسفار ؛ (٦) وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره ، وأصبح مخشلبا (٧) جوهره ، ومن رزقه الله طبعاً سليماً ، وهداه صراطاً مستقيماً ، علم ان فوائدها كثيرة ، ومنافعها الدنيوية والأخروية جمّة (٨) غزيرة (٩) ، وهانحن نذكر شيئاً مما ظهر لنا فيها ، ونكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيا *

* (فأما فوائدها الدنيوية) * فمنها ان الانسان لا يخفى ، انه يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء : فياليت شعري ! أي فرق بين مارآه أمس أو سمعه ، وبين ماقرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؟ فاذا طالعتها فكأنه عاصرهم ، واذا عليها فكأنه حاضرهم : (١٠) *

(١) ألقت الدواة جعلت لها ليقة وهي شئ من حرير ونحوه يجعل في الدواة ويصب عليها الحبر (٢) قال في اللسان هو اسم ناقة أو فرس وهو يخاطبها بأمرها بالعدو وحرف النداء محذوف اه ثم صار مثلاً يضرب للشدة والامر الصعب (٣) يعني المؤلف بالفراغ هنا آتام الكتاب (٤) السكيت من اسماء خيل السباق وهو الذي يجيء آخر الخيل (٥) هو الهدف الذي يرمى اليه اه مصباح (٦) جمع سهر بفتحين وهو حديث الليل (٧) هو خرز يتخذ منه حلوى واحدة مخشلبة ، اعجمي سمي باسم امرأة اتخذته حلياً اه المخصص لابن سيده (ج ٤ : ص ٥٣) (٨) قال في اللسان بترجمة — بفتح الجيم — وجوم كثيرة الماء (٩) قال ابن سيده الغزير الكثير من كل شئ ، والغزيرة من الابل والشاة وغيرهما من ذوات اللبن الكثيرة الدر (١٠) أي جلس معهم جنباً لجنب واصفى لقولهم قال الليث وحاضرتة جائيته عند السله ان اه لسان

ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهي اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحداث وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استبقحوها، وأعرضوا عنها واطرحوها * واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وان بلادهم وممالكهم عمرت، وأموا الهادرت، استحسنا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا^(١) عليه وتركوا ما ينافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا^(٢) نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا *

ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلا. ويصبح لان يقتدى به اهلا. ولقد أحسن القائل حيث يقول:

رأيت العقل عقليين * فمطبوع ومسموع

فلا ينفع مسموع * إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للانسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له وإلا فهو زيادة في عقله الأول *

ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريقة من طرائفها،^(٣) فترى الاسماع مصغية اليه. والوجوه مقبلة عليه: والقلوب متاملة ما يورده ويصدره، مستحسنة ما يذكره *

(١) اي واظبوا وداوموا (٢) الذي في معاجم اللغة كالمصباح والصحاح والقاموس واللسان صانه أي حفظه ولا يقال اصانه وزاد في اللسان اصطانه مستدلا بقول أمية بن ابى الصلت
ابلق اياسا ان عرض ابن اختكم رداؤك فاصطن حسنه أو تبذل
اراد فاصطن حسنه - بفتح حين - فوضع المصدر موضع الصفة اد وليس فيها استصان بمعنى حفظ (٣) جمع طريقة وهي المختار من اول الشيء سميت بذلك لكرهها ككافي اللسان وفيه ايضا: وطرائف الحديث مختاره ايضا كاطرافه
قال اذكر من جارتى ومجلسها طرائفا من حديثها الحسن

* (وأما الفوائد الأخروية) * فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها، ورأى تقلب الدنيا باهلها، وتتابع نكباتها الى أعيان قاطنيتها، وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تبق على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزود للآخرة منها، ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعل قائلًا يقول: ما نرى ناظرًا فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيألت شعري! كم رأى هذا القائل قارئًا للقرآن العزيز - وهو سيد المواعظ وأفصح الكلام - يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فان القلوب مولعة بحب العاجل *

ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق فان العاقل اذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبى مكرم؛ ولا ملك معظم، بل ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ما أصابهم، وينوبه ما نابهم *

وهل أنا الا من غزية؟ إن غوت * غويت وأن ترشد غزية أرشد ولهذا الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد. فان ظن هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسك من أقوال الزينغ بمحكم سببها، حيث قالوا: هذه أساطير الأولين اكتبها * نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلبًا عقولًا ولسانًا صادقًا، ويوفقنا للسداد في القول والعمل وهو حسبنان نعم الوكيل *

* (ذكر الوقت الذي ابتدء فيه بعمل التاريخ في الاسلام) *

قيل: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بعمل التاريخ. والصحيح المشهور ان عمر ابن الخطاب أمر بوضع التاريخ، وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب الى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم: أرخ بمبعث النبي ﷺ وقال بعضهم: بما جرة رسول الله ﷺ فقال عمر: بل نؤرخ بما جرة رسول الله فان مهاجرته فرق بين الحق والباطل قاله الشعبي، وقال ميمون بن مهران: رفع الى عمر صك محله شعبان فقال: أي شعبان؟ أشعبان هوأت أم شعبان الذي نحن فيه؟ ثم قال لأصحاب رسول الله ﷺ ضعوا للناس شيئًا يعرفونه، فقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الروم

(٢٢ - ج ١ الكامل)

فانهم يؤرخون من عهدى القرنين فقال: هذا يطول . فقال : اكتبوا على تاريخ الفرس
 فقيل : ان الفرس كلما أقام^(١) ملك طرح تاريخ من كان قبله ، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا :
 كم أقام رسول الله بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ، فكتبوا للتاريخ من هجرة رسول الله
 ﷺ . وقال محمد بن سيرين : قام رجل إلى عمر فقال : أرخوا ، فقال عمر : ما أرخوا ؟ فقال
 شيء تفعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا فقال عمر : حسن فأرخوا ، فاتفقوا على
 الهجرة ثم قالوا : من أى الشهور ؟ فقالوا : من رمضان ، ثم قالوا : فالمحرم هو منصرف الناس من
 حجهم وهو شهر حرام ، فاجمعوا عليه . وقال سعيد بن المسيب : جمع عمر الناس فقال من أى
 يوم نكتب التاريخ ؟ فقال على : من مهاجرة رسول الله ﷺ وفراقه أرض الشرك ففعله
 عمر ، وقال عمرو بن دينار : أول من أرخ يعلى بن أمية وهو باليمن *

وأما قبل الاسلام فقد كان بنو ابراهيم ، يؤرخون من نار ابراهيم الى بنيان البيت حين
 بناه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ثم أرخ بنو اسماعيل من بنيان البيت حتى تفرقوا ،
 فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ، ومن بقى بتهامة من بنى اسماعيل يؤرخون
 من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤى ، وأرخوا من
 موته إلى الفيل ، ثم كان التاريخ من الفيل حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك
 سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرخ بالحداث المشهورة
 فيها ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم ، وفي ذلك قول بعضهم *

ها أنا ذا أمل الخلود وقد * أدرك عقلى مولدى حجرا

وقال الجعدى

فمن يك سائلا عنى فاني * من الشبان أيام الختان

وقال آخر

وماهى إلا فى إزار وعلقة * بغار ابن همام على حى خثعما
 وكل واحد أرخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا فى
 التاريخ والله أعلم *

* (القول فى الزمان) *

الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما والعرب

(١) كذا بالأصل ولعله قام وزيدت الالف اثناء النسخ سهواً ويجوز ان يكون اقام بمعنى دام وتوطده من الاقامة
 فيكون التاريخ خاصاً بمن طال امد ملكه *

تقول أتيتك زمان الصرام * وزمان الصرام يعني به وقت الصرام وكذلك أتيتك ازمان (الحجاج أمير) ويجمعون الزمان يريدون بذلك ان كل وقت من أوقات امارته من الأزمنة *
* (القول في جميع الزمان من أوله إلى آخره) *^(١)

اختلف الناس في ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبيرة عنه: سبعة آلاف سنة، وقال وهب بن منبه: ستة آلاف سنة، قال أبو جعفر^(٢): والصحيح من ذلك ما دل على صحته الخبر الذي رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «أجلكم في أجل من قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس» وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد إلا أنهما قالوا: إلى غروب الشمس وبدل صلاة العصر بعد العصر، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى، وروى نحوه جابر بن سمرة وأنس وسهل بن سعيد وبريدة والمستورد بن شداد وأشياخ من الأنصار كلهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه أخبار صحيحة *

قال: وقد زعم اليهود أن جميع ما ثبت عندهم على ما في التوراة من لدن خلق آدم إلى الهجرة أربعة آلاف سنة وثلثمائة واثنان وأربعون سنة، وقالت اليونانية من النصارى: إن من خلق آدم إلى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنين وتسعين سنة وشهرا وزعم قائل أن اليهود إنما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى إذ كانت صفته ومبعثه في التوراة وقالوا: لم يأت الوقت الذي في التوراة أن عيسى يكون فيه فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته، قال: وأحسب أن الذي ينتظرونه ويدعون صفته في التوراة هو الدجال *

وقالت المجوس: ان قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرث إلى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلثون سنة وهم لا يذكرون مع ذلك شيئا يعرف فوق جيومرث

(١) ليس من وظيفة المؤرخ أن يتكلم على أمور لم يوجد لها سند كبدء الخلق ومدة وجود العالم . فان الناس ليس في أيديهم سند تاريخي دون حين حدوث تلك الحوادث . ولا سبيل إلى تحقيق شيء من ذلك ولا إلى معرفته على التقريب . وما يذكرون في كتب التوراة كما في سفر التكوين لا يمكن التعويل عليه وبخاصة إذا عرفنا ان التوراة العبرية تخالف اليونانية وهما مخالفتان لما في السامرية والمتبع لذلك لا يصل إلى شيء بحسن السكوت عليه وكان الاجدر بالمؤلف وغيره من المؤرخين الا يتعرضوا لمثل هذه المآزق التي لا يتحصل منها في يد الانسان شيء . تظمن اليه النفس (٢) يريد بابي جعفر ابن جرير الطبري صاحب التاريخ وكذلك في كل ما قال ابو جعفر اه الادارة *

ويزعمون أنه هو آدم وأهل الأخبار مختلفون فيه ، فمن قائل مثل قول المجوس ، ومن قائل :
انه يسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة وانه حام بن يافث بن نوح وكان باراً بنوح
فدعاه ولدزيته بطول العمر والتمكين في البلاد واتصال الملك فاستجيب له فملك جيومرث
وولده الفرس ولم يزل الملك فيهم الى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم
ومن قائل غير ذلك كذا قال أبو جعفر *

(قلت) ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا أصولاً تتضمن الدلالة على حدوث الأزمان
والأوقات وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيئاً أم لا؟ وعلى فناء العالم وان لا يبقى الا الله تعالى
وأنه أحدث كل شيء واستدل على ذلك بأشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لاسيما
المختصرات منه فانه بعلم الأصول أولى وقد فرغ المتكلمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى *
(بريدة) بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء *
(* القول في ابتداء الخلق وما كان أوله) *

صح في الخبر عن رسول الله ﷺ فيما رواه عنه ، عبادة بن الصامت أنه سمعه يقول : « إن
أول ما خلق الله تعالى القلم ، وقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن ، وروى نحو
ذلك عن ابن عباس . وقال محمد بن اسحاق : أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة
ليلاً أسود وجعل النور نهراً أبيض مضيئاً والأول أصح للحديث ، وابن اسحاق لم يسند
قوله الى أحد ، واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد
عن ابن عباس أنه قال : إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق
الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ؛ وأجاب بان هذا الحديث إن كان صحيحاً فقد
رواه شعبة أيضاً عن أبي هاشم ولم يقل فيه ان الله كان على عرشه : روى أنه قال أول
ما خلق الله القلم *

(* القول فيما خلق بعد القلم) *

ثم ان الله خلق - بعد القلم وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة - سبحانه رقيقاً
وهو الغمام الذي قال فيه النبي ﷺ : وقد سأله أبو رزين العقيلي : أين كان ربنا قبل أن
يخلق الخلق؟ فقال : في غمام ماتحته هراء وما فوقه هراء ثم خلق عرشه على الماء وهو الغمام
الذي ذكره الله في قوله : «هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام» ؟ *
(* قلت) * : فيه نظر لانه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب فجرى
في تلك الساعة ثم ذكر في أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو

كائن سحابا ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها وهو القلم ومن شيء يكتب فيه وهو الذي يعبر عنه هنا باللوح المحفوظ وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانيا للقلم والله أعلم، ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة * ثم اختلف العلماء فيمن خلق الله بعد الغمام؟ فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أول ما خلق الله العرش فاستوى عليه وقال آخرون: خلق الله الماء قبل العرش وخلق العرش فوضعه على الماء وهو قول أبي صالح عن ابن عباس وقول ابن مسعود ووهب بن منبه وقد قيل: إن الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمات ثم الماء فوضع العرش عليه، قال: وقول من قال: - إن الماء خلق قبل العرش - أولى بالصواب لحديث أبي رزين عن النبي ﷺ، وقد قيل: إن الماء كان على متن الريح حين خلق العرش قاله سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فإن كان كذلك فقد خلقا قبل العرش، وقال غيره: إن الله خلق القلم قبل أن يخلق شيئا بألف عام *

واختلفوا أيضا في اليوم الذي ابتداء الله تعالى فيه خلق السموات والأرض، فقال عبد الله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد: ابتداء الخلق يوم الأحد، وقال محمد بن اسحاق: ابتداء الخلق يوم السبت وكذلك قال أبو هريرة، واختلفوا أيضا فيما خلق كل يوم، فقال عبد الله بن سلام: إن الله تعالى بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين يوم الأحد والاثنتين وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبي صالح عنه إلا أنهم لم يذكر الخلق آدم ولا الساعة، وقال ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة عنه: إن الله تعالى خلق الأرض باقواتها من غير أن يدحوها ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك فذلك قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) وهذا القول عندي هو الصواب وقال ابن عباس أيضا من رواية عكرمة عنه: إن الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت ومثله قال ابن عمرو، وروى السري عن أبي صالح، وعن أبي مالك عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود في قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) قال: إن الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسما سماء،

ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين يوم الأحد ويوم الاثنين فخلق الارض على حوت ، والحوت النون الذي ذكره الله تعالى في القرآن في قوله (ن والقلم) والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الارض فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الارض فأرسي عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله تعالى (وجعلنا فيها رواسي أن تميد بكم) قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم : كل يوم من هذه الايام الستة التي خلق الله فيها السماء والارض كألف سنة *

* (قلت) * أما ما ورد في هذه الاخبار من ان الله تعالى خلق الارض في يوم كذا والسماء في يوم كذا إنما هو مجاز والافلم يكن ذلك الوقت أيام وليالي لان الايام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالي عبارة عما بين غروبها وطلوعها ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس وإنما المراد به انه خلق كل شيء بمقدار يوم كقوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وليس في الجنة بكرة وعشى * (سلام) * والد عبد الله بتخفيف اللام *

* (القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه) *

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الأشياء قبل خلق الأوقات وأن الأزمات والأوقات إنما هي ساعات الليل والنهار وأن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك فلنذكر الآن بأي ذلك كان الابتداء ؟ أبالليل أم بالنهار ؟ فان العلماء اختلفوا في ذلك فان بعضهم يقول : ان الليل خلق قبل النهار ؛ ويستدل على ذلك بأن النهار من نور الشمس فاذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار وهو النور وارد على الظلمة التي هي الليل واذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتا فدل ذلك على ان الليل هو الأول وهذا قول ابن عباس ، وقال آخرون : كان النهار قبل الليل واستدلوا بأن الله تعالى كان ولا شيء معه ولا ليل ولا نهار وأن نوره كان يضيء به كل شيء خلقه حتى خلق الليل قال ابن مسعود : ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار : نور السموات من نور وجهه ، قال أبو جعفر : والاول أولى بالصواب للعلة المذكورة أولا ولقوله تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) فبدأ بالليل قبل النهار ، قال عبيد بن عمير الحارثي : كنت عند علي فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال ذلك آية محيت ،

وقال ابن عباس مثله، وكذلك قال مجاهد وقتادة وغيرهما لذلك خلقهما الله تعالى الشمس
أنور من القمر *

(قلت) وروى أبو جعفر ههنا حديثا طويلا عدة أوراق عن ابن عباس عن النبي
ﷺ في خلق الشمس والقمر وسيرهما فانهما على عجلتين لكل عجلة ثلاثمائة وستون
عروة يجرها بعددها من الملائكة وانهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين
السماء والارض فذلك كسوفهما، ثم ان الملائكة يخرجونهما فذلك تجليهما من
الكسوف، وذكر الكواكب وسيرها وطلوع الشمس من مغربها، ثم ذكر مدينة
بالمغرب تسمى (جارسا) وأخرى بالشرق تسمى (جارقا) ولكل واحدة منهما عشرة آلاف
باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لا تعود الحراسة اليهم الى يوم القيامة
وذكر ياجوج وماجوج ومنسك وثاريس الى أشياء أخر لا حاجة الى ذكرها
فأعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح اسنادها لذكرناها وقلنا به ولكن الحديث غير
صحيح، ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الاسناد الضعيف *
واذ كنا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عز وجل في انشاء ما أراد انشاءه من
خلقه الى حين فراغه من انشاء جميعه من سنى الدنيا ومدة أزمانها، وكان الغرض في كتابنا
هذا ذكر ما قد بينا أن اذا كروه من تاريخ الملوك الجبارة والعاصية ربها والمطبعة ربها وأزمان
الرسل والانبياء، وكنا قد أتينا على ذكر ما تصح به التاريخات وتعرف به الأوقات وهو
الشمس والقمر. فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى ملكا وأنعم عليه فكفر نعمته
وجحد ربوبيته واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله، ثم تبعه ذكر من استن سنته
واقفى أثره وأحل الله به نعمته ونذكر من كان بازائه أو بعده من الملوك المطبعة ربها
المحمودة آثارها ومن الرسل والانبياء ان شاء الله تعالى *

(* قصة ابليس لعنه الله وابتداء أمره واطغائه آدم عليه السلام) *

فالولهم وامامهم ورئيسهم ابليس وكان الله تعالى قد حسن خلقه وشرفه وملكه على
سما الدنيا والارض فيما ذكر وجعله مع ذلك خازنا من خزان الجنة فاستكبر على ربه
وادعى الربوبية ودعا من كان تحت يده الى عبادته فمسخه الله تعالى شيطانا رجيا، وشوه
خلقه، وسلبه ما كان خوله، ولعنه وطرده عن سماواته في العاجل، ثم جعل مسكنه
ومسكن أتباعه في الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من

غضبه ومن الحرر بعد الكور^(١) *

ونبدأ بذكر الأخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادعائه مالم يكن وتتبع ذلك بذكر أحداث في سلطانه وملكه الى حين زوال ذلك عنه والسبب الذي به زال عنه ان شاء الله تعالى *

* (ذكر الأخبار بما كان لابليس لعنه الله من الملك و ذكر الاحداث في ملكه) *

روى عن ابن عباس وابن مسعود أن ابليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا، قال ابن عباس: ثم انه عصى الله تعالى فمسخه شيطانا رجيا، وروى عن قتادة في قوله تعالى «ومن يقل منهم انى إله من دونه» انما كانت هذه الآية في ابليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى «وجعله شيطانا رجيا» وقال «فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين» وروى عن ابن جريج مثله *

وأما الاحداث التي كانت في ملكه وسلطانه: فمنها ما روى عن الضحاك عن ابن عباس قال: كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازنا من خزان الجنة، قال: وخلق الملائكة من نور وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب وخلق الانسان من طين فاؤل من سكن في الارض الجن فاقتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا، قال: فبعث الله تعالى اليهم ابليس في جند من الملائكة وهم هذا الحى الذين يقال لهم الجن فقاتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ذلك اغتر في نفسه وقال: قد صنعت مالم يصنعه أحد، فاطلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحد من الملائكة الذين معه وروى عن أنس نحوه، وروى أبو صالح عن ابن عباس ومرة الهمداني عن ابن مسعود أنهما قالا: لما فرغ الله تعالى من خلق ما احب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم من خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوق في نفسه كبر وقال: ما أعطاني الله تعالى هذا الامر الا لمزية لي على الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال: انى جاعل في الارض خليفة، قال ابن عباس: وكان اسمه عزازيل وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علما فدعاه ذلك الى الكبر وهذا قول ثالث في سبب كبره،

(١) الحور هو بالحاء المهملة المضمومة المهلاك والنقص، والكور بضم الكاف الزيادة، ومنه الحديث «نعوذ

بالله من الحور بعد الكور» *

وروى عكرمة عن ابن عباس ان الله تعالى خلق خلقا، فقال: اسجدوا لآدم فقالوا: لا تفعل فبعث عليهم نارا فاحرقهم؛ ثم خلق خلقا آخر فقال اني: خالق بشر من طين فاسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله تعالى عليهم نارا فاحرقهم، ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال: اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين لم يسجدوا. وقال شهر بن حوشب: ان ابليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض وطردهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء، وروى عن سعيد بن مسعود ذلك *

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: كما قال الله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) وجائز أن يكون فسوقه من إعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده وجائز أن يكون لكونه من الجن * (ومرة الهمداني) * بسكون الميم والبدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن *
* (ذكر خلق آدم عليه السلام) *

ومن الأحاديث في سلطانه خلق أينما آدم عليه السلام وذلك لما أراد الله تعالى أن يطلع ملائكته على ما علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمره من البوار وملكه من الزوال فقال للملائكة: (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟) روى عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره وأمر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك فقالوا لربهم تعالى: أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ فقال الله لهم: (إني أعلم ما لا تعلمون) يعني من انطواء ابليس على الكبر والعزم على خلاف أمرى واغتراره وأنا مبدي ذلك لكم منه لتروه عيانا فلما أراد الله أن يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بطين من الأرض فقالت الأرض: أعود بالله منك أن تنقص منى وتشيننى فرجع ولم يأخذ منها شيئا وقال: يارب انها عادت بك فاعذتها؛ فبعث ميكائيل فاستعادت منه فأعادها فرجع وقال مثل جبريل؛ فبعث اليها ملك الموت فاستعادت منه فقال: أنا أعود بالله أن أرجع ولم أنفذ أمر ربي فأخذ من وجه الأرض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطينا لازبا فلذلك خرج بنو آدم مختلفين. وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم
(٣٢ - ج ١ الكامل)

الاحمر والاسود والايض وبين ذلك، والسهل والحزن والحبيث والطيب ثم بليت طينته حتى صارت طينا لازبا، ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا، ثم تركت حتى صارت صلصالا كما قال ربنا تبارك وتعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) - واللازب الطين الملتزب بعضه ببعض - أى ثم ترك حتى تغير وأتت وصار حمأ مسنونا يعنى منتنا ثم صار صلصالا وهو الذى له صوت وانما سمي آدم لانه خلق من اديم الارض قال ابن عباس: أمر الله بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حمأ مسنون وانما كان حمأ مسنونا بعد الاتزاب فخلق منه آدم بيده لثلا يتكبر إبليس عن السجود له قال: فكث أربعين ليلة وقيل أربعين سنة جسدا ملقى فكان إبليس يأتية فيضربه برجله فيصلص أى يصوت قال فهو قول الله تعالى: (من صلصال كالفخار) يقول: هو كالمنفوخ الذى ليس بمصمت. ثم يدخل من فيه فيخرج من دبره ويدخل من دبره فيخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئا ولشيء ما خلقت، ولئن سلطت عليك لاهلكنك، ولئن سلطت على لاعصينك فكانت الملائكة ترميه فتخافه، وكان إبليس أشدهم منه خوفا فلما بلغ الحين الذى أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: اذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فلما نفخ الروح فيه دخلت من قبل رأسه وكان لا يجرى شيء من الروح في جسده الا صار لحما، فلما دخلت الروح رأسه عطس فقالت له الملائكة: قل الحمد لله وقيل: بل الهمة الله التحميد فقال: الحمد لله رب العالمين فقال الله له: رحمتك ربك يا آدم فلما دخلت الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما بلغت جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان الى ثمار الجنة فلذلك يقول الله تعالى: (خلق الانسان من عجل) فسجد له الملائكة كلهم الا إبليس استكبر وكان من الكافرين فقال الله له: يا إبليس ما منعك أن تسجد اذ أمرتك؟ قال: أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين فلم يسجد كبرا وبغيا وحسدا فقال الله له: يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ الى قوله «لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين» فلما فرغ من إبليس ومعاتبته وأبى الا المعصية أوقع عليه اللعنة وأياسه من رحمته وجعله شيطانا رجيا وأخرجه من الجنة قال الشعبي: أنزل إبليس مشتمل الصماء عليه عمامة اعور في احدى رجله نعل، وقال حميد بن هلال: نزل إبليس مختصرا^(١) فلذلك كره الاختصار في الصلاة، ولما أنزل قال: يارب أخرجتني من الجنة من أجل آدم واتى لأقوى عليه الا بسطائك قال: فانت مسلط قال: زدني قال: لا يولد له ولد إلا ولدك مثله

(١) أى واضعا يديه على خاصرته *

قال: زدني، قال: صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم، قال: زدني، قال: اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدمهم، قال آدم: يارب قد أنظرته وسلطته على واني لأمتنع منه الابك، قال: لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء، قال: يارب زدني قال: الحسنه بعشر أمثالها وأزيدها والسيئة بواحدة أو أمحوها، قال: يارب زدني قال: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) قال: يارب زدني، قال التوبة لا تمنعها من ولدك ما كانت فيهم الروح قال: يارب زدني، قال: أغفر ولا أبالي قال حبي ثم قال الله لآدم: انت أولئك النفر من الملائكة فقل: السلام عليكم فاتاهم فسلم عليهم فقالوا له و عليك السلام ورحمة الله ثم رجع اليه، فقال: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم فلما امتنع ابليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستترا عنهم علم الله آدم الأسماء كلها *

واختلف العلماء في الأسماء، فقال الضحاك عن ابن عباس: علمه الأسماء كلها التي تتعارف بها الناس: انسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار وأشباه ذلك حتى الفسوة والفسية، وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله، وقال ابن زيد: علم أسماء ذريته، وقال الربيع: علم أسماء الملائكة خاصة فلما علمها عرض الله أهل الأسماء على الملائكة، فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أني ان جعلت الخليفة منكم اطعموني وقدستموني ولم تعصوني وان جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء فانكم ان لم تعلموا أسماء هؤلاء وأنتم تشاهدونهم فبأن لا تعلموا ما يكون منكم ومن غيركم وهو مغيب عنكم أولى وأحرى وهذا قول ابن مسعود ورواية أبي صالح عن ابن عباس، وروى عن الحسن وقتادة انهما قالوا: لما أعلم الله الملائكة بخلق آدم واستخلافه وقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ وقال: اني أعلم ما لا تعلمون، قالوا فيما بينهم: ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا الا كنا أكرم على الله منه واعلم منه فلما خلقه وأمرهم بالسجود له علموا أنه خير منهم وأكرم على الله منهم فقالوا: ان يك خيرا منا وأكرم على الله منا فنحن أعلم منه: فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بأن علمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اني لا أخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم ففرعوا الى التوبة واليه يفرع كل مؤمن فقالوا: سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم، قالوا: وعلمه اسم كل شيء من هذه الخيل والبغال والابل والجن والوحش وكل شيء.*

(ذكر اسكان آدم الجنة واخراجه منها)

فلما ظهر للملائكة من معصية ابليس وطغيانه ما كان مستترا عنهم وعاتبه الله على معصيته

بتركه السجود لآدم فاصر على معصيته وأقام على غيئه لعنه الله وأخرجه من الجنة وطرده منها وسلبه ما كان إليه من ملك سماء الدنيا والارض وخزن الجنة فقال الله تعالى له: اخرج منها، يعني من الجنة (فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين) وأسكن آدم الجنة *

قال ابن عباس وابن مسعود: فلما أسكن آدم الجنة كان يمشى فيها فردا ليس له زوج يسكن اليها، فنام نومة واستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسأها فقال: من انت؟ قالت: امرأة قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن الى قالت له الملائكة: — لينظروا مبلغ عليه — ما اسمها؟ قال: حواء قالوا: ولم سميت حواء؟ قال لانها خلقت من حى، وقال الله له (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما) وقال ابن اسحق فيما بلغه عن أهل الكتاب وغيرهم منهم عبد الله بن عباس قال: ألقى الله تعالى على آدم النوم وأخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وخلق منه حواء وآدم نائم فلما استيقظ رآها الى جنبه فقال بلحى ودمى وروحي^(١) فسكن اليها، فلما رآها وجه الله تعالى وجعل له سكنا من نفسه قاله: (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) *

وعن مجاهد وقتادة مثله فلما أسكن الله آدم وزوجته الجنة أطلق لهما أن يأكل كل ما أرادا من كل ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما وليمضى قضاؤه فيهما وفي ذريتهما فوسوس لهما الشيطان^(٢) وكان سبب وصوله اليهما أنه أراد دخول الجنة فمنعته الخزنة فأتى كل دابة من دواب الارض وعرض نفسه عليها انها تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبي عليه حتى أتى الحية وقال لها: أمنعك من ابن آدم فانت في ذمتي ان أنت أدخلتيني فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت كاسية على أربعة قوائم من أحسن دابة خلقها الله كأنها بنحية^(٣) فأعراها الله وجعلها تمشى على بطنها *

قال ابن عباس: اقلوها حيث وجدتموها واخفروا ذمة عدو الله فيها *

فلما دخلت الحية الجنة خرج ابليس من فيها ففاح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقال له: ما يبكيك؟ قال: أبكى عليكما تمرتان فتفارقان ما أتتا فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس لهما وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ وقال: (مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما

(١) عبارة التوراة لحم من لحمي وعظم من عظمي (٢) في التوراة ان الذي وسوس لهما الحية (٣) واحدة البنجاني وهي الابل ذوات الأعناق الطويلة *

إني لسكنا لمن الناصحين) أى تكونا ملكين أو تخلدا ان لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة ، قال الله تعالى : (فدلاهما بغرور) وكان انفعال حواء لو سوسته أعظم فدعاها آدم لحاجته فقالت : لا - إلا أن تأتى ههنا - فلما أتى قالت : لا إلا ان تأكل من هذه الشجرة - وهى الخنطة - قال : فأكلا منها فبدت لهما سواتهما - وكان لباهما الظفر فطفقا يخرصفاً عليهما من ورق الجنة : قيل كان ورق التين وكانت الشجرة من أكل منها أحدث وذهب آدم هارباً فى الجنة فناداه ربه أن يا آدم منى تفر؟ قال : لا يارب ولكن حيا منك فقال : يا آدم من أين أتيت^(١) ؟ قال : من قبل حواء يارب فقال الله : فان لها على ان آدميها فى كل شهر وان أجعلها سفية وقد كنت خلقتها حليلة وان اجعلها تحمل كرها وتضع كرها وتشرف على الموت مرارا وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا ولولا بليتها لكان النساء لم يحضن ولكن حليات ولكن يحملن يسرا ويضعن يسرا وقال الله تعالى له : لألعن الارض التى خلقت منها لعنة يتحول ثمارها شوكا ولم يكن فى الجنة ولا فى الارض شجرة أفضل من الطلح والسدر وقال للحية : دخل الملعون فى جوفك حتى غر عبدى ؟ ملعونة أنت لعنة يتحول بها قوائمك فى بطنك ولا يكون لك رزق إلا التراب أنت عدوة بنى آدم وهم أعداؤك حيث لقيت واحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ^(٢) رأسك اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، آدم وابليس والحية : فاهبطهم الى الارض وسلب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة *

قيل : كان سعيد بن المسيب يحلف بالله : ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سقته حواء الخمر حتى سكر فلما سكر قادتة اليها فأكل *

* (قلت) * والعجب من سعيد كيف يقول هذا؟ والله يقول فى صفة خمر الجنة : لا فيها غول ، *

* (ذكر اليوم الذى أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذى أخرج فيه منها واليوم الذى تاب فيه) *

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة يقللها^(٣) لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، قال عبد الله بن سلام .

(١) ومبنى للمفعول (٢) شدخت رأسه شدخا من باب نفع كسرتة وكل عظام أجوف اذا كسرتة فقد شدخته وشدخت القصب كسرتة فانشدخ اه مصباح (٣) أى يراها قليلة *

قد علمت أى ساعة هى . هى آخر ساعة من النهار ، وقال أبو العالية : أخرج آدم من الجنة
للساعة التاسعة أو العاشرة منه وأهبط إلى الأرض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم
وكان مكثه فى الجنة خمس ساعات منه ، وقيل : كان مكثه ثلاث ساعات منه *

فان كان قائل هذا القول أراد انه سكن الفردوس لساعتين مضتا من يوم الجمعة من
أيام الدنيا التى هى على ما هى به اليوم فلم يبعد قوله من الصواب لأن الأخبار كذا كانت
واردة عن السلف من أهل العلم بان آدم خلق آخر ساعة من اليوم السادس التى مقدار
اليوم منها ألف سنة من سنيننا فعلوم ان الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون
عاماً من أعوامنا وقد ذكرنا ان آدم بعد أن خمر ربنا طينته بقى قبل أن ينفخ فيه
الروح أربعين عاماً وذلك لاشك أنه عنى به أعوامنا ثم بعد أن نفخ فيه الروح الى أن
تناهى أمره وأسكن الجنة وأهبط الى الأرض غير مستنكر أن يكون مقدار ذلك من
سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة . وإن كان أراد أنه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم
الجمعة من الأيام التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فقد قال غير الحق لأن كل من
له قول فى ذلك من أهل العلم يقول انه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب
الشمس ، وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أن مكث آدم كان فى الجنة نصف يوم كان
مقداره خمسمائة عام ، وهذا أيضاً خلاف ماوردت به الأخبار عن النبي ﷺ وعن العلماء *
(* ذكر الموضع الذى أهبط فيه آدم وحواء من الأرض) *

قيل : ثم إن الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه
وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء من السماء يقال على وابن عباس وقتادة وأبو العالية : إنه
أهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض سرنديب وحواء بجدة قال ابن عباس : فجاء
فى طلبها ، فكان كلما وضع قدمه بموضع صار قرية وما بين خطوتيه مفاوز ، فسار حتى
أتى جمعا فازدلفت اليه حواء فلذلك سميت المزدلفة ، وتعارف ابعرفات فلذلك سميت عرفات ،
واجتمعاً بجمع فلذلك سميت جمعا ، وأهبطت الحية بأصفهان وإبليس بميسان ^(١) ، وقيل أهبط
آدم بالبرية وإبليس بالابلة ^(٢) *

(١) بالفتح ثم السكون كررة واسعة كثيرة القرى والنخل بن البصرة وواسط قصبتها ميسان اه معجم البلدان
(٢) بضم أوله وثانيه اى الباء الموحدة - وتسديد اللام وفتحها بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية
الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة وهى أقدم من البصرة كان قبل أن تنصر البصرة فيها ساحل وقرى اه مرصد
الاطلاع وهذا القول قريب من القول السابق بخلاف الالة بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة التحتية فانها مدينة على
ساحل البحر الاحمر مما يلي الشام فهى آخر الحجاز وأول الشام

قال أبو جعفر: وهذا ما لا يوصل الى معرفة صحته إلا بخبر يجىء بجىء الحجة ولا نعلم خبراً فى ذلك غير ماورد فى هبوط آدم بالهند فان ذلك مما لا يدفع صحته علماء الاسلام، قال ابن عباس: فلما أهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمس الأرض ورأسه بالسما يسمع تسييح الملائكة فكانت تهابه، فسألت الله أن ينقص من طوله فنقص طوله الى ستين ذراعاً، فحزن آدم لما فاته من الانس بأصوات الملائكة وتسييحهم فقال: يا رب اكنت جارك فى دارك ليس لى رب غيرك ادخلنى جنتك آكل منها حيث شئت فاهبطنى الى الجبل المقدس فكننت أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنة فخططني الى ستين ذراعاً فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني ريح الجنة، فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فعلت بك ذلك فلما رأى الله تعالى عرى آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزلها الله من الجنة فأخذ كبشاً فذبحه وأخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبة وحواء درعاً وخماراً فلبسا ذلك، وقيل: أرسل اليهما ملكا يعلمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والأنعام، وقيل: كان ذلك لباس أولاده وأما هو وحواء فكان لباسهما ما كان خصفاً من ورق الجنة فأوحى الله إلى آدم: ان لى حرماً حياى عرشى فانطلق وابن لى يتافيه ثم حف به كما رأيت ملائكتى يحفون بعرشى فهناك أستجيب لك ولولدك من كان منهم فى طاعتي، فقال آدم: يا رب اوكيف لى بذلك لست أقوى عليه ولا أهتدى اليه؟ فقيض الله ملكاً فانطلق به نحو مكة. وكان آدم اذا مر بروضة قال للملك: انزل بنا ههنا فيقول الملك مكانك: حتى قدم مكة فكان كل مكان نزله آدم عمرانا وما عداه مفاوز فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى، وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات، فأراه المناسك التي يفعلها الناس اليوم، ثم قدم به مكة فطاف بالبيت أسبوعاً، ثم رجع الى الهند فمات على نود. فعلى هذا القول أهبط حواء وآدم جميعاً وإن آدم بنى البيت وهذا خلاف الذى نذكره ان شاء الله تعالى منه: ان البيت أنزل من السماء. وقيل: حج آدم من الهند أربعين حجة ماشياً، ولما أنزل الى الهند كان على رأسه إكليل من شجر الجنة فلما وصل الى الأرض يبس فتساقط ورقه، فنبتت منه أنواع الطيب بالهند. وقيل بل الطيب من الورق الذى خصفه آدم وحواء عليهما، وقيل: لما أمر بالخروج من الجنة جعل لايمر بشجرة منها الا أخذ منها غصناً فهبط وتلك الاغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها وزوده الله من

عمار الجنة قمارنا هذه منها غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير وعلمه صنعة كل شيء ونزل معه بعض طيب الجنة، والحجر الأسود وكان أشد بياضا من الثلج وكان من ياقوت الجنة ونزل معه عصا موسى وهي من آس الجنة أو من لبان وانزل بعد ذلك العلاء والمطرقة والكلبتان وكان حسن الصورة لا يشبهه من ولده غير يوسف وأنزل عليه جبريل بصرة فيها حنطة فقال آدم: ما هذا؟ قال: هذا الذي أخرجك من الجنة فقال: ما أصنع به؟ فقال: انثره في الارض ففعل فأنبته الله من باعته ثم حصده وجمعه وفركه وذراه وطحنه وعجنه وخبزه، كل ذلك بتعليم جبريل عليه السلام وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار، وعلمه جبريل صنعة الحديد والحراثة وانزل اليه ثورا فكان يحرث عليه، قيل هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله « فلا يخرجكم من الجنة فتشقى » ثم ان الله أنزل آدم من الجبل وملكه الارض وجميع ما عليها من الجن والدواب والطيور وغير ذلك فشكا إلى الله تعالى وقال: يارب! أما في هذه الارض من يسبحك غيري؟ فقال الله تعالى: سأخرج من صلبك من يسبحني ويحمدني؛ وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكري وأجعل فيها بيتا أختصه بكرامتي وأسميه بيتي، وأجعله حرما آمنا فن حرمه بحرمتي فقد استوجب كرامتي، ومن أخاف أهله فيه فقد خفر^(١) ذمتي وأباح حرمتي أول بيت وضع للناس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد إلى وزارني وضاقني ويحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته* تعمره أنت يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة، ثم أمر آدم أن يأتي البيت الحرام وكان قد أهبط من الجنة ياقوته واحدة، وقيل درة واحدة وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح عليه السلام فرقع وبقي أساسه فبوالله لا إبراهيم عليه السلام فبناه على ما نذكره إن شاء الله تعالى وسار آدم إلى البيت ليحجه ويتوب عنده وكان قد بكى هو وحواء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما، ثم أكلا وشربا بعدها ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام^(٢) فحج البيت وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي: قوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »: * (نود) بضم النون وسكون الواو آخره دال مهملة *

(١) أي نقض عهده وغدره اه قاموس (٢) ان ما ذكر في هذه الترجمة اخبار واهية واهنة اشبه

بالقصص الموضوعه لا يعول عليها عاقل *

﴿ ذكر إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق ﴾

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة فأخرج من ظهره كل ذرية ذراها الى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذرثم كلهم قبلا وقال: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة) إلى قوله: بما فعل المبطلون، ﴿ نعمان ﴾ بفتح النون الأولى، وقيل: عن ابن عباس أيضا أنه أخذ عليهم الميثاق بدحنا موضع، وقال السري: أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه إلى الأرض من السماء، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منها كهيئة الذر سوداء فقال: ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى فأعطوه الميثاق، طائفة طائعين وطائفة على وجه التقية *

﴿ ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا ﴾

وكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هايل وأهل العلم مختلفون في اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قاتين وبعضهم يقول قانين وبعضهم يقول قابيل، واختافوا أيضا في سبب قتله فقيل: كان سبيه أن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقايل بن آدم وتوأمته فلم تجد عليهما وحما (١) ولا وصبا (٢) ولم تجد عليهما طلقا (٣) حين ولدتهما ولم ترمعهما دما لظهر الجنة فلما أكلتا من الشجرة وهبطتا إلى الأرض فاطمأنا بها تغشاها فحملت بهايل وتوأمته فوجدت عليهما الوحوم والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما الدم وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل الا توأما ذكرا وأنثى فولدت حواء لآدم أربعين ولدا لصلبه من ذكروا أنثى في عشرين بطنا وكان الولد منهم أي أخواته شاء تزوج الا توأمته التي تولد معه فانها لا تحمل له وذلك أنه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم وأمهم حواء فأمر آدم ابنه قابيل أن ينكح توأمة هايل وأمر هايل أن ينكح توأمة أخيه قابيل وقيل: بل كان آدم غائبا وكان لما أراد السير قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت وقال للأرض فأبت وللجبال فأبت وقال لقابيل فقال: نعم تذهب وترجع وستجد ما يسرك

(١) من الوحوم وهو اشتهاء الحامل (٢) أي تعباً (٣) بفتح فسكون هو وجع الولادة *

فانطلق آدم فكان ما ذكره وفيه قال الله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) فلما قال آدم لقائيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما سلم هابيل لذلك ورضى به وأبي ذلك قاييل وكرهه تكرر عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال: نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض فأنا أحق بأختي، وقال بعض أهل العلم: إن أخت قاييل كانت من أحسن الناس فضن^(١) بها على أخيه وأرادها لنفسه وانهم لم يكونا من ولادة الجنة إنما كانا من ولادة الأرض والله أعلم * فقال له أبوه آدم: يا بني إنها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك من أبيه فقال له أبوه يا بني فقرب قربانا ويقرب أخوك هابيل قربانا فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها وكان قاييل على بذر الأرض وهابيل على رعاية الماشية فقرب قاييل قمحا وقرب هابيل أبكارا من أبكار غنمه، وقيل: قرب بقرة فأرسل الله نارا ييضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قاييل وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله الله فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له بأخت قاييل غضب قاييل وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال: لأقتلك حتى لا تنكح أختي قال هابيل: (إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بإسسط يدي إليك لأقتلك) إلى قوله (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فاتبعه وهو في ماشيته فقتله فهما اللذان قص الله خبرهما في القرآن فقال: (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر إلى آخر القصة: قال فلما قتله سقط في يده ولم يدرك كيف يواريه^(٢) وذلك أنه كان - فيما يزعمون - أول قتيل من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال: يا ويلتي أعجزت أن أكرن مثل هذا الغراب؟ فإواري سوءة أخى فأصبح من النادمين إلى قوله لمسرفون فلما قتل أخاه قال الله تعالى: يا قاييل أين أخوك هابيل؟ قال لا أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى: إن صوت دم أخيك يناديني من الأرض الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاه فبلعت دم أخيك فإذا أنت عملت في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في الأرض فقال قاييل: عظمت خطيئتي إن لم تغفرها قيل: كان قتله عند عقبة حراء^(٣) ثم نزل من الجبل آخذا بيد أخته وهرب بها إلى عدن من اليمن، قال ابن عباس: لما قتل أخاه أخذ بيد أخته، ثم هبط بها من جبل نود إلى الحضيض فقال له آدم: اذهب فلا تزال مرغوبا لا تأمن

(١) أي بجمل (٢) أي يخفيه ويدفنه (٣) هو جبل بمكة على يسار الذهاب إلى منى يسمى الآن جبل النور *

من تراه فكان لا يمر به أحد من ولده إلا رما فاقبل ابن لقاييل أعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه: هذا أبوك قاييل فارمه فرمى الاعمى أباه قاييل فقتله، فقال ابن الاعمى لايه: قتلت أباك فرفع الاعمى يده فلطم ابنه فمات فقال! يا ويلتى: قتلت أبى برميتى وابنى بلطمتى * ولما قتل هاييل كان عمره عشرين سنة وكان لقاييل يوم قتله خمس وعشرون سنة وقال، الحسن: كان الرجلان - اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن بقوله: واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق - من بني إسرائيل ولم يكونا من بني آدم لصلبه وكان آدم أول من مات، وقال أبو جعفر: الصحيح عندنا أنهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل» (١) منها وذلك لأنه أول من سن القتل، فبان بهذا أنهما لصلب آدم فان القتل مازال بين بني آدم قبل بني إسرائيل وفي هذا الحديث أنه أول من سن القتل، ومن الدليل على أنه مات من ذرية آدم قبله ما ورد في تفسير قوله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) الى قوله (جعلنا له شركاء فيما آتاهما) عن ابن عباس وابن جبير والسري وغيرهم قالوا: كانت حواء تلد لآدم فتعبد لهم أي تسميهم عبد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فآتاهما ابليس فقال: لو سميتما بغير هذه الأسماء لعاش ولدكما فولدت ولدا فسمته عبد الحرث وهو اسم ابليس فنزلت (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) الآيات، وقد روى هذا المعنى مرفوعا *

﴿قالت﴾ إنما كان الله تعالى يميت أولادهم أولا وأحيا هذا المسمى بعبد الحرث امتحانا واختبارا وان كان الله تعالى يعلم الأشياء بغير امتحان لكن علما لا يتعلق به الثواب والعقاب، ومن الدليل على أن القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه ما رواه العلماء عن علي بن أبي طالب أن آدم قال (٢)، لما قتل هاييل:

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

في آيات غيرها، وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيومرث هو آدم، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء وقالوا فيه أقوالا كثيرة يطول بذكرها الكتاب اذ كان قصدنا ذكر الملوك وأيامهم ولم يكن ذكر الاختلاف في نسب ملك من جنس ما أنشأنا له الكتاب فان ذكرنا من ذلك شيئا فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفا به وقد

(١) اي نصيب (٢) لعله بلسان الحال والافساند حقيقة الشعر لآدم عليه السلام لأصل له *

خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه غير آدم ووافق علماء الفرس على اسمه ، وخالفهم في عينه وصفته ، فزعم أن جيومرث الذي زعمت الفرس أنه آدم إنما هو حام بن يافث بن نوح ، وأنه كان معمرًا ، سيدا نزل جبل دناوند من جبال طبرستان من أرض المشرق ، وتملك بها وبفارس ، وعظم أمره وأمر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا في بعض الاوقات الأقاليم كلها ، وابنتي جيومرث المدن والحصون وأعد السلاح ، واتخذ الخيل ، وتجر في آخر أمره ، وتسمى بآدم وقال من سماني بغيره قتلته وتزوج ثلاثين امرأة فكثر منهن نسله وأن ماري ابنه وماريانه أخته ممن كانا ولدا في آخر عمره فأعجب بهما وقد هما نصار الملوكة من نساها ما يقال أبو جعفر : وإنما ذكرت من أمر جيومرث في هذا الموضع ما ذكرت لانه لا تدافع بين علماء الأمم أنه أبو الفرس من العجم ، وإنما اختلفوا فيه هل هو آدم أبو البشر أم غيره ؟ على ما ذكرناه ومع ذلك فلا نملكه وملك أولاده لم يزل منتظما على سياق متصل بارض المشرق وجبالها الى أن قتل يزدجرد بن شهر يار بمرور أيام عثمان بن عفان ، والتاريخ على أسماء ملوكهم أسهل بيانا وأقرب الى التحقيق منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم اذ لا يعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون الى آدم دامت لهم الملكة واتصل الملك لملوكهم يأخذة آخرهم عن أولهم وغاب عنهم عن سالفهم سواهم *
واناذا كر ما انتهى اليها من القول في عمر آدم وأعمار من بعده من ولده من الملوك والأنبياء ، وجيومرث أبي الفرس فأذكر ما اختلفوا فيه من أمرهم الى الحال التي اجتمعوا عليها وتفقدوا على ملك منهم في زمان بعينه أنه هو الملك في ذلك الزمان ان شاء الله * وكان آدم مع ما أعطاه الله تعالى من ملك الأرض نبيا رسولا الى ولده ، وأنزل الله عليه احدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علمه إياها جبريل روى أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال «الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» قال : قلت يا رسول الله ! كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلثمائة وثلثائة عشر جماعفيرا يعني كثيرا طيبا قال : قلت من أولهم ؟ قال : آدم قال : قلت يا رسول الله ! وهو نبي مرسل ؟ قال : نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه رجلا ، وكان ممن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة *

﴿ ذكر ولادة شيث ﴾

ومن الاحداث في أيامه ولادة شيث وكانت ولادته بعد مضي مائة وعشرين سنة لآدم وبعد قتل هايل بخمس سنين ، وقيل ولد فردا بغير توأم ، وتفسير شيث هبة الله ومعناه

انه خلف من هاييل وهو وصى آدم، وقال ابن عباس: كان معه توأم ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى شيث وعليه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلوة في كل ساعة منها وأعلمه بالطوفان وصارت الرياسة بعد آدم اليه، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة واليه أنساب بني آدم كلهم اليوم وأما الفرس الذين قالوا: ان جيومرث هو آدم فانهم قالوا: ولد لجيومرث ابنته ميشان اخت ميشى وتزوج ميشى اخته ميشان فولدت له سيامك وسيامى فولد لسيامك بن جيومرث أفروال ودقس وبواسب واجرب واوراش وأمهم جميعا سيامى ابنة ميشى وهى أخت أبيهم وذكروا ان الأرض كلها سبعة أقاليم فارض بابل وما يوصل اليه مما يأتيه الناس برأ وبحرافو من اقليم واحد وسكانه ولد أفروال بن سيامك واعتابهم، فولد لأفروال بن سيامك من افري ابنة سيامك أو شهنج بيشداد الملك وهو الذى خلف جده جيومرث فى الملك وهو أول من جمع الملك الاقاليم السبعة وسند كر أخباره، وكان بعضهم يزعم أن أو شهنج هذا هو ابن آدم لصا به من حواء * وأما ابن الكلبي فانه زعم أن أول من ملك الأرض أو شهنق بن عابر بن شالخ بن ارنخشند بن سام بن نوح قال: والفرس تزعم انه كان بعد آدم بمائتي سنة وإنما كان بعد نوح بمائتي سنة ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح * والذى ذكره هشام بن الكلبي لا وجه له لأن أو شهنج مشهور عند الفرس وكل قوم أعلم بأنسابهم وأيامهم من غيرهم قال: وقد زعم بعض نسابة الفرس ان أو شهنج هذا هو مهلائيل وان أباه أفروال هو قينان وأن سيامك هو انوش أبو قينان وأن ميشى هو شيث أبو انوش وان جيومرث هو آدم فان كان الأمر كما زعم فلا شك أن أو شهنج كان فى زمن آدم رجلا وذلك لأن مهلائيل فيما ذكر فى الكتب الأولى كانت ولادة أمه دينه ابنة براكيل بن محريل بن خنوخ بن قين بن آدم وأتاه بعد ماضى من عمر آدم ثلاثمائة سنة وخمس وتسعون سنة وقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة على حساب ان عمر آدم كان الف سنة * وقد زعمت الفرس أن ملك أو شهنج كان أربعين سنة فان كان الأمر على ما ذكره النسابة الذى ذكرت منه ما ذكرت فما يبعد من قال: ان ملكه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة (۱) *

﴿ ذكر وفاة آدم عليه السلام ﴾

ذكر ان آدم مرض أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وأمره أن يخفى عليه عن قابيل وولده لانه قتل هاييل حسداً منه له حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به، وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه

(۱) غير خاف ان هذه الأنساب عريقة فى القدم ولم يوجد ما يزيكها من آثار معدلة فالقول بها ضرب من الخبط او الخلاط *

قال : قال الله تعالى لآدم حين خلقه: أنت أو لك النفر من الملائكة فقل : السلام عليكم فاتاهم فسلم عليهم وقالوا له : عليك السلام ورحمة الله : ثم رجع الى ربه فقال له ، هذه تحيتك وتحيية ذريتك بينهم ، ثم قبض له يديه فقال له : خذ واختر فقال : أحببت يمين ربي وكنتا يديه يمين ففتحها له فاذا فيها صورة آدم وذريته كلهم ، واذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله واذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة واذا قوم عليهم النور فقال : يارب من هؤلاء الذين عليهم النور ؟ فقال : هؤلاء الانبياء والرسل الذين أرسلهم الى عبادي واذا فيهم رجل هو من اضيئهم نورا ولم يكتب له من العمر الا أربعين سنة فقال آدم : يارب ! هذا من اضيئهم نورا ولم تكتب له الا أربعين سنة ؟ بعد أن أعلاه انه داود عليه السلام فقال : ذلك ما كتبت له فقال : يارب انقص له من عمري ستين سنة فقال رسول الله ﷺ : فلما أهبط الى الأرض بعد أيامه فلما أتاه ملك الموت لقبضه قال له آدم : عجبت يا ملك الموت قد بقي من عمري ستون سنة فقال له : ملك الموت : ما بقي شيء ، سألت ربك أن يكتبه لابنك داود فقال : ما فعلت فقال النبي ﷺ : ففسيت ذريته وجحد فجدت ذريته فحينئذ وضع الله الكتاب وأمر بالشهود ، وروى عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ : «ان أول من جحد آدم ثلاث مرار وان الله لما خلقه مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذارني (١) الى يوم القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى منهم رجلا يزهر قال : أي رب ! أي بني هذا ؟ قال : ابنك داود قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة قال : زده من العمر قال الله تعالى : لا إلا أن يزيد أنت وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له أربعين سنة فكتب عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه فقال : قد بقي من عمري اربعون سنة قالوا : إنك قد وهبتها لابنك داود قال : ما فعلت ولا وهبت له شيئا فانزل الله عليه الكتاب وأقام الملائكة شهودا فأكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة ، وروى مثل هذا عن جماعة منهم سعيد بن جبير ، وقال ابن عباس : كان عمر آدم تسعمائة سنة وستا وثلاثين سنة وأهل التوراة يزعمون ان عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة والأخبار عن رسول الله والعلما ما ذكرنا ورسول الله ﷺ أعلم الخلق ، وعلى رواية أبي هريرة التي فيها ان آدم وهب داود من عمره ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما في التوراة من أن عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة فلعل الله ذكر عمره في

(١) اي ذات منظر كما في لسان العرب نقلا عن الفراء ومنه قول الله تعالى (هم احسن انا واورثيا) *

التوراة سوى ما وهبه لداود * قال ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه قال بلغني أن آدم حين مات بعث الله بكفنه وحنوطه من الجنة ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه . وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أن آدم حين حضرته الوفاة بعث الله اليه بحنوطه وكفنه من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم فقال : خلى عني وعن رسل ربي فمالقت مالقت إلامنك ولا أصابني ما أصابني الا فيك فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه في وتر من الثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده . قال ابن عباس : لما مات آدم قال شيث لجبرائيل : صل عليه فقال : تقدم أنت فصل على أيك فكبر عليه ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة واما خمس وعشرون تفضيلا لآدم ، وقيل : دفن في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكبر ، وقال ابن عباس : لما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببیت المقدس وكانت وفاته يوم الجمعة كما تقدم وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت الى وقت الطوفان واستخرجهما نوح وجعلهما في تابوت ثم حملهما معه في السفينة فلما غاضت بالارض الماء^(١) ردهما الى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان قال وكانت حواء فيما ذكر قد غزلت ونسجت وعجنت ونخبزت وعملت أعمال النساء كلها * واذا قد فرغنا من ذكر آدم وعدوه ابليس وذكر أخبارهما وما صنع الله بعدوه وإبليس حين تجبروا تكبر من تعجيل العقوبة وطغى وبغى من الطرد والابعاد والنظرة الى يوم الدين وما صنع بآدم إذا خطأ ونسى من تعجيل العقوبة له ثم تغمدته الله بالرحمة اذا تاب من زلته فأرجع إلى ذكر قابيل وشيث ابني آدم وأولادهما ان شاء الله *

* ذكر شيث بن آدم عليه السلام *

قد ذكرنا بعض أمره ، وانه كان وصى آدم في خلقه بعد مضيه لسيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف ، وقيل : انه لم يزل مقبلا بمكة يحج ويعتمر الى ان مات ، وانه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها ، وانه بنى الكعبة بالحجارة والطين وأما السلف من علمائنا فانهم قالوا : لم تزل القبة التي جعل الله لآدم مكان البيت إلى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان ، وقيل : ان شيثا لما مرض أوصى الى ابته أنوش ، ومات فدفن مع أبويه بغار أبي قبيس وكان مولده لمضى مائتي سنة وخمس وثلاثين

(١) كذا في الطبعة الاميرية ، وغير خاف ما في العبارة من الخلل والاشبه ان تكون فلما غاضت الارض بالماء ، أو فلما غاض الماء في الارض *

سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وقد تقدم * وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة
واثنتا عشرة سنة *

وقام أنوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدير من تحت يديه من رعيته
مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل، فكان جميع عمر أنوش سبعمائة وخمس سنين،
وكان مولده بعد أن مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين وهذا قول أهل
التوراة، وقال ابن عباس: ولد لشيث أنوش وولد معه نفرا كثيرا واليه أوصى شيث، ثم
ولد لأنوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر
أنوش وولد معه نفرا كثيرا واليه الوصية * وولد قينان مهلائيل ونفرا كثيرا معه واليه
الوصية * وولد مهلائيل يردوه هو الياردون نفرا معه واليه الوصية * فولد يردخنوخ وهو
إدريس النبي ونفرا معه واليه الوصية * وولد خنوخ^(١) متوسلخ^(٢) ونفرا معه واليه الوصية *
وأما التوراة ففيها ان مهلائيل ولد بعد أن مضى من عمر آدم عليه السلام ثلاثمائة وخمس
وتسعون سنة ومن عمر قينان سبعون، وولد يرد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة
سنة وستون سنة فكان على منهاج أبيه غير ان الاحداث بدأت في زمانه *

* ذكر الاحداث التي كانت من لدن ملك شيث الى أن ملك يرد *

ذكر أن قايل لما قتل هايل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس فقال له: إن
هايل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت أيضا ناراً
تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها، وقال ابن إسحق: ان
قينا وهو قايل نكح أخته أشوث بنت آدم فولدت له رجلا وامرأة خنوخ بن قين
وعذب بنت قين، فنكح خنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة غير دو ومحويل
وأنوشيل، وموليث ابنة خنوخ فنكح أنوشيل بن خنوخ أخته موليث وولدت له رجلا
اسمه لامك، فنكح لامك امرأتين اسم احدهما عدى والآخرى صلي فولدت عدى بولس
ابن لامك فكان أول من سكن القباب واقتنى المال وتوبلين فكان أول من ضرب بالونج
والصنج، وولدت رجلا اسمه توبلقين وكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم
فراعنة وجابرة، وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق قال: ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقبا
إلا قليلا وذرية آدم كلها جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم الا ما كان من شيث فنه كان

(١) خنوخ بنخاء بن معجمتين بينهما نون وواو - والذي في التوراة اخنوخ بالف قبل الخاء الاولى

(٢) الذي في التوراة: توشاخ بالشين المعجمة والحاء المهملة

النسل وانساب الناس اليوم كلهم اليه دون اولاد آيه آدم ولم يذ كر ابن إسحق من امر قايل وولده الا ما حكيت *

وقال غيره من أهل التوراة: ان أول من اتخذ الملاهي من ولد قايل رجل يقال له ثوبال ابن قايل اتخذها في زمان مهلائيل بن قينان اتخذ المزامير والطناير والطبول والعيدان والمعازف فانهمك ولد قايل في اللهو وتناسى خبرهم الى من بالجبل من ولد شيث فهم منهم مائة رجل بالنزول اليهم وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم، وبلغ ذلك يارد، فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا ونزلوا الى ولد قايل فأعجبوا بما رأوا منهم، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آباؤهم، فلما أبطوا ظن من بالجبل بمن كان في نفسه زيغ أنهم أقاموا اغتباطاً، فقتلوا ينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قايل متسرعات^(١) اليهم، وصرن معهم، وانهمكوا في الطغيان، وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم وهذا القول غير بعيد من الحق، وذلك أنه قد روى عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحو منه وان لم يكونوا ينوا زمان من حدث ذلك في ملكه إلا أنهم ذكروا ان ذلك كان فيما بين آدم ونوح: منهم ابن عباس أو مثله، ومثله روى الحكم بن عتيبة عن آيه مع اختلاف قريب من القولين والله أعلم *

وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قينان، وانه هو أوشهنج الذي ملك الاقاليم السبعة وبينت قول من خالفهم * وقال هشام بن الكلبي: انه أول من بنى البناء واستخرج المعادن، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد، وبني مدينتين كاتتا أول ما بنى على ظهر الأرض من المدائن وهما مدينة بابل - وهي بالعراق - ومدينة السوس - بخوزستان - وكان ملكه أربعين سنة، وقال غيره: هو أول من استنبت الحديد؛ وعمل منه الأدوات للصناعات، وقدر المياه في مواضع المنافع؛ وحض الناس على الزراعة واعتماد الأعمال، وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش، وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها، وأنه بنى مدينة الري. قالوا: وهي أول مدينة بنيت بعد مدينة جيومرث التي كان يسكنها بنباوند. وقالوا: انه أول من وضع الاحكام والحدود، وكان ملقباً بذلك يدعى بيشداد، ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل، وذلك أن يش معناه أول ودا معناه عدل

(١) أي متسرعات قال في اللسان: وكل دان من شيء فهو شارع. الى ان قال وهذا كما راجع الى شيء واحد الى القرب من الشيء والاشراف عليه اه وفي تاريخ الطبري متسرعات *

وقضاء، وهو أول من استخدم الجوارى، وأول من قطع الشجر وجعله في البناء * وذكروا أنه نزل الهند وتنقل في البلاد وعقد على رأسه تاجا، وذكروا: أنه قهر ابليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم، على ذلك، وقتل مردتهم فهربوا من خوفه الى المفاوز والجبال فلما مات عادوا * وقيل انه سمي شرار الناس شياطين واستخدمهم وملك الأقاليم كلها وأنه كان بين مولد أو شهنج وموت جيو مرث مائتا سنة و ثلاث وعشرون سنة * عتبية * بالعين وبعدها تاء فوقها نقطتان وياء تحتها نقطتان وباء موحدة *

* ذكر يرد *

وقيل: يارذ بن مهلائيل أمه خالته^(١) سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ولد بعد ماضى من عمر آدم أربع مائة سنة وستون سنة، وفي أيامه عملت الأصنام وعاد من عاد عن الاسلام، ثم نكح يرد في قول ابن اسحاق وهو ابن مائة واثنين وستين سنة بركتا ابنة الدر مسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، فولدت له خنوخ، وهو ادريس النبي، فكان أول بنى آدم اعطى النبوة وخط بالقلم، وأول من نظر في علوم النجوم والحساب وحكام اليونانيين يسمونه هر مس الحكيم وهو عظيم عندهم، فعاش يرد بعد مولد ادريس ثمان مائة سنة، وولد له بنون وبنات، فكان عمره تسعمائة سنة واثنين وستين سنة * وقيل: أنزل على ادريس ثلاثون صحيفة، وهو أول من جاهد في سبيل الله، وقطع الثياب وخاطها، وأول من سى من ولد قايل بن آدم فاسترق منهم، وكان وصى والده يرد فيما كان أباه وصوا به اليه وفيما أوصى بعضهم بعضا. وتوفى آدم بعد أن مضى من عمر ادريس ثلثمائة وثمان سنين، ودعا ادريس قومه، ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان، وان لا يلابسوا ولد قايل فلم يقبلوا منه. قال: وفي التوراة أن الله رفع ادريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمره وبعد أن مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربع مائة وخمساو ثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنين وستين سنة * قال النبي ﷺ: يا أباذر، من الرسل أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وقيل: ان الله أرسله الى جميع أهل الأرض في زمانه وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة. وقال بعضهم: ملك يوراسب في عهد ادريس، وكان قد

(١) لا يمكن أن تكون الام هي الخالة فلعل لفظ خالته مقحم *

وقع عليه من كلام آدم فاتخذ سحرا، وكان يوراسب يعمل به **(يارذ)** بياض معجزة باثنتين من تحتها وراه مهلة و ذال معجزة، وخنوخ بجاء مهلة مفتوحة و نون بعدها و او و خاء معجزة و قيل بخاءين معجمتين *

﴿ ذکر ملک طهمورث ﴾

زعمت الفرس أنه ملك بعده و ت أو شهنج طهمورث بن و یونجهان یعنی خیر أهل الأرض ابن جاباد بن أو شهنج. و قيل في نسبه غير ذلك؛ و زعم الفرس أيضا أنه ملك الاقاليم السبعة و عقد على رأسه تاجا و كان محمودا في ملكه مشفقا على رعيته، و أنه ابنتى سابور من فارس و نزلها و تنقل في البلدان و أنه وثب بابليس حتى ركبته ^(۱) فطاف عليه في أداني الأرض و أقاصيها و أفزعه و مردته حتى تفرقوا، و كان أول من اتخذ الصوف و الشعر للبس و الفرش، و أول من اتخذ زينة الملوك من الخيل و البغال و الحمير، و أمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشى و غيرها، و أخذ الجوارح للصيد، و كتب بالفارسية، و ان يوراسب ظهر في أول سنة من ملكه، و دعا الى ملة الصابئين * كذا قال أبو جعفر و غيره من العلماء أنه ركب إبليس و طاف عليه و العهدة عليهم و انما نحن نقلنا ما قالوه * قال ابن الكلبي: أول ملوك الأرض من بابل طهمورث، و كان لله مطيعا، و كان ملكه أربعين سنة، و هو أول من كتب بالفارسية، و في أيامه عبت الأصنام، و أول ما عرف الصوم في ملكه. و سببه ان قوما فقراء تعذر عليهم القوت فامسكوا نهارا و أكلوا ليلا ما يمسكهم ثم اعتقدوه تقربا الى الله و جاءت الشرائع به *

﴿ ذکر خنوخ و هو ادریس عليه السلام ﴾

ثم نكح خنوخ بن يردهدانة و يقال اذانة ابنة باويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم و هو ابن خمس و ستين سنة، فولدت له متوشلخ بن خنوخ، فعاش بعدما ولد متوشلخ ثلاثمائة سنة. ثم رفع، و استخلفه خنوخ على أمر ولده و أمر الله و أوصاه و أهل بيته قبل أن يرفع و أعلمهم ان الله سوف يعذب ولد قاييل و من خالطهم، و نهاهم عن مخالطهم، و انه كان أول من ركب الخيل لأنه سلك رسم أبيه خنوخ في الجهاد، ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل ابن أنوشيل بن خنوخ بن قين و هو ابن مائة سنة و سبع و ثلاثين سنة، فولدت له ملك ابن متوشلخ، فعاش بعدما ولد له ملك سبعمائة سنة؛ و ولد له بنون و بنات فكان كل ما عاش

متوشلخ تسعمائة سنة وسبعا وعشرين سنة، ثم مات وأوصى الى ابنه ملك فكان ملك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة ولد قاييل فلم يقبلوا حتى نزل اليهم جميع من كان معهم في الجبل * وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير ملك يقال له صابي، وبه سمي الصابئون *

﴿قلت﴾ محويل، بحاء مهملة وياء معجمة باثنتين من تحت وقين بقاف وياء معجمة باثنتين من تحت، ومتوشلخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبعاء مهملة وقيل خاء معجمة *

ونكح ملك بن متوشلخ قينوش ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع^(١) وثمانين سنة، فولدت له نوح بن ملك وهو النبي فعاش ملك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات، ثم مات ونكح نوح بن ملك عزرة بنت براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له ولده ساما وحاما ويافت بنى نوح، وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ولما أدرك قال له أبوه ملك: قد علمت انه لم يبق في هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به * وقيل كان نوح في عهد بيوراسب وكانوا قومه فدعاهم إلى الله تسعمائة وخمسين سنة كلها مضى قرن اتبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر حتى أنزل الله عليهم العذاب . وقال ابن عباس فيما رواه الكاكي عن أبي صالح عنه : فولد ملك نوحا وكان له يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ولم يكن في ذلك الزمان أحد ينهى عن منكر فبعث الله اليهم نوحا وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة ، ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ثم مكث من بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وروى عن جماعة من السلف : انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق وان الكفر بالله حدث في القرن الذي بعث اليهم فيه نوح فارسله الله وهو أول نبي بعث بالانذار والدعاء الى التوحيد وهو قول ابن عباس وقتادة *

﴿ ذكر ملك جمشيد ﴾

وأما علماء الفرس فانهم قالوا : ملك بعد طهمورث جمشيد ، والشيد عندهم الشعاع وجم القمر لقبوه بذلك لجماله وهو جم بن ويونجهان وهو أخو طهمورث * وقيل : انه ملك

(١) الذي في ترجمة التوراة العبرية ان نوحا ولد لايه وعمره ١٨٢ سنة *

الأقاليم السبعة، وسخر له ما فيها من الجن والانس؛ وعقد التاج على رأسه؛ وأمر لسنة مضت من ملكه إلى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الأسلحة وآلة الصناعات من الحديد، ومن سنة خمسين من ملكه إلى سنة مائة بعمل الأبريسم وغزله والقطن والكتان وكل ما استطاع غزله وحياكة ذلك وصبغه ألواناً ولبسه، ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة فقهاء، وطبقة كتاب وصناع، وطبقة حراثين، واتخذ منهم خدماً، ووضع لكل أمر خاتماً مخصوصاً به، فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة، وعلى خاتم الخراج العمارة والعدل، وعلى خاتم البريد والرسول الصدق والأمانة، وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف، وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاسن الإسلام، ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذهم وقهرهم وسخر وأله، ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة وكل الشياطين بقطع الأحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجص والكس والبناء بذلك الحمامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر وأنواع الطيب والأدوية فنفذوا في ذلك بأمره، ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج فاصفد فيها الشياطين وركبها؛ وأقبل عليها في الهواء من دنباوند إلى بابل في يوم واحد وهو يوم هرمز روز وافروردين ماء فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً وخمسة أيام بعده؛ وكتب إلى الناس في اليوم السادس يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله، فكان من جزائه إياه عليها أنه قد جنبهم الحر والبرد والاسقام والهرم والحسد، فكث الناس ثلاثمائة سنة بعد الثلاثمائة والستة عشر سنة لا يصيبهم شيء مما ذكره، ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهر أطويلاً حتى خربها الإسكندر وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا، فعدلوا إلى عمل الجسور من الخشب، ثم إن جما بطن نعمة الله عليه، وجمع الانس والجن والشياطين وأخبرهم أنه وليهم ومانعهم بقوته من الاسقام والهرم والموت، وتمادى في غيه، فلم يجر أحد منهم جواباً وقد مكانه وبهائه وعزه، وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم؛ بسياسة أمره، فاحس بذلك يوراسب الذي سمي الضحاك، فابتدر إلى جم لينتهسه، فهرب منه ثم ظفر به بعد ذلك يوراسب فاستطرد أمعاه وأشره بمششار^(١) وقيل: أنه ادعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله - واسمه اسفنور - فتواري عنه مائة سنة، فخرج عليه في تواريه يوراسب،

(١) والمشار هو المنشار واللقتان فصيحتان والمراد تلفه وفرق أعضائه جسمه*

فعله على ملكه* وقيل كان ملكه سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر*
 قلت وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد ان كنا عازمين على تركه لما
 فيه من الأشياء التي تمجها الاسماع وتأبأها العقول والطباع، فانها من خرافات الفرس مع
 اشياء آخر قد تقدمت قبلها، وانما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فانهم كثيراً ما يشنعون
 على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا ولأنا لو كنا تركنا هذا الفصل لخلا من شيء نذكره
 من أخبارهم *

* ذكر الاحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام *

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين أرسل اليهم نوح فمنهم من قال: انهم كانوا
 قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمر
 والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله، ومنهم من قال: انهم كانوا أهل طاعة* ويوراسب أول
 من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين أرسل اليهم نوح وسند كز
 أخبار يوراسب فيما بعد* وأما كتاب الله تعالى قال: فينطق بأهم أهل أو ثان قال تعالى:
 (وقالوا: لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد
 أضلوا كثيرا) *

قلت لا تناقض بين هذه الاقويل الثلاثة فان القول الحق الذي لا يشك فيه هو انهم كانوا أهل
 أو ثان يعبدونها كما نطق به القرآن وهو مذهب طائفة من الصابئين، فان أصل مذهب
 الصابئين عبادة الروحانيين وهم الملائكة لتقربهم الى الله تعالى زلفى، فانهم اعترفوا بصانع
 العالم وأنه حكيم قادر مقدس الا انهم قالوا: الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول
 الى معرفة جلاله وانما نتقرب اليه بالوسائط المقربة لديه وهم الروحانيون وحيث لم يعاينوا
 الروحانيين تقربوا اليهم بالهياكل وهي الكواكب السبعة السيارة لانها مدبرة لهذا العالم
 عندهم، ثم ذهبت طائفة منهم وهم أصحاب الأشخاص حيث رأوا أن الهياكل تطلع
 وتغرب وترى ليلا ولا ترى نهارا الى وضع الاصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا
 بها الى الهياكل، والهياكل الى الروحانيين؛ والروحانيون الى صانع العالم *

فهذا كان أصل وضع الاصنام أولا، وقد كان أخيرا في العرب من هو على هذا الاعتقاد
 قال تعالى: ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى. فقد حصل من عبادة الاصنام مذهب الصابئين
 والكفر والفواحش وغير ذلك من المعاصي؛ فلما تبادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم

بعث الله اليهم نوحا يحذرهم بأسه ونقمته، ويدعوهم الى التوبة والرجوع الى الحق والعمل بما أمر الله تعالى؛ وأرسل نوح وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما . وقال عون بن شداد: ان الله تعالى أرسل نوحا وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وقيل غير ذلك وقد تقدم . قال ابن اسحق وغيره: ان قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال: اللهم اغفر لي ولقومي فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة، وتناول عليه وعليهم الشأن اشتد عليه البلاء، وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله حتى ان كان الآخر ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونا لا يقبلون منه شيئا وكان يضرب ويلف ويلقى في بيته يرون انه قد مات فاذا أفاق اغتسل وخرج اليهم يدعوهم الى الله، فلما طال ذلك عليه ورأى الأولاد شرأ من الآباء قال: رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان تك لك فيهم حاجة فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرني الى أن تحكم فيهم فأوحى اليه: انه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن، فلما يئس من إيمانهم دعا عليهم فقال: «رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا، الى آخر القصة، فلما شكأ الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون؛ فاقبل نوح على عمل الفلك، ولها عن دعاء قومه، وجعل يهيئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مما لا يصلح له سواه، وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه، فيقول: ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون، قال: ويقولون: يا نوح اقد صرت نجارا بعد النبوة؟ واعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم، وصنع الفلك من خشب الساج، وأمره أن يجعل طوله ثمانين ذراعا^(١) وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا . وقال قتادة: كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا . وقال الحسن: كان طولها ألف ذراع وماتت ذراع وعرضها ستمائة ذراع والله أعلم . وأمر نوحا أن يجعله ثلاث طبقات: سفلى ووسطى وعليا ففعل نوح كما أمره الله تعالى حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله اليه: اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل، وقد

(١) الذي في التوراة ان طول الفلك ثلثمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا و يوافقه قول قتادة راجع آية ١٥ من الاصحاح السادس من التكوين *

جعل التنور آية فيما بينه وبينه فلما فار التنور وكان - فيما قيل - من حجارة كان لحواه . وقال ابن عباس : كان ذلك تنورا من أرض الهند ^(١) . وقال مجاهد والشعبي : كان التنور بأرض الكوفة وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور وأمر الله جبرائيل برفع الكعبة الى السماء الرابعة ^(٢) وكانت من ياقوت الجنة كما ذكرناه وخبأ الحجر ، الاسود بجبل أبي قبيس فبقى فيه الى أن بنى ابراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه ، ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله وهم أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، ونسأؤنهم ، وستة أناسي فكانوا مع نوح ثلاث عشرة . وقال ابن عباس : كان في السفينة ثمانون رجلاً أحدهم جرهم كلهم بنو شيث ، وقال قتادة كانوا ثمانية أنفس نوح وامراته وثلاثة بنوه ونسأؤهم ، وقال الاعمش : كانوا سبعة ولم يذكر فيهم زوج نوح وحمل معه جسد آدم ، ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب ؛ وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا ، وكان آخر من دخل السفينة الحمار فلما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال : ادخل وان كان الشيطان معك فقال كلمة زلت على لسانه فلما قالها دخل الشيطان معه فقال له نوح : ما أدخلك يا عدو الله ؟ فقال : ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك ؟ فتركه ^(٣) * ولما أمر نوح بإدخال الحيوان السفينة قال : أي رب ! كيف أصنع بالاسد والبقرة ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ والطير والهر ، قال : الذي ألقى بينها العداوة هو يؤلف بينها فالتقى الحمى على الاسد وشغله بنفسه ولذلك قيل

وما الكلب محمودا وان طال عمره * ألا انما الحمى على الاسد الورد

وجعل نوح الطير في الطبقة الأسفل من السفينة وجعل الوحش في الطبقة الاوسط وركب هو ومن معه من بنى آدم في الطبقة الأعلى ، فلما اطمأن نوح في الفلك ، وأدخل فيه كل من أمر به وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم ^(٤) وفي قول بعضهم ما ذكرناه ؛ وحمل معه من حمل جاء الماء بما قال الله تعالى : (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر) فكان بين ان ارسل الماء وبين ان يحتمل الماء الفلك أربعون يوماً وأربعون ليلة وكثر واشتد . وارتفع وطمى ، وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة ؛ وجعلت الفلك تجرى بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه

(١) وقال بعض المفسرين انه تنورا هله الذي يخبزون فيه (٢) هذا الخبر غريب وما الذي يصيب الكعبة اذا لم ترفع ؟ وخبر بنائها قبل الطوفان غاية في الغرابة (٣) لاشك بان هذه خرافة ونبي الله أجل من ان يذكر الشيطان على لسانه وان الشيطان أحقر من أن يكون جليسا لنوح عليه السلام بغير ارادته مع قوم مؤمنين قد اختصهم الله برحمته : الادارة (٤) الذي في التوراة ان الذين دخلوا السفينة من الناس نوح وزوجته وثلاثة بنيه وثلاث نسائهم

الذي هلك — وكان في معزل — (يأبى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) وكان كافرا قال :
 سأوى الى جبل يعصمني من الماء، وكان عهد الجبال وهى حرز وملجأ، فقال نوح : (لا عاصم
 اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) وعلا الماء على رؤس
 الجبال، فكان على أعلا جبل فى الارض خمسة عشر ذراعا، فهلك ما على وجه الارض من
 حيوان ونبات فلم يبق إلا نوح ومن معه والاعرج بن عنق — فيما زعم أهل التوراة — وكان
 بين ارسال الماء وبين ان غاض ستة أشهر وعشر ليال^(١) قال ابن عباس : أرسل الله المطر أربعين
 يوما فأقبلت الوحش حين أصابها المطر والطين الى نوح وسخرت له فحمل منها كما أمره
 الله فركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب^(٢)
 وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام من صام يوم عاشوراء. وكان الماء نصفين
 نصفاً من السماء ونصفاً من الارض ؛ وطافت السفينة بالارض كلها لا تستقر حتى أتت
 الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعاً^(٣) ثم ذهبت فى الارض تسير بهم حتى انتهت الى
 الجردى^(٤) وهو جبل بقردى بأرض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك (بعدا للقوم
 الظالمين) ولما استقرت قيل (يا أرض ابلعى ما لك وياسماء ألقى وغيض الماء) نشقته الارض
 وأقام نوح فى الفلك الى ان غاض الماء. فلما خرج^(٥) منها اتخذ بناحية من قردى من
 أرض الجزيرة موضعاً وابتنى قرية سموها ثمانين وهى الآن تسمى سوق الثمانين لان كل
 واحد ممن معه بنى لنفسه بيتاً وكانوا ثمانين رجلاً * قال بعض أهل التوراة لم يولد لنوح إلا
 بعد الطوفان، وقيل : ان ساما ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، وقيل : ان اسم ولده الذى
 أغرق كان كنعان وهو يام *

(١) اله جب من ذكر هذا القول المنسوب الى ابن عباس بر واية الكلبى المعروف حاله ومن تردده مع انه مخالف
 لظاهر القرآن . فانه وان وافق الاسرائيليات فعزوه الى ابن عباس رضى الله عنه ما غير صحيح بعد ان قل تعالى (ولقد
 أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً فاخذهم الطوفان وهم ظالمون. عنكبوت - ١٤) فالآية تفيد
 ان هذه المدة قبل الطوفان كما تفيد فاء التقيب والترتيب فهذه الاخبار وان كانت منقولة عن التوراة والعهد
 القديم الا اننا لا يصح لنا نقل ما يتعارض مع القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — اه الادارة
 (٢) الذى فى التوراة ان ذلك كان فى السابع عشر من الشهر الثانى من السنة الستمائة من عمر نوح (٣) لا ادري
 من أين علم هذا؟ (٤) هو جبل يقع شرقى جبل سنجان و يطل على جزيرة ابن عمر التى هى بلد المؤلف الأصلية هذا
 الجردى وان كان واقعا بين النهرين الفرات والدجلة فهو قرب من الدجلة جدا ومن الموصل ايضا (٥) فى التوراة
 ان خروج نوح ومن معه من السفينة كان فى اليوم السابع والعشرين من الشهر الثانى من السنة الحادية والستائة
 من حياة نوح وعلى ذلك يكونون قد مكثوا فى الفلك سنة وعشرة أيام *

وأما المجوس فانهم لا يعرفون الطوفان ويقولون : لم يزل الملك فينامن عهد جيومرث وهو آدم قالوا ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل وكان بعضهم يقرب بالطوفان ويزعم انه كان في اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم وقول الله تعالى اصدق في أن ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه في السفينة غير ولده سام وحام ويافث * ولما حضرت نوحا الوفاة قيل له : كيف رأيت الدنيا؟ قال : كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر * وأوصى الى ابنه سام وكان أكبر ولده *

* ذكر يوراسب وهو الازدهاق الذي يسميه العرب الضحاك *

وأهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وانه أول الفراعنة، وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل، والفرس تذكر انه منهم وتنسبه اليهم وانه يوراسب بن ارونداسب بن رينكار بن وندريشتك بن يارين بن افروال بن سيامك بن ميشي بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة وزعم أهل الأخبار انه ملك الأقاليم السبعة، وانه كان ساحرا فاجرا، قال هشام ابن الكلبي : ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم الف سنة، ونزل السواد (١) في قرية يقال لها برس في ناحية طريق الكوفة وملك الارض كلها وسار بالفجور والعسف وبسط يده في القتل، وكان أول من سن الصلب والقطع، وأول من وضع العشور وضرب الدراهم وأول من تغني وغنى له قال : وبلغنا ان الضحاك هو نمروذوان ابراهيم عليه السلام ولد في زمانه وانه صاحبه الذي أراد احراقه *

وتزعم الفرس ان الملك لم يكن الا للبطن الذي منه أوشهنج وجم وطهمورث وان الضحاك كان غاصبا وانه غصب أهل الارض بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيتين اللتين كاتتا على منكبيه، وقال كثير من أهل الكتب : ان الذي كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل واحدة منهما كراس الثعبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام وكانتا تتحركان تحت ثوبه اذا جاعتا ولقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لأن اللحمين اللتين كاتتا على منكبيه كاتتا تضريانه فاذا طلاهما بدماع انسان سكنتا، فكان يذبح كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى اذا

(١) أي سواد العراق

اراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي بسبب ابنين له اخذهما أصحاب يوراسب بسبب اللحمتين اللتين على منكبيه وأخذ كابي عصا كانت بيده، فعلق بطرفها جرابا كان معه، ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس الى مجاهدة يوراسب ومحاربه فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابي تفاءل الناس بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الا كبر الذي يتبركون به وسموه درفش كايان فكانوا لا يسيرونه إلا في الأمور الكبار العظام ولا يرفع إلا لأولاد الملوك اذا وجهوا في الأمور الكبار * وكان من خبر كابي أنه من أهل أصبهان فثار بمن أتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما أشرف على الضحاك قذف في قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منزله وخلي مكانه فاجتمع الأعجم الى كابي فاعلمهم انه لا يتعرض للملك لأنه ليس من أهله وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جهم لأنه ابن الملك أو شهنج الأكبر بن افروال الذي رسم الملك وسبق في القيام به، وكان أفريدون بن اثيان مستخفيا من الضحاك فوافى كابي ومن معه فاستبشروا بموافاته فلكروه وصار كابي والوجه لأفريدون أعوانا على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج اليه من أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار في أثره فأسره بدنباوند في جبالها * وبعض المجوس تزعم انه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول: انه لقي سليمان بن داود وحبسه سليمان في جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فما برح يوراسب بحبسه يجره حتى حمله الى خراسان، فلما عرف سليمان ذلك أمر الجن فاوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسمها كرجلين يدقان باب الغار الذي حبس فيه أبدا لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت *

وهذا أيضا من أكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه أكاذيب أعجب من هنا تركنا ذكرها * وبعض الفرس يزعم أن أفريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله: أمر وزنوروز أي استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيدا وكان أسره يوم المهرجان، فقال العجم: أمد مهرجان لقتل من كان يذبح وزعموا أنهم لم يسمعوا في أمور الضحاك بشيء يستحسن غير شيء واحد وهو أن بليته لما اشتدت ودام جورته وتراسل الوجوه في أمره فاجمعوا على المصير الى بابه فوافاه الوجوه فاتفقوا على أن يدخل عليه كابي الاصبهاني فدخل عليه ولم يسلم فقال: أيها الملك! أي السلام أسلم عليك؟ سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم؟ فقال: بل سلام من يملك الاقاليم لأنى ملك الارض، فقال كابي: اذ كنت تملك الاقاليم كلها فلم

خصصنا بأثقالك واسبابك من بينهم ولم لا تقسم الامور بيننا وبينهم وعدد عليه أشياء كثيرة فصدقه فعمل كلامه في الضحاك فأقر بالاساءة وتآلف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضى حوائجهم ، ثم ينصرفوا الى بلادهم وكانت أمه حاضرة تسمع معاتبهم ولانت شرا منه فلما خرج القوم دخلت مغتظة من احتماله وحمله عنهم فوبخته وقالت له : الأهلكتهم وقطعت أيديهم ؟ فلما أكرثت عليه قال لها : يا هذه لا تفكرى فى شىء الا وقد سبقت اليه الا أن القوم بدهرني بالحق وقرعوني به فكلمنا هممت بهم تخيل لى الحق بمنزلة الجبل بينى وبينهم فما أمكنى فيهم شىء ثم جلس لاهل النواحي فوفى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم ، وقال بعضهم : كان ملكه ستمائة سنة وكان عمره ألف سنة ، وأنه كان فى باقى عمره شبيها بالملك لقدرة ونفوذ أمره ، وقيل : كان ملكه ألف سنة ومائة سنة وانما ذكرنا خبر يوراسب ههنا لان بعضهم يزعم أن نوحا كان فى زمانه وانما أرسل اليه والى أهل مملكته وقيل انه هو الذى بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق *

* ذكر ذرية نوح عليه السلام *

قال النبي ﷺ فى قوله تعالى : (وجعلنا ذريته هم الباقين) انهم سام وحم ويافث ، وقال وهب بن منبه : أن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم وان حام أبو السودان وان يافث أبو الترك ويأجوج وماجوج ، وقيل : أن القبط من ولد فوط بن حام وانما كان السودان فى نسل حام لان نوحا نام فانكشفت سواته فراها حام فلم يغطها وراها سام ويافث فألقيا عليه ثوبا فلما استيقظ علم ما صنع حام واخوته فدعا عليهم ^(١) قال ابن اسحاق فكانت امرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم فولدت له نفرا : أرخشند ، واشوذ ، ولاوذ ، وآرم ، قاله ولا أدرى آرم لام أرخشند واخوته أم لا ؟ فمن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو أبو العماليق ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر وكان أهل البحرين وعمان ^(٢) منهم ويسمون

(١) هذا الخبر فى الاصحاح التاسع من سفر التكوين من العهد القديم ولكن لم يذكر به ان الدعوة كانت بسواد لون ولده ولكن بان يكون اولاد كنعان بن حام عبدا لآخوانهم ولله در شيخ المعرة اذ يقول :
ما سود حام لذنوبه كان أحدثه لكن غريزة لون خطايا الملك

(٢) بضم العين وتخفيف اليم على وزن غراب وهى كورة مصرية تقع فى شمال اليمن وعلى شاطئ البحر الهندي وعاصمتها مسقط ومعظم أهلها خوارج اباضية *

جاشم وكان منهم بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل وهي بين اليمامة والشجر وكانوا قد كثروا فاصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس وكان طسم سا كني اليمامة إلى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاشم قوما عربا لسانهم عربي، ولحقت عييل يثرب قبل أن تبنى، ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء، وانحدر بعضهم إلى يثرب فأخرجوا منها عيلا فنزلوا موضع الجحفة فأقبل سيل فاجتحفهم أي أهلكهم فسميت الجحفة. قال: وولد آرم بن سام عوض، وعابر وحويل. فولد عوض: عابر وعاد وعييل وولد عابر بن آرم: ثمود وجديس وكانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المصري وكانت العرب تقول لهذه الامم ولجرهم: العرب العاربة ويقولون ابني إسماعيل: العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين أظهرهم فكانت عاد بهذا الرمل إلى حضرموت، وكانت ثمود بالحجر^(۱) بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين وإسم اليمامة اذذاك جو وسكنت جاشم عمان، والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرم بن سام* والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام.^(۲) قال: وولد لارنخشذ بن سام ابنه قينان كان ساحرا، وولد لقينان شاخ بن أرنخشذ من غير ذكر قينان لما ذكر من سحره وولد لشاخ عابر، ولعابر فالغ ومعناه القاسم لان الارض قسمت والالسن تلبلت في ايامه، وقحطان^(۳) بن عابر، فولد لقحطان يعرب ويقطان فنزلا اليمن وكان أول من سكن اليمن وأول من سلم عليه بايت اللعن، وولد لفالغ بن عابر ارغو وولد لارغو ساروغ وولد لساروغ ناخور وولد لناخور تارخ واسمه بالعربية آزر وولد لآزر ابراهيم عليه السلام وولد لارنخشذ أيضا نمروذ وقيل هو نمروذ ابن كوش بن حام بن نوح، قال هشام بن الكلبي: السند والهند بنو توقيير بن يقطن بن عابر بن شاخ بن أرنخشذ بن سام بن نوح وجرهم من ولد يقطن بن عابر وحضرموت بن يقطن ويقطن هو قحطان في قول من نسبه إلى غير اسماعيل* والبربر من ولد ثميلان بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهجة وكتامة فانهما بنو فريقتش بن صيفي بن سبأ*

(۱) بکسر فسكون و يسمى المدائن لانزال آثاره باقية وتمر بالقرب منه السكة الحديدية التي بين دمشق والمدينة المنورة (۲) اهل العلم بالانواع البشرية يقولون ان الفرس آرون من ولد يافث (۳) الباحثون في الشعوب واللغات من اهل اوربا يقولون ان القحطانيين فرقة من الحبشانيين الذين في زمن متأخر ويميل جورجى زيدان الى انهم من العالقة الذين كانوا بمصر رحلوا الى الحبشة وتكلموا بلسان اهلها ثم نزلوا اليمن بعد ذلك بقرون كثيرة

وأما يافث فمن ولده جامر^(١) وموع ومورك وبوان وفوبا وماشج وتيرش، فمن ولد جامر ملوك فارس في قول، ومن ولد تيرش الترك والخزر، ومن ولد ماشج الاشبان* ومن ولد موع ياجوج وماجوج، ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان. والاشبان كانوا في القديم بارض الروم قبل أن يقع بها من وقع من ولد العيص بن اسحق وغيرهم وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة: سام وحام ويافث أرضا فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها، ومن ولد يافث الروم^(٢) وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح*

وأما حام فولد له كوش ومصر ايم وفوط^(٣) وكنعان فمن ولد كوش نمر وذن كوش، وقيل هو من ولد سام وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج ويقال ان مصر ايم ولد القبط والبربر، وأما فوط فقيل: انه سار الى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده، وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وصار الشام لبني اسرائيل ثم وثبت الروم^(٤) على بني اسرائيل فاجلوهم عن الشام الى العراق الا قليلا منهم، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام. وكان يقال لعاد عادارم فلما هلكوا قيل لثمود ثمود ارم*

قال: وزعم أهل التوراة ان ارفخشذ ولد لسام بعد ان مضى من عمر سام مائة سنة وستين وكان جميع عمر سام ستمائة سنة، ثم ولد ارفخشذ قينان بعد ان مضى من عمر ارفخشذ خمس وثلاثون سنة وكان عمره أربعمائة وثمانيا وثلاثين سنة، ثم ولد لقينان شاخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ولم تذكر مدة عمر قينان في الكتب لما ذكرنا من سحره، ثم ولد لشاخ عابر بعد ما مضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة، ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان^(٥) وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره أربعمائة وأربعا وسبعين سنة، ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة، وولد لارغو ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة؛ وولد لارغو ناخور^(٦) بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة، ثم

(١) الذي في التوراة جو صر آية ٣ اصحاح ١٠ تكو ين (٢) قد حكي المؤلف نسبة الروم الى سام قبل ذلك كما نسب اليه المصريين ثم نسبهم بعد ذلك الى حام (٣) بالفاء (٤) تأمل فان النافي لهم اولا هو بخت نصر لا الروم (٥) الذي في التوراة فالغ واخوه يقطان ومعناه الصنير آية ٢٥ اصحاح ١٠ تكو ين (٦) في التوراة ناخور وبالهاء المهملة آية ٢٢ اصحاح ١١ تكو ين

ولد لناخور تارخ أبو إبراهيم بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وكان عمره كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة، وولد تارخ وهو آزر إبراهيم عليه السلام وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وسبع وثلاثين سنة، وولد لقحطان بن عابر يعرب، فولد ليعرب يشجب، فولد ليشجب سبأ فولد سباحمير وكهلان وعمرأ والأشعر وأنمار ومرا، فولد عمرو بن سباعديا وولد عدى لخنا وجذاما *

(* ذكر ملك أفريدون) *

وهو أفريدون بن أثغيان وهو من ولد جمشيد وقد زعم بعض نسابة الفرس: أن نوحا هو أفريدون الذي قهر الضحاك وسلبه ملكه وزعم بعضهم: أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم الذي ذكره الله في كلامه العزيز وإنما ذكرته في هذا الموضع لان قصته في أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ماسياتي ولحسن سيرته وهلاك الضحاك على يديه ولانه قيل: ان هلاك الضحاك كان على يد نوح * وأما بقى نسابة الفرس فانهم ينسبون أفريدون الى جمشيد الملك وكان بينهما عشرة آباء كلهم يسمى أثغيان خوفا من الضحاك وإنما كانوا يتميزون بالقاب لقبوها فكان يقال لاحدهم: أثغيان صاحب البقر الحمر وأثغيان صاحب البقر البلق وأشبه ذلك، وكان أفريدون أول من ذل الفيلة وامتطأها وتبع البغال واتخذ الأوز والحمام وعمل الترياق ورد المظالم وأمر الناس بعبادة الله والانصاف والاحسان ورد على الناس ما كان الضحاك غصبه من الأرض وغيرها الا ما لم يجد له صاحبا فانه وقفه على المساكين، وقيل: انه أول من سمى الصوفي وهو أول من نظر في علم الطب وكان له ثلاثة بنين اسم الأكبر شرم والثاني طوج والثالث ايرج يخاف أن يختانوا بعده فقسم ملكه بينهم أثلاثا وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها وأمر كل واحد منهم فاخذ سهما فصارت الروم وناحية العرب لشرم وصارت الترك والصين لطوج وصارت العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لايرج وهو الثالث وكان يحبه وأعطاه التاج والسرير، ومات أفريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ولم يزل التحاسد ينمو بينهم الى أن وثب طوج وشرم على أخيهما ايرج فقتلاه وقتلا ابنين كانا لايرج وملكوا الأرض بينهما ثلاثمائة سنة ولم يزل أفريدون يتبع من بقى بالسواد من آل نمرود والنبط وغيرهم حتى أتى على وجوههم ومحا أعلامهم وكان ملكه خمسمائة سنة *

﴿ ذكر الاحداث التي كانت بين نوح و ابراهيم ﴾

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده ومساكن كل فريق منهم ، فكان ممن طغى وبغى - فأرسل الله اليهم رسولا فكذبوه فأهلكهم الله - هذان الحيان من ولد ارم بن سام بن نوح أحدهما عاد والثاني ثمود فاما عاد فهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الأولى وكانت مساكنهم ما بين الشحر^(١) وعمان وحضرموت بالأحقاف فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم . يقول الله تعالى : (واذ كروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) فأرسل الله اليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص ، ومن الناس من يزعم انه هود وهو عابر بن صالح بن أرخشذ بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لاحدهما ضرا وللآخر ضمور وللثالث الهباء فدعاهم الى توحيد الله وافراذه بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا : من أشد مناقرة ؟ ولم يؤمن بهود منهم الا قليل ، وكان من أمره ما ذكره ابن إسحق قال : ان عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فلما أصابهم قالوا : جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقون لكم فبعثوا قيل بن عير ولقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان مسلما يكتن إسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ولقمان ابن عاد بن فلان بن عاد الأكبر في سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية ابن بكر بظاهر مكة خارجا عن الحرم فاكرمهم وكانوا أخواله وصهره لان لقيم بن هزال كان تزوج هزيمة بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولادا كانوا عند خالهم معاوية بمكة وهم عبيد وعمر ووعامر وعمير بنو لقيم وهم عاد الآخرة التي بقيت بعد عاد الأولى ، فلما نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قيتان لمعاوية فلما رأى معاوية طول مقامهم وتكلمهم ما أرسلوا له شق عليه ذلك وقال : هلك أخوالي واستحيا أن يأمر الوفد بالخروج الى ما بعثوا له فذكر ذلك للجرادتين فقالتا قل شعرا تغنيهم به لا يدرون من قائله لعلهم يتحركون فقال معاوية :

ألا يا قيل ويحك قم فبينم * لعل الله يصبحنا غمما

فيسقى أرض عاد أن عادا * قد امسوا^(١) لا يدينون الكلاما

في أبيات ذكرها ، والهيمنة الكلام الخفى فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم

(١) بشين معجمة فحاء مهملة كورة من سهول اليمن الشرقية (٢) قد امسوا بهمزة وصل .

قال بعضهم لبعض يا قوم بعثكم قومكم يتغوثنون بكم من البلاء الذي نزل بهم فأبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال مرثد بن سعد: انهم والله لا يسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تسقون وأظهر إسلامه عند ذلك فقال جلهمة بن الخبيري خال معاوية لمعاوية بن بكر: احبس عنا مرثد بن سعد وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا، فأنشأ الله سحاباً ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ونادى مناد منها يا قيل اختر لنفسك وقومك فقال قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر ماء فناداه مناد اخترت رماداً ومدداً لا تبقى من عاد أحداً الا ولد ترك ولا والد الا جعلته همداً الابن اللوذية المهدي، وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال كانوا بمكة عند خالهم معاوية ابن بكر وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب الى عاد فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها) أي كل شيء أمرت به وسان اول من رأى ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها فهدد فلما رأت ما فيها صاحت وصعقت فلما أفادت قالوا: ماذا رأيت؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فلما خرجت الريح من الوادي قال شعبة رهط من الخلجان: تعالوا حتى نقوم على شفير الوادي فتردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه وبقي الخلجان فمال إلى الجبل وقال:

لم يبق إلا الخلجان نفسه * يالك من يوم دهاني أمسه!

بثابت الوطء شديد وطسه * لو لم يجثنى جثته اجسه

فقال له هود: أسلم تسلم فقال: ومالي؟ قال: الجنة فقال فهاؤلاً الذين في السحاب كانهم البخت؟ قال: الملائكة قال: أيعيدني ربك منهم إن أسلمت؟ قال: هل رأيت ملكاً لا يعيد من جنده؟ قال لوفعل ماضيت ثم جاءت الريح وألحقته بأصحابه وسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً كما قال تعالى، والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك واعتزل هود والمؤمنون في حظيرة لم يصبه ومن معه الاتلين الجلود وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة، وعادو فدعوا الى معاوية بن بكر فنزلوا عليه فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمصاب عاد وسلامة هود قال: وكان قد قيل للقيان ابن عاد اختر لنفسك إلا أنه لاسبيل الى الخلود فقال يارب أعطني عمراً فقبل له اختر فاختر

(٧٢ - ج ١ الكامل)

عمر سبعة أنسر فعمر فيما يزعمون عمر سبعة أنسر فكان ياخذ الفرخ الذكرك حين يخرج من بيضته حتى اذا مات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات السابع مات لقمان معه وكان السابع يسمى لبدا قال: وكان عمره مائة وخمسين سنة وقبره بحضر موت (١) وقيل بالحجر (٢) من مكة فلما هلكوا أرسل الله طيرا أسود فنقلتهم الى البحر فذلك قوله تعالى (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ انها عنت على الخزنة فذلك قوله (أهلكوا بريح صرصر عاتية) وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم البيت على من فيه *

وأما ثمود فهو لدمود بن جاثر بن أرم بن سام ولدانت مساكن ثمود بالحجرين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماشج ابن عبيد بن جادر بن ثمود وقيل اسف بن كاشج بن اروم بن ثمود يدعوهم الى توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة فقالوا يا صالح! قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا؟ وكان الله قد أطال اعمارهم حتى ان كان أحدهم يبني البيت من المدر فيهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين ففتحوها وكانوا في سعة من معاشهم ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا يا صالح اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فارنا آية فتدعو إلهك وتدعو آلتهنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيد قومك يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة ناقة جوفاء عشراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فأمن به سيد قومك واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومك فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤا كل وعاء وانا واذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم

(١) يوجد قبر بحضر موت لا يبعد كثيرا عن مدينة تريم يقال له قبر هوود عليه السلام (٢) بكسر فسكون

وهو حجر اسماعيل عليه السلام .

تسرب منه شيئا وتزودوا من الماء للغد فوحي الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة
فقال لهم ذلك فقالوا: ما كنا لنفعل قال: لا تعقروها انتم يوشك ان يولد فيكم مولود
يعقرها قالوا وما علامته فوالله لانجده الاقتناء قال: فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر
قال فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر
ابنة لا يجدلها كفوا فزوج أحدهما ابنة بابنة الآخر فولد بينهما المولود فلما قال لهم صالح:
انما يعقرها مولود فيكم اختاروا قوايل من القرية وجعلوا معهن شرطا يطوفون في القرية
فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن
هذا الذي يريد نبي الله صالح فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالوا
لو أراد صالح هذا لقتلناه فكان شرم مولود وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة فاجتمع
تسعة رهط منهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفا
أن يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا فاقسموا ليقتلن صالحا وأهله وقالوا نخرج قري الناس
أننا نريد السفر فنأتى الغار الذي على طريق صالح فنكون فيه فاذا جاء الليل وخرج صالح
الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا: ماشهدنا قتله فيصدقنا قومه
وكان صالح لا يبيت معهم كان يخرج إلى مسجده يعرف بمسجد صالح فيبيت فيه فلما دخلوا
الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم فانطلق رجال ممن عرف الحال الى الغار فرأوهم هلكي،
فعادوا يصيحون أن صالحا أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم، وقيل: انما كان تقاسم التسعة على
قتل صالح بعد عقرباۃ الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة
قالوا: تعالوا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلنا قتله وان كان كاذبا ألحقناه بالناقة فأتوه ليلا
في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فأتى أصحابهم فرأوهم هلكي فقالوا لصالح:
أنت قتلتهم وأرادوا قتله فمنعهم عشيرته وقالوا إنه قد أنذركم العذاب فان كان صادقا فلا
تزيدوا ربكم غضبا وان كان كاذبا فنحن نسلبه اليكم فعادوا عنه * فعلى القول الأول يكون
التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة والثاني أصح والله أعلم *

وأما سبب قتل الناقة فقيل ان قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلم يقدر واعلى
ماء يمزجون به خمرهم لانه كان يوم شرب الناقة فخرض بعضهم بعضا على قتلها، وقيل: ان
ثمودا كان فيهم امرأتان يقال لاحدهما قطام وللأخرى قبال وكان قدار يهوى قطام
ومصدع يهوى قبال ويجمعان بهما ففى بعض الليالى قالتا لقدار ومصدع لاسيلا لكما
الينا حتى تقتلا الناقة فقالا: نعم وخرجا وجعا أصحابهما وقصدا الناقة وهى على حوضها

فقال الشقي لأحدهم اذهب فاعقرها فاتاها فتعاضمه ذلك فأصرت عنه وبعث آخر فاعظم ذلك وجعل لا يبعث أحدا إلا تعاضمه قتلها حتى مشى هو إليها فتناول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان قتلها يوم الاربعاء واسمه بلغتهم جبار، وكان هلا كههم يوم الأحد وهو عندهم أول فلما قتلت أتى رجل منهم صالحا فقال: أدرك الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون إليه يانبي الله انما عقروها فلان انه لا ذنب لنا قال: انظروا هل تدركون فصيلها؟ فان أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلا يقال له القارة قصيرا فصعده وذهبوا يطلبونه فأوحى الله الى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير ودخل صالح القرية ولما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا ثلاثا فقال صالح لكل رغبة أجل يوم (تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب) وآية العذاب أن وجوهكم تصبح في اليوم الأول مصفرة وتصبح في اليوم الثاني حمرة وتصبح في اليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فلما أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم حمرة فلما أصبحوا في اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الأنطاع ثم ألقوا أنفسهم إلى الارض فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء والارض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب؟ فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كالصاعقة، فتقطعت قلوبهم في صدورهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين، وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم الارجالا كان في الحرم فمنعه الحرم * قيل: ومن هو؟ قيل: هو أبو رغال وهو أبو ثقيف في قول، ولما سار^(١) النبي ﷺ أتى على قرية ثمود فقال لأصحابه: لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها، وأراهم مرتقى الفصيل في الجبل، وأراهم الفج الذي كانت الناقة ترد منه الماء *

وأما صالح عليه السلام فانه سار إلى الشام فنزل فلسطين، ثم انتقل إلى مكة فاقام بها يعبد الله حتى مات^(٢) وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان قد اقام في قومه يدعوهم عشرين سنة *
واما أهل التوراة فانهم يزعمون انه لاذكر لعاد وهود وثمرود وصالح في التوراة، قال:

(١) أي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك (٢) يوجد بحضرموت قبر يدعونه قبر صالح ويقولون ان ثمود الرنجلوا من حضرموت الى الشمال فلهما هلكوا جاء صالح الى موطن قومه الأول *

و أمرهم عند العرب في الجاهلية والاسلام كشهرة ابراهيم الخليل عليه السلام *
 ﴿ قلت ﴾ وليس انكارهم ذلك باعجب من انكارهم نبوة ابراهيم الخليل ورسالته
 وكذلك انكارهم حال المسيح عليه السلام *

﴿ ذكر ابراهيم الخليل عايه السلام ومن كان في عمره من ملوك العجم ﴾
 وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن
 قينان بن أرغشذ بن سام بن نوح عليه السلام * واختلف في الموضع الذي كان فيه والموضع
 الذي ولد فيه فقيل : ولد بالسوس من أرض الأهواز ^(١) وقيل : ولد بيبابل ^(٢) وقيل :
 بكوئي ^(٣) وقيل بحران ^(٤) ولكن أباه نقله ^(٥) قال عامة أهل العلم : كان مولده في عهد
 نمرود بن كوش ، ويقول عامة أهل الأخبار : ان نمرود كان عاملا للزدهاق الذي زعم
 بعض من زعم أن نوحا أرسل اليه * وأما جماعة من سلف من العلماء فانهم يقولون كان

(١) هو المشهور الآن بالمحيرة ولا يزال اهلهما يحسنون العربية ولها أمير خاص من العرب تحت سلطة الفرس
 وآخر أمير اسمه خزعل اعتقلته الفرس سنة ١٣٤٥ هجرية ابان نهضتهم الجديدة للقضاء نهائيا على هذه الأمانة
 العربية قال صاحب مرصد الاطلاع في كلمة اهواز وكان اسمها في أيام الفرس . خورستان قال صاحب كتاب
 العين هي سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم والاهواز يجمعهن ولا ينفرد الواحد منها بهوز اه ادارة
 (٢) بابل بكسر الباء اسم ناحية منها الكوفة والحلة قلت والمشهور بهذا الاسم المدينة الخراب بقرب الحلة
 والى جانبها قرية تسمى الآن بيبابل عامرة اه مرصد الاطلاع (٣) كوئي بالضم ثم السكون والشاء الثلاثة والف
 مقصورة تكتب بالياء لانها رابعة اسم لنهر بالعراق وهو أول نهر حفر به ثم حفرت الانهار بعده وكوئي ثلاثة
 مواضع بسواد العراق بارض بابل وقدم واخرج غيره و بمكة منزل بنى عبدالدار خاصة وكوئي بالعراق في موضعين
 كوئي الطريق وكوئي رباو بها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام وهما قريتان وبينهما تلون من رمادو يقال انها
 رماد النار التي اوقدها نمرود لا حرقه اه مرصد (٤) حران بتشديد الراء وآخرة نون مدينة تديمة هي قصبه ديار مصر
 بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان فقيل : هي أول مدينة بنيت بعد الطوفان - وكانت منازل الصابئة الحرانيين
 الذين يذكروهم مصنفوا الملل والنحل وهي مهاجر الخليل عليه السلام اه مرصد ولا تزال في تلك الاماكن آثار
 يزعمون انها مقر المنجنيق ومحل نار الخليل وفي الرها عين لا يزال سيدها محرما إلا اذا تجاوز السمك محلا خصوصا
 ويعتقد الناس صحة ذلك و يلقون للسمك الاكل وهو لا يهابهم بل متى رأى احدا فانه يقرب منه طمعا في الغذاء
 يأكل على مرأى من الناس لصفاء الماء وتوجد عين ثابتة تبعد عنها مرحلة تسمى عين العروس بالقرب من التل
 الابيض وهي تابعة للرقة أحد أقضية دبر الزور وهذه العين محرم صيدها الا اذا ضاقت العين بالسمك وانتقلت
 الى أرض الحل فعندئذ يباح صيدها ويزعمون بان زفاف ابراهيم عليه السلام على ساره كان هناك وما أكثر الآثار
 وما أكثر دعواتها من المتعشقين بسببها ١١ والله اعلم بالحقيقة اه الادارة (٥) لم يذكروا في التوراة مولده ولكنه ذكر
 فيها انه فر من أرض الكلدانيين تكوين اصحاح ١١ آية ٣١ وهي اليوم مطمح انظار المكتشفين والنقبين عن الآثار

ملكا برأسه ، قال ابن إسحق : وكان ملكه قد أحاط بمشارك الأرض ومغارها وكان
 يبابل قال ويقال : لم يجتمع ملك الأرض الا لثلاثة ملوك نمرود ، وذى القرنين ، وسليمان
 ابن داود ، وأضاف غيره اليهم مختصر وسند كـ بطلان هذا القول *
 فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حجة على خلقه ورسولا إلى عباده ولم يكن فيما بينه
 وبين نوح نبي إلا هود وصالح^(١) فلما تقارب زمان إبراهيم أتى أصحاب النجوم نمرود
 فقالوا له : انا نجد غلاما يولد في قرنتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينكم ، ويكسر
 أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا ، فلما دخلت السنة التي ذكروا حبس نمرود الحبالى
 عنده إلا أم إبراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانه لم يظهر عليها أثره فذبح كل غلام ولد في ذلك
 الوقت ، فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قرية منها ، فولدت
 إبراهيم ، وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ، ثم سدت عليه المغارة ، ثم سعت الى بيتها
 راجعة ، ثم كانت تطالعه لتتظر ما فعل ؛ فكان يشب في اليوم ما يشب غيره في الشهر ،
 وكانت تجده حيا يمص إبهامه جعل الله رزقه فيها * وكان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها
 فقالت ولدت غلاما فمات ، فصدقها ، وقيل : بل علم آزر بولادة إبراهيم وكتمه حتى نسي
 الملك ذلك فقال آزر : ان لى ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك ان أنا جئت به ؟
 فقالوا : لا فانطلق ، فأخرجه من السرب ، فلما نظر الى الدواب والى الخلق ولم يكن رأى
 قبل ذلك غير أبيه وأمه ، فجعل يسأل أباه عما يراه فيقول أبوه : هذا بعير أو بقرة أو غير
 ذلك فقال : ماهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب ؟ وكان خروجه بعد غروب الشمس
 فرفع رأسه الى السماء فاذا هو بالكوكب وهو المشتري فقال : هذا ربي فلم يلبث أن غاب
 فقال : لا أحب الآفلين ، وكان خروجه في آخر الشهر فلماذا رأى الكوكب قبل القمر
 وقيل : كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا وقال لأمه وهو في المغارة أخرجيني انظر
 فأخرجته عشاء ، فنظر فرأى الكوكب وتفكر في خلق السموات والأرض وقال في
 الكوكب ما تقدم ، فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربي فلما غاب قال : (لئن لم يهدني ربي
 لأكونن من القوم الضالين) فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل
 ما رأى فقال : هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال : يا قوم انى برى مما تشركون ، ثم رجع

(٧) هذا لا يتمشى الاعلى قول من يقول ان مكة كانت مبنية وبها البيت قبل ابراهيم وهود. وأما من يقول : ان الذى بناه
 هو ابراهيم ولم يكن قبله وهو ما ميل اليه فلا يجعل هود اقبل ابراهيم واذا جعله قبله وجب أن يبنى استثناء عاد بالبيت *

ابراهيم الى ابيه وقد عرف ربه وبرى، من دين قومه الا أنه لم ينادهم بذلك فأخبرته امه بما كانت صنعت من كتمان حاله فسرته ذلك، وكان آزر يصنع الأصنام التي يعبدونها ويعطيها ابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول: من يشري ما لا يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها منه أحد، وكان يأخذها وينطلق بها الى نهر فيصوب رؤسها فيه ويقول: اشربي استهزاه بقومه حتى فشا ذلك عنه في قومه غير انه لم يبلغ خبره نمرود فلما بدا لابراهيم أن يدعو قومه الى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى التوحيد فلم يجبه ودعا قومه فقالوا: من تعبد أنت؟ قال: رب العالمين قالوا: نمرود؟ قال: بل أعبد الذي خلقتني فظهر أمره *

وبلغ نمرود ان ابراهيم أراد أن يرى قومه ضعف الأصنام التي يعبدونها ليلزمهم الحجة فجعل يتوقع فرصة ينتهي بها ليفعل بأصنامهم ذلك فنظر نظرة في النجوم، فقال: اني سقيم أى طعين ليهربوا منه اذا سمعوا به وانما يريد ابراهيم أن يخرجوا عنه ليلبغ من أصنامهم، وكان لهم عيد يخرجون اليه جميعهم فلما خرجوا قال: هذه المقالة فلم يخرج معهم الى العيد، وخالف الى أصنامهم وهو يقول: (تالله لا كيدن أصنامكم)، فسمعه ضعفاء الناس ومن هو في آخرهم؛ ورجع الى الأصنام وهي في بهو عظيم بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي آلهتهم وقالوا: نترك الآلهة الى حين نرجع فتأكله فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم من الطعام قال: ألا تأكلون؟ فلما لم يجبه أحد قال: مالكم لا تنطقون؟ فراغ عليهم ضربا باليمين فكسرها بفأس في يده حتى اذا بقى أعظم صنم منها ربط الفأس بيده، ثم تركهن *

فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك وأعظموه وقالوا: (من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين؟ قالوا: سمعنا في يد كرمهم يقال له ابراهيم) يعنون يسبها ويعيبها ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذي نظنه صنع بها هذا وبلغ ذلك نمرود وأشراف قومه فقالوا: (فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) ما نفعل به، وقيل: يشهدون عليه كرهوا أن يأخذوه بغير بينة فلما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود وقالوا: (أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) غضب من أن تعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها، فكسرها فارعوا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها الى أنفسهم فيما بينهم، فقالوا: لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال، ثم قالوا: وعرفوا أنها لا تضر

ولا تنفع ولا تبطش (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أى لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها وما تبطش بالأيدى فنصدقك يقول الله تعالى: (ثم نكسوا على رؤوسهم) فى الحجّة عليهم لآبراهيم، فقال لهم إبراهيم - عند قولهم ما هؤلاء ينطقون - (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون)*

ثم ان نمرود قال لآبراهيم أرأيت الهك الذى تعبده وتدعو الى عبادته ما هو؟ قال: (ربى الذى يحيى ويميت) قال نمرود: أنا أحيى وأميت قال إبراهيم: وكيف ذلك؟ قال: آخذ رجلين قد استوجبا القتل فأقتل أحدهما فاكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته، (فقال إبراهيم: ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فهبت) عند ذلك نمرود ولم يرجع اليه شيئاً *

ثم إنّه وأصحابه أجمعوا على قتل إبراهيم فقالوا: حرقوه وانصروا آلهتكم قال عبد الله ابن عمر أشار بتحريقه رجل من أعراب فارس قيل له: وللفرس أعراب؟ قال نعم الأكراد هم أعرابهم، قيل: كان اسمه هيزن نخسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، فامر نمرود بجمع الحطب من أصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتندربان بلغت ما تطلب أن تحتطب لنار إبراهيم حتى اذا أرادوا أن يلقوه فيها قدموه وأشعلوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها فلما أجمعوا لقتله فيها صاحت السماء والأرض وما فيها الا الثقلين الى الله صيحة واحدة أى ربنا: إبراهيم ليس فى أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك، فأذن لنا فى نصره، قال الله تعالى: ان استغاث بشيء منكم فلينصره وان لم يدع غيرى فأناله، فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه الى السماء وقال: اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الأرض حسبى الله ونعم الوكيل، وعرض له جبريل وهو يوثق فقال: ألك حاجة يا إبراهيم، قال: أما اليك فلا فقدفوه فى النار فناداها الله فقال: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، وقيل: ناداها جبريل فلوم يتبع بردها سلام لما ت إبراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار الا طفت ظنت أنها هي، وبعث الله ملك الظل فى صورة إبراهيم فقعدها فيها إلى جنبه يؤنسه فمكث نمرود أياما لا يشك أن النار قد أكلت إبراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهى يحرق بعضها بعضا وإبراهيم جالس الى جنبه رجل مثله فقال لقومه: لقد رأيت كأن إبراهيم حى ولقد شبه على ابنوا الى صرحا يشرف بي على النار فبنوا له واشرف منه فرأى إبراهيم جالسا والى جانبه رجل فى صورته

فناداه نمرود: يا ابراهيم ان الهك كبير الذي بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم قال: أتخشى ان أقمت فيها؟ قال: لا، فقام ابراهيم فخرج منها فلما خرج قال له، يا ابراهيم! من الرجل الذي رأيت معك مثل صورتك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله إلى ربّي ليؤانسني، قال نمرود اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت لإعبادته، فقال ابراهيم: إذا لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك، فقال: يا ابراهيم! لا أستطيع ترك ملكي، وقرب أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم ومنعه الله منه وآمن مع ابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمرود وملثهم، وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخي ابراهيم، وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ^(١) وهو أبو بتويل، وبتويل أبو لابان وأبوربعا^(٢) امرأة اسحاق بن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبوليثة وراحيل زوجتي يعقوب وآمنت به سارة وهي ابنة عمه وهي سارة ابنة هاران^(٣) الأ كبر عم ابراهيم * وقيل كانت ابنة ملك حران فأمنت بالله تعالى مع ابراهيم *

﴿ ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه ﴾

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم، فخرج مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وقيل: كان أخا الضحاك استعمله على مصر، وكانت سارة^(٤) من أحسن النساء وجها وكانت لاتعصى ابراهيم شيئا، فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم، فقال: من هذه التي معك؟ قال: أختي يعنى في الاسلام وتخوف ان قال هي امرأتى أن يقتله، فقال له: زينها وأرسلها الى فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه فلما دخلت عليه أهوى يده اليها وكان ابراهيم حين أرسلها قام يصلي فلما أهوى اليها

(١) الذي في التوراة ناحور وتارح بالحاء المهملة فيهما راجع التكوين الاصحاح الحادي عشر (٢) الذي في التوراة رفته بالفاء الموحدة فوق كافي الاصحاح الرابع والعشرين من التكوين (٣) الذي في التوراة انها أخته لايه فقط كافي آية ١٢ من الاصحاح ٢٠ من التكوين (٤) في التوراة ان اسمها ساراى أول الامر ثم سميت سارا لان الهاء آخر الكلمة في العبرية لا ينطق بها ونصها في العبرية ١٦٦ ومعناه الامية ومذكور ٦٢٢٢ *

اخذ اخذا شديدا) فقال : ادعى الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فأهوى اليها فاخذ
أخذا شديدا ، فقال : ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل ، ثم فعل ذلك الثالثة ، فذكر
مثل المرتين فدعا أدني حجابيه ، فقال : انك لم تأتني بانسان وانك أتيتني بشيطان. أخرجها
وأعطها هاجر ففعل فاقبلت بهاجر ، فلما أحس ابراهيم بها انقل من صلاته فقال : مهيم ؟
فقلت : كفى الله كيد الكافرين وأخدم هاجر ، وكان أبو هريرة يقول : تلك أمكم يا بني
ماء السماء ، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : لم يكذب ابراهيم الا ثلاث مرات
اثنتين في ذات الله قوله « اني سقيم » وقوله « بل فعله كبيرهم هذا » وقوله في سارة « هي أختي » *

﴿ ذكر ولادة اسماعيل عليه السلام وحمله الى مكة ﴾

قيل : كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم وقالت : خذها لعل الله
يرزقك منها ولد أو كانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوق ابراهيم على هاجر فولدت
اسماعيل ولهذا قال النبي ﷺ : اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة
ورحما (١) يعنى ولادة هاجر ، فكان ابراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من
فرعون فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع مسيرة يوم
وليلة فبعثه الله نبيا ، وكان ابراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا
فآذاه أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العود اليهم فلم يفعل وأعطاهم
سبعة اعنز وقال : اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا فاشربوا منه ولا تغترف
منه امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل في باب وصية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بأهل مصر ونصه عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « انكم ستفتجون مصر وهي أرض يسمي
فيها القيراط فاذا افتتجتموها فاحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحما أوقال « ذمة وصهرا » ونقل الشيخ شكري
الانقروى في تعليقه على النسخة المطبوعة في الآستانة (ج ٧ : ص ١٩٠) مانصه قال الامام التوربشتي : كنت
أرى هذا الحديث مشكلا لان تسمية القيراط لم تكن مختصة بأهل مصر بل يشاركون فيها البدو والحضر من بلاد
العرب حتى وجدت في كتاب الطحاوى الموسوم بمشاكل الآثار انه قال انما الاشارة بها الى كلمة يستعملها أهل مصر
في المسابة واسماع المكر وه فيقولون : أعطيت فلان قرار يبط أى اسمعته المكر وه والسباب اه مبارك وقوله
عليه السلام فاستوصوا بأهلها خيرا يعنى اطلبوا الوصية من أنفسكم باتيان اهلها خيرا أو معناه اقبلوا وصيتي يقال
أوصيته فاستوصى أى قبل الوصية بهم أى ان القوم لهم دناءة وفخس في لسانهم فاذا استوليتهم عليهم فاحسنوا اليهم
بالعفو ولا يحملنكم سوء أقوالهم عن الاساءة بهم اه مبارك شرح المشرق . الادارة

أن غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء الى الذي هو عليه اليوم ، وأقام ابراهيم بين الرملة وايليا يبلد يقال له قط أو قط *

قال: فلما ولد اسمعيل حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله اسحاق وعمرها سبعون سنة (١) فعمر ابراهيم مائة وعشرون سنة ، فلما كبر اسماعيل واسحاق اختصا فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فتركت أنفها وأذنها لثلاثينها ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء ، وقيل كان اسماعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيره منها وهو الصحيح (٢) وقالت سارة لاتسا كنى في بلد فاوحى الله الى ابراهيم أن ياتي مكة وليس بها يومئذ نبت فجاء ابراهيم باسماعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم ! من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس ؟ قال : ربي أمرني قالت : فانه لن يضيعنا فلما ولي قال : (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) يعني من الحزن ، وقال : (رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) الآية فلما ظمى اسماعيل جعل يدحض الأرض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيئا فلم ترى شيئا فانحدرت الى الوادي فسعت حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيئا فلم ترى شيئا ففعلت ذلك سبع مرار فذلك أصل السعي ثم جاءت الى اسماعيل وهو يدحض الأرض بقدميه وقد نبعت العين وهي زمزم فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء وكلما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها قال فقال النبي ﷺ «يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا سائحة» وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي قالوا : مالزمته إلا وفيه ماء فجاءوا إلى هاجر فقالوا : لو شئت لكننا معك فأنسناك والماء مأوك ؟ قالت : نعم فكانوا معها حتى شب اسماعيل وماتت هاجر فتزوج اسماعيل امرأة من جرهم (٣) فتعلم العربية منهم هو وأولاده فهم العرب المتعربة ، واستأذن ابراهيم سارة أن ياتي هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم وقدمات هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته :

(١) الذي في التوراة ان عمرها كان تسعين سنة كما في آية ١٧ من الاصحاح ١٧ من التكوين (٢) هو الموافق لما في التوراة وفيها انها قالت لان ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق آية ١١ اصحاح ٢١ من التكوين (٣) الذي في التوراة ان امه زوجته امرأة مصرية كما في آية ٢١ من الاصحاح ٢١ من التكوين . وفي كتب اليهود ما يفيدانه تزوج بعدة نساء *

أين صاحبك؟ قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع، قال ابراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت ليس عندي ضيافة وما عندي أحد فقال ابراهيم: اذا جاء زوجك فاقريه السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه *

وعاد ابراهيم، وجاء اسماعيل فوجد ريحاً عليه فقال لامرأته: هل عندك أحد؟ قالت: جاءني شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال: فما قال لك؟ قالت: قال: اقري زوجك السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى *

فلبت ابراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور اسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب ليتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل رحمك الله فقال لها: فعندك ضيافة؟ قالت: نعم قال: فهل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر؟ قال فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بر أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك فقالت: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام بالاناء، فوضعت عند شقه اليمين، فوضع قدمه عليه، فبقى أثر قدمه فيه، فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حورت المقام الى شقه الأيسر، ففعلت به كذلك فقال لها: إذا جاء زوجك فاقريه عنى السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء اسماعيل وجد ريحاً عليه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم: شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي: كذا وكذا وقلت له: كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه وهو يقرئك السلام ويقول: قد استقامت عتبة بابك قال: ذلك ابراهيم^(١) *

وقيل: ان الذي أنبع الماء جبرائيل فانه نزل الى هاجر وهي تسعى في الوادي فسمعت حسه فقالت: قد اسمعتني فاغثنى فقد هلكت أنا ومن معي، فجاء بها الى موضع زمزم، فضرب بقدمه، فقارت عينا فتعجلت فجعلت تفرغ في شنها فقال لها لا تخافي الظما *

﴿ ذكر عمارة البيت الحرام بمكة ﴾

قيل: ثم أمر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام فضايق بذلك ذرعاً فأرسل الله السكينة وهي ريح نجوج وهي اللينة الهبوب لها رأسان، فسار معها ابراهيم حتى انتهت الى موضع البيت فتطوت عليه كتطوى الحجفة^(٢) فأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم، وقيل: أرسل الله

(١) هذا هو الذي قرأته في الكتب العبرية ويغلب على ظني انها منصوصة في التلمود (٢) اي الترس الذي يستتر به وفي تاريخ الطبري الحية بدل الحجفة وهو أظهر *

مثل الغمامة لمرأس فكلمه ، وتال : يا ابراهيم ! ابن علي ظلي أو علي قدرى لا تزدد ولا تنقص فبنى وهذان القولان نقلان عن علي ، وقال السدي : الذي دله علي موضع البيت جبريل (١) فسار ابراهيم الى مكة فلما وصلها وجد اسماعيل يصلح نبلا له وراء زمزم فقال له : يا اسماعيل ! ان الله قد امرني ان ابني له بيتا قال اسماعيل : فاطع ربك ؛ فقال ابراهيم : قد أمرتك ان تعينني علي بنائه قال : اذن أفعل ، فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة ، ثم قال ابراهيم لاسماعيل : اتنى بحجر حسن أضعه علي الركن فيكون للناس علماً فناداه أبو قبيس : ان لك عندي وديعة وقيل : بل جبريل أخبر بالحجر الأسود فاخذته ووضعته موضعه وكانا كلا ابنا دعوا الله (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) *

فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام علي حجرو وهو مقام ابراهيم فجعل يناوله ، فلما فرغ من بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج ، فقال ابراهيم : يارب ؟ وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلی البلاغ ، فنادى أيها الناس ! ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق (٢) فسمعه ما بين السماء والأرض وما في اصلاب الرجال وأرحام النساء ، فاجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج الى يوم القيامة فاجيب لبيك ابيك *

ثم خرج باسماعيل معه الى التروية فزل به مني ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة (٣) ثم بات حتى أصبح فصلى بهم الفجر ، ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ، ثم راح بهم الى المرقف من عرفة الذي يقف عليه الامام ، فوقف به على الاراك ، فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها ومن معه حتى إذا طلع الفجر صلى الغداة ، ثم وقف على قزح (٤) حتى إذا أسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ، ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ، ثم عاد به الى منى ليريه كيف رمى الجمار حتى فرغ من الحج ، وروى عن النبي ﷺ ان جبرائيل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج ورواه عنه ابن عمر ولم يزل البيت على ما بناه (٥) ابراهيم عليه السلام

(١) قد تقدم ما يفيد أن البيت كان موجودا قبل ابراهيم وان الذي أميل اليه ان ابراهيم هو أول من بناه (٢) كيف يسميه في ذلك اليوم عتيقا وقد كان جديدا ؟ (٣) قضية هذا ان ابراهيم كان يصلي الصلوات الخمس كما يصليها المسلمون اليوم وهو مالا نجد له سندا من الكتاب القديم (٤) وهو الشمر الحرام الواقع بين منى والمزدلفة (٥) يوجد قول بان جرهم بنته بمد بناء ابراهيم ويشير الى ذلك قول الشاعر

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قریش وجرهم

إلى أن هدمته قریش سنة خمس وثلاثين من مولد النبي ﷺ على ما نذكره ان شاء الله تعالى *

* ذكر قصة الذبيح *

واختلف السلف من المسلمين في الذبيح فقال بعضهم: هو اسماعيل (١) وقال بعضهم: هو اسحق وقد روى عن النبي ﷺ كلا القولين، ولو كان فيهما صحيح لم نعهده الى غيره فاما الحديث في أن الذبيح اسحق فقد روى الأحنف عن العباس بن عبد المطلب عن رسول الله ﷺ في حديث ذكر فيه وفديناه بذبح عظيم (٢) هو اسحق، وقد روى هذا الحديث عن العباس من قوله لم يرفعه، وأما الحديث الآخر في أن الذبيح اسماعيل فقد روى الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح فقال: علي الخبير سقطتم كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك ﷺ فقيل لمعاوية: وما الذبيحان؟ فقال: ان عبد المطلب نذر ان سهل الله حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده، فخرج السهم على عبد الله أبي النبي ﷺ فقدها بمائة بعير - وسند كره ان شاء الله - والذبيح الثاني اسماعيل *

* ذكر من قال انه اسحق *

ذهب عمر بن الخطاب وعلي والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضي الله عنهم فيما رواه عنه عكرمة وعبد الله بن مسعود وكعب بن سابط وابن أبي الهذيل ومسروق الى ان الذبيح اسحق عليه السلام * حدث عمرو بن أبي سفيان بن أبي أسيد بن جارية الثقفي ان كعبا قال لابي هريرة: ألا أخبرك عن اسحاق بن ابراهيم؟ قال بلى قال كعب (٣) لما رأى ابراهيم

(١) في إنجيل برنابا من الحواريين ان الذبيح هو اسماعيل وان اليهود غيروا اسم الذبيح وجعلوه اسحق وان المسيح كان يربونهم على ذلك في الفصل الرابع والاربعين آية ١ فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا: خذ ابنك بكرك اسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة ١١ فكيف يكون اسحق البكر وهو لمسا ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين؟ (٢) هذه الآية من تلاها مع ما قبلها وما بعدها في سورة الصافات يعلم جيدا ان الذين قالوا ان الذبيح اسحق هم امامن لم يتدبر معاني القرآن فاصفى الى تحريف اليهود كما ذكر ذلك فضيلة الاستاذ تقلا عن انجيل برنابا واما اناس اشتغلوا بالدراسة عن كتاب الله تعالى ودراسته ذلك لأن الله قال (فبشرناه بنلام حلیم فلما بلغ معه السعي) الى آخر الآيات وهي (وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرة) ثم قال (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) فهل يبشر الله به صرتين ويترك اسماعيل البكر الكبير بلا ذكر؟ لا ريب ان الآيات صريحة بان البشارة الأولى وهي في ولد ابراهيم غير اسحق وايسر يرجد الا الأخ الأكبر وهذا ما تعاضت اليه نفس من قرأ هذه الآيات بامعان ونظر وتدبر وأشار اليه المؤلف في الباب الآتي اه الادارة (٣) قاتل الله كعبا وجد قلوبا صافية فافسدها بدسائسه واختلاقاته التي ورثها عن أسلافه فرووا عنه ما يخالف متن القرآن كما حذرنا ذلك في التعليقة السابقة اه الادارة

ذبح اسحاق قال الشيطان : والله لن لم أقتن - عندهذا آل ابراهيم لم أقتن أحدا منهم - بعد ذلك أبدا انتم مثل رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم باسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحاق ؟ قالت : لبعض حاجته ، قال : لا والله انما غدا به ليذبحه قالت سارة : لم يكن ليذبح ولده قال الشيطان : بلى والله لانه زعم ان الله قد أمره بذلك ، قالت سارة : فهذا أحسن بان يطيع ربه ، ثم خرج الشيطان فادرك اسحاق وهو مع أبيه فقال له : ان ابراهيم يريد أن يذبحك قال اسحاق : ما كان ليفعل قال : بلى والله انه زعم أن ربه أمره بذلك قال اسحاق : فوالله لئن أمره ربه بذلك ليطيعنه فتركه ولحق ابراهيم فقال : أين أصبحت غاديا بابنك ؟ قال : لبعض حاجتي قال : لا والله انما تريد ذبحه قال : ولم ؟ قال : لانك زعمت أن الله أمرك بذلك قال ابراهيم فوالله ان كان الله أمرني بذلك لافعلن ، فلما أخذ ابراهيم اسحاق ليذبحه أعفاه الله من ذلك وفداه بذبح عظيم ؛ وأوحى الله الى اسحاق اني معطيك دعوة أستجيب لك فيها ، قال اسحاق : اللهم فإيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئا فادخله الجنة ، وقال عبيد ابن عمير قال موسى : يارب ! يقولون : يا إله ابراهيم واسحاق ويعقوب ! فبم نألوا ذلك ؟ قال : ان ابراهيم لم يعدل بي شيئا قط الا اختارني ، وان اسحاق جادلي بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن بي *

﴿ أسيد ﴾ بفتح الهمزة وكسر السين ﴿ وجارية ﴾ بالجيم *

﴿ ذكر من قال ان الذبيح اسماعيل عليه السلام ﴾

روى سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبي ومجاهد وعطاء بن أبي رباح كلهم عن ابن عباس أنه قال : ان الذبيح اسماعيل ، وقال : زعمت اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود ، وقال أبو الطفيل والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي : انه اسماعيل قال الشعبي رأيت قرني الكباش في الكعبة قال محمد بن كعب : إن الذي أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنه اسماعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه انه اسماعيل ، وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم قال : (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) ويقول : (وبشرناه باسحاق نبيا ومن وراء اسحاق يعقوب) بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحاق وله فيه من الله عز وجل ما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا اسماعيل ، فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو

خليفة : فقال : ان هذا لشيء ما كنت أنظر فيه واني لاراه كما قلت (١) *

﴿ ذكر السبب الذي من اجله أمر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح ﴾

قيل : امر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فيما ذكر أنه دعا الله أن يهب له ولدا ذكراً صالحاً فقال: رب هب لي من الصالحين، فلما بشرته الملائكة بغلام حلیم قال: إذن هو لله ذبيح، فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له، أوف نذرك الذي نذرت، وهذا على قول من زعم ان الذبيح إسحق وقائل هذا يزعم: أن ذلك كان بالشام على ميلين من أيليا، وأما من زعم أنه إسماعيل فيقول ان ذلك كان بمكة * قال محمد بن إسحق: ان ابراهيم قال لابنه حين أمر بذبحه: يا بني! خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحطب لاهلك فلما توجه اعترضه ابليس ليصده عن ذلك، فقال: اليك عنى يا عدو الله فو الله لأمضين لأمر الله، فاعترض اسماعيل فأعلمه ما يريد ابراهيم يصنع به، فقال: سمعاً لأمر ربي وطاعة، فذهب الى هاجر، فاعلمها فقالت: ان كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله، فرجع بغيظه لم يصب منهم شيئاً * فلما خلا ابراهيم بالشعب وهو شعب ثبير قال له: يا بني! اني ارى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبت! افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين، ثم قال له: يا أبت ان أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك من دمي شيء، فينتقص أجرى، فان الموت شديد وأشد شفرتك حتى تريخني فاذا أضجعتني فكبني على وجهي، فاني أخشى ان نظرت في وجهي أنك تدركك رحمة فتحول بينك وبين أمر الله، وان رأيت أن ترد قميصي الى هاجر أمي فعسى أن يكون أسلي لها عنى فافعل، فقال ابراهيم: نعم المعين أنت أي بني على أمر الله فربطه كما أمره، ثم حرد شفرته وتله للجبين، ثم أدخل الشفرة لحلقه، فقلبها الله لقفأها، ثم اجتذبها اليه ليفرغ منه، فنودي أن: يا ابراهيم! قد صدقت الرؤيا هذه ذبحتك فداء لابنك فاذبحها، وقيل: جعل الله على حلقه صفيحة نحاس. قال ابن عباس: خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفاً، وقيل: هو الكبش الذي قر به هايل، وقال على عليه السلام: كان كبشاً أقرن

(١) ولولا ان اليهود حرفت وغيرت لوجدنا فيها صراحة ذكر اسماعيل ذبيحاً ولكن مع هذا التغير فانه لا يزال فيها ما يدل على ان اسماعيل هو الذبيح كما في التكوين اصحاح ٢٢ آية ١٢ لاني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى. لان اسحق لم يكن في يوم من الأيام وحيد ابراهيم ولكن اسماعيل هو الذي كان وحيداً قبل ولادة اسحق *

أعين أبيض ، وقال الحسن : ما فهمي اسماعيل إلا بتيس من الأروى^(١) هبط عليه من ثبير فذبحه قيل بالمقام وقيل : بمنى في المنحر *

﴿ ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام ﴾

بعد ابتلاء الله تعالى ابراهيم بما كان من عمودٍ يذبح ولده بعد رجاء نفعه ابتلاءه الله بالكلمات التي أخبر انه ابتلاه بهن فقال تعالى : (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) واختلف السلف من العلماء الأئمة في هذه الكلمات ، فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه في قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه الا ابراهيم وقال الله : (وابراهيم الذي وفى) قال : والكلمات عشر في براءة وهي (العابدون الحامدون) الآية ، وعشر في الأحزاب وهي (ان المسلمين والمسلمات) الآية ، وعشر في المؤمنين من أولها الى قوله تعالى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) وقال آخرون : هي عشر خصال قال ابن عباس من رواية طاووس وغيره عنه : الكلمات عشر وهي خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ؛ وخمس في الجسد وهي تقليم الاظفار وحلق العانة والختان وتنف الابط وغسل أثر الغائط * وقال آخرون : هي مناسك الحج وقوله تعالى (انى جاعلك للناس اماما) وهو قول أبي صالح ومجاهد * وقال آخرون هي ست وهي الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان وذبح ابنه وهو قول الحسن قال : ابتلاه بذلك فعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهاجر من وطنه وأراد ذبح ابنه وختن نفسه ، وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه في التاريخ المختصر وانما ذكرنا هذا القدر لئلا يتخلو من فصول الكتاب *

﴿ ذكر عدو الله نمرود وهلاكه ﴾

ونرجع الآن إلى خبر عدو الله نمرود وما آل اليه امره في دنياه وتمرده على الله تعالى واملاء الله له وكان أول جبار في الارض ، وكان احراقه ابراهيم ما قدمنا ذكره فاخرج ابراهيم عليه السلام من مدينته ، وحلف أنه يطلب إله ابراهيم ، فاخذ أربعة أفرخ نسور ، فرباهن باللحم والخرحتى كبرن وغلظن ، فقرنهن بتابوت ، وقعد في ذلك التابوت فاخدمه

(١) بفتح فسكون وآخره الف مقصورة هو الوعل *

رجلا ومعه لحم لهن ، فطرن به حتى إذا ذهبن ، اشرف ينظر إلى الارض ، فرأى الجبال تدب كالنمل ، ثم رفع لهن اللحم ونظر إلى الارض فرآها يحيط بها بحر كأنها فلك في ماء ، ثم رفع طويلا فوق في ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع وألقى اللحم فاتبعته النسور منقضات ، فلما نظرت الجبال اليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن ، وذلك قول الله تعالى (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وكان طيرانهن من بيت المقدس ووقوعهن في جبل الدخان ، فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ في بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر إلى إله ابراهيم بزعمه وأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت اللسان (١) يومئذ من الفزع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا وكان لسان الناس قبل ذلك سريانيا *

هكذا روى أنه لم يحدث وهذا ليس بشيء فان الطبع البشري لم يخل منه انسان حتى الانبياء صلوات الله عليهم وهم أكثر اتصالا بالعالم العلوي وأشرف أنفسا ومع هذا فإيا كلون ويشربون ويولون ويتغوطون ، فلو نجما منه أحد لكان الانبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى ، وإن كان لكثرة ملكه فالصحيح أنه لم يملك مستقلا ولو ملك مستقلا لكان الاسكندر أكثر ملكا منه رجع هذا فلم يقل فيه شيء من هذا *

قال زيد بن أسلم : إن الله تعالى بعث الى نمرود بعد ابراهيم ملكا يدعو الى الله أربع مرات فأبى وقال : أرب غيرى ؟ فقال له الملك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام فجمع جموعه ، ففتح الله عليه بابا من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها ، فبعثها الله عليهم ، فاكتهم ولم يبق منهم الا العظام والملك كما هو لم يصبه شيء ، فارسل الله عليه بعوضة ، فدخلت في منخره ، فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بهما رأسه ، وكان ملكه ذلك أربعائة سنة وأماته الله تعالى وهو الذي بني الصرح *

وقال جماعة : إن نمرود بن كنعان ملك مشرق الأرض ومغربها وهذا قول يدفعه أهل العلم بالسير وأخبار الملوك وذلك أنهم لا ينكرون أن مولد ابراهيم كان أيام الضحاك الذي ذكرنا بعض أخباره فيما مضى وأنه كان ملك شرق الارض وغربها (٢) وقول القائل : إن الضحاك الذي ملك الارض هو نمرود ليس بصحيح لان أهل العلم بالمتقدمين

(١) الذي في التوراة ان تبلبل اللسان كان قبل ابراهيم وبعد نوح عليهما السلام راجع الى آخر الآية العاشرة

من الاصحاح ١١ من التكوين (٢) يرد هذا ان المصريين لم يعرفوا الضحاك ولم يكن له عليهم ملك *

یذکرون أن نسب نمرود فی النبط معروف، ونسب الضحاک فی الفرس مشهور، وانما الضحاک استعمل نمرود علی السواد وما اتصل به یمنة ویسرة وجعله وولده عملاً علی ذلك وكان هو ینتقل فی البلاد، وكان وطنه ووطن أجداده دنباوند من جبال طبرستان وهناك رمی به افریدون حین ظفر به *

وكذلك یختصر ذکر بعضهم أنه ملك الارض جمیعها وليس كذلك وانما كان اصهبند^(١) ما بین الالهواز إلى أرض الروم من غربی دجلة من قبل هراسب لان هراسب كان مشغلاً بقتال الترك مقيماً بازائهم بیلخ^(٢) وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب الترك، ولم یملك أحد من النبط شبراً من الارض مستقلاً برأسه فكیف الأرض جمیعها؟ وانما تطاولت مدة نمرود بالسواد، فكثت أربعاً مائة سنة، ثم دخل من نسله بعد هلاكه جیل یقال له نبط بن قعون ملك بعده مائة سنة؛ ثم كداوص بن نبط ثمانین سنة، ثم بالش بن كداوص مائة وعشرين سنة، ثم نمرود بن بالش سنة وشهراً فذلك سبعاً مائة سنة وستة، وشهد أيام الضحاک، وظن الناس فی نمرود ما ذكرناه فلما ملك افریدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرد النبط وقُتل فیهم مقتلة عظيمة^(٣) *

﴿ ذكر قصة لوط وقومه ﴾

قد ذكرنا مهاجر لوط مع ابراهيم عليه السلام إلى مصر وعودهم إلى الشام ومقام لوط بسدوم فلما أقام بها أرسله الله إلى أهلها، وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة كما قال تعالى (لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) فكان قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافر إذا مرّ بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواط، وأما اتيانهم المنكر في ناديهم فقيل: كانوا يحذفون من مرّ بهم ويسخرون منهم، وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم، وقيل: كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم، وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله،

(١) الاصبهند عند الفرس ببلد حافظ الجيوش وأمير الأمراء وقال ياقوت في معجم البلدان في طبرستان: وكانت ملوك الفرس يولونها أي طبرستان رجلاً ويسمونه الاصبهند فاذا عقدوا له عليها لم يزلوه عنها حتى يموت فاذا مات أقاموا مكانه ولده ان كان له ولدوا أقاموا اصهبند آخر (٢) ببلخ بفتح فسكون من أشهر بلاد خراسان المشهورة اليوم بالأفغان ولكنها انفصلت عنها وأصبحت اليوم امانة صغيرة تحت سلطة الروس من جملة امارات تركستان (٣) جميع ما ذكره هنا عن الملوك ومدتهم لم يوجد له سند يؤيده فهو كلام غير محقق *

وينهاهم عن الأمور التي يكرها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش واتبان الذكور في الأدبار، ويتوعدهم على اصرارهم وترك التوبة بالعذاب الأليم، فلا يزرهم ذلك، ولا يزيدهم وعظه الا تماديا واستعجالا لعقاب الله انكارا منهم لوعيده، ويقولون له: اتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه النصره عليهم لما تطاول عليه أمرهم وتماديهم في غيهم، فبعث الله - لما أراد هلاكهم ونصر رسوله - جبرائيل وملاكين آخرين معه أحدهما ميكائيل والآخر اسرافيل فاقبلوا فيما ذكر مشاة في صورة رجال وأمرهم أن يبدؤا بإبراهيم وسارة و يبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه، وكان يضيف من نزل به وقد وسع الله عليه الرزق فرح بهم ورأى ضيفا^(١) لم ير مثلهم حسنا وجمالا، فقال: لا يخدم هؤلاء القوم أحد الا أنا يدي نخرج الى أهله، فجاء بعجل سمين قد حنذه أي أنضجه، فقربه اليهم، فأمسكوا أيديهم عنه؛ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا: لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامراته سارة قائمة فضحكك لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب)، فقالت: وصكت وجهها (ألد وأنا عجوز) الى قوله (حميد مجيد) وكانت ابنة تسعين سنة وإبراهيم ابن عشرين ومائة فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري ذهب يجادل جبرائيل في قوم لوط فقال له رأيت ان كان فيهم خمسون من المسلمين؟ قالوا: وان كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم قال: وأربعون قالوا: وأربعون قال: وثلاثون حتى بلغ عشرة قالوا: وان كان فيهم عشرة قال: ما قوم لا يكرون فيهم عشرة فيهم خير، ثم قال: (ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها النجينة وأهله الا امراته كانت من الغابرين) * ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط فلما انتهوا اليها لقوا لوطا في أرض له يعمل فيها، وقد قال الله تعالى لهم: لا تهلكوهم حتى تشهدوا عليهم لوطا أربع شهادات، فاتوه فقالوا انا مضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت اليهم فقال لهم: اما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض انسانا أخبث منهم حتى قال ذلك أربع مرات * وقيل بل لقوا ابنته فقالوا: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم

(١) قال الجرهمي في الصحاح الضيف يكون واحدا وجمعا وقد يجمع على الاضياف والضيوف والضيفان والمرأة ضيف وضيافة

مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم خافت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت : يا ابتاه أدرك فتينا على باب المدينة مارأيت أصبح وجوهاً منهم لثلا ياخذهم قومك فيفضحهم ، وكان قومه قد نهوه أن يضيف رجلا ، نجاه بهم فلم يعلم الا أهل بيت لوط ، فخرجت امراته فأخبرت قومها وقالت لهم . قد نزل بنا قوم مارأيت أحسن وجوهاً منهم ولا أطيب رائحة ؛ فجاه قومه يهرعون اليه ؛ فقال : يا قوم ! اتقوا الله ولا تخزونني في ضيفي اليس منكم رجل رشيد ؟ فنهاهم ورجبهم ، وقال : هؤلاء بناتي هن أطهر لكم مما تريدون قالوا : لقد علمت مالنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما تريد أولم تنهك عن العالمين ؟ فلما لم يقبلوا منه قال : لو أن لي بكم ^(١) قوة أو آوى إلى ركن شديد يعني لو أن لي أنصارا أو عشيرة يمنعوني منكم ، فلما قال ذلك وجد عليه الرسل فقالوا : ان ركنك لشديد ولم يعث الله نيا الا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته وأغلق لوط الباب فعالجوه وفتح لوط الباب فدخلوا واستاذن جبرائيل ربه في عقوبتهم ، فاذن له فبسط جناحه ، ففقا أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضا عميانا يقولون : النجاء النجاء فان في بيت لوط أسحر قوم في الأرض وقالوا للوط : انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ، فاخرجهم الله الى الشام وقال لوط : أهلكوهم الساعة فقالوا لن تؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب ؟ * فلما كان الصبح ادخل جبرائيل ، وقيل ميكائيل جناحه في أرضهم وقراهم الخمس ، فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ؛ فاهلكت من لم يكن بالقري ، وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت : واقوماه ! فادركها حجر فقتلها ^(٢) ونجى الله لوطا وأهله إلا امرأته وذكر أنه كان فيها أربع مائة ألف وكان إبراهيم يتشرف عليها ويقول : سدوم يوما هالك ومدائن قوم لوط خمس : سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة ، وسدوم هي القرية العظمية *
﴿قوله يهرعون اليه﴾ هو مشى بين الهرولة والجز ^(٣) *

(١) الذي أراه ان المخاطبين بقوله بكم هم الضيفان اه * الادارة : أي فكأن الاستاذية تصدان لوطا عليه السلام يتمنى أن يكون له من هذه الضيوف قوة يردع بها قومه عن ارتكاب المنكرات اذ أحس بان ضيوفه كرماء فطلب أن يتصرف بهم على القوم الظالمين (٢) الذي في التوراة انها استجالت عمود ملح كما في آية ٢٦ من الاصحاح التاسع عشر من التكوين (٣) هو السير السريع *

﴿ ذكر وفاة سارة زوج إبراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه ﴾
لا يدفع أحد من أهل العلم أن سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة
وقيل: إنها كانت بقرية الجبارة من أرض كنعان، وقيل: عاشت هاجر بعد سارة مدة
والصحيح أن هاجر توفيت قبل سارة كما ذكرنا في مسير إبراهيم إلى مكة وهو الصحيح
إن شاء الله تعالى *

فلما ماتت سارة تزوج بعدها قطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدت له ستة
نفر يقشان. وزمران. ومدين. ومدان. ونشق. وسوح وكان جميع أولاد إبراهيم مع اسماعيل
وإسحق ثمانية نفر وكان اسماعيل بكره: وقيل في عدد أولاده غير ذلك، فالبربر من ولد
يقشان، وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين، وقيل: تزوج بعد قطورا امرأة أخرى
اسمها حجون ابنة أهير *

﴿ ذكر وفاة إبراهيم وعدد ما أنزل عليه ﴾

قيل: لما أراد الله قبض روح إبراهيم أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم،
فراه إبراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير في الحر فبعث إليه بحمار فركبه حتى أتاه
فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثم يدخلها فاه فاذا
دخلت جوفه خرجت من دبره، وكان إبراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون
هو الذي يسأله الموت، فقال يا شيخ مالك تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم الكبر قال: ابن كم
أنت؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين، فقال إبراهيم: إنما بيني وبين أن أصير هكذا سنتان
اللهم اقبضني إليك، فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتي سنة. وقيل: مائة
 وخمس وسبعين سنة *

وهذا عندي فيه نظر لأن إبراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين
أو أكثر من ذلك فإن من عاش مائتي سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر
القريب ولكن هكذا روى ثم انه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شيء مما رأى بذلك الرجل *
وروى أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «وأنزل الله على إبراهيم عشر صحائف، قال: قلت:
يا رسول الله! فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلها— أيها الملك المسلط المتبلى
المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة

المظلوم فانی لا أردھا ولو كانت من کافر، وكان فیها أمثال منها: وعلى العاقل ما لم یکن مغلوبا على عقله أن یكون له ساعات: ساعة یناجی فیها ربّه. وساعة یفکر فیها فی صنع الله، وساعة یحاسب فیها نفسه، وساعة یخلو فیها بحاجته من الحلال فی المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا یكون ظاعنا الا فی ثلاث تزود لمعاده أو مرمة لمعاشه أو لذة فی غیر محرّم، وعلى العاقل أن یكون بصیرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل الا فیما ینیه *

وهو أول من اختن، وأول من أضاف الضیف، وأول من اتخذ السراویل الى غیر ذلك من الأقاویل *

﴿ ذکر خبر ولد اسماعیل بن ابراهیم ﴾

قد ذکرنا فیما مضى سبب اسکان اسماعیل الحرم وتزوجه امرأة من جرهم وفراقه إياها بأمر ابراهیم، ثم تزوج أخرى وهی السیدة بنت مضاض الجرهمی وهی التي قال لها: قولى لزوجك: قد رضیت عتبه بابك فولدت لاسماعیل اثنی عشر رجلا^(۱) نابت وقیدار. واذیل. ومیشا. ومسمع. ورما. وماش. وآزر. وقطورا. وفاقس. وطمیا. وقیدمان، وكان عمر اسماعیل فیما یزعمون سبعا وثلاثین ومائة سنة: ومن نابت وقیدار ابني اسماعیل نشر الله العرب *

وأرسله الله تعالى الى العمالیق وقبائل الیمن وقد ینطق أولاد اسماعیل بغير الالفاظ التي ذکرت *

ولما حضرت اسماعیل الوفاة أوصى الى أخیه إسحق أن یزوج ابنته من العیص بن اسحق وأن یدفن عند قبر أمه هاجر بالحجر *

﴿ ذکر إسحق بن ابراهیم وأولاده ﴾

قيل: ونكح إسحق رفقا بنت بتویل فولدت له عیص ويعقوب توأمين وان عیص كان أكبرهما وكان عمر إسحق لما ولد له ستین سنة؛ ثم نكح عیص بن إسحق نسمة بنت عمه اسماعیل فولدت له الروم بن عیص وكل بنی الأصفر من ولده، وزعم بعض الناس أن اشبان من ولده؛ ونكح يعقوب بن إسحق — وهو إسرائيل — ابنة خاله

(۱) الذی فی التکوین والاصحاح ۲۵ وآیة ۱۲-۱۶ از اولاد اسماعیل ذابوت، قیدار، أدبیل، مبسام، مشاع، دومة، مسا، حدار، تبا، بطور، نافیش، وقدمه *

ليابنت لبان بن بتويل فولدت له رويل وكان أكبر ولده وشمعون ولاوى ويهوذا وزبالون ولشحر، وقيل: ويشحر، ثم توفيت^(١) ليا فتزوج اختها راحيل؛ فولدت له يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وولد له من سريتين أربعة نفر دان وفتالي وجاد وأشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلا^(٢) *

قال السرى تزوج إسحق بجارية فحملت بغلامين فلما أرادت أن تضع أراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لأعرضن فى بطن أمى ولأقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فسمى يعقوب وسمى أخوه عيص لعصيانه، وكان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد فقال له إسحق لما كبر وعمى: يابنى! أطعمنى لحم صيد واقرب منى أدع لك بدعاء دعالى به أبى وكان عيص رجلا أشعر، وكان يعقوب أجرد وسمعت أمهما ذلك، فقالت ليعقوب: يابنى! إذبح شاة واشوها والبس جلدها وقربها إلى أهلك، وقل له: أنا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال: يا أبته! كل قال: من أنت؟ قال أنا ابنك عيص فمسحه إسحق فقال: المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت أمه: إنه عيص فكل فأكل ودعاه أن يجعل الله فى ذريته الانبياء والملوك، وقام يعقوب وجاء عيص وكان فى الصيد، فقال لأبيه: قد جئتك بالصيد الذى طلبت، فقال: يابنى! قد سبقك أخوك فحلف عيص ليقتلن يعقوب، فقال يابنى قد بقيتلك دعوة فدعاه أن تكون ذريته عدد التراب وأن لا يملكهم غيرهم وهرب يعقوب خوفا من أخيه الى خاله وكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سعى اسرائيل *

ثم ان يعقوب تزوج ابنتى خاله وجمع بينهما فلذلك قال الله تعالى: (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) وولد له منهما، فماتت راحيل فى نفاسها بينيامين وأراد يعقوب الرجوع إلى بيت المقدس، فاعطاه خاله قطيع غنم، فلما ارتحلوا لم يكن لهم نفقة؛ فقالت زوجة يعقوب ليوسف: اسرق صنما من أصنام أبى نستفق منه فسرقت صنما من أصنام أبيها وأحب يعقوب يوسف وأخاه بنيامين حبا شديدا لئتمهما، وقال يعقوب لراع من الرعاة: إذا أتاكم أحد يسألكم من أنتم؟ فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيص فلقبهم عيص

(١) سياتى فى هذا الفصل انهما كاتتا عنده معا وهو الذى فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين من العهد القديم ولعله هو الصحيح (٢) وهم كما فى آيات ٢٣ الى ٢٦ من اصحاح ٣٥ من سفر التكوين: رؤيين، شمعون لاوى، يهوذا، يساكر، زبولون، يوسف، بنيامين، دان، نفتالى، جاد، أشير *

فسألهم ، فاجابه الراعي بذلك الجواب فكف عيص عن يعقوب ونزل يعقوب بالشام ، ومات إسحق بالشام وعمره مائة وستون سنة ودفن عند أبيه ابراهيم عليه السلام *

﴿ قصة أيوب عليه السلام ﴾

وهو رجل من الروم ^(١) من ولد عيص وهو أيوب بن موص بن رازج بن عيص ابن إسحق بن ابراهيم * وقيل موص بن روعيل بن عيص ، وكانت زوجته التي أمر أن يضربها بالضغث ليا ^(٢) ابنة يعقوب بن اسحق ، وقيل : هي رحمة ابنة افرام بن يوسف ، وكانت أمه من ولد لوط : وكان دينه التوحيد والاصلاح بين الناس ، واذا أراد حاجة سجد ثم طلبها *

وكان من حديثه وسبب بلائه إن إبليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله ، فحسده وسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه ، فسلطه على ماله حسب ، فجمع إبليس عظماء أصحابه من العفاريت ، وكان لأيوب البثنية جميعها من أعمال دمشق بما فيها وكان له فيها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبدا امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة الفدان أتان ، ولكل أتان ولد واثنان وما فوق ذلك ، فلما جمعهم إبليس قال : ما عندكم من القوقو المعرفة ؟ فإني قد تسلطت على مال أيوب ، فقال كل منهم قولا ، فإرسلهم فاهلكوا ماله كله وأيوب يحمد الله ولا يرجع عن الجسد في عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه ، فلما رأى ذلك إبليس من أمره سأل الله أن يسلطه على ولده فسلط ولم يجعل له سلطانا على جسده ولا عقله وقلبه فاهلك ولده كلهم ؛ ثم جاء إليه متمثلا بعمله الذي كان يعلمهم الحكمة جريحا مشدوخا رققه حتى رقق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعا على رأسه ، فسر بذلك إبليس * ثم إن أيوب ندم لذلك وجدواستغفر ، فصعدت حفظته من الملائكة بتوبته الى الله قبل إبليس ، فلما يرجع أيوب عن عبادة ربه والصبر على ما بلاه سأل الله تعالى أن يسلطه على جسده فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فانه لم يجعل له

(١) اذا أراد بالروم ذلك الجبل من الناس الذين يسكنون ايتاليا فذلك بعيد واذا كان يريد قوما بادوا وانقرضوا فربما كان ذلك صحيفا (٢) لم يرد انه كان ليعقوب من تسمى ليا ، بل كانت له بنت تسمى دينة آية ٢١ أصحاح ٣٠ من التكوين ثم ان العلماء باوربا اليوم ينكرون وجود أيوب ويقولون انه انسان فرض وآخرون يقولون انه رجل عربي ويستدلون على ذلك بأسلوب قصته *

على ذلك سلطانا فجاه وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار امره إلى أن اتر لحمه وامتلا جسده دودا فان كانت الدودة لتسقط من جسده فيردها اليه ، ويقول : كل من رزق الله وأصابه الجذام ؛ وكان أشد من ذلك عليه انه كان يخرج في جسده مثل ثدى المرأة ثم يتفقا وأتن حتى لم يطق أحد أن يشم ريحه ، فأخرجه أهل القرية منها إلى الكناسة خارج القرية لا يقربه أحد إلا زوجته وكانت تختلف اليه بما يصلحه فبقى مطروحا على الكناسة سبع سنين ما يسأل الله أن يكشف مابه وما على وجه الارض أكرم على الله منه *
وقيل : كان سبب بلائه ان ارض الشام أجذبت فارسل فرعون إلى أيوب ان هلم الينا فان لك عندنا سعة ، فاقبل باهله وخيله وماشيته فاقطعهم فرعون القطائع ، ثم ان شعيبا النبي دخل إلى فرعون ، فقال : يا فرعون ! أما تخاف أن يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه أهل السماء وأهل الارض والبحار والجبال ؟ وأيوب ساكت لا يتكلم ؛ فلما خرجا أوحى الله إلى أيوب يا أيوب سكت عن فرعون لذهابك إلى أرضه استعداد للبلاء ، فقال أيوب : أما كنت أكفل اليتيم وآوى الغريب وأشبع الجائع واكفت^(١) الارملة ؟ فمرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون : من فعل ذلك يا أيوب ؟ ! فاخذ ترابا فوضعه على رأسه وقال : أنت يارب فأوحى الله إليه استعداد للبلاء قال : فدينى قال : اسلمه لك قال : فما أبالي ، وقيل كان السبب غير ذلك وهو نحو مما ذكرناه *

فلما ابتلاه الله واشتد البلاء قالت امرأته : انك رجل مجاب الدعوة فادع الله أن يشفيك فقال : كفاي النعماء سبعين سنة فلنصبر في البلاء سبعين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة ، وقيل : انما أقسم ليجلدنها لأن ابليس ظهر لها ، وقال : بم أصابكم ما أصابكم ؟ قالت : بقدر الله قال : وهذا أيضا بقدر الله فاتبعيني فاتبعته فأراها جميع ما ذهب منهم في واد وقال : اسجدى لى وأرد عليك فقالت : ان لى زوجها استأمره فلما أخبرت أيوب قال : ألم تعلمي ان ذلك الشيطان ؟ لئن شفيت لأجلدك مائة جلدة وأبعدها ، وقال لها : طعامك وشرابك على حرام لا أذوق مما تأتيني به شيئا ، فابعدى عنى فلا أراك فذهبت عنه ، فلما رأى أيوب أن امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا ، وقال : رب إني مسنى الضر وأنت ارحم الراحمين كرر ذلك فقليل له : ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض^(٢) برجلك هذا

(١) قال في الصحاح كفت الشيء أكفته كفتنا اذا ضمته الى نفسك وفي الحديث « ! كفتوا صبيانكم بالليل » اهـ (٢) الركض ضرب الأرض بالرجل

مغتسل بارد وشراب ورد الله اليه جسده وصورته ، وأما امرأته فقالت : كيف أتركه وليس عنده أحد ، يموت جوعاً ونأكله السباع ؟ فرجعت اليه ، فرأت أيوب وقد عوفي فلم تعرفه فعجبت حيث لم تره على حاله ، فقالت له : يا عبد الله ! هل رأيت ذلك الرجل المبلى الذي كان ههنا ؟ قال : وهل تعرفينه اذار أيتيه ؟ قالت نعم قال : هو أنا فعرفته ، وقيل : انما قال مسنى الضر لما وصل الدود الى لسانه وقلبه خاف أن يطل عن ذكر الله تعالى والفكر *

ورد الله اليه أهله ومثلهم معهم قيل هم باعياهم ، وقيل : رد الله اليه امرأته ورد اليها شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً وأنزل الله اليه ملكاً فقال : يا أيوب ! ان الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء اخرج الى أندرك^(١) فخرج اليه فبعث الله سبحانه فألقت عليه جراداً من ذهب وكانت الجراد تذهب فيتبعها حتى يردها في اندره ، فقال الملك : أما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج ؟ فقال : ان هذه البركة من بركات ربي است أشبع منها ، وعاش أيوب بعد ان رفع عنه البلاء سبعين سنة *

ولما عوفي أمره الله أن يأخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته

ليبر من يمينه ففعل ذلك *

وقول أيوب (رب إني مسنى الضر) دعاء ليس بشكوى ودليله : قوله تعالى (فاستجبنا له) .

وكان من دعاء أيوب أعود بالله من جار عينه تراني إن رأى حسنة سترها وان رأى سيئة ذكرها *

وقيل : كان سبب دعائه انه كان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه اسم أحدهم بلدد^(٢) والآخر

اليفز والثالث صافر فانطلقوا اليه وهو في البلاء فبكتوه أشد تبكيت ، وقالوا له : لقد اذنبت

ذنبا ما اذنبه احد فلماذا لم يكشف العذاب عنك وطال الجدل بينهم وبينه فقال قتي كان معهم

لهم كلاما يرد عليهم فقال : قد تركتم من القول أحسنه ومن الرأي أصوبه ومن الامر

أجمله ، وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم ، فهل تدرون

حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ؟ ومن الرجل الذي عبتم ؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله

وخيرته من خلقه يومكم هذا ؟ ثم لم تعلموا ولم يعلمكم الله أنه سخط شيئا من أمره ، ولا أنه

نزع شيئا من الكرامة التي أكرم الله بها عباده ، ولا أن أيوب فعل غير الحق في طول

ما صحبتتموه ، فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضع في نفوسكم وقد علمتم ان الله

(١) الاندر البيدر أو كدس القمح اه قاموس (١) هم بلدد بكسر الباء الموحدة الشوحي واليفاز — آخره

زاي — التبانة وصوفر النعماني راجع آية ١١ من الاصحاح الثاني من سفر أيوب

يبتلى النيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك دليلاً على سخطه عليهم ولا على هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم وأطال في هذا النحو من الكلام * ثم قال لهم: وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يكل ألسنتكم ويكسر قلوبكم ويقطع حجتكم الم تعلموا ان الله عبداً اسكتهم خشيته عن الكلام من غير عى ولا بكم؟ وانهم لهم الفصحاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت احلامهم وعقولهم فزعا من الله وهيبة له فاذا أفاقوا استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين وانهم لا يبرار، ومع المقصرين وانهم لا كياس أتقيا، ولكنهم لا يستكثرون لله عز وجل الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه بالأعمال فهم أينما لقيتهم خائفون مهيمون وجلون *

فلما سمع ايوب كلامه قال: ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فمتى كانت في القلب ظهرت على اللسان ولا تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله تعالى عبداً حكماً عند الصبا لم تسقط منزلته عند الحكام ثم أقبل على الثلاثة فقال: رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني؟ أو قربوا قربانا لعل الله أن يتقبل ويرضى عني؟ وانكم قد أعجبتكم أنفسكم فظنتم انكم عوفيتم باحسانكم فبغيتم وتعززتم، لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله بالعافية وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع كلامي معروف من حقي مستنصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم، فأتتم أشد على من مصيبي *

ثم أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً اليه . فقال: رب! الأى شىء خلقتني؟ ليتني إن كرهتني لم تخلقني ياليتني كنت حيضة ملقاة، وياليتني عرفت الذنب الذى اذنبت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت امتى فالموت أجمل بي؟ ألم أكن للغريب داراً، وللأسكين قراراً، ولليتيم ولياً، وللارملة قوماً؟ إلهى! أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فييدك عقوبتى؟ جعلتني للبلاء غرضاً فقد وقع على البلاء لوسلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى؟ ذهب المال فصرت اسأل بكفى فيطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها على ويعيرني * هلك أولادى ولو بقى

أحدم أعاني * قد ملني أهلي وعقبي ارحامى فتكرت معارفى ، ورغب عني صديقى ؛
وجحدت حقوقى ، ونسيت صنائى * اصرخ فلا يصرخوننى واعتذر فلا يعذروننى *
دعوت غلامى فلم يجبنى ، وتضرعت إلى امتى فلم ترحمنى ، وإن قضاءك هو الذى آذاني
واقماني ، وإن سلطانك هو الذى أسقمنى * فلو أن ربى نزع الهيبة التي فى صدرى وأطلق
لساني حتى أتكلم ملء فمى ، ثم كان ينبغى للعبد ان يحاج مولاه عن نفسه لرجوت أن تعافيني
عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني فهو يراني ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعہ ، لانظر إلى
فرحمنى ، ولادنا منى فاتكلم ببراءتى وأخاصم عن نفسى *

فلما قال آية ب ذلك أظلمهم غمامة ونودى منها يا أيوب ان الله يقول : قد دنوت منك ولم
ازل منك قريبا فقم فأدل بحجتك وتكلم ببراءتك وقم مقام جبار فانه لا ينبغى ان يخاصمنى
الاجبار * تجعل الزيار فى فم الاسد واللجام فى فم التين وتكيل مكيالا من النور وتزن
مثقالا من الريح وتصرة من الشمس وترداس * لقد متك نفسك امرأ لا تبلغه بمثل
قوتك أردت أن تكابرني بضعفك ؟ أم تخاصمنى بعيبك ؟ أم تحاجنى بخطلك أين أنت منى
يوم خلقت الارض ؟ هل علمت بأى مقدار قدرتها ؟ اين كنت معى يوم رفعت السماء سقفا
فى الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها ؟ هل تبلغ حكمتك ان تجرى نورها او تسير نجومها
او يختلف بامرك ليلا ونهارها ؟ واذكر أشياء من مصنوعات الله *

فقال أيوب : قصرت عن هذا الأمر ليت الارض انشقت لى فذهبت فيها ولم أتكلم
بشيء يسخطك ، إلهى اجتمع على البلاء وأنا أعلم أن كل الذى ذكرت صنع يديك وتدير
حكمتك . لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية . تعلم ما تخفى القلوب ، وقد علمت فى
بلائى ما لم أكن أعلمه ، كنت أسمع بسطوتك سمعا ، فأما الآن فهو نظر العين انما تكلمت
بما تكلمت به لتعذرني وسكت لرحمى ، وقد وضعت يدي على فمى ، وعضضت على
لسانى ، وألصقت بالتراب خدى فدمست فيه وجهى فلا أعود لشيء تكرهه ودعا *

فقال الله : يا أيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى غضبى قد غفرت لك ورددت عليك
اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين ؛ فاركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء ، وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم
قد عصوني فيك ، فركض برجله فانفجرت له عين ماء فاغتسل فيها ، ورفع الله عنه البلاء ،
ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته فسأله عنه فقال هل تعرفينه ، قالت نعم ما لى لا أعرفه ؟ فقبسم

فعرفته بضحكه ، فاعتنقته فلم تفارقه من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد*
وانما ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وأنه كان نيبا في عهد
يعقوب؛ و ذكر أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وأنه أوصى عند موته الى ابنه حوصل؛
وأن الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نيبا وسماه ذا الكفل وكان مقيا بالشام حتى مات
وكان عمره خمسا وسبعين سنة فوصى الى ابنه عيدان وان الله بعث بعده شعيب بن صفيون
ابن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم عايه السلام *

﴿ ذكر قصة يوسف عليه السلام ﴾

ذكروا أن إسحق توفي وعمره ستون ومائة سنة، وقبره عند أبيه إبراهيم قبره ابنه
يعقوب وعيص في مزرعة جيرون وكان عمر يعقوب مائة وسبعا وأربعين سنة وكان
ابنه يوسف قد قسم له ولأمه شطر الحسن ، وكان يعقوب قد دفعه الى أخته ابنة
إسحق تحضنه، فأحبته جدا شديدا، وأحبه يعقوب أيضا جدا شديدا، فقال لأخته:
يا أختي! سلني الى يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة، فقالت والله ما أنا بتاركة
ساعة فأصر يعقوب على أخذه منها، فقالت أتركه عندي أياما لعل ذلك يسليني، ثم عمدت
الى منطقة إسحق وكانت عندها لانها كانت أكبر ولد، فحزمتها على وسط يوسف، ثم
قالت: قد فقدت المنطقة فانظروا من أخذها فالتمست فقالت اكشفوا أهل البيت
فكشفوهم فوجدوها مع يوسف، وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة ياخذ السارق
له لا يعارضه فيه أحد فأخذت يوسف فأمسكته عندها حتى ماتت، وأخذ يعقوب
بعد موتها فهذا الذي تأول اخوة يوسف (ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وقيل في
سرقته غير هذا وقد تقدم *

فلما رأى اخوة يوسف محبة أبيهم له وإقباله عليه حسدوه وعظم عندهم*
ثم أن يوسف رأى في منامه كأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد له،
فقصها على أبيه، وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة فقال له أبوه: يا بني (لاتقص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدومبين) ثم عبر له رؤياه فقال:
وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث، وسمعت امرأة يعقوب ما قال
يوسف لأبيه فقال لها يعقوب: اكنمي ما قال يوسف ولا تخبري أولادك قالت: نعم
فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعي أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكرهة له وقالوا:

ما عني بالشمس غير أينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ان ابن زاحيل يريد أن يملك علينا ويقول: أنا سيدكم وتأمروا بينهم أن يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا: (ليوسف وأخوه أحب إلى أينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين) في خطأ بين. في إيثارهما علينا (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين) أي تائبين فقال قائل منهم وهو يهودا - وكان أفضلهم وأعقلهم - لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة وأخذ عليهم العهود أنهم لا يقتلونه فاجمعوا عند ذلك أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه في إرسال يوسف معهم إلى البرية وأقبلوا إليه ووقفوا بين يديه؛ وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا منه حاجة فلما رآهم قال: ما حاجتكم؟ (قالوا يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف؟ وإنا له لناصحون) نحفظه حتى نرده، أرسله معنا إلى الصحراء يرتع ويلعب وإنا له لحافظون، فقال لهم يعقوب: (انه ليحزني ان تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) لا تشعرون، وإنما قال لهم ذلك لأنه كان رأى في منامه كان يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئب قد شذوا عليه ليقتلوه وإذا ذئب منها يحمى عنه وكان الأرض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه: (لئن أكله الذئب ونحن عصبة أنا إذا لخاسرون) *

فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن إليهم فقال يوسف: يا ابت ارسلني معهم قال: او تحب ذلك؟ قال: نعم فاذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا إلى البرية اظهروا له العداوة وجعل بعض اخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحماً فضربوه حتى كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنوا الاماء فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهودا: أليس قد أعطيتموني موثقاً ان لا تقتلوه؟ فانطلقوا به إلى الجب فأوثقوه كتافاً ونزعوا قميصه والقوه فيه فقال: يا اخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به في الجب فقالوا: ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤانسونك قال: إني لم ار شيئاً فدلوه في الجب، فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فاقام عليها، ثم نادوه فظن أنهم قد رحموه فاجابهم، فارادوا أن يرضخوه بالحجارة، فمنعهم يهودا، ثم أوحى الله إليه (لتنبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون) بالوحي، وقيل: لا يشعرون انه يوسف والجب بأرض بيت المقدس معروف * ثم عادوا إلى أبيهم عشاء فيكون فقالوا: (يا أبانا إننا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب)، فقال لهم ابوهم: (بل

سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل) ، ثم قال لهم : اروني قميصه فاروه فقال : تالله ما رأيت ذئبا حلم من هذا ! أكل ابني ولم يشق قميصه؟! ، ثم صاح وخر مغشيا عليه ساعة فلما أفاق بكى بكاء طويلا فاخذ القميص يقبله ويشمه ، واقام يوسف في الجب ثلاثة ايام وارسل الله ملكا فحل كتابه * ثم جاءت سيارة فارسلوا واردهم وهو الذي يتقدم الى الماء فادلى دلوه الى البئر ، فتعلق به يوسف فخرج من الجب ، وقال : (يا بشرى هذا غلام) اي تباشروا ، وقيل : بشرى اسم غلام (واسروه بضاعة) يعني الوارد واصحابه خافوا ان يقولوا اشترينا فيقول الرفقة : اشركونا فيه فقال . ان اهل الماء استبضعونا هذا الغلام ، وجاء يهوذا بطعام ليوسف فلم يره في الجب فنظر فراه عند مالك في المنزل فاخبر اخوته بذلك فاتوا مالكا وقالوا هذا عبدنا منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله ، واشتروه من اخوته بثمن بخس قيل : عشرون درهما ، وقيل : اربعون درهما ، وذهبوا به الى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه قبطير وقيل اطفير^(١) وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة * قيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حي * وملك بعده قابوس بن مصعب فدعا يوسف فلم يؤمن *

فلما اشترى يوسف وأتى به الى منزله قال لامرأته - واسمها - راعيل : (أكرمي مثواه عسى ان ينفعنا) اذا فهم الامور بعض ما نحن بسبيله (أو تتخذه ولدا) ، وكان لا يأتي النساء وكانت امرأته حسناء ناعمة في ملك ودنيا ، فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة ، وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الابواب عليه وعليها ودعته الى نفسها ، (فقال معاذ الله انه ربي) يعني أن زوجك سيدي (أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون) يعني ان خيائه ظلم ، وجعلت تذكر محاسنه وتشوقه الى نفسها ، فقالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك ؟ اقال : هو أول ما ينثر من جسدي ، قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك ؟ اقال : هي أول ما يسيل من جسدي ، قالت : ما أحسن وجهك ؟ اقال : هو للتراب فلم تزل به حتى همت وهم بها وذهب ليحل سراويله^(٢) فاذا هو بصورة

(١) في التوراة فوطيفار وآية ١ اصحاح ٣٩ من التكوين هكذا : وأما يوسف فأنزل الى مصر فاشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل مصري (٢) لاشك ان هذه قباحة شنيعة وسيئة منكورة يتنزه الانبياء عنها وان الآية تكذب هذه الفقرة فانه لم يحصل هم من يوسف عليه السلام بالزنا أصلا وانما معنى الآية ولقد همت به اي امرأة العزيز ولأن عملها ثابت أكد الجملة باللام وبقد وأما يوسف عليه السلام فقال وهم بها لولا أن رأى برهان ربه أي انه باعتباره بشرا له شهوة وميل طبيعي الى النساء كان من شأنه أن

يعقوب قد عض على أصبعه يقول: يا يوسف أتواقعها، إنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات وسقط إلى الأرض * وقيل جلس بين رجلها فرأى في الحائط (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سيلا)، فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد الباب، فأدركته قبل خروجه من الباب، فجنبت قميصه من قبل ظهره، فقدته (وألفيا سيدها لدى الباب) وابن عمها معه، (فقال له ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن) قال يوسف بل (هي راودتني عن نفسي) فهربت منها فأدركتني قميصي قال لها ابن عمها: تبيان هذا في القميص، فإن كان قد من قبل فصدقت، وإن كان قد من دبر فكذبت، فأتي بالقميص فوجده قد من دبر، فقال: إنه من كيد كن إن كيدكن عظيم * وقيل كان الشاهد صيا في المهد * قال ابن عباس: تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة امرأة فرعون. وشاهد يوسف. وصاحب جريج. وعيسى ابن مريم *

وقال: زوجها ليوسف أعرض عن هذا أي ذكر ما كان منها فلا تذكره لأحد، ثم قال لزوجته: (استغفري لذنبي أنك كنت من الخاطئين) *

وتحدث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز، وبلغ ذلك امرأة العزيز، (فارسلت اليهن وأعدت لهن متكاً) يتكئن عليه وسائد، وحضرن وقدمت لهن أترنجبا، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لقطع الأترنج؛ وقد أجلس يوسف في غير المجلس الذي هن فيه، وقالت له: اخرج عليهن فخرج، فلما رأته أكبرنه وأعظمنه، وقطعن أيديهن بالسكاكين ولا يشعرن (وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)، فلما حل بهن ما حل من قطعن أيديهن وذهاب عقولهن وعرفن خطأهن فيما قلن أقرت على نفسها وقالت: (فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين): فاختر يوسف السجن على معصية الله، فقال (رب السجن

يهم بها ولكن قد امتنع واتفق همه بها لوجود برهان ربه. وهذه الآية فيها برهان جلي على براءة يوسف عليه السلام وأنه بلغ من الكمال والعصمة أن العناية الإلهية قد حفت به فلم تنفصل عنه لحظة واحدة ولذلك لم تستول عليه نفسه ولم يجد الشيطان إليه سيلاً فانه مع انه لم يرتكب معصية الزنا المتولد عنها خيانة سيده فقد امتنع منه الهم الذي لا يحاسب الله عليه وهذا ليس بكثير على نبي ورسول ابن رسول ابن رسول ابن رسول فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم اه الإدارة

(١١٢ - ج ١ الكامل)

احب إلى مما يدعوني إليه وإلا تصرف غنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) *

ثم بد اللعيز من بعد ما رأى الآيات . من القميص . وخمش الوجه . وشهادة الطفل . وتقطع
النسوة أيديهن في ترك يوسف مطلقا * وقيل : انها شكت الى زوجها وقالت : ان هذا
العبد قد فضحني في الناس يخبرهم أنني راودته عن نفسه فسجنه سبع سنين *
فلما حبس يوسف أدخل معه السجن قتيان من أصحاب فرعون مصر : أحدهما صاحب
طعامه والآخر صاحب شرابه لأنهما نقل عنهما أنهما يريدان أن يسما الملك ، فلما
دخل يوسف السجن قال : اني أعبر الأحلام ، فقال أحد الفتيين للآخر : هلم فلنجر به ؟
قال الخباز : اني أراي أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ؛ وقال الآخر : اني أراي
أعصر خمرا فقال لهما يوسف (لا يأتكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتأويله قبل ان يأتكما)
كره ان يعبر لهما ما سألاه عنه وأخذ في غير ذلك وقال : يا صاحبي السجن ! أرباب
متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ؟ وكان اسم الخباز مجلت واسم الآخر نوبل فلم يدعاه
حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه ، فقال أما أحدكما وهو الذي رأى أنه يعصر الخمر فيسقى
ربه خمرا يعني سيده الملك . وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبر لهما
قالا : مارأينا شيئا قال : قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ، ثم قال لنبو وهو الذي ظن أنه
ناج منهما : اذ كرني عند ربك الملك وأخبره أني محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه غفلة
عرضت ليوسف من قبل الشيطان فاوحى الله اليه : يا يوسف ! اتخذت من دوني وكيلا
لاطين حبسك فلبث في السجن سبع سنين *

ثم ان الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق
ابن لاوذ بن سام بن نوح رأى رؤيا هائلة : رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ورأى
سبع سنبلات خضروا وأخرى يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازقو العاقفة فقصها عليهم فقالوا
(اضغات أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجما منهما : واد كر بعدامة) أي
حين (أنا أنبئكم بتأويله فارسلون) فارسلوه الى يوسف فقص عليه الرؤيا فقال (تزرعون سبع
سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه ينفث الناس وفيه
يعصرون) فان البقر السمان سنون مخاصيب والبقرات العجاف السنون المحول ، وكذلك

السذبلات الخضر واليابسات فعاد نبو الى الملك فأخبره ، فعلم أن قول يوسف حق ، فقال :
 اتتوني به فلما أتاه الرسول ودعاه الى الملك لم يخرج معه وقال : ارجع الى ربك فاسأله ما بال
 النسوة اللاتي قطعن أيديهن ؟ فلما رجع الرسول من عند يوسف سأل الملك أولئك النسوة ،
 فقلن : حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز خبرتنا أنها راودته عن نفسه ،
 فقالت امرأة العزيز : أنا راودته عن نفسه ، فقال يوسف : انما رددت الرسل ليعلم سيدي أنني
 لم أخنه بالغيب في زوجته ، فلما قال ذلك قال له جبرائيل : ولا حين هممت بها ؟ فقال
 يوسف ^(۱) (وہا أبریء نفسی ان النفس لامارة بالسوء) *

فلما ظهر للملك براءة يوسف واماته قال : (اتتوني به أستخلصه لنفسي) ، فلما جاءه
 الرسول خرج معه ، ودعا لأهل السجن ، وكتب على بابه : هذا قبر الأحياء وبيت
 الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء ، ثم اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك ، فلما
 وصل اليه وكلبه قال : (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فقال يوسف : (اجعلني على خزائن
 الأرض) فاستعمله بعد سنة ، ولو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ،
 فسلم خزائنه كلها اليه بعد سنة ، وجعل القضاء اليه وحكمه نافذا ، ورد اليه عمل قطفير
 سيده بعد أن هلك وكان هلاكه في تلك الليالي ، وقيل : بل عزله فرعون وولى يوسف
 عمله والأول أصح لأن يوسف تزوج امرأته على ما ذكره *

ولما ولى يوسف عمل مصر دعا الملك الريان إلى الايمان فأمن ، ثم توفي *
 ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن
 عمرو بن عملاق ، فدعاه يوسف إلى الايمان فلم يؤمن ، وتوفي يوسف في ملكه *
 ثم إن الملك الريان زوج يوسف راعيل امرأة سيده فلما دخل بها قال : أليس هذا
 خيرا مما كنت تريدین ؟ فقالت : أيها الصديق لاتلمني فاني كنت امرأة حسناء جميلة
 في ملك وذنبا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي
 ووجدتها بكرأ فولدت له ولدين افرایم ومنشا ^(۲) *

فلما ولى يوسف خزائن أرضه ومضت السنون السبع المخصبات وجمع فيها الطعام في

(۱) قد علمت ان يوسف عليه السلام لم يهبها أصلا فلا حاجة للاعادة وقوله (وما أبريء) تواضع منه وأدب. الادارة

(۲) آية ۵۰ اصحاح ۴۱ تكوین هكذا: وولد ليوسف ابنان قبل أن تأتي سنة الجوع ولدتهما له

اسنات بنت فوطى فارع كاهن اون ، ۵۱۶ ودعا يوسف اسم البكر منسى قائلا لان الله أنساني كل تبى وكل بيت

أبي: ۵۲ ودعا اسم الثاني افرایم قائلا لان الله جعلني مشمرا في أرض مذلتى *

سنبه ودخلت السنون المجذبة وقحط الناس ، وأصابهم الجوع وأصاب بلاد يعقوب التي هو بها ، فبعث بنيه الى مصر ، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، وإنما أنكروه لبعدهم منه ولتغير لبسه فانه لبس ثياب الملوك ، فلما نظر اليهم قال : أخبروني ما شأنكم ؟ قالوا : نحن من الشام جئنا نمتار الطعام ، قال : كذبتم أتم عيون فأخبروني خبركم ، قالوا : نحن عشرة أولاد رجل واحد صديق كنا اثني عشر وانه كان لنا أخ نخرج معنا إلى البرية فهلك ، وكان أحبنا إلى أيينا قال : فالي من سكن أبوك بعده قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه ، قال : فأتوني به أنظر اليه (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) قالوا : سزاود عنه أباه ، قال : فاجعلوا بعضكم عندي رهينة حتي ترجعوا فوضعوا شمعون أصابته القرعة وجهزهم يوسف بجهازهم ، وقال : لفتيانه : اجعلوا بضاعتهم يعني ثمن الطعام في رحالهم لعلهم يرجعون لما علم ان أماتهم ودياتهم تحملهم على رد البضاعة فيرجعون اليه لأجلها ، وقيل : رد مالهم لانه خشى أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى فاذا رأوا معهم بضاعة عادوا ، وكان يوسف حين رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم وكان لا يحمل للرجل إلا بعيرا فلما رجعوا الى أبيهم باجمالهم ، قالوا : يا أبانا إن عزيز مصر قد أكرمنا كرامة لو أنه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته ، وأنه ارتهن شمعون ، وقال : ائتوني باخيكم الذي عطف عليه أبوك بعد أخيكم (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) قال : (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) ؟ (فلما فتحوا امتاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا : يا أبانا مانبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) قال يعقوب : (ذلك كيل يسير) فقال يعقوب : (لن أرسله معكم حتي تؤتوني موثقا من الله لتأتني به الا أن يحاط بكم فلما أتوه موثقهم ، قال : الله على ما نقول وكيل) ، ثم أوصاهم أبوهم بعد أن أذن لأخيه في الرحيل معهم وقال : (يا بني ! لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) خاف عليهم العين وكانوا ذوى صورة حسنة ففعلوا كما أمرهم أبوهم ، (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ، وعرفه وأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الوظائف ، وقدم لهم الطعام وأجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى ، وقال : لو كان أخى يوسف حيا لأجلستني معه ، فقال يوسف : لقد بقى أخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه وقعد يثوا كله ، فلما كان الليل جاءهم بالفرش ، وقال لينم كل أخوين منكم على

فراش وبقی بنیامین وحده ، فقال : هذا ینام معی فبات معه علی فراشه فبقی یشمه ویضمه الیه حتی أصبح وذکر له بنیامین حزنه علی یوسف ، فقال له : أتحب أن أكون أخاک عوض أخیک الذاهب ؟ فقال بنیامین : ومن یجد أخاً مثلك ؟ ولكن لم یلدک یعقوب ولا راحیل فبکی یوسف وقام الیه فعانقه ، وقال له : انی أنا أخوک یوسف فلا تبتئس بما فعلوه بنا فیما مضی فان الله قد أحسن الینا ولا تعلمهم بما علمتک *

وقیل لما دخلوا علی یوسف نقر الصواع ، وقال إنه یخبرنی أنکم کنتم اثنی عشر رجلاً وأنکم بعم أخاکم فلما سمعه بنیامین سجد له ، وقال : سل صاعک هذا عن أخی أخی هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حی وستراه قال : فاصنع بی ماشئت فانه ان علم بی سوف یتنقذنی قال فدخل یوسف فبکی ، ثم توضأ وخرج الیهم ، قال فلما حمل یوسف إبل اخوته من المیره جعل الانیاء الذی یکیل به الطعام وهو الصواع وكان من فضة فی رحل أخیه ، وقیل : کان إناء یشرب فیہ ولم یشعر أخوه بذلك ، وقیل : ان بنیامین لما علم أن یوسف أخوه قال لا أفارکک قال یوسف أخاف غم أبوینا ولا یمکننی حبسک إلا بعد أن أشهرک بامر فظیع قال : افعل ، قال : فانی أجعل الصواع فی رحلک ، ثم أنادی علیک بالسرقة لآخذک منهم قال : افعل فلما ارتحلوا أذن مؤذن : أیتها العیر إنکم لسارقون ، قالوا : (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فی الأرض وما کنا سارقین) لا یتاردنا ثمن الطعام إلی یوسف ، فلما قالوا ذلك قالوا : فما جزاؤه ان کنتم کاذبین ؟ قالوا : جزاؤه من وجد فی رحله فهو جزاؤه تأخذونه لکم فبدأ باوعیتهم ففتاشها قبل وعاء أخیه ، ثم استخرجها من وعاء أخیه ، فقالوا : ان یرسرق فقد سرق أخ له من قبل یعنون یوسف وكانت سرقة حین سرق صنما لجدہ أبي أمه فکسره فعبروه بذلك ، وقیل ما تقدم ذکره من المنطقه *

فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال إخوته : یابنی راحیل ! لا یزال لنا منکم بلاء ، فقال بنیامین : بل بنو راحیل ما یزال لهم منکم بلاء : وضع هذا الصواع فی رحلی الذی وضع الدرهم فی رحالکم ، فاخذ یوسف أخاه بحکم إخوته ، فلما رأوا أنهم لا سبیل لهم علیه سالوه أن یتروکهم ، وقالوا : (یا أيها العزیز ! إن له أبا شیخا کبیراً نخذ أحدنا مکانه) فقال : (معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فلما أیسوا من خلاصه خلصوا نجیا لا یختلط بهم غیرهم ، فقال کبیرهم وهو شمعون — وقیل روئیل (ألم تعلموا أن أباکم قد أخذ علیکم وثقا من الله) أن نأتیہ بأخینا الا أن یحاط بنا ؟ ومن قبل هذه المرة ما فرطتم فی یوسف فلن أبرح الأرض حتی یأذن لی أبي بالخروج ، وقیل بالحرب فارجعوا الی

ايكم فقصوا عليه خبركم فلما رجعوا الى ابيهم فاخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون قال :
(بل سوات لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا) يوسف واخيه
وشمعون ، ثم ، أعرض عنهم وقال : واحزنناه ، على يوسف ! (وابيضت عيناه من الحزن
فهو كظيم) مملوء من الحزن والغىظ ، فقال له بنوه : تالله لا تزال تذكر يوسف حتي
تكون حرضا اي دفا أو تكون من الهالكين ، فاجابهم يعقوب فقال : (انما اشكو شي
وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) من سندق رؤيا يوسف وقيل : بلغ من وجد
يعقوب وجد سبعين شكلى واعطى على ذلك اجر مائة شهيد*

قيل دخل على يعقوب جار له فقال : يا يعقوب : قد انهشمت وفيت ، لم تبلغ من السن
ما بلغ أبوك ، فقال هشمني وأفاني ما ابلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه اشكوني الى
خلقي ؟ قال : يارب خطيئة فاغفرها قال : قد غفرتها لك فكان يعقوب اذا سئل بعد ذلك
قال : انما اشكو شي وحزني الى الله فاوحى الله اليه لو كانا ميتين لأحييتهم مالك انما ابتليتك لأنك
قد شويت وقرت على جارك ولم تطعمه *

وقيل كان سبب ابتلائه أنه كان له بقرة لها عجول فذبح عجولها بين يديها وهي تخور
فلم يرحمها يعقوب فابتلى بفقد أعز ولده عنده ، وقيل ذبح شاة فقام بيا به مسكين فلم يطعمه
منها فاوحى الله اليه في ذلك وأعلمه انه سبب ابتلائه فصنع طعاما ونادى من كان صائما
فليفطر عند يعقوب *

ثم إن يعقوب امر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع اليها وتحسس الأخبار
عن يوسف واخيه فرجعوا الى مصر فدخلوا على يوسف ، وقالوا : (يا أيها العزيز مسنا وأهلنا
الضر ، وجئنا ببضاعة مزجاة) يعنى قليلة (فأوف لنا الكيل) قيل : كانت بضاعتهم دراهم زيوفا ،
وقيل : كانت سمن و صوفا ، وقيل غير ذلك وتصديق علينا بفضل ما بين الجيد والردى ؛
وقيل : برد أخينا علينا فلما سمع كلامهم غلبته نفسه فارفض دمه با كيا ، ثم باح لهم
بالذى كان يكتم *

وقيل : إنما أظهر لهم ذلك لأن أباه كتب اليه حين قيل له انه أخذ ابنه لانه سرق كتابا : *
من يعقوب اسراييل الله بن اسحق ذبيح الله ^(١) ابن ابراهيم خليل الله إلى عزيز مصر

(١) علمت ان الذبيح ليس اسحق واسناده اليه دسيسة يهودية حسداً وبغضا فوذا الكتاب لا يبعد
أن يكون من تزويرهم باقناع بعض المسلمين — أرباب القلوب الصائفة — بصحة ذلك فأدخلوه في كتب
المسلمين وهو لا أصل له ولا مستند اه الادارة

المظهر العدل * أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء ، أما جدى فشدت يداه ورجلاه
والقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وأما أبى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين
على حلقه ليدبح ففداه الله ، وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته
الى البرية فعادوا ومعهم قبيصه ملطخا بدم وقالوا أكله الذئب ، وكان لى ابن آخر أخوه
لأمه فكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وانك حبسته ، وإنا أهل بيت
لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على وإلادعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك *
فلما قرأ الكتاب لم يتمالك أن بكى وأظهر لهم فقال : (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه
إذ أتم جاهلون ؟ قالوا أئنك لأنت يوسف ؟ قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا)
بأن جمع بيننا فاعتذروا وقالوا : (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تريب
عليكم اليوم) أى لا أذكر لكم ذنبكم يغفر الله لكم ، ثم سألهم عن أبيه فقالوا : لما فاته
بنيامين عمى من الحزن فقال : اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني
بأهلكم أجمعين ، فقال يهوذا أنا أذهب به لآنى ذهبت اليه بالقميص ملطخا بالدم وأخبرته
أن يوسف أكله الذئب فانا أخبره أنه حى فافرحه كما أحزنته و كان هو البشير *

(ولما فصلت العير) عن مصر حملت الريح إلى يعقوب ريح يوسف وبينهما ثمانون فرسخا
يوسف بمصر ويعقوب بارض كنعان : فقال يعقوب : (انى لأجد ريح يوسف لولا
أن تفندون) ، فقال له من حضره . من أولاده : (تالله انك) من ذكر يوسف (لفى
ضلالك القديم ، فلما أن جاء البشير) بقميص يوسف (ألقاه) على وجه يعقوب فعاد بصيرا
وقال : (ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) ؟ يعنى تصديق الله تاويل رؤيا يوسف ،
(ولما أن جاء البشير) قال له يعقوب كيف تركت يوسف ؟ قال تركته ملك مصر قال : ما أصنع
بالملك ؟ على أى دين تركته ؟ قال تركته على الاسلام قال : الآن تمت النعمة ، فلما رأى
من عنده من أولاده قبيص يوسف وخبره قالوا له : (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا قال : سوف
أستغفر لكم) . أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة *

ثم ارتحل يعقوب وولده فلما دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه أهل مصر ، وكانوا
يعظمونه . فلما دنا أحدهما من صاحبه نظر يعقوب الى الناس والخيل وكان يعقوب يمشى
ويتوكأ على ابنه يهوذا فقال له يابنى ! هذا فرعون مصر ؟ قال : لا هذا ابنك يوسف فلما
قرب منه أراد يوسف أن يبدأه بالسلام فمنع من ذلك ، فقال يعقوب : السلام عليك

يامذهب الأحزان لأنه لم يفارقه الحزن والبكاء مدة غيبة يوسف عنه ،
قال : فلما دخلوا مصر رفع أبويه يعنى أمه وأباه ، وقيل : كانت خالته وكانت أمه قد
ماتت وخرله يعقوب وأمهم واخوته سجدوا وكان السجود تحية الناس للملوك : ولم يرد بالسجود
وضع الجبهة على الأرض فان ذلك لا يجوز الا لله تعالى وإنما أراد الخضوع والتواضع
والانحناء على السلام كما يفعل الآن بالملوك * والعرش السرير *

وقال : (ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا) وكان بين رؤيا يوسف
ومجيء يعقوب أربعين سنة ، وقيل ثمانون سنة فإنه ألقى في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ،
ولقيه وهو ابن سبع وتسعين سنة ، وعاش بعد جمع شمله ثلاثا وعشرين سنة ، وتوفي وله مائة
وعشرون سنة ، وأوصى الى أخيه يهوذا ، وقيل كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثمانين سنة
وقيل : إن يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة
سنة من قدومه الى مصر ، وكانت مدة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة ، وكان
مقام يعقوب بمصر وأهله معه سبع عشرة سنة ، وقيل غير ذلك والله أعلم *

ولما مات يعقوب أوصى الى يوسف أن يدفنه مع أبيه اسحق ففعل يوسف فسار به
الى الشام فدفنه عند أبيه ، ثم عاد الى مصر ، وأوصى يوسف ان يحمل من مصر ويدفن
عند آبائه فحمله موسى لما خرج بنى اسرائيل ، وولد يوسف افرام ومنشا فولد لافرايم نون
ولنون يوشع قتي موسى ؛ وولد لمنشا موسى قيل موسى بن عمران ، وزعم أهل التوراة
انه موسى الخضر ، وولده رحمة امرأة أيوب في قول *

﴿ قصة شعيب عليه السلام ﴾

قيل : ان اسم شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقاب بن نابت بن مدين بن ابراهيم ،
وقيل : هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين ، وقيل : لم يكن شعيب من ولد ابراهيم ، وإنما هو
من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام ، ولكنه ابن بنت لوط فجدة شعيب
ابنة لوط ، وكان ضير البصر وهو معنى قوله تعالى (وإنا لنراك فينا ضعيفا)^(١) أى
ضير البصر *

(١) العربية لا تساعد على هذا التفسير وليس فيها إطلاق الضمير على الأعمى وإنما أرادوا : لنراك فينا ضعيفا
عن مقاومتنا فإنه قد آمن به أناس قليلون جدا بدليل قولهم بعد ذلك ولولا رهطك لرجناك وما أنت علينا
بميز لان العزة لا تكون الا من قوة فهو بيان لقولهم : إنا لنراك فينا ضعيفا . اهـ الادارة

وكان النبي ﷺ إذا ذكره قال: ذاك خطيب الانبياء، بحسن مراجعته قومه؛ وإن الله أرسله إلى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة شجر ملتف، وكانوا أهل كفر بالله، وبخس للناس في المكاييل والموازين وافساد أموالهم، وكان الله وسع عليهم في الرزق، وبسط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كفرهم بالله؛ فقال لهم شعيب، (يا قوم! اعبدوا الله مالكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) *

فلما طال تماديهم في غيهم وضلالهم ولم يزد هم تذكير شعيب إياهم وتحذيره عذاب الله إياهم إلا تمادياً؛ ولما أراد أهلاً لهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ما ذكره ابن عباس في تفسير قوله تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم)، فقال: بعث الله عليهم وقدة وحرا شديداً فأخذ بأنفسهم فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فأظلمت من الشمس، فوجدوا لها برداً ولنة فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحتها فارسل الله عليهم ناراً، قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة * وقال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أمتين إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة وكانت الأيكة من شجر ملتف فلما أراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حراً شديداً ورفع لهم العذاب كأنه سحابة، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً قال: فذلك قوله (فأخذهم عذاب يوم الظلة) *

وأما أهل مدين فهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل فعذبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فاهلكوا *

قال بعض العلماء: كان قوم شعيب عطلوا حاداً فوسع الله عليهم في الرزق، ثم عطلوا حاداً فوسع الله عليهم في الرزق فجعلوا كل ما عطلوا حاداً وسع الله عليهم في الرزق حتى إذا أراد هلاكهم سلط عليهم حراً لا يستطيعون أن يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظله فوجد روحاً فنادى أصحابه هلموا إلى الروح فذهبوا إليه سراعا حتى إذا اجتمعوا إليها ألهمها الله عليهم ناراً فذلك عذاب يوم الظلة *

وقد روى عامر عن ابن عباس انه قال له: من حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه، وقال مجاهد: عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب، وقال زيد بن أسلم: في قوله تعالى (يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء)

(١٢٢ - ج ١ الكامل)

قال : بما كان ينههم عنه قطع الدراهم *

﴿ قصة الخضر وخبره مع موسى ﴾

قال أهل الكتاب : ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب ،
والحديث الصحيح عن النبي ﷺ : ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران علي
مانذكره ، وكان الخضر من كان في أيام افريدون الملك ابن اثنيان في قول علماء أهل الكتاب
الاول قبل موسى بن عمران * وقيل : انه كان على مقدمة ذى القرنين الا كبر الذي كان في
أيام ابراهيم الخليل ، وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة فشرب من مائه ولا يعلم ذو القرنين
ومن معه فخلد وهو حي عندهم الى الآن * وزعم بعضهم : انه كان من ولد من آمن مع
ابراهيم وهاجر معه ، واسمه باليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارنخشذ بن سام بن
نوح ، وكان أبوه ملكا عظيما * وقال آخرون : ذو القرنين الذي كان على عهد ابراهيم افريدون
ابن اثنيان وعلى مقدمته كان الخضر * قال عبد الله بن شاذب : الخضر من ولد فارس
والياس من بني اسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم * وقال ابن اسحق : استخلف الله على
بني اسرائيل رجلا منهم يقال له : ناشية بن أموص فبعث الله لهم الخضر معه نيا قال : واسم
الخضر فيما يقول بنو اسرائيل : ارميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران ، وبين
هذا الملك وبين افريدون أكثر من ألف عام ، وقول من قال : ان الخضر كان في أيام
افريدون وذى القرنين الا كبر قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح أن موسى
ابن عمران أمره الله بطلب الخضر ورسول الله ﷺ كان أعلم الخلق بالكائن من الأمور
فيحتمل أن يكون الخضر على مقدمة ذى القرنين قبل موسى وانه شرب من ماء الحياة
فطال عمره ولم يرسل في أيام ابراهيم * وبعث في أيام ناشية بن أموص وكان ناشية هذا في أيام
بشتاسب بن لهراسب والحديث : مارواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال سعيد بن جبیر :
قلت لابن عباس : ان نوحا يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران قال : كذب عدو
الله حدثني أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : ان موسى قام في بني اسرائيل خطيبا فقبل له :
أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه ، فقال : يارب ! هل هناك
أعلم مني ؟ قال : بلى عبد لي بمجمع البحرين قال : يارب ! كيف لي به قال : تأخذ حوتا فتجعله
في مكمل (١) حيث تفقده فهو هناك ، فأخذ حوتا فجعله في مكمل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدت

(١) المكمل بكسر الهمزة والياء وهو ما بهمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره اه مصباح *

هذا الحوت فاخبرني ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى اتيا الصخرة وذلك الماء وهو ماء الحياة فمن شرب منه خلد ولا يقار به شيء ميت ، إلا حي ، فمس الحوت منه فحي ، وكان موسى راقداً واضطرب الحوت في المكتل ، فخرج في البحر فامسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصار للحوت سربا وكان لها عجبا ، ثم انطلقا *

فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال : ولم يجد موسى النصب حتى تجاوز حيث أمره الله ، فقال : (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ؟) فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال : ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) قال : يقصان آثارهما حتى اتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم موسى عليه فقال : وأنى بارضنا السلام ؟ قال : أنا موسى قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم قال : يا موسى ! إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله لا أعلمه قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ؟ قال : إنك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ؟ قال : ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا *

قال : فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، ثم ركبا سفينة ، فجاء عصفور ، فقعده على حرف السفينة ، فنقر في الماء ، فقال الخضر لموسى : ما ينقص على وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر *

قال : فبيناهم في السفينة فلم يفجأ موسى إلا وهو يوتد وتدا أو ينزع تختامنها ، فقال له موسى : حملنا بغير نول فتخرقها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا امرا ، قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال : وكانت الأولى من موسى نسيانا *

قال : فخرجا فانطلقا يمشيان فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ برأسه فقتله (فقال له موسى : أقتلت نفساً زكية بغير نفس ؟ لقد جئت شيئا نكرا قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال : ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما) فلم يجدوا أحداً يطعمهما ولا يسقيهما (فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه) ، فقال له موسى : لم

يضيفونا ولم ينزلونا (لو شئت لاتخذت عليه اجرا) قال : (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) *

(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ، فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وفي قراءة أبي سفينة سالحة *
(وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ، فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما) *

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا) الى (ما لم تستطع عليه صبرا) فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما *
قيل لابن عباس لم نسمع لفتى موسى بذكر فقال : شرب الفتى من الماء فخلد فاخذه العالم فطابق به سفينته ثم أرسلها في البحر فانها التوج به الى يوم القيامة *
الحديث يدل على أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه ، ويدل على خطأ من قال : انه أرميا لان أرميا كان أيام بختنصر ، وبين أيام موسى وبختنصر من المدة مالا يشكل على عالم بايام الناس ، فإن موسى انما نبي في أيام منوجهر وكان ملكه بعد جده افريدون *
* ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث في أيامه *

ثم ملك بعد افريدون بن اثغيان بن كاو : منوجهر وهو من ولد ايرج بن افريدون وكان مولده بدناوند ، وقيل بالرى فدا ولد منوجهر أخفى أمره خوفاً من طوج وسلم عميه ، ولما كبر منوجهر سار الى جده افريدون ، فتوسم فيه الخير ، وجعل له ما كان جعله لجده ايرج من المملكة وتوجه بتاجه وقد زعم بعضهم أن منوجهر بن شجر بن افريقش بن إسحق بن ابراهيم انتقل اليه الملك واستشهد بقول جرير بن عطية وأبناء إسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا انتسبوا عدوا الصبيد منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوة * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والفر أبناء فارس * أب لايبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرنا
وأما الفرس فتكر هذا النسب ولا تعرف لها ملكا إلا في أولاد افريدون ولا تقر بالملك لغيره *

قلت والحق ما قاله الفرس فان أسماء ملوكهم قبل الاسكندر معروفة وبعد أيامه ملوك الطوائف ، واذا كان منوچهر أيام موسى ، و كل ما بين موسى وإسحق خمسة آباء معروفون ، ولم يزالوا بمصر ففى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس؟ ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة لاسيا وقد جعل الجميع أبناء إسحق؟ *
قال هشام بن الكلبي: ملك طوج وسلم الأرض بعد أخيهما ايرج ثلاثمائة سنة ، ثم ملك منوچهر مائة وعشرين سنة ، ثم وثب به ابن لطوج التركى على رأس ثمانين سنة ، فنفاه عن بلاد العراق اثنتى عشرة سنة ، ثم أدبيل منه منوچهر فنفاه عن بلاده وعاد الى ملكه بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة *

وكان منوچهر يوصف بالعدل والاحسان ، وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب ، وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا وأمر أهلها بطاعته * ويقال: ان موسى ظهر فى سنة ستين من ملكه * وقال غير هشام: انه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالبا بدم جده ايرج بن افريدون فقتل طوج بن افريدون وأخاه سلما ، ثم ان افراسياب ابن فشنج بن رستم بن ترك الذى ينسب اليه الأتراك من ولد طوج بن افريدون حارب منوچهر بعد قتله طوج بستين سنة وحاصره بطبرستان ، ثم اصطلحا أن يجملحا ما بين ملكيهما رمية سهم رجل من أصحاب منوچهر اسمه ايرشى وكان راميا شديد النزع فرمى سهما من طبرستان فوق بنهر بلخ^(١) وصار النهر حد ما بين الترك ولد طوج وعمل منوچهر *
قلت وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس فى أكاذيبهم ان رمية سهم تبلغ هذا كله؟ *
وقد ذكر ان منوچهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهارا عظاما ، وأمر بعمارة الأرض * وقيل: ان الترك تناولت من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه ، فوبخ قومه ، وقال لهم: أيها الناس! انكم لم تلدوا الناس كلهم؛ وانما الناس ناس ماناضلو اعن أنفسهم ودفعوا العدو عنهم ، وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك إلا بترككم جهاد عدوكم ، وان الله أعطانا هذا الملك ليلونا أن نشكر أم نكفر؟ فيعاقبنا فاذا كان غد فاحضروا *
فحضر الناس والاشراف فقام على قدميه فقام له الناس فقال: اقعدوا انما قت لا سمعكم فجلسوا فقال: *

أيها الناس انما الخلق للخالق ، والشكر للنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بد مما هو كائن ، وانه

(١) مبالغات فارسية وكفى

لا أضعف من مخلوق طالبا كان أو مطلوباً، ولا أقوى من خالق، ولا أقدر ممن طلبته في
 يده، ولا أعجز ممن هو في يد طالبه، وإن التفكر نور والغفلة ظلمة، فالضلالة جهالة، وقد
 ورد الأول، ولا بد للآخر من اللحاق بالأول. إن الله أعطانا هذا الملك فله الحمد، ونسأله
 الهام الرشد والصدق واليقين، وأنه لا بد أن يكون للملك على أهل مملكته حق ولأهل
 مملكته عليه حق. فحق الملك عليهم أن يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوه، وحقهم على
 الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها إذ لا معول لهم إلا عليها، وأنه خازنهم؛ وحق الرعية
 على الملك أن ينظر اليهم ويرفق بهم ولا يحملهم على مالا يطيقون، وإن أصابتهم مصيبة
 أو تنقص من ثمارهم أن يسقط عنهم خراج مانقص؛ وإن اجتاحتهم مصيبة أن يعوضهم
 ما يقويهم على عمارتهم، ثم يأخذ منهم بعد ذلك قدر مالا يجحف بهم في سنة أو سنتين،
 ألا وإن الملك ينبغي أن يكون فيه ثلاث خصال: أن يكون صديقا لا يكذب، وأن يكون
 سخيا لا يبخل، وأن يملك نفسه عند الغضب فانه مسلط ويده مبسوطة، والخراج يأتيه فلا
 يستأثر على جنده ورعيته بما هم أهل له، وإن يكثر العفو فانه لا ملك أقوى ولا أبقى
 من ملك فيه العفو، فإن الملك ان يخطي في العفو خير من ان يخطي في العقوبة، ألا وإن
 الترك قد طمعت فيكم فاكفونا فانما تكفون انفسكم وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة،
 وأنا شريككم في الرأي، وإنما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم ألا وإنما الملك ملك
 إذا أطيع فان خولف فهو مملوك وليس بملك، ألا وإن اكمل الاداة عند المصيبات
 الأخذ بالصبر والراحة الى اليقين، فمن قتل في مجاهدة العدو رجوت له بفوز رضوان
 الله * وإنما هذه الدنيا سفر لأهلها لا يحلون عقد الرحال إلا في غيرها وهي خطبة طويلة *
 ثم أمر بالطعام فاكلوا وشربوا وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون وكان ملكه مائة
 وعشرين سنة *

وزعم ابن الكلبي ان الرائش واسمه الحرث بن قيس بن صيفى بن سبا بن يعرب بن
 قحطان، وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان كان ملكه باليمن أيام ملك منو جهر،
 وإنما سمي الرائش لغنيمة غنمها فادخلها اليمن فسمى الرائش، ثم غزا الهند فقتل بها وأسر
 وغنم ورجع الى اليمن، ثم سار على جبل طي، ثم على الانبار، ثم على الموصل ووجه منها
 خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطاف، فدخل على الترك بأرض

أذریجان^(۱) قتل المقاتلة وسبي الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين وهما معروفان بأذریجان *

ثم ملك بعده ابنه ابرهة ولقبه ذو المنار ، وانما لقب بذلك لانه غزا بلاد المغرب وأوغل فيها برا وبحرا وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبنى المنار ليبتسوا ، وقد زعم أهل اليمن انه وجه ابنه العيد^(۲) بن ابرهة في غزواته الى ناحية من أقاصي المغرب فقم و قدم بسبي له وحشة منكرة فذعر الناس منهم فسمى ذو الازعار ، فابرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في البلاد *

وانما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن ههنا لقول من زعم ان الرائش كان أيام منو جهر وان ملوك اليمن كانوا عمالا للملوك فارس *

﴿ قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في أيامه من الأحداث ﴾

قيل : هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة ، وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة . وولد لقاهث يصهر ، وولد لعمران ليصهر وله ستون سنة ، وكان عمره جميعه مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد موسى ولعمران سبعون سنة ؛ وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، وأم موسى يو حانذ^(۳) ، واسم امرأته صفورا^(۴) بنت شعيب النبي ، وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول ، وقيل : كانت من بني اسرائيل *

فلما نودي موسى اعلم ان قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد^(۵) بن مصعب مكانه ، وكان عمره طويلاً ، وكان أعني من قابوس وأفجر ، وأمر بان يأتيه هو وهارون الرسالة ، ويقال : إن الوليد تزوج آسية بعد أخيه ، ثم سار موسى إلى فرعون رسولاً مع هارون ، فكان من مولد موسى إلى أن أخرج بني اسرائيل من مصر ثمانون سنة ، ثم سار إلى التيه

(۱) لم تكن أذريجان من مجالات الترك في القديم وإنما كانت لهم في عهد السلاجوقيين ثم المغول ثم العثمانيين
(۲) في الأصول التي بأيدينا العيد بالياء المشاة التحية والاشبه ان يكون بالياء الموحدة (۳) نطق اسمها بالعبرازية «يوكابد» ومعناه اسم الله عظام (۴) كذا بالأصل ولكنها في التوراة صفورة فقرة ۱۱ اصحاح ۲ خروج (۵) فرعون موسى على ما عينه كثير من علماء الآثار اليوم اسمه (ريان ابا) كما ذكر ذلك احمد بك نجيب

بعد أن مضى وعبر البحر ، وكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته مائة وعشرون سنة*
قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم في بعض : إن الله تعالى لما قبض يوسف ، وهلك الملك الذي كان معه ، وتوارثت الفراعنة ملك مصر ، ونشر الله بني إسرائيل لم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام حتى كان فرعون موسى ، وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولاً وأطولهم عمراً ، واسمه فيما ذكره الوليد بن مضع ، وكان سىء الملكة على بني إسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولاً ويسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يستنقذهم بلغ موسى الأشد وأعطاه الرسالة ، وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى أنه رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فاحرقت القبط وتركت بني إسرائيل وأخرت بيوت مصر ، فدعا السحرة والحزاة^(١) والكهنة ، فسألهم عن رؤياه ، فقالوا : يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك مصر ، فامر أن لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ويترك الجوارى ، وقيل : انه لما تقارب زمان موسى أتى المنجمون فرعون وحزاته إليه ، فقالوا : اعلم انا نجد في علمنا ان مولودا من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولديه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك ، فامر بقتل كل مولود يولد في بني إسرائيل * وقيل : بل تذاكر فرعون وجلساؤه معاً ما وعد الله عز وجل إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل لينظرون ذلك ، وقد كانوا يظنون يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا وعد الله إبراهيم ، فقال فرعون : كيف ترون ؟ فاجمعوا على أن يبعث رجالا يقتلون كل مولود في بني إسرائيل وقال للقبط : انظروا بمالكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون ذلك فجعل بني إسرائيل في أعمال غلبانهم فذلك حين يقول الله عز وجل (ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم) فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ؛ وكان يأمر بتعذيب الجبالى حتى يضعن ، فكان يشقق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع أقدامهن ، وكانت المرأة تضع فتقى بولدها القصب ، وقضى الله الموت في مشيخة بني إسرائيل ، فدخل رؤس القبط على فرعون وكلوه ، وقالوا :

(١) قال في لسان العرب وللذى ينظر في النجوم حزاء لانه ينظر في النجوم واحكامها بظنه وتقديره فر بما اصابه

ان هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلبانا. تذبح الصغار وتقي الكبار؟ افلو أنك كتبت تبقى من أولادهم فامرهم أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فلما كان في تلك السنة التي تركوا فيها ولد هرون، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها وهي السنة المقبلة، فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه فأوحى الله اليها أي أهمها (أن أرضيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم) — وهو النيل — (ولا تخافي ولا تحزني إن ارادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فلما وضعت أرضعته، ثم دعت نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم، فلما توارى عنها أتاها إبليس فقالت في نفسها: ما الذي صنعت بنفسي؟ لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي الى حيطان البحر ودوابه، فلما ألقته (قالت لأخته) واسمها مريم (قصيه) يعني قصي أثره (فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) أنها أخته فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند دور فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن، فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية وظن أن فيه مالا فلما فتح ونظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبهته، فلما أخبرت به فرعون وأتته به قالت هو (قرة عين لي ولك لا تقتلوه)، فقال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه، قال النبي ﷺ: والذي يحلف به لو أقر فرعون ابن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كماهداها، وأراد أن يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركها، وقال إني أخاف أن يكون هذا من بني اسرائيل، وان يكون هذا الذي على يديه هلاكنا فذلك قوله عز وجل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وأزادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء فذلك قوله (وحرمنا عليه المرضع من قبل) فقالت أخته مريم: (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟) فأخذوها وقالوا: ما يدريك ما نصحهم له؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك فقالت: نصحهم له شفقتهم عليه ورغبتهم في قضاء حاجة الملك ورجاء منفعتهم، فانطلقت الى أمه فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما أعطته ثديها أخذ منها فكادت تقول: هذا ابني فعصمها الله - وإنما سمي موسى لانه وجد في ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا - فذاك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) وكان غيبته عنها ثلاثة أيام وأخذته معها الى بيتها، واتخذته فرعون ولدا فدعى ابن فرعون فلما تحرك الغلام حملته أمه الى آسية فأخذته ترقصه وتلعب به وناولته فرعون. فلما أخذه اليه

(١٣٢ - ج ١ السكامل)

أخذ الغلام بلحيته فنتفها ، قال فرعون على بالذباحين يذبحونه هو هذا قالت آسية : (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) انما هو صبي لا يعقل ، وانما فعل هذا من جهل ، وقد علمت انه ليس في مصر امرأة أكثر حلياً مني أنا أضع له حلياً من ياقوت وجمراً ، فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وان أخذ الجمراً فانما هو صبي ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتاً من جمراً ، فجاء جبريل فوضع يده في جمرة ، فأخذها فطرحها موسى في فمه فأحرقت لسانه ، فهو الذي يقول الله تعالى : (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) فدرأت عن موسى بتلك القتل *

و كبر موسى ، وكان يركب مركب فرعون ، ويابس ما يابس ، ويدعى موسى بن فرعون ، وامتنع به بنو اسرائيل ولم يبق قبطنى يظلم اسرائيلياً خوفاً منه ، ثم ان فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : فرعون قد ركب فرعون موسى في أثره فأدر كه المقييل بارض يقال لها منف وهذه منف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هي مصر يوسف الصديق وهي الآن قرية كبيرة فدخل نصف النهار - وقد أغلقت أسواقها - على حين غداة من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول : هذا اسرائيلي قيل : انه السامري وهذا من عدوه يقول : من القبط ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فغضب موسى لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ، وكان قد حماهم من القبط وكان الناس لا يعلمون أنه منهم بل كانوا يظنون ان ذلك بسبب الرضاع ، فلما اشتد غضبه وكزه (فقضى عليه قال : هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) قال : « رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم) أوحى الله تعالى الى موسى وعزتي لو أن النفس التي قتلت أقرت لي ساعة واحدة اني خالق رازق » لأذقتك العذاب قال : « رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للجرمين » فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) أن يؤخذ ، (فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) يقول يستعينه (قال له موسى إنك لغوى مبين) ثم أقبل لينصره ، فلما نظر الى موسى وقد أقبل نحوه ليطش بالرجل الذي يقاتل الاسرائيلي خاف أن يقتله من أجل انه أغلظ له في الكلام قال : (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ ان تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) فترك القبطى فذهب فافشي عليه ان موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال : خذوه فانه صاحبنا ، فجاء رجل فاخبره ، وقال له : (ان الملائكة ياتمرون بك لينتلكوا فخرج) قيل : كان حزقيل مؤمن آل فرعون كان

على بقية من دين ابراهيم عليه السلام وكان اول من آمن بموسى *
 فلما أخبره خرج من بينهم (خائفاً يترقب قال : رب نجني من القوم الظالمين) وأخذ
 في ثنيات الطريق ، فجاءه ملك على فرس وفي يده عنزة . وهي الحربة الصغيرة فلما رآه موسى
 سجد له من الفرق ، فقال له : لا تسجد لي ولكن اتبعني فهده نحو مدين ، وقال موسى وهو
 متوجه إليها : (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) فانطلق به الملك حتى انتهى به الى مدين فكان
 قد سار وليس معه طعام وكان يأكل ورق الشجر ، ولم يكن له قوة على المشي فما بلغ مدين
 حتى سقط خفاً قدمه *

(فلما ورد ماء مدين - قصد الماء - وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم
 امرأتين تذودان) أي تحبسان غنمهما وهما ابنتا شعيب النبي وقيل : ابنتا يثرون وهو ابن
 أخي شعيب ، فلما رآهما موسى سألهما (ما خطبكما ؟) قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبنا
 شيخ كبير) فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون
 عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما فرجعتا سريعا و كانتا انما تسقيان من فضول الحياض
 وقصد موسى شجرة هناك ليستظل بها ، فقال : (رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير)
 قال ابن عباس : لقد قال موسى ذلك ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة
 الجوع لفعل وما سأل الا أكله ، فلما رجع الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فأخبرتا ،
 فاعاد إحداهما الى موسى تستدعيه فأتته وقالت له (ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت
 لنا) فقام معها فمشت بين يديه ، فضربت الريح ثوبها ، فحكى عجيزتها فقال لها : امش
 خلفي ودليني على الطريق فانا أهل بيت لا ننظر في اعقاب النساء ، فلما أتاه (وقص عليه
 القصص قال : لا تخف نجوت من القوم الظالمين) قالت أحدهما : — وهي التي احضرته —
 (يا أبت ! استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين) قال لها أبوها : القوة قدر أيتها فما
 يدريك بأمانته ؟ فذكرت له ما أمرها به من المشي خلفه ، فقال له أبوها : (اني أريد أن
 أنكحك إحدى ابنتي هاتين على ان تأجرني) نفسك (ثماني حجيج فان أتممت عشرا فمن
 عندك) فقال له موسى : (ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على
 ما نقول وكيل) فاقام عنده يومه ، فلما أمسى أحضر شعيب العشاء ، فامتنع موسى من الأكل ،
 فقال : ولم ذلك ؟ قال : انا من أهل بيت لا نأخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا بأسرها ،
 فقال شعيب : ليس لذلك أطعمتك انما هذه عادتي وعادة آبائي فأكل ، وازدادت رغبة
 شعيب في موسى ، فزوجه ابنته التي احضرته واسمها صفورا ، وأمرها ان تأتيه بعصا

فأنته بعضا ، وكانت تلك العصا قد استودعها إياه ملك في صورة رجل ، فدفعها إليه فلما رآها أبوها أمرها بردها والأتیان بغيرها فألقها وأرادت ان تأخذ غيرها فلم تقع بيدها سواها وجعل يرددها وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها ، فأخذها موسى ليرعى بها ، فندم أبوها حيث أخذها وخرج إليه ليأخذها منه حيث هي وديعة ، فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه ، فحكا أول رجل يلقاها ، فأتاها ملك في صورة آدمي ، فقضى بينهما ان يضعها موسى في الارض ، فمن حملها فهي له ، فألقاها موسى ، فلم يطق أبوها حملها ، وأخذها موسى بيده ، فتركها له ؛ وكانت من عوسج لها شعبتان وفي رأسها محجن ؛ وقيل : كانت من آس الجنة حملها آدم معه ، وقيل في أخذها غير ذلك *

وأقام موسى عند شعيب ، يرعى له غنمه عشر سنين وسار بأهله في زمن شتاء وبرد ، فلما كانت الليلة التي أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتدائه فيها بنبوته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه ؛ وكانت امرأته حاملا ، فأخذها الطلق في ليلة شاتية ذات مطر ورعد وبرق ، فأخرج زنده ليقدم نار الأهل ليصطلوا ويبتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه ، فاصلد زنده فقدم حتى أعيا ، فرفعت له نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله (فقال لأهله : امكثوا إني آنست ناراً لعل آتيكم منها بخبر) ، فان لم أجد خيرا (آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) فحين قصدها رآها نورا امتداً من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج ، وقيل من العناب فتحير موسى وخاف حين رأى نارا عظيمة بغير دخان وهي تلتهب في شجرة خضراء لا تزداد النار إلا عظما ولا تزداد الشجرة إلا خضرة *

فلما دنا منها استأخرت عنه ففرع ورجع ، (فنودي) منها ، فلما سمع الصوت استأنس فعاد ، فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن من الشجرة في البقعة المباركة أن بورك من في النار ومن حولها يا موسى إني انا الله رب العالمين *

فلما سمع النداء ورأى تلك الهيئة علم انه ربه تعالى فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت قوته وصار حيا كميث إلا أن الروح تتردد فيه فأرسل الله إليه ملكا يشد قلبه فلما تاب إليه عقله نودي (اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) وانما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت وقيل : لينال قدمه الأرض المباركة *

ثم قال له - تسكينا لقلبه - : (وما تلك يمينك يا موسى ؟ قال : هي عصاى اتوكأ عليها واهربها على غنمي) يقول : أضرب الشجر فيسقط ورقه للغنم (ولى فيها مآرب أخرى) احمل عليها المزود والسقاء ، وكانت تضيء لموسى في الليلة المظلمة ، وكانت إذا أعوزه الماء

دلاها في البئر فينال الماء ويصير في رأسها شبه الدلو ، وكان إذا اشتهى فاكهة غرسها في الأرض فنبتت لها اغصان تحمل الفاكهة لوقتها قال له : ألقها يا موسى فألقاها موسى فاذا هي حية تسعى عظيمة الجثة في خفة حركة الجان *

فلما رآها موسى وليّ مدبرا ولم يعقب فنودي : يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون : أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى عصا ، وإنما أمره الله بالقاء العصا حتى إذا ألقاها عند فرعون لا يخاف منها فلما أقبل قال : خذها ولا تخف وأدخل يدك فيها ، وكان على موسى جبة صوف فلف يده بكمه وهو لها هائب ، فنودي ألق كمك عن يدك فألقاه وأدخل يده بين لحييها فلما أدخل يده عادت عصا كما كانت لا ينكر منها شيئا *

ثم قال له : أدخل يدك في جيبيك تخرج بيضاء من غير سوء يعني برصاً ، فأدخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لهانور ، ثم ردها فعادت كما كانت ، فقيل له : هذان برهانا من ربك إلى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين * قال (: رب ! إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون * وأخى هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً يصدقني) أي يبين لهم عنى ما أكلهم به فانه يفهم عنى ما لا يفهمون ، قال : (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون اليك بآياتنا أتتاً ومن اتبعك الغالبون) *

فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً ، فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه فجاء هرون ، فسألها عنه ، فاخبرته انه ضيف فدعاه فأكل معه وسأله هرون من أنت ؟ قال : أنا موسى فاعتنقا *

وقيل ان الله ترك موسى سبعة أيام ، ثم قال : أجب ربك فيما كلمك ، فقال : (رب اشرح لي صدري) الآيات فأمره بالمسير إلى فرعون ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون ما فعل حتى مر راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم إلى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر فساروا إليه *

وأما موسى فانه سار إلى مصر ، وأوحى الله إلى هرون يعلمه بقول موسى ويأمره بتلقيه ، فخرج من مصر فالتقى به قال موسى يا هرون ! ان الله تعالى قد أرسلنا إلى فرعون ، فانطلق معي إليه قال : سمعاً وطاعة *

فلما جاء إلى بيت هرون وأظهر أنهما ينطلقان إلى فرعون سمعت ذلك ابنة هرون فصاحت أمهما ، فقالت : انشد كما الله أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما جميعاً ، فايا ، فانطلقا

البه ليلا ، فضربا بابه ، فقال فرعون لبوابه : من هذا الذى يضرب بابي هذه الساعة ؟
فأشرف عليهما البواب فكلمهما ، فقال له موسى : إنا رسولا رب العالمين ، فأخبر
فرعون فادخل اليه *

وقيل : ان موسى وهرون مكثا سنتين يغدوان الى باب فرعون ويروحان يلتمسان
الدخول اليه ، فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما حتى أخبره مسخرة كان يضحك بقوله فامر
حينئذ فرعون بادخالهما *

فلما دخلا قال له موسى : إني رسول من رب العالمين فعرفه فرعون ، فقال له : (ألم نريك
فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) ؟
قال : (فعلتها إذا وأنا من الضالين ففكرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) - يعنى
نبوة - (وجعلني من المرسلين) فقال له فرعون : (ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت
من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) قد فتح فاه فوضع اللحي الاسفل
في الارض والاعلى على القصر وتوجه نحو فرعون ليأخذه ؛ فخافه فرعون ، ووثب فزعا
فأحدث في ثيابه ؛ ثم بقى بضعا وعشرين يوماً يجيء بطنه حتى كاد يهلك ؛ وناشده فرعون
بربه تعالى أن يرد الثعبان ، فأخذه موسى فعاد عصا ، ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء
كالثالج لها نور يتلأأ ، ثم ردها فعادت الى ما كانت عليه من لونها ، ثم أخرجها الثانية
لها نور ساطع في السماء تكل منه الابصار قد أضاءت ما حو لها يدخل نورها البيوت ويرى
من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ، ثم ردها موسى في جيبه
وأخرجها فاذا هي على لونها *

وأوحى الله تعالى إلى موسى وهرون ان : (قولاه قولنا لعله يتذكر أو يخشي) ،
فقال له موسى : هل لك في أن أعطيك شبابك فلا تهرم وملكك فلا ينزع وأرد اليك لذة
المنالك والمشارب والركوب فاذا امت دخلت الجنة وتؤمن بي ؟ فقال لا : حتى يأتي هامان ،
فلما حضر هامان عرض عليه قول موسى فعجزه ، وقال له : تصير تعبد بعد أن كنت
تعبد ، ثم قال له : أنا أرد عليك شبابك ، فعمل به الوسمة ؛ فخضبه بها فهو أول من
خضب بالسواد فلما رآه موسى هاله ذلك فأوحى الله اليه لايهولنك ما ترى فلن يلبث
إلا قليلا *

فلما سمع فرعون ذلك خرج الى قومه ، فقال : ان هذا لساحر عليم وأراد قتله ، فقال

سرم من آل فرعون :- واسمه حزقييل - (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات:؟ وقال الملا من قوم فرعون: أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحر عليم) ، ففعل وجمع السحرة فكانوا سبعين ساحرا ، وقيل اثنين وسبعين ، وقيل خمسة عشر ألفا ، وقيل ثلاثين ألفا فوعدهم فرعون واتعدوا يوم عيد كان لفرعون ، فصفهم فرعون وجمع الناس ، وجاء موسى ومعه أخوه هرون ويده عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع اشراف قومه ، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) ، فقال السحرة بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر؟ ثم قالوا النأتينك بسحر لم تر مثله ، (وقالوا: بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) ، فقال له: السحرة: (يا موسى إما ان تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال ، بل ألقوا فalcوا حبالهم وعصيهم) فاذا هي في رأى العين حيات أمثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ، فاجس موسى خوفا . فأوحى الله اليه أن ألق ما في يمينك تلقف ماصنوا ، فلقى عصاه من يده فصارت ثعبانا عظيما فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي كالجيات في أعين الناس ، فجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم تبق منها شيئا ، ثم أخذ موسى عصاه فاذا هي في يده كما كانت ، وكان رئيس السحرة أعمى ، فقال له أصحابه: ان عصا موسى صارت ثعبانا عظيما وتلقف حبالنا وعصينا ، فقال لهم: ولم يبق لها أثر ولا عادت الى حالها الأول ، فقالوا لا ، فقال: هذا ليس بسحر ، فخر ساجدا وتبعه السحرة أجمعون ، (وقالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ، قال فرعون: آمنتم به قبل أن آذن لكم؟ انه لكبيركم الذى علمكم السحر ، فلا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولا أصلبنكم في جذوع النخل) . فقطعهم وقتلهم وهم يقولون: (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) فكانوا أول النهار كفارا وآخر النهار شهداء *

و كان حزقييل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه قيل: كان من بنى اسرائيل ، وقيل: كان من القبط ، وقيل: هو النجار الذى صنع التابوت الذى جعل فيه موسى وألقى في النيل: فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر إيمانه ، وقيل: أظهر إيمانه قبل ذلك ، وكان فرعون أراد قتل موسى ، (فقال: أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) : فلما أظهر إيمانه قتل وصلب مع السحرة *

و كان له امرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضا وكانت ماشطة ابنة فرعون ، فبينما هي تمشطها اذ وقع المشط من يدها ، فقالت: بسم الله ، فقالت ابنة فرعون: أبي قالت: لا بل

ربي وربك ورب ابيك، فاخبرت اباها بذلك، فدعا بها وبولدها، وقال لها من ربك؟ قالت: ربي وربك الله، فأمر بتنور نحاس فأحى ليعذبها وأولادها، فقالت له: انى اليك حاجة قال: وما هي؟ قالت: تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها قال: ذلك لك؛ فأمر بأولادها فالتقوا فى التنور واحدا واحدا؛ وكان آخر أولادها صيبا صغيرا؛ قال: اصبرى يا أمه فانك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها *

و كانت آسية امرأة فرعون من بني اسرائيل، وقيل: كانت من غيرهم، وكانت مؤمنة تكتم إيمانها فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها، وكانت تنظر اليها وهى تعذب. فلما رأت الملائكة قوى إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى. فبينما هى كذلك اذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة. قالت له آسية: الويل لك ما أجراك على الله؟ فقال لها: لعلك اعتراك الجنون الذى اعترى الماشطة فقالت: ما بى جنون ولكنى آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين. فدعا فرعون أمها. وقال لها: ان ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة. فاقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى فخلت بها أمها وأرادتها على موافقة فرعون فأبت وقالت: أما أن أ كفر بالله فلا والله. فأمر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت. فلما عاينت الموت قالت: (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين) فكشف الله عن بصيرتها. فرأت الملائكة وما أعد لها من الكرامات. فضحكت. فقال فرعون: انظروا الى الجنون الذى بها تضحك وهى فى العذاب ثم ماتت *

ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب بن موسى خاف أن يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاحتال لنفسه، وقال لوزيره. يا هامان: ابن لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وانى لأظنه كاذبا فأمر هامان بعمل الآجر وهو أول من عمله^(١) وجمع الصناع وعمله فى سبع سنين، وارتفع البنيان ارتفاعاً لم يبلغه بنيان آخر، فشق ذلك على موسى واستعظمه، فأوحى الله إليه أن دعه وما يريد، فاني مستأرجه ومبطل ما عمله فى ساعة واحدة، فلما تم بناؤه أمر الله جبريل فخر به واهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل *

(١) فى التوراة ان بنى اسرائيل كانوا بسخرون فى عمل الطوب ومن عملهم مديننا (مخازن فيثوم) و (وعسيس) فقرة ١١ من الاسحاح الاول من سفر الخروج وبميد جداً انهم كانوا لا يحرقون الطوب *

فلما رأى فرعون ذلك من صنع الله أمر أصحابه بالشدّة على بني اسرائيل وعلى موسى ففعلوا ذلك، وصاروا يكلفون بني اسرائيل من العمل مالا يطيقونه، وكان الرجال والنساء في شدّة وكانوا قبل ذلك يطعمون بني اسرائيل اذا استعملوهم، فصاروا لا يطعمونهم شيئاً فيعودون بأسوء حال يريدون يكسبون ما يقوتهم فشكوا ذلك الى موسى، فقال لهم: استعينوا بالله واصبروا ان العاقبة للمتقين وان الله يستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون * فلما ابي فرعون وقومه إلا الثبات على الكفر تابع الله عليه الآيات فأرسل عليهم الطوفان وهو المطر المتتابع فغرق كل شيء لهم فقالوا يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا ونحن توّمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم فقالوا ما يسرنا أنالم نمطر *

فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم فسألوا موسى أن يكشف ما بهم ويؤمنون به فدعا الله، فكشفه، فلم يؤمنوا وقالوا قد بقي من زروعنا بقية *

فأرسل الله عليهم الدبا وهو القمل فأهلك الزرع والنبات أجمع، وكان يهلك أطعمتهم ولم يقدرُوا أن يحترزوا منه فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ففعل فلم يؤمنوا *

فأرسل الله عليهم الضفادع، وكانت تسقط في قدورهم وأطعمتهم وملأت البيوت عليهم، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا به ففعل فلم يؤمنوا * فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه الفرعونيين دماً، وكان الفرعوني والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيأخذ الاسرائيلي ماء ويأخذ الفرعوني دماً، وكان الاسرائيلي يأخذ الماء في فمه فيمجه في فم الفرعوني فيصير دماً فبقي ذلك سبعة أيام، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا ففعل فلم يؤمنوا *

فلما يئس من إيمانهم ومن إيمان فرعون دعا موسى وأمن هرون، فقال (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ما عدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم حجارة والنخل والأطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت إحدى الآيات التي جاء بها موسى *

فلما طال الأمر على موسى أوحى الله اليه يأمره بالمسير إلى اسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالارض المقدسة، فسأل موسى عنه فلم يعرفه إلا امرأة عجوز فأرته مكانه في النيل، فاستخرجه موسى وهو في صندوق مرمر، فاخذه معه فسار

(١٤٢ - ج ١ الكامل)

وامر بنى اسرائيل أن يستعيروا من حلى القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيئا كثيرا وخرج موسى ببني اسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون، وكان موسى على ساقه بنى اسرائيل وهرون على مقدمتهم، وكان بنو اسرائيل لما ساروا من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفا وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان * (فلما تراى الجمعان قال أصحاب موسى: إنا لمدركون) يا موسى! أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، اما الأول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأما الآن فيدركننا فرعون فيقتلنا قال موسى (كلا ان معى ربي سيهدين) *

وبلغ بنو اسرائيل إلى البحر وبقي بين أيديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك؛ فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق، فقال كل سبط، قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشباك؛ فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا؛ ودنا فرعون وأصحابه من البحر، فرأى الماء على هيئته والطرق فيه، فقال لأصحابه ألا ترون البحر قد فرق منى وانفتح لى حتى أدرك أعدائى؟ فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أثى وديق^(١) فشمته الحصن ريحها، فافتحمت فى أثرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم، فأغرقهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم، وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من حمأة^(٢) البحر فيجعلها فى فيه، وقال: حين أدركه الغرق: آمنت انه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وغرق، فبعث الله اليه ميكائيل يعيره، فقال له (آلا آن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وقال جبريل للنبي ﷺ: لو رأيتنى وأنا أدس من حمأة البحر فى فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها فلما نجا بنو اسرائيل قالوا ان فرعون لم يغرق، فدعا موسى، فاخرج الله فرعون غريقا، فاخذ بنو اسرائيل يتمثلون به، ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الأصنام، فقالوا يا موسى اجعل لنا إله كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون فتركوا ذلك *

ثم بعث موسى جندين عظيمين كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهى يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم، ولم يبق غير النساء والصبيان^(٣) والزمنى

(١) يتال لدوات الحافرا اذا ارادت الفحل ودوق ووديق اه صحاح (٢) والحماة والحاطين اسود من سنن اهمفردات راغب (٣) هذه مبالغة فان عامة جند فرعون لا يبلغ ان يكون عشرين من كل مائة ويبقى بعدهم فى البلاد ثمانون فى المائة

والمرضى والمشايخ والعاجزين ، فدخلوا البلاد وغنمو الأموال . وحملوا ما أطاقوا وباعوا ما عجزوا عن حمله على غيرهم ، وكان على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر انه اذا خرج مع بنى اسرائيل منها ، وأهلك الله عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون *

فلما أهلك الله فرعون وأنجى بنى اسرائيل قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذى وعدتنا ، فسأل موسى ربه ذلك فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً ويتطهر ويطهر ثيابه ، ويأتى الى الجبل جبل طور سيناء ليكلمه ويعطيه الكتاب ، فصام ثلاثين يوماً ولها أول ذى القعدة وسار الى الجبل واستخاف أخاه هرون على بنى اسرائيل *

فلما قصد الجبل أنكر ريح فيه فتسوك بعود خرنوب ، وقيل تسوك بلحاء شجرة فأوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ؟ وأمره أن يصوم عشرة أيام أخرى فصامها وهى عشر ذى الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة ففى تلك الليالى العشر افتن بنو اسرائيل لان الثلاثين انقضت ولم يرجع إليهم موسى *

وكان السامرى من أهل باجرمى^(١) وقيل من بنى اسرائيل ، فقال هرون : يا بنى اسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم والحلى الذى استعتموه من القبط غنيمة ، فاحفروا حفرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ، ففعلوا ذلك ، وجاء السامرى بقبضة من التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل فألقاه فيه فصار الحلى عجلاً جسداً له خوار^(٢) وقيل : إن الحلى ألقى فى النار فذاب فألقى السامرى ذلك التراب فصار الحلى عجلاً جسداً له خوار ، وقيل : كان يخور ويمشى ، وقيل : ما خار الامرة واحدة ولم يعد ؛ وقيل : ان السامرى صاغ العجل بزنى ذلك الحلى فى ثلاثة أيام ، ثم قذف فيه التراب ، فقام له خوار ، فلما رآوه قال لهم السامرى : هذا إلهكم وإله موسى فنسى موسى وتركه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه ، فقال لهم هرون : يا قوم . انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى . فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم . فأقام بمن معه ولم يقاتلهم ولما ناجى الله تعالى موسى . قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال : هم أولاء على

(١) باجرمى بنتج الجيم وسكون الزاء وميم والفاء مقصورة قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة اه مرصد الاطلاع : والبليخ نهر يصب فى الفرات تجاه أرض صغين الواقعة الشهيرة ضمن متصرفية دير الزور . الادارة (٢) الذى اعتقده انه اشترى بمن الحلى عجلاً جسداً اي لماودما . له خوار ومع هذا فانهم لعباوتهم وسخافة عقولهم وظهورانه عجل لا يتدبر عن اى عجل آخر قد عبده وعكفوا عليه *

أثرى وعجلت اليك ربى لترضى . قال فانا قدفتنا قومك من بعدك يا موسى وأضلهم السامرى .
فقال موسى : يا رب هذا السامرى قد أمرهم أن يتخذوا العجل ، من نفخ فيه الروح ؟
قال أنا قال فأنت اذن أضللتهم *

ثم إن موسى لما كلمه الله تعالى أحب أن ينظر اليه قال : (رب أرني أنظر اليك قال لن
تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) فتجلى الله تعالى (للجبل فجعله دكا ،
وخر موسى صعقا فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) ، وأعطاه الألواح
فيها الحلال والحرام والمواظ ، وعاد موسى ولا يقدر أحد أن ينظر اليه ، وكان يجعل
عليه حريرة نحو أربعين يوماً ثم يكشفها لما تغشاه من النور ، فلما وصل الى قومه ورأى
عبادتهم العجل ألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه ولحيته يجره اليه قال : يا ابن أم !
لا تأخذ باحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول : فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب
قولى ، فترك هرون ، وأقبل على السامرى ، وقال : ما خطبك يا سامرى ؟ قال : بصرت
بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى . قال :
فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس *

ثم أخذ العجل وبرده بالمبارد ، وأحرقه ، وأمر السامرى فبال عليه وذراه فى البحر *
فلما ألقى موسى الألواح ذهب ستة أسباعها وبقي سبع ، وطلب بنو إسرائيل التوبة
فأبى الله أن يقبل توبتهم ، وقال لهم موسى : يا قوم ! إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ،
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فاقتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه ، فكان من قتل
من الفريقين شهيدا ، فقتل منهم سبعون ألفاً ، وقام موسى وهرون يدعوان الله فعفا
عنهم ، وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم ، وأراد موسى تبيين السامرى فأمره الله
بتركه ، وقال : إنه سخي فلغنه موسى *

ثم إن موسى اختار من قومه سبعين رجلا من أختيارهم ، وقال لهم : انطلقوا معى الى الله
فتوبوا بما صنعتم وصوموا وتطهروا ، وخرج بهم الى طور سيناء للميقات الذى وقته
الله له فقالوا : اطلب أن نسمع كلام ربنا فقال : أفعل *

فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودخل فيه موسى
وقال : للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا فى الغمام فوقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم
موسى يأمره وينهاه فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل اليهم فقالوا لموسى :
(لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة) فأتوا جميعا فقام موسى يناشد الله

ويدعوه ويقول: يارب! اخترت أخيار بني اسرائيل وأعود اليهم وليسوا معي فلا يصدقوني ولم يزل يتضرع حتى رد الله اليهم أرواحهم فعاشوا رجلاً رجلاً ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون فقالوا: يا موسى! أنت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء فدعا الله فجعلهم أنبياء * وقيل: أمر السبعين كان قبل أن يتوب الله على بني اسرائيل فلما مضوا الليقات واعتذروا قبل توبتهم وأمرهم أن يقتل بعضهم بعضاً والله أعلم *

ولما رجع موسى إلى بني اسرائيل ومعه التوراة أبو أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للثقيل والشدة التي جاء بها وأمر الله جبريل، فقطع جبلاً من فلسطين على قدر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ ورفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل مثل الظلة، وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم البحر من خلفهم، فقال لهم موسى: خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا، فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به وإلا رضختكم بهذا الجبل، وغرقتكم في هذا البحر واحرقتم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصارت سنة في اليهود يسجدون على جانب وجوههم، وقالوا: سمعنا وأطعنا *

ولما رجع موسى من المناجاة بقي أربعين يوماً لا يراه أحد إلا مات، وقيل ما رآه إلا عمى فجعل على وجهه ورأسه برنساً لئلا يرى وجهه *

ثم إن رجلاً من بني اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله وحمله وألقاه، ووضع آخر، ثم أصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني اسرائيل، فجدوا فسأل موسى ربه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة، فقالوا (أتخذنا هزواً؟ قال: أعود يا الله أن أكون من الجاهلين) المستهزئين، فقالوا له: ماهي؟ ولو ذبحوا بقرة ما لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشد الله عليهم، وإنما كان تشديدهم لأن رجلاً منهم كان برأبأمه، وكان له بقرة على النعت المذكور، فنفعه بره بأمه، فلم يجدوا على الصفة المذكورة إلا بقرة، فباعها منهم بملء جلودها ذهباً^(١) فلما سألو موسى عنها (قال: إنها بقرة لا فارض ولا بكر) يقول: لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين، (قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال: انه يقول: انها بقرة صفراء فاقع^(٢) لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي: ان البقر تشابه علينا * قال: انه يقول: انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلبة

(١) هذه مبالغة على الطريقة الفارسية في الإدارة، ولعل الأستاذ يشير إلى من اعتنقوا اليهودية من أبناء

فارس كوه بن منبه (٢) يقال اصفر فاقع اذا كان صادق الصفرة كقوله أسود حالك *

لاشية فيها) يعني لا عيب فيها وقيل: لا بياض فيها، قالوا (الآن جئت بالحق) وطلبوها فلم يجدوا إلا بقرة ذلك الرجل البار بأمه، فاشتروها، فغالى بها حتى أخذم جلد لها ذهباً، فذبحوها وضربوا القليل بلسانها؟ وقيل بغيره فخي وقال: قتلتى فلان ثم مات (١) *

﴿ ذكر أمر بني اسرائيل في التيه و وفاة هرون عليه السلام ﴾

ثم ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسير ببني اسرائيل الى أريحا بلد الجبارين وهي أرض بيت المقدس، فساروا حتى كانوا قريباً منهم، فبعث موسى اثني عشر نقيباً من سائر أسباط بني اسرائيل، فساروا ليأتوا بخبر الجبارين، فلقيهم رجل من الجبارين يقال له «عوج بن عناق»، فأخذ الاثني عشر، فحملهم وانطلق بهم الى امرأته، فقال: انظري الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون أن يقاتلونا وأراد أن يطأهم برجله، فمنعته امرأته، وقالت: اطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك؛ فلما خرجوا قال بعضهم لبعض: إنكم إن أخبرتم بني اسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم، فاكتموا الأمر عنهم، وتعاهدوا على ذلك، ورجعوا، فنكث عشرة منهم العهد وأخبروا بما رأوا. وكم رجلا من منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا (٢) ختن موسى ولم يخبروا إلا موسى وهرون *

فلما سمع بنو اسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير اليهم (فقال لهم موسى: يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا تترددوا على أدباركم فتقلبوا خاسرين)، قالوا: يا موسى ان فيها قوما جبارين، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون (قال رجلا من)، وهما يوشع وكالب (من الذين يخافون أنعم الله عليهما): ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون، قالوا: يا موسى. انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) فغضب موسى، فدعا عليهم، فقال (رب اني لأملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) وكانت عجلة من موسى، فقال الله تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) فندم موسى حينئذ فقالوا له: فكيف لنا بالطعام؟ فأنزل الله المن والسلوى * فاما المن فقيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على الأشجار، وقيل هو الترنجيين، وقيل هو

(١) ليس في التوراة شيء من قصة القليل ولكنهم يجعلون ذبح بقرة حراء سليمة من العيوب لم يعلمها انير فتذبح وتحرق بكيفية خاصة وتكون ذبيحة عطية ولكن ما في القرآن المهيمن على التوراة وغيرها هو الصحيح لا سواء (٢) كذا في الاصول: وفي تاريخ الطبري بوفنة * وتقدم في ترجمة منوچهر صحيفة ٩٢ وفي الطبري لمنوچهر بدله *

الخبز الرقاق، وقيل هو عسل كان ينزل لكل انسان صاع * وأما السلوى فهو طائر يشبه السمانى فقالوا: أين الشراب؟ فأمر موسى (فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) لكل سبط عين، فقالوا: أين الظل؟ فظلل عليهم الغمام، فقالوا أين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتمزق لهم ثوب، ثم (قالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، قال: أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير؟ اهبطوا مصر فان لكم ما سألتهم) * فلما خرجوا من التيه رفع عنهم المن والسلوى *

ثم ان موسى التقى هو وعوج بن عناق^(۱) فوثب موسى عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عوج فقتله * وقيل عاش عوج ثلاثة آلاف سنة *

ثم ان الله أوحى الى موسى انى متوفى هرون، فأت به جبل كذا وكذا، فانطلقا نحوه، فاذا هم فيه بشجرة لم يروا مثلها وفيه بيت مبنى وسرير عليه فرش وريح طيبة، فلما رآه هرون أعجبه، قال: يا موسى! انى أريد أن انام على هذا السرير، فقال له موسى، ثم قال انى أخاف رب هذا البيت أن يأتى فيغضب على قال موسى: لا تخف أنا أ كفيك؟ قال: قم معى فلما ناما أخذ هرون الموت، فلما وجد حسه قال، يا موسى! خدعتنى فتوفى ورفع على السرير الى السماء^(۲) ورجع موسى الى بنى اسرائيل، فقال له بنو اسرائيل انك قتلت هرون لحبنا إياه: فقال: ويحكمم افترون أنى أقتل أخى؟ فلما أ كثروا عليه صلى ودعا الله، فنزل بالسرير حتى نظر وا اليه ما بين السماء والأرض، فاخبرهم أنه مات؛ وان موسى لم يقتله، فصدقوه. وكان موته فى التيه *

﴿ ذكر وفاتة موسی علیہ السلام ﴾

قيل: بينما موسى عليه السلام يمشى ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريح سوداء، فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة، فالتزم موسى، وقال لا تقوم الساعة وأنا ملتزم نبي الله فاستل موسى من تحت القميص وبقي القميص فى يدي يوشع، فلما جاء يوشع بالقميص اخذه بنو اسرائيل وقالوا: قتلت نبي الله فقال: ما قتلته ولكنه استل منى فلم يصدقوه. قال فاذا لم

(۱) خرافة ليس الاصل (۲) لعمري لا أدري من اين جاءت هذه الخرافة؟!

تصدقوني فاخروني ثلاثة ايام فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فاتي كل رجل كان يحرسه في المنام
فاخبر ان يوشع لم يقتل موسى فانا رفعناه الينا فتركوه *

وقيل: ان موسى كره الموت فأراد الله ان يحب اليه الموت فأوحى الله إلى يوشع بن نون
وكان يغدو عليه ويروح، ويقول له موسى: يانبي الله ما أحدث الله اليك؟ فقال له يوشع بن
نون: يانبي الله ألم اصحبك كذا وكذا سنة؟ فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله لك؟ ولا
يذكر له شيئاً فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت *

وقيل: انه مر منفرداً برهط من الملائكة يحفرون قبراً فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن
منه ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والبهجة، فقال لهم ياملائكة الله! لمن تحفرون هذا القبر؟
فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه فقال: ان هذا العبد له منزل كريم ما رأيت مضجعا
ولا مدخلا مثله فقالوا: أتحب أن يكون لك قال: وددت قالوا: فانزل واضطجع فيه
وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفس تنفسه. فنزل فيه وتوجه إلى ربه. ثم تنفس
فقبض الله روحه. ثم سوت الملائكة عليه التراب *

وكان صلى الله عليه وسلم زاهداً في الدنيا راغباً فيما عند الله انما كان يستظل في عريش ويأكل
ويشرب من نقيير من حجر تواضعا إلى الله تعالى * وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ان الله أرسل ملك
الموت ليقبض روحه، فلطمه ففقا عينه فعاد وقال: يارب أرسلني إلى عبد لا يحب
الموت، قال الله: ارجع له، وقل له: يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده
سنة، وخيره بين ذلك وبين أن يموت الآن، فأتاه ملك الموت وخيره، فقال له: فابعد
ذلك؟ قال: الموت قال: فالآن اذا قبض روحه، وهذا القول صحيح قد صح النقل به ^(١)
عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكان موته في التيه أيضا. وقيل بل هو الذي فتح مدينة الجبارين على
ما نذ كره *

وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة من ذلك في ملك افريدون عشرون وفي
ملك منوجهر مائة سنة. وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله إلى ان قبضه في ملك منوجهر ثم
نبي. بعده يوشع بن نون فكان في زمن منوجهر عشرين سنة وفي زمن افراسياب
سبع سنين *

(١) ولكن بسند موقوف من طريق طاوس وبسند مرفوع من رواية همام بن منبه اخو وهب بن منبه كاذ كره
المني ومع هذا فالحديث ليس فيه فقا عينه وانما فيه فسكه بدون فقا كما في البخاري في آخر الصلاة وفي احاديث الانبياء

﴿ ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين ﴾

لما توفي موسى بعث الله يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام نبياً إلى بني اسرائيل، وأمره بالمسير إلى أريحا مدينة الجبارين، واختلف العلماء في فتحها على يد من كان، فقال ابن عباس: إن موسى وهرون توفيا في التيه، وتوفي فيه كل من دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون و كالب ابن يوفنا، فلما انقضى أربعون سنة أوحى الله إلى يوشع بن نون، فأمره بالمسير إليها وفتحها ففتحها ومثله. قال قتادة والسدي وعكرمة * وقال آخرون: ان موسى عاش حتى خرج من التيه، وسار إلى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها، وهو قول ابن اسحق * قال ابن اسحق: سار موسى بن عمران إلى أرض كنعان لقتال الجبارين، فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران * فلما بلغوها اجتمع الجبارون إلى بلعم بن باعورا^(١) وهو من ولد لوط، فقالوا له: إن موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا، فادع الله عليهم، وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم، فقال لهم: كيف ادعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟ فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا إليها أن تحسن لزوجها أن يدعو على نبي بني اسرائيل فقالت له، في ذلك، فامتنع فلم تزل به حتى قال: أستخير الله فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام، فأخبرها بذلك، فقالت: راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد إليه جواب، فقالت: لو أراد ربك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى أجابهم فركب حماراً له متوجها إلى جبل مشرف على بني اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم، فما سار عليه الا قليلا حتى ربض الحمار فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه. فسار به قليلا فبرك فعل ذلك ثلاث مرات، فلما اشتد ضربه في الثالثة أنطقه الله؛ فقال له: ويحك يا بلعم؟ أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردني؟ فلم يرجع فأطلق الله الحمار حيثنذ فسار عليه حتى أشرف على بني اسرائيل؛ فكان كلما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له في ذلك فقال: هذا شيء غلبنا الله عليه، واندلع

(١) ذكرت مسألة بلعام لافي دخول مدينة الجبارين ولكن قبلها حين جاء بالاق يبلعام ليدعو على بني اسرائيل فدعاهم كما في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر عدد التوراة*

(م ١٥ - ج ١ الكامل)

لسانه فوق على صدره ، فقال : الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة ؛ وأمرهم أن يزينوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن الى العسكر ، ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريد لها ، وقال : ان زني منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك ، ودخل النساء عسكر بني اسرائيل ، فأخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة ، وأتى بها موسى ، فقال له أظنك تقول هذا حرام ؛ فوالله لانطيعك ، ثم أدخلها خيمته ، فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون ، وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر عمه موسى غائباً ، فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني اسرائيل ، وأخبر الخبر ، وكان ذا قوة وبطش ، فقصد زمري ، فرآه وهو مضاجع المرأة ، فطعنهما بحربة في يده فانتظمهما ورفع الطاعون وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً وقيل سبعون ألفاً فأنزل الله في بلعم (و اتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) *

ثم ان موسى قدم يوشع الى اريحا في بني اسرائيل ، فدخلها ، وقتل بها الجبارين ، وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب - فخشي أن يدركهم الليل فيعجزوه ؛ فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتي استأصلهم ودخلها موسى ^(١)

فأقام بها ما شاء الله أن يقيم وقبضه الله اليه لايعلم بقبوره أحد من الخلق *
وأما من زعم أن موسى كان قد تو في قبل ذلك ، فقال : ان الله أمر يوشع بالمسير الى مدينة الجبارين ، فسار ببني اسرائيل ، ففارقه رجل يقال له بلعم بن باعورا وكان يعرف الاسم الأعظم ، وساق من حديثه نحو ما تقدم * فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت ، فدعا الله فرد الشمس عليه وزاد في النهار ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار ، فقال يوشع فيكم غلول فبايعوني فبايعوه ، فلصقت يده في يد من غل ، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت ، فجعله في القربان ، وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلتهما *

وقيل بل حصرها ستة أشهر ^(٢) فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فأكثروا * ثم اجتمع جماعة

(١) الذي في التوراة ان موسى لم يدخل أرض الموعد ولكن وقف على الفسحة ونظر اليها فقط ثم مات قبل دخولها كما في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية (٢) الذي في الاصحاح السادس من سفر يوشع ان الحصار كان ستة ايام وفي اليوم السابع سقط السور *

من ملوک الشام وقصدوا یوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك الى غار فأمر بهم یوشع ابن نون فقتلوا وصابوا ثم ملك الشام جميعه نصار لبني اسرائيل وفرق عماله فيه ثم توفاه الله فاستخلف على بني اسرائيل كالب بن یوفنا، وكان عمر یوشع مائة وستاً وعشرين سنة وكان قيامه بالامر بعد موسى سبعا وعشرين سنة *

وأما من بقي من الجبارين فان إفريقش بن قيس بن صيفى بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان هربهم متوجها الى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم إفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجير، وأسكنهم إياها فهم البرابرة * وأقام من حمير في البربر صنهاجة و كثامة فهم فيهم الى اليوم *

﴿ ذكر أمر قارون ﴾

و كان قارون^(۱) بن يصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث؛ وقيل كان عم موسى والأول أصح * وكان عظيم المال كثير الكنوز، قيل: ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا فبغى على قومه بكثرة ماله؛ فوعظوه ونهوه، وقالوا له ما قص الله تعالى في كتابه (لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين) فأجابهم جواب معتز لحلم الله عنه، فقال إنما أوتيته يعنى المال والخزائن على علم عندى، قيل: على خبر ومعرفة منى، وقيل: لولا رضا الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى هذا فلم يرجع عن غيه، ولكنه تمادى فى طغيانه حتى خرج على قومه فى زينته، وهى انه ركب بردونا أبيض بمراكب الأرجوان المذهبة، وعليه الثياب المعصفرة، وقد حمل معه ثلثمائة جارية على مثل بردونه وأربعة آلاف من أصحابه، وبني داره وضرب عليها صفايح الذهب، وعمل لها بابا من ذهب فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله فهاهم أهل العلم بالله * وأمره الله تعالى بالزكاة، فجاء الى موسى من كل ألف دينار دينار، وعلى هذا من كل ألف شيء شيء. فلما عاد الى بيته وجدته كثيرا، فجمع نفرا يثق بهم من بني اسرائيل، فقال: إن موسى أمركم بكل شيء فاطعموه وهو الآن يريد أخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا فرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تحضروا فلانة البغى فتجعلوا لها جعلا فتقدفه بنفسها ففعلوا ذلك فاجابتهم اليه * ثم أتى موسى فقال: إن قومك قد اجتمعوا لك

(۱) هو الذى يذكّر فى التوراة باسم قورح وقصته مذكورة فى الإصحاح السادس عشر من سفر العدد *

لتامرهم وتنهام، فخرج اليهم، فقال: من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زني وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة^(١) وان كانت له امرأة رجمناه حتي يموت، فقال له قارون: وان كنت أنت؟ فقال: نعم قال: فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاتة فقال: ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت، قال لها موسى: أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة ألا صدقت أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت: لا كذبوا ولكن جعلوا لي جعلاً علي ان أقذفك فسجد ودعا عليهم، فأوحى الله اليه مر الأرض بما شئت تطعك؛ فقال: يا أرض خذيهم *

وقيل: ان هذا الامر بلغ موسى، فدعا الله تعالى عليه فأوحى الله اليه مر الأرض بما شئت تطعك، فجاء موسى الي قارون، فلما دخل عليه عرف الشرف في وجهه، فقال له ياموسى ارحمنى، فقال موسى: يا أرض خذيهم، فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه الي الكعبين، وجعل يقول: ياموسى ارحمنى، قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم الي ركبهم، فلم يزل يستعطفه وهو يقول يا أرض خذيهم حتي خسف بهم؛ فأوحى الله الي موسى ما أفظك؟ أما وعزتي لو إياي نادى لاجبته. ولا أعيد الارض تطيع أحدا أبدا بعدك. فهو يخسف به كل يوم قامة. فلما أنزل الله نقمته حمد المؤمنون الله وعرف الذين تمذوا مكانه بالأمس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا *

﴿ ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر ﴾

لما هلك منوجهر ملك فارس سار افراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك الي مملكة الفرس واستولى عليها. وسار الي أرض بابل وأكثر المقام بها. وبمهرجان قذف وأكثر الفساد في مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامراً ودفن الانهار والقني. وقحط الناس سنة خمس من ملكة الي أن خرج عن مملكة فارس، ولم يزل الناس منه في أعظم البلية الي ان ملك زوبن طهماسب. وكان منوجهر قد سخط علي ولده طهماسب. ونفاه عن بلاده، فأقام في بلاد الترك عند ملك لهم يقال له (وامن) وتزوج ابنته: فولدت له زوبن طهماسب. وكان المنجمون قد قالوا لأبيها: ان ابنته تلد ولدا يقتله فسجنها. فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها *

(١) ليس الجلد من احكام التوراة ولكن ازانى حد، القتل الا اذا كانا غير مزوجين فإذ به يعتبر نكاحاً لها شرعياً وليس للزوج ان يطأها ويكرن المهر لابي الفتاة خمسين من النخضة كذا في الاصحاح الثاني والمشرين من سفر تثنية التوراة *

ثم ان منوچهر رضى عن طهماسب. وأحضره اليه فاحتال في اخراج زوجته وابنه
زو من محبسهما فوصلت اليه *

ثم ان زو فيما ذكر قتل جده وأمن في بعض الحروب الترك. وطرده افراسياب الترى عن
مملكة فارس حتى رده الى الترك بعد حروب جرت بينهما. فكانت غلبة افراسياب على
أقاليم بابل ومملكة الفرس اثني عشرة سنة من لدن توفى منوچهر الى ان أخرجه عنها
زو وكان اخراجه عنها في زوزابان من شهر ابان ماه فاتخذ لهم هذا اليوم عيداً، وجعلوه
الثالث لعيدهم النوروز والمهرجان *

وكان زو محموداً في ملكه محسناً إلى رعيتيه، وأمر باصلاح ما كان افراسياب أفسده
من مملكتهم وبعمارة الحصون واخراج المياه التي غور طرقها حتى عادت البلاد إلى أحسن
ما كانت، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين، فعمرت البلاد في ملكه وكثرت المعاش،
واستخرج بالسواد نهراً وسماه الزاب، وبني عليه مدينة وهي التي تسمى العتيقة، وجعل
لها طسوج. الزاب الأعلى وطسوج ازاب الأوسط. وطسوج الزاب الأسفل *

وكان أول من اتخذ ألوان الطيخ وأمر بها وياصناف الاطعمة وأعطى جنوده ما غنم
من الترك وغيرهم، وكان جميع ملكه إلى أن انقضت مدته ثلاث سنين، وكان كرشاسب
ابن انوط وزيره في ملكه ومعينه فيه * وقيل كان شريكه في الملك والأول أصح، وكان
عظيم الشأن في فارس إلا انه لم يملك *

* ذكر ملك كيقباز *

ثم ملك بعد زو كيقباز بن راع بن ميسرة بن نوذر بن منوچهر وقدر مياه الأناهار
والعيون لشرب الارض، وسمى البلاد بأسمائها، وحدها بحدودها، وكور الكور، وبين
حيز كل كورة، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجند * وكان فيما ذكر كيقباز حريصاً
على عمارة البلاد ومنعها من العدو كثير الكنوز * وقيل ان الملوك الكيانية وأبناءهم من
نسله، وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان مقيماً بالقرب من نهر بلخ وهو جيحون
لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده: وكان ملكه مائة سنة *

* ذكر الاحداث في بني إسرائيل في عهد زو و كيقباز ونبوة حزقييل *

لمات في يوشع بن نون قام بأمر بني اسرائيل بعده كالب بن يوفنا^(١)، ثم حزقييل بن نوري، وهو الذي

(١) الذي في النقرة ١٩ من الاصحاح ٣٤ من عدد التوراة كالب بن يوفنا بنتح فضم فنون مشددة وكذا في الطبري *

يقال له: ابن العجوز. وانما قيل له ذلك. لان أمه سألت الله الولد، وقد كبرت فوهبه الله لها *
وهو الذي دعا للقوم الموتى فأحياهم الله *

وكان سبب ذلك أن قرية يقال لها راوودان وقع بها الطاعون * فهرب عامة أهلها
ونزلوا ناحية، فهلك أكثر من بقى بالقرية وسلم الآخرون، فلما ارتفع الطاعون رجعوا
فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا، ولو صنعنا كما صنعوا بقينا، فوقع
الطاعون من قابل؛ فهرب عامة أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفاً، وقيل ثلاثة آلاف، وقيل
أربعة آلاف، وقيل غير ذلك حتى نزلوا على ذلك المكان، فصاح بهم ملك فأتوا ونحرت
عظامهم فمر بهم حزقييل، فلما رآهم جعل يتفكر في بعثهم، فأوحى الله إليه أتريد أن أريك
كيف أحييهم؟ قال: نعم، فقيل: ناد، فنادى يا أيها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعى
فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى صارت أجساداً من عظام، ثم نادى يا أيها العظام؟
ان الله أمرك أن تكتسى فألبست لحماً ودماً وثيابها التي ماتت فيها، ثم نادى يا أيها
الأرواح! ان الله يأمرك أن تعودى الى أجسادك فعادت، وقامت الاجساد أحياء؛ وقالوا:
حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت، فرجعوا الى قومهم أحياء يعرفون
انهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوباً الا عاد كفنادسما ثم ماتوا
ثم مات حزقييل ولم تذكر مدته في بني اسرائيل^(١)، وقيل: كانوا قوم حزقييل فلما أن ماتوا
بكى حزقييل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويدكرونك فبقيت وحيداً فقال الله
أتحب أن أحييهم؟ قال: نعم قال: فاني قد جعلت حياتهم اليك، فقال حزقييل: أحيوا باذن
الله تعالى فعاشوا *

* ذكر الياس عليه السلام *

لما توفي حزقييل كثرت الأحداث في بني اسرائيل، وتركو عهد الله وعبدوا الأوثان
فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هرون بن عمران نبياً، وكان
الأنبياء في بني اسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة، وكان
الياس مع ملك من ملوكهم يقال له أخاب^(٢) وكان يسمع منه ويصدقه * وكان الياس
يقيم له أمره، وكان بنو اسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه يقال له: بعل، فجعل الياس يدعوهم

(١) الذي في التوراة ان الذين احياهم حزقيال عشرة آلاف (٢) ان بنى اسرائيل ظلوا بعد يوشع بن نونار بهامة
سنة ليس لهم ملك واول ملك فيهم شاول الذي هو طالوت وهذا قبل طالوت قطعاً فكيف يكون من ملوكهم؟

إلی اللہ وہم لا یسمعون الا من ذلك الملك ، وكان ملوک بني اسرائیل متفرقة کل ملک قد تغلب علی ناحية یا کلها ، فقال ذلك الملك الذی کان الیاس معه واللہ ما أرى الذی تدعو الیه الا باطلا لا تری أرى فلانا وفلانا یعد ملوک بني اسرائیل قد عبدوا الأوثان ، فلم یضرهم ذلك شیئا یا کلون ویشربون ویتمتعون ما ینقص ذلك من دنیاهم وما نرى لنا علیهم من فضل؟ فقارقه الیاس وهو یسترجع ، فبعد ذلك الملك الأوثان أيضاً*

وكان للملك جار صالح مؤمن یكتم إیمانه ، وله بستان الی جانب دار الملك ، والملك یحسن جواره ، وللملك زوجة عظیمة الشر والكفر ، فقالت له لیأخذ بستان الرجل فلم یفعل ، فكانت تخلف زوجها اذا سار عن بلده وتظهر للناس ، فغاب مرة فوضعت امرأته نلی صاحب البستان من شهد علیه أنه سب الملك ، فقتلته ؛ وأخذت بستانه ، فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره ، فقالت : فات أمره فأوحى اللہ الی الیاس یا أمره أن یقول للملك وامرأته أن یرد البستان علی وریثة صاحبه فان لم یفعل غضب علیهما وأهلكهما فی البستان ولم یتمتعا به إلا قليلا ، فأخبرهما الیاس بذلك فلم یراجعا الحق *

فلما رأى الیاس أن بني اسرائیل قد أبوا إلا الكفر والظلم دعا علیهم ، فأمسك اللہ عنهم المطر ثلاث سنین ، فهلكت الماشیة والطيور والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا واستخفى الیاس خوفاً من بني اسرائیل ، فكان یأتيه رزقه ، ثم انه أوی لیلۃ الی امرأته من بني اسرائیل لها ابن یقال له الیسع بن أخطوب - به ضر شديد فدعا له فعوفی من الضر الذی كان به واتبع الیاس ، وكان معه وصحبه وصدقه ، وكان الیاس قد كبر ، فأوحى اللہ الیه إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق من البهائم والدواب والطيور وغيرها ، ولم یعص سوى بنی اسرائیل ، فقال الیاس : أی رب : دعني أكن أنا الذی أدعو لهم وأبتهج بالفرج لعلهم یرجعون ، فجاء الیاس الیهم ، وقال لهم : انکم قد هلکتם وهلکت الدواب بخطایا کم ، فان احببتم ان تعلموا ان اللہ ساخط علیکم بفعلکم ، وأن الذی أدعو کم الیه هو الحق ، فاخرجوا باصنامکم وادعوها ، فان استجابت لکم فذلك الحق كما تقولون ، وان هی لم تفعل علمت انکم علی باطل فزعم ودعوت اللہ ففرج عنکم ، قالوا أنصفت فخرجوا باصنامهم فدعوها فلم یستجب لهم ولم یفرج عنهم ، فقالوا : لا لیاس انا قد هلکنا فادع اللہ لنا فدعا لهم بالفرج وان یسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس وعظمت وهم ینظرون ، ثم أرسل اللہ منها المطر فخیت بلادهم ، وفرج اللہ عنهم ما كانوا فیہ من البلاء فلم ینزعوا ولم یراجعوا الحق ، فلما رأى ذلك الیاس سأل اللہ أن یقبضه فیریحہ منهم ، فکساه اللہ الریش وألبسه

النور وقطع عنه لنة المطعم والمشرب، فصار ما كيا إنسيا سماويا أرضيا، وسلط الله على الملك وقومه عدوا فظفر بهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى بليت لحوسهما^(١) *

﴿ ذكر نبوة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بني اسرائيل ﴾

فلما انقطع الياس عن بني اسرائيل بعث الله اليسع، فكان فيهم ماشاء الله، ثم قبضه الله وعظمت فيهم الأحداث، وعندهم التابوت^(٢) يتوارثونه فيه السكنية وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة، فكانوا لا يلتقاهم عدو فيقدمون التابوت إلا هزم الله العدو، وكانت السكنية شبه رأس هر، فاذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح *

ثم خلف فيها ملك يقال له إيلاف، وكان الله يمنعمهم ويحميهم؛ فلما عظمت أحداثهم نزل بهم تدون فخرجوا اليه وأخرجوا التابوت فاقتلوا، فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهمزوا، فلما علم ما كهم ان التابوت أخذ مات كدا ودخل العدو أرضهم ونهب وسبي وعاد، فكشوا على اضطراب من أمرهم واختلاف، وكانوا يتجادون أحيانا في غيهم فيسلط الله عليهم من ينتقم منهم، فاذا راجعوا التوبة كف الله عنهم شر عدوهم، فكان هذا حالهم من لدن توفي يوشع بن نون إلى أن بعث الله اشمويل وملكهم طالوت ورد عليهم التابوت *

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع الذي كان يلي أمر بني اسرائيل بعضها القضاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة إلى اشمويل أربعائة سنة وستين سنة *

فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال له كوشان فقهرهم وأذلهم ثماني سنين، ثم أنقذهم من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتيل، فقام بأمرهم أربعين سنة، ثم سلط عليهم ملك يقال له: عجلون فلكنهم ثماني عشرة سنة، ثم استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهوذ، وقام بأمرهم ثمانين سنة * ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يابن، فلكنهم عشرين سنة واستنقذهم منه امرأة من بني أنبياهم يقال لها دبورا، ودبر الامر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة * ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط

(١) حكاية البستان كانت بعد داود وسليمان وفي هذه القصة من الغرابة ما ينفي عن التنبيه عليه. (٢) مسألة

التابوت كانت في زمن آخر القضاة وكانت علامة ملك طالوت الذي هو شاول *

فلکوهم سبع سنين واستنقدهم زجل يقال له جدعون بن يواش من ولد نفتالى ابن يعقوب فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفي * ودبر أمرهم بعده ابنه أبيالخ ثلاث سنين ثم دبرهم بعده فولع بن فو ابن خال أبيالخ: ويقال: انه ابن عمه ثلاثاً وعشرين سنة، ثم دبر أمرهم بعده رجل يقال له يائير اثنتين وعشرين سنة، ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بنى عمون ثماني عشرة سنة، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين، ثم دبرهم بعده يتحسون سبع سنين. ثم بعده آلون عشر سنين. ثم بعده لثرون ويسميه بعضهم عكرون ثماني سنين. ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة. ثم وليهم شمسون عشرين سنة. ثم بقوا بعده عشرين سنة بغير مدير ولا رئيس * ثم قام بأمرهم بعد ذلك عالي الكاهن. وفي أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت في قول، فلما مضى من وقت قيامه أربعون سنة بعث اشمويل نبياً فدبرهم عشر سنين. ثم سألوا اشمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتل بهم أعداءهم *

* ذکر حال اشمويل وطلوت *

كان من خبر اشمويل بن بالى ان بنى اسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الاعداء وأخذ التابوت منهم، فصاروا بعده لا يلقون ملكاً إلا خائفين. فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين، وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم. فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه. وكان سبط النبوذة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبل فحبسوها في بيت خيفة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فولدت غلاماً سمته اشمويل ومعناه سمع الله دعائى^(۱) *

وسبب هذه التسمية انها كانت عاقراً وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة الأولاد فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولدًا فرحم الله انكسارها وحاضنت لوقتها وقرب منها زوجها فحملت فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاماً فسماه اشمويل * فلما كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلم التوراة، وكفله شيخ من علماءهم وتبناه *

فلما بلغ أن يبعثه الله نبياً أتاه جبريل وهو يصلى فناده بصوت يشبه صوت الشيخ،

(۱) الذى فى فقرة ۲۰ من الاصحاح الاول من سفر صموئيل الاول. ودعت اسمه صموئيل قائلة لأنى من الرب سألته :

فجاء اليه ، فقال ماتريد ؟ فكره أن يقول لم أدعك فيفزع ، فقال ارجع فتم ، فرجع فعاد جبريل لمثاها فجاء الى الشيخ فقال له: يا بني ! عد فاذا دعوتك فلا تجبني ^(١) فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل ، وأمره بانذار قومه ، وأعلمه ان الله بعثه رسولا ، فدعاهم فكذبوه ، ثم أطاعوه ، وأقام يدبر أمرهم عشر سنين ، وقيل: أربعين سنة *

وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم في بني اسرائيل حتي كادوا يهلكونهم . فلما رأى بنو اسرائيل ذلك (قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا ، قالوا: وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) ؟ فدعا الله فأرسل اليه عصا وقرنا فيه دهن ، وقيل له : ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا . وإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل ، فادهن رأسه به وملكه عليهم ، فقاسوا أنفسهم بالعصا ، فلم يكونوا مثلها *

وكان طالوت دباغا ، وقيل كان سقاء يسقى الماء ويبيعه فضل حماره فانطلق يطلبه فلما اجتاز بالمكان الذي فيه اشمويل دخل يسأله أن يدعو له ليرد الله حماره فلما دخل فنش الدهن فقاسوه بالعصا ، فكان مثلها ، فقال لهم نبيهم (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وهو بالسريانية شاول بن قيس ^(٢) بن أنمار بن ضرار بن يحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق فقالوا له : ما كنت قط أ كذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة ، ولم يؤت طالوت سعة من المال فنتبعه فقال اشمويل : (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) فقالوا : إن كنت صادقا فأت بآية ، فقال (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة) والسكينه رأس هر ^(٣) وقيل طشت من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء ، وقيل غير ذلك * وفيه الألواح وهي من در وياقوت وزبرجد * وأما البقية فهي عصا موسى ورضاضة الألواح فحملته الملائكة وأتت به الى طالوت نهارا بين السماء والأرض والناس

(١) الذي في الاصحاح ٣ فقرة ٩ من سفر صموئيل الأول هكذا : فقال عالي لصموئيل اذهب اضطجع ويكون اذا دعاك تقول تكلم يا رب لأن عبدك سامع (٢) في الاصحاح التاسع من صموئيل الاول ما يخالف هذا النسب بمض المخالفة (٣) التابوت كانت فيه التوراة وهي سكينه لهم وفيها اطمئنان انفسهم لارأس هر أو غيره وقصته : ان الفلسطينيين غلبوا بني اسرائيل في الحرب وأخذوا تابوت المهد وأدخلوه بيت إلههم « داجون » فكان في كل ليلة يسقط الاله « داجون » وقطعت يده فضايق الفلسطينيين به وردوه كاسنين في الهامش *

ينظرون^(١) فأخرجه طالوت اليهم؛ فأقروا بملكه ساخطين، وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفاً، *

فلما خرج قال لهم طالوت (ان الله مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني) وهو نهر فلسطين، وقيل: الأردن — فشربوا منه إلا قليلا وهم أربعة آلاف فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه إلا غرفة روى (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) لقيهم جالوت، وكان ذا بأس شديد، فلما رأوه رجع أكثرهم، (وقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) ولم يبق معه غير ثلاثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر فلما رجع من رجع قالوا: (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) * وكان فيهم أيضا أبو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابنا، وكان داود أصغر بنه وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام، وكان قد قال لايه ذات يوم يا أبتاه! ما أرمى بقذاقتي شيئا إلا صرعته. ، ثم قال له: لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم أخفه، ثم أتاه يوما آخر فقال: إني لأمشي بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل إلا سبح معي قال له: أبشر فان هذا خير أعطاكه الله، فأرسل الله الى النبي الذي مع طالوت قرنا فيه دهن وتور من حديد فبعث به الى طالوت، وقال له: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلى حتى يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه إلى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الاكليل. ويدخل في هذا التور فيملؤه فدعا طالوت بني اسرائيل. فجرهم فلم يوافقهم منهم أحد. فأحضر داود من رعيه. فمر في طريقه بثلاثة أحجار فكلمته وقان: خذنا يا داود تقتل بنا جالوت فأخذهن. فجعلهن في مخلاته. وكان طالوت قد قال: من قتل جالوت زوجته ابنتي وأجريت خاتمه في مملكتي *

فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتى ادهن منه ولبس التور فملاه وكان داود مسقاما أزرق مصفارا فلما دخل في التور تضايق عليه حتى ملأه وفرح اشمويل وطالوت وبنو اسرائيل بذلك، وتقدموا الى جالوت وتصافوا للقتال وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها في قذافته ورمى بها جالوت، فوقع الحجر بين عينيه فثقب رأسه فقتله ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه الى غيره، فانهزم عسكر

(١) هذه خرافة ولكن الفلسطينيين من أهل غزة لقوا مشقة شديدة من وجود التابوت عندهم فوضعوه على عربة تجرها بترتان وتركوها فجاءتا بالتابوت ومعه هدية من الفلسطينيين وهي تماثيل من ذهب وبواسير من الذهب كافي الاصحاح السادس من سفر صموئيل الأول *

جالوت باذن الله *

ورجع طالوت فأنكح ابنته داود واجرى خاتمه في ملكه . فقال الناس إلى داود وأحبوه ، فحسده طالوت وأراد قتله غيلة فعلم ذلك داود فقارقه ، وجعل في مضجعه زق خمر وسجاء ، ودخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة خرقة فوقعت قطرة من الخمر في فيه ، فقال : يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر * فلما أصبح طالوت علم انه لم يصنع شيئاً ، فخاف داود أن يغتاله ، فشد حجابته وحراسه * ثم ان داود أتاه دن المقابلة في بيته وهو نائم ، فوضع سهماً بين عنده رأسه وعند رجله ، فلما استيقظ طالوت بصر بالسهم ، فقال : يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به وأردت قتله وظفر بي فكف عني ، وأذكي عليه العيون فلم يظفروا به . وركب طالوت يوماً فرأى داود ، فركض في أثره ، فهرب داود منه واختفى في غار في الجبل فعسى الله أثره على طالوت * ثم ان طالوت قتل العلماء حتى لم يبق أحد إلا امرأة كانت تعرف اسم الله الأعظم ، فسلمها إلى رجل يقتلها فرحمها وتركها وأخفى أمرها * ثم إن طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس ، فكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ، ويقول أنشد الله عبداً علم لي توبة إلا أخبرني بها ، فلما أكثر ناداه مناد من القبور يا طالوت ! أما رضيت قتلنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً ؟ فازداد بكاءً وحزناً فرحمه الرجل الذي أمره بقتل تلك المرأة فقال له : إن دلتك على عالم لعلك تقتله ؟ قال لا فأخذ عليه العهد والمواثيق ، ثم أخبره بتلك المرأة ، فقال : سلمها هل لي من توبة ؟ فحضر عندها وسألها هل له من توبة ؟ فقالت : ما أعلم له من توبة ولكن : هل تعلمون قبر نبي ؟ قالوا : نعم قبر يوشع بن نون فانطلقت وهم معها فدعت فخرج يوشع ، فلما رآهم قال : مالكم ؟ قالوا : جئنا نسألك هل لطالوت من توبة ؟ قال : ما أعلم له توبة إلا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلون في سبيل الله حتى تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل ، فعسى أن يكون له توبة ثم سقط ميتاً ، ورجع طالوت أحزن مما كان - يخاف أن لا يتابعه ولده - فبكى حتى سقطت أشفاره عينيه ؛ ونحل جسمه ؛ فسأله بنوه عن حاله ؛ فأخبرهم فتجهزوا للغزو فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم قاتل هو بعدهم حتى قتل *

وقيل : ان النبي الذي بعث طالوت حتى أخبره بتوبته اليسع * وقيل : اشمويل والله أعلم * وكانت مدة ملك طالوت إلى أن قتل أربعين سنة *

* ذکر ملک داود *

هو داود بن إيشابن عوفيد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رام ابن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق؛ وكان قصيرا أزرق قليل الشعر* فلما قتل طالوت أتى بنو إسرائيل داود. فاعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم. وقيل: إن داود ملك قبل أن يقتل جالوت، وسبب ملكه حينئذ أن الله أوصى إلى اشمويل ليامر طالوت بغزو مدين وقتل من بها ففسار إليها وقتل من بها إلا ما كهم فانه أخذه أسيرا. فأوحى الله إلى أشمويل قل اطالوت: أمرك بأمر تتركه؟ لأنزعن الملك منك ومن بذك. ثم لا يعود فيكم إلى يوم القيامة. وأمر اشمويل بتمليك داود فهايكه وسار إلى جالوت فقتله والله أعلم*

فلما ملك نبى إسرائيل جعله الله نبيا وملكاً. وأنزل عليه الزبور. وعلمه صنعة الدروع وهو أول من عملها. وألان له الحديد. وأمر الجبال والطيور يسبحون معه إذا سبح، ولم يعط الله أحداً مثل صوته كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها المصيخة تسمع صوته* وكان شديد الاجتهاد، كثير العبادة والبكاء، وكان يقوم الليل، ويصوم نصف الدهر، وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف، وكان يأكل من كسب يده* وفي ملكه مسخ أهل أيلة قرده، وسبب ذلك أنهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيرا فاذا كان غير يوم السبت لا يجيء اليهم منها شيء فعملوا على جانب البحر حياضا كبيرة، وأجروا إليها الماء فاذا كان آخر نهار يوم الجمعة يتحول الماء إلى الحياض فتدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها فيأخذونها يوم الأحد فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا فمسخهم الله قرده، وبقوا ثلاثة أيام وهلكوا*

* ذكر فتنته بزوجة أوريا *

ثم ان الله ابتلاه بزوجة أوريا، وكان سبب ذلك أنه قد قسم زمانه ثلاثة أيام: يوما يقضى فيه بين الناس، ويوما يخلو فيه للعبادة، ويوما يخلو فيه مع نسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان يحسد فضل ابراهيم واسحق ويعقوب، فقال: أى رب! أرى الخير قد ذهب أبائى به، فأعطى مثل ما أعطيتهم، فأوحى الله اليه: ان آباءك ابتلوا ببلاء فصبروا. إبتلى ابراهيم بذبح ابنه، وابتلى اسحق بذهاب بصره، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف. فقال: رب ابتلى بمثل ما ابتليتهم وأعطى مثل ما أعطيتهم، فأوحى الله اليه: إنك مبتلى فاحترس*

وقيل كان سبب البلية أنه حدث نفسه أنه يطيق أن يقطع يوماً بغير مقارفة سوء فلما كان اليوم الذي يخلو فيه للعبادة عزم على أن يقطع ذلك اليوم بغير سوء وأغلق بابه وأقبل على العبادة، فاذا هو بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه، فاهوى ليأخذها، فطارت غير بعيد من غير أن ييأس من أخذها فما زال يتبعها وهي تفر منه حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه حسنها فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها، فاستترت به فزاده ذلك رغبة، فسأل عنها، فأخبر أن زوجها بثر كذا، فبعث إلى صاحب الثغر بأن يقدم أوريا بين يدي التابوت في الحرب، وكان كل من يتقدم بين يدي التابوت لا ينهزم: إما أن يظفر أو يقتل ففعل ذلك به فقتل *

وقيل: إن داود لما نظر إلى المرأة فأعجبته سأل عن زوجها فقيل إنه في جيش كذا، فكتب إلى صاحب الجيش أن يبعثه في سرية إلى العدو كذا، ففعل ذلك، ففتح الله عليه، فكتب إلى داود، فأمر داود أن يرسل أيضاً إلى العدو كذا أشد منه ففعل فظفر، فأمر داود أن يرسل إلى العدو ثالث، ففعل فقتل أوريا في المرة الثالثة فلما قتل تزوج داود امرأته وهي أم سليمان في قول قتادة *

وقيل: إن خطيئة داود كانت أنه لما بلغه حسن امرأة أوريا فتمني أن تكون له حلالاً، فاتفق أن أوريا سار إلى الجهاد فقتل فلم يجد له من الهم ما وجد له غيره فبينما داود في المحراب يوم عبادته وقد أغلق الباب إذ دخل عليه ملكان أرسلهما الله إليه من غير الباب فراع ذلك فقالا: لا تخف نحن (خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال: أ كفلنيها وعزني في الخطاب) أي قهرني وأخذ نعجتي فقال للآخر ما تقول قال صدق اني أردت أن أكمل نعاजी مائة فأخذت نعجته فقال داود: إذا لاندعك وذاك فقال الملك: ما أنت بقادر عليه قال داود: فان لم ترد عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا وأوماً إلى انفه وجبهته قال: يا داود! أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته، ثم غابا عنه *

فعرف ما ابتلى به وما وقع فيه، فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للحاجة لا بد منها * وأدام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطى رأسه، ثم نادى، يارب اقرح الجبين، وجمدت العين وداود لم يرجع إليه في خطيئته بشيء فنودي أجائع فتطمع؟ أم مريض فتشفى، أم مظلوم فتنصر؟ قال فنحب نجة هاج ما كان نبت فعند ذلك قبل الله توبته

واوحى اليه ارفع رأسك فقد غفرت لك قال: يارب! كيف أعلم أنك قد غفرت لى؟ وأنت حكم عدل لا تحيف فى القضاء اذا جاء أوريايوم القيامة آخذ رأسه يمينه تشخب أوداجه دما قبل عرشك يقول: يارب أسل هذا فيما قتلتني؟ فأوحى الله اليه اذا كان ذلك دعوته وأستوهبك منه فيبك لى فأهبه بذلك الجنة قال: يارب! الآن علمت أنك قد غفرت لى قال: فما استطاع داود بعدها ان يملاً عينه من السماء حياء من ربه حتى قبض *

ونقش خطيئته فى يده فكان اذا رآها اضطربت يده؛ وكان يوثى بالشراب فى الأثناء ليشربه فكان يشرب نصفه أو ثلثيه، فيذكر خطيئته، فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض، ثم يملاً الأثناء من دموعه وكان يقال: ان دمعة داود تعدل دموع الخلائق وهو يحيى يوم القيامة وخطيئته مكتوبة بكفه فيقول: يارب! ذنبى ذنبى قدمنى فيقدم فلا يأمن فيقول يارب أخرنى فلا يأمن *

وأزالت الخطيئة طاعة داود عن بنى اسرائيل واستخفوا بأمره ووثب عليه ابن له يقال له ايشا^(١) وأمه ابنة طالوت فدعى الى نفسه فكثر أتباعه من أهل الزيبغ من بنى اسرائيل فلما تاب الله على داود واجتمع اليه طائفة من الناس، فخارب ابنه حتى هزمه، ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف لعله يأسره ولا يقتله، وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله، فحزن عليه داود حزنا شديدا وتكر لذلك القائد *

﴿ ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام ﴾

قيل: أصاب الناس فى زمان داود طاعون جارف، فخرج بهم الى موضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلماذا قصده ليدعو فيه. فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى فى كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا، وكان الشروع فى بنائه لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وتوفى قبل أن يستتم بناءه وأوصى الى سليمان باتمامه^(٢) وقتل القائد الذى قتل أخاه ايشابن داود * فلما توفى داود ودفنه سليمان تقدم بانفاذ أمره، فقتل القائد، واستتم بناء المسجد بناه بالرخام، وزخرفه بالذهب، ورصعه بالجواهر، وقوى على ذلك جميعه بالجن والشياطين *

(١) الذى فى العهد القديم ايشالوم كما فى الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الثانى (٢) الذى فى كتب الانبياء ان داود جهز كل شىء لبناء الهيكل ولكن الله اخبره ان سليمان هو الذى يبنى البيت فى الاصحاح الثامن من الملوك الأول فقرة ١٨ فقال الرب لداود أبى من أجل أنه كان فى قلبك أن تبنى بيتا لاسمى قد أحسنت بكونه فى قلبك ١٩ إلا أنك أنت لا تبنى البيت بل ابنك الخارج من صلبك هو يبنى البيت لاسمى *

فلما فرغ اتخذ ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرب قرباناً فتقبله الله منه * وكان ابتداءه أو لا يبناء المدينة ، فلما فرغ منها ابتداءً بعمارة المسجد * وقدأكثر الناس في صفة البناء ما يستبعد ولا حاجة إلى ذكره *

وقيل : إن سليمان هو الذي ابتداءً بعمارة المسجد ، وكان داود أراد أن يبنيه ، فأوحى الله إليه ان هذا بيت مقدس ، وانك قد صبغت يدك في الدماء فلست بيبانيه ، ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء * فلما ملك سليمان بناه ثم إن داود توفي وكان له جارية تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم إلى عبادته فاغلقها ليلة فرأت في الدار رجلاً فقالت : من أدخلك الدار ؟ فقال : انا الذي أدخل على الملوك بغير اذن فسمع داود قوله فقال : أنت ملك الموت : قال نعم قال فهل أرسلت إلى لا أستعد للموت قال : قد أرسلت إليك كثيراً . قال : من كان رسولك ؟ قال : أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك ؟ قال : ماتوا قال : فهم كانوا رسلي إليك لأنك تموت كما ماتوا ، ثم قبضه *

فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته وكان له تسعة عشر ولداً فورثه سليمان دونهم * وكان عمر داود لما توفي مائة سنة صح ذلك عن النبي ﷺ و كانت مدة ملكه أربعين سنة *

﴿ ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام ﴾

لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان ابن ثلاث عشرة سنة وآتاه مع الملك النبوة ، وسأل الله أن يؤتیه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب له ، وسخر له الانس والجن والشياطين والطير والريح فكان اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الانس والجن حتى يجلس *

وقيل : انما سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه ، وأعاد الله سبحانه اليه على ما ذكره *

وكان أبيض جسيماً كثير الشعر يلبس البياض ، وكان أبوه يستشير في حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك : ما قصه الله في كتابه في قوله : (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث) الآية وكان خبره : ان غنماً دخلت كرماً ، فاكلت عناقيد وأفسدتها ، فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان أو غير ذلك : أن يسلم الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها الى أن يعود كرمه الى حاله ، ثم

یاخذ کرمه ، ویدفع الغنم الی صاحبها فامضی داود قوله، وقال الله تعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حکما وعلما) *

قال بعض العلماء : فی هذا دلیل علی أن کل مجتهد فی الأحکام الفرعية مصیب ، فان داود أخطأ الحکم الصحیح عند الله تعالى وأصابه سلیمان فقال له الله تعالى : (وكلا آتينا حکما وعلما) *
وكان سليمان يأكل من كسب يده ، وكان كثير الغزو ، وكان اذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون اليه ، ثم أمر الريح فحملته فسارت في غدوته مسيرة شهر وفي رוחته كذلك *
وكان له ثلثمائة زوجة وسبعائة سيرة ، وأعطاه الله انه لا يتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح اليه فيعلم ما يقول *

﴿ ذکر ماجری له مع بلقیس ﴾

نذكر أولا ما قيل في نسبها وملكها ثم ماجرى له معها فنقول : قد اختلف العلماء في اسم آياتها فقيل : انها هي بلقمة ابنة أنيشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ، وقيل : هي بلقمة ابنة الهدهاد واسمه أنيشرح بن تبع ذي الادغار بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش ، وقيل : في نسبها غير ذلك ، ولا حاجة الى ذكره *
وقد اختلف الناس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض والزيادة في عددهم والنقصان اختلافا لا يحصل الناظر فيه على طائل ، وكذا أيضا اختلفوا في نسبها اختلافا كثيرا *
وقال كثير من الرواة ان أمها جنية ابنة ملك الجن ، واسمها رواحة بنت السكر ، وقيل : اسم أمها بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني ، وانما نكح أبوها الى الجن لانه قال : ليس في الانس لي كفوة فخطب إلى الجن فزوجوه ^(۱) *

واختلفوا في سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم فقيل : إنه كان لهجا بالصيد فربما صطاد الجن على صور الظباء فينخل عنهن ، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك ، واتخذته سديقا فخطب ابنته فأنكحه على أن يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين ^(۲) الى عدن ، وقيل : ان أباهما خرج يوماً متصيدا فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على

(۱) هذه خرافة لا شك فيها (۲) بفتح فسكون فكسر باعلى بلاد سد من اليمن ، وقيل من أصقاع البحر بن وهر المطلوب وتوجد يبرين قرية من قرى حلب قرية من اعزاز

البيضاء فامر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء فأفقت فأطلقها وعاد الى داره وجلس منفردا فاذا معه شاب جميل فدعر منه ، فقال له : لا تخف أنا الحية التي أنجيتني ، والأسود الذي قتلته غلام لنا تمرد علينا وقتل عدة من أهل بيتي ؛ وعرض عليه المال وعلم الطب فقال : أما المال فلا حاجة لي به وأما الطب فهو قبيح بالملك ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه على شرط أن لا يغير عليها شيئا عمله ومتى غير فارقه ، فأجابه الى ذلك فحملت منه فولدت له غلاما فألقته في النار فجزع لذلك وسكت للشرط ، ثم حملت منه فولدت جارية فألقته الى كلبة فأخذتها ، فعظم ذلك عليه وصبر للشرط ، ثم انه عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار اليه ليقاتله وهي معه فاتته الى مفازة ، فلما توسطها رأى جميع مامعهم من الزاد يخلط بالتراب واذا الماء يصب من القرب والمزاود فأيقنوا بالهلاك ، وعلبوا أنه من فعال الجن عن أمر زوجته فضاق ذرعا عن حمل ذلك فأتاها وجلس وأوما الى الارض وقال : يا أرض : صبرت لك على إحراق ابني وإطعام الكلبة ابنتي ثم أنت الآن قد فجعتينا بالزاد والماء وقد أشرفنا على الهلاك ، فقالت المرأة : لو صبرت لكان خير آ لك وسأخبرك : ان عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الأزواد والمياه ليقتلك وأصحابك فر وزيرك ليشرب ما بقى من الماء ويأكل من الزاد فامرهم فامتنع فقتله ، ودلهم على الماء والميرة من قريب وقالت : أما ابنك فدفعته الى حاضنة تربيته وقد مات وأما ابنتك فهي باقية واذا بجويرية قد خرجت من الأرض وهي بلقيس وفارقه امرأته وسار الى عدوه فظفر به * وقيل : في سبب نكاحه اليهم غير ذلك *

والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة *

وأما ملكها اليمن ، فقيل : ان أباه فوض اليها الملك ، فملكته بعده ، وقيل : بل مات عن غير وصية بالملك لأحد ، فأقام الناس ابن أخ له ، وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً لا يبلغه عن بنت قيل ^(١) : ولا ملك ذات جمال إلا أحضرها وفضحها حتي انتهى الى بلقيس بنت عمه ، فأراد ذلك منها فوعده أن يحضر عندها الى قصرها وأعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها فلما دخل اليها وثبا عليه فقتلاه فلما قتل أحضرت ووزراه فقرعتهم فقالت : أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته ؟ ثم أرتهم إياه قتيلا

(١) ففتح فسكون وفتح فتشديد الياء مكسورة هو من ملوك حمير من كان دون الملك الأعلى يقول ماشاء

فينفذ وهو كالوزير في الاسلام كما في فقه اللغة *

وقالت: اختاروا رجلا تملكونه فقالوا الارضى بغيرك فلكوها *
 وقيل: إن أباهم لم يكن ملكا وإنما كان وزير الملك وكان الملك خبيثا قبيح السيرة
 يأخذ بنات الأقبالي والأعيان والأشراف وإنما قتله فملكها الناس عليهم *
 وكذلك أيضا عظموا ملكها وكثرة جندها فقبل كان تحت يدها أربع مائة ملك كل
 ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل، وكان لها ثلثمائة وزير يدبرون
 ملكها، وكان لها اثنا عشر قائدا يقود كل قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل *
 وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم قالوا: كان لها اثنا عشر ألف
 قبل تحت يد كل قبل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيش في كل جيش
 سبعون ألف مبارز ليس فيهم إلا أبناء خمس وعشرين سنة *
 وما أظن الساعة راوى هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله،
 ولو عرف مبلغ العدد لا قصر عن اقدمه على هذا القول السخيف، فإن أهل الأرض
 لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد، فكيف أن يكونوا
 أبناء خمس وعشرين سنة؟ فيأليت شعري! كم يكون غيرهم ممن ليس من أسنانهم؟
 وكم تكون الرعية وأرباب الحرف، والفلاحة وغير ذلك؟ وإنما الجند بعض أهل البلاد،
 وإن كان الحاصل من اليمن قد قل في زماننا فإن رقعة أرضه لم تصغر وهي لاتسع هذا
 العدد قياما كل واحد الى جانب الآخر *
 ثم انهم قالوا أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلثمائة ألف
 اوقية من الذهب، وقالوا: غير ذلك، وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها
 فلا تطول بذكره *
 وقد تواطوا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال، واستهانوا بما يلحقهم من استجبال
 العقلاء لهم * وإنما ذكرنا هذا على قبحة ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهي الى الحق *
 وأما سبب مجيئها الى سليمان واسلامها، فانه طلب الهدد فلم يره، وإنما طلبه لأن
 الهدد يرى الماء من تحت الأرض، فيعلم هل في تلك الأرض ماء أم لا؟ وهل هو قريب
 أم بعيد؟ فبينما سليمان في بعض مغازيه اذ احتاج الى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعبه،
 فطلب الهدد ليسأله عن ذلك فلم يره *
 وقيل بل نزلت الشمس الى سليمان، فنظر ليرى من أين نزلت؟ لان الطير كانت تظله
 فرأى موضع الهدد فارغا، فقال: (لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحه أو ليأتيني بسطلان

مبين) . وكان الهدد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف قصرها فقال الى الخضره . فرأى فيه هدهدا . فقال له : أين أنت عن سليمان وما تصنع هنا ؟ فقال له : ومن سليمان ؟ فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره . فعجب من ذلك فقال له هدهد سليمان : وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة (وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) وجعلوا الشكر لله أن سجدوا للشمس من دونه ، وكان عرشها سريرا من ذهب مكلل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد والثؤلث ، ثم ان الهدد عاد الى سليمان فأخبره بعذره في تأخيره ، فقال له : اذهب بكتابي هذا ، فألقه اليها ؛ فوافاها وهي في قصرها ، فالتقاها في حجرها ، فأخذته وقرأته وأحضرت قومها ، وقالت : (إني ألقى الى كتاب كريم : إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم * أن لاتعلوا على واتتوني مسلمين * قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون * قالوا : نحن أولو قوة وأولو بأس شديد * والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين) * قالت : (إني مرسله اليهم بهديه) فان قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى ، وان لم يقبلها ، فهو نبي من الله ، فلما جاءت الهدية الى سليمان قال للرسول . (أتمدوني بما ؟ فما أتاني الله خيرا مما آتاكم) الى قوله (وهم صاغرون) فلما رجع الرسول اليها سارت اليه وأخذت معها الأقيال من قومها وهم القواد وقدمت عليه فلما قاربتة وصارت منه على نحو فرسخ قال لأصحابه : (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) يعنى قبل أن تقوم في الوقت الذى تقصد فيه بيتك للغداء ، قال سليمان : أريد أسرع من ذلك ، (فقال الذى عنده علم من الكتاب) - وهو آصف بن برخيا - وكان يعرف اسم الله الأعظم : (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) ، وقال له : انظر الى السماء وأدم النظر فلا ترد طرفك حتى أحضره عندك وسجد ودعا ، فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره ، فقال : (هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر) اذ أتاني به قبل أن يرتد الى طرفي أم أ كفر إذ جعل تحت يدي من هو أقدر مني على إحضاره فلما جاءت قيل : (أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو) ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء الى هنا ؟ فقال سليمان للشياطين : ابنوا لي صرحا تدخل على فيه بلقيس ، فقال بعضهم : ان سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها قتله غلاما فلا تنفك من العبودية أبدا وكانت امرأة شعراء الساقين ، فقال الشياطين : ابنوا له بنيانا يرى ذلك منها فلا يتزوجها فبنوا له صرحا من قوارير خضر وجعلوا له طوابق من قوارير بيض فبقى كأنه الماء وجعلوا تحت الطوابق

صور دواب البحر من السمك وغيره ، وقعد سليمان على كرسى ، ثم امر فادخلت بلقيس عليه ، فلما أرادت أن تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبته لجة ماء ، فكشفت عن ساقها لتدخل ؛ فلما رآها سليمان صرف نظره عنها ، (وقال : انه صرح بمرد من قوارير) فقالت : (رب إني ظلمت نفسي وأسليت مع سليمان لله رب العالمين) فاستشار سليمان في شيء يزيل الشعر ولا يضر الجسد ، فعمل له الشياطين النورة فهي أول ما عملت النورة * ونكحها سليمان وأحبها جدا شديدا ، وردّها الى ملكها باليمن ، فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام *

وقيل : انه أمرها أن تنكح رجلا من قومها فامتنعت وأنفت من ذلك فقال : لا يكون في الاسلام الا ذلك ، فقالت : ان كان ولا بد من ذلك فزوجني ذاتبع ملك همدان ، فزوجه إياها ، ثم ردها الى اليمن ، وسلط زوجها ذاتبع على الملك ، وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستغلمهم ذوتبع ، فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلخين ، ومرأوخ ، وفليون ، وهنيدة وغيرها ، فلما مات سليمان لم يطيعوا ذاتبع ، وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان ، وقيل : بل بقيا * وقيل : ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر وأخفى قبرها *

﴿ ذكر غزوته أباز وجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم في داره وأخذ خاتمه وعوده اليه ﴾
 قيل ، سمع سليمان بملك في جزيرة من جزائر البحر وشدة ملكه وعظم شأنه ، وانه لم يكن للناس اليه سبيل فخرج سليمان الى تلك الجزيرة وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها فقتل ملكها وغنم ما فيها وغنم بنتا للملك لم ير الناس مثلها حسنا وجمالا ، فاصطفها لنفسه ، ودعاها الى الاسلام فاسلمت على قلة رغبة فيه وأحبها جدا شديدا وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكي فقال لها ويحك ما هذا الحزن والدمع الذي لا يرقأ ؟ قالت اني اذ كر أبي وماكك وما أصابه فيحزني ذلك : قال فقد ابدلك الله ملكا خيرا من ملكك وهداك الى الاسلام قالت انه كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى فلو امرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني ؛ فامر الشياطين ؛ فعملوا لها مثل صورته لا ينكر منها شيئا ، وألبستها ثيابا مثل ثياب أيها ، وكانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في جوار يها فتسجد له ويسجدن معها وتروح عشية ويرحن ، فتفعل مثل ذلك ولا يعلم سليمان بشيء من أمرها أربعين صباحا وبلغ الخبر آصف بن برخيا

وكان صديقا و كان لا يرد من منازل سليمان اى وقت اراد من ليل او نهار سواء كان سليمان حاضرا او غائبا ، فأتاه ، فقال : يانبي الله ! قد كبر سني ودق عظمى وقد حان مني ذهاب بصرى ، وقد أحببت أن أقوم مقاما أذكر فيه أنبياء الله وأثنى عليهم بعلى فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون قال : افعلى ، فجمع له سليمان الناس ، فقام آصف خطيبا فيهم فذكر من مضى من الأنبياء وأثنى عليهم حتى انتهى إلى سليمان فقال : ما كان أحملك في صغرك وأبعدك عن كل ما يكره في صغرك ؟ ثم انصرف فملىء سليمان غضبا فارسل اليه وقال له : يا آصف لما ذكرتني جعلت تثنى على في صغرى وسكت عما سوى ذلك فما الذى أحدثت في آخر أمرى ؟ قال : ان غير الله ليعبد في دارك أربعين يوما في هوى امرأة قال : (إنا لله وإنا اليه راجعون) لقد علمت انك ما قلت إلا عن شىء بلغك . ودخل داره وكسر الصنم وعاقب تلك المرأة وجوارياها *

ثم أمر بثياب الطهارة فأتى بها - وهى ثياب تغزلها الأبقار اللاتي لم يحضن ولم تمسها امرأة ذات دم فلبسها وخرج إلى الصحراء وفرش الرماد ثم أقبل تائبا الى الله ، وتمسك في الرماد بثيابه تذلل الله تعالى وتضرعا ، وبكى واستغفر يومه ذلك ، ثم عاد إلى داره وكانت أم ولد له لا يثق إلا بها يسلم خاتمه اليها وكان لا ينزعه إلا عند دخول الخلاء وإذا أراد أن يصيب امرأة يسلمه اليها حتى يتطهر وكان ملكه في خاتمه ، فدخل في بعض تلك الأيام الخلاء وسلم خاتمه اليها ، فأتاها شيطان اسمه صخر الجنى^(١) في صورة سليمان ، فاخذ الخاتم وخرج إلى كرسى سليمان وهو في صورة سليمان ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الانس والجن والطير ، وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيئته ، فقال : خاتمي فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان ، قالت : كذبت لست بسليمان قد جاء سليمان وأخذ خاتمه مني

(١) خرافة وأى خرافة ؟ ! اه . الادارة : بل دسياسة الحادية ار يدبها انتقاص الانبياء الكرام بجمل نبوتهم معلقة في خاتم وعصى وغير ذلك وحاشا النبوة أن تكون من التفاهة بهذه الصورة المؤلة وكيف تمكن الشيطان من الدخول على نساء ساميان وان الطير تمكف عليه ؟ فكان على المنفلين الذين يعتقدون بذلك ان يعدوا الخاتم نفسه من الانبياء والرسل لأنه اجل قدر آمن سليمان إذ أن سلطته به وبمقده أنكرته خادمته وقومه بل لا مانع أن يكون الخاتم لها خالقا لأنله من القدرة ماصير الشيطان رسولا تخف به الانس والجن والطيور عندما استطاع ان يضعه في اصبعه * قاتل الله الكفرة وقاتل الله الحق والمففلين فقد تساهلوا في نقل أمثال هذه الدسائس حتى صارت تدخل في اعزال الكتب وما ذكره المصنف قد فنده الفخر الرازى في تفسيره وابطاله وذكر ما اورده الاستاذ في ما يأتى وزاد عليه احتمال ان الاجلاء كان يتسلط خوف أو توقع بلاه من بعض الجهات وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف المتقى على ذلك الكرسي ثم ازال عنه الخوف اه

وہو جالس علی سریرہ ، فعر ف سلیمان خطیثتہ ، فخرج وجعل یقول لبني اسرائيل : انا سلیمان فیحثون علیہ التراب ، فلما رأی ذلک قصد البحر وجعل ینقل سمک الصیادین ویعطونہ کل یوم سمکتین بیع احداہما بخبز ویأ کل الآخری فبقي كذلك أربعین یوما * ثم إن آصف وعظماہ بني اسرائيل أنکروا حکم الشیطان المتشبهہ بسلیمان ، فقال آصف : یا بنی اسرائيل اهل رأیتم من اختلاف حکم سلیمان مارأیت ؟ قالوا : نعم قال : أمهلونی حتی أدخل علی نساتہ وأسألہن هل أنکرن ما أنکرنا منہ ؟ فدخل علیہن وأسألہن فذکرن أشد ما عنده ، فقال : إنا لله وإنا الیہ راجعون * ان هذا هو البلاء المبین * ثم خرج الی بنی اسرائيل فأخبرہم فلما رأی الشیطان انہم قد علموا بہ طار من مجلسہ فر بالبحر ، فألقى الخاتم فیہ ، فبلعته سمکة واصطادها صیاد وحمل لہ سلیمان یومہ ذلک فأعطاه سمکتین تلك السمکة إحداهما ، فأخذها فشقها لیصلحها ویأ کلها ، فرأی خاتمہ فی جوفها فأخذہ ، وجعلہ فی أصبعہ ، وخر لله ساجدا وعکفت علیہ الانس والجن والطیر ، وأقبل علیہ الناس ، ورجع الی ملکہ وأظهر التوبہ من ذنبہ ، وبث الشیاطین فی احضار صخر الذی أخذ الخاتم ، فأحضروه ، فنقب لہ صخرة ، وجعلہ فیہا ، وسد النقب بالحیدو الرصاص وألقاه فی البحر ، وكان مقامہ فی الملک أربعین یوما بمقدار عبادة الصنم فی دار سلیمان * وقیل : كان السبب فی ذهاب ملکہ ان امرأة لہ كانت أبر نساتہ عنده تسمى جرادة ولا یأتمن علی خاتمہ سواہا ، فقالت لہ ان أخی بینہ و بین فلان حكومة وأنا أحب أن تقضی لہ فقال : أفعل ولم یفعل فابتلی وأعطاهما خاتمہ ودخل الخلاء فخرج الشیطان فی صورتہ فأخذہ ، وخرج سلیمان بعده فطلب الخاتم ، فقالت : ألم تأخذہ ؟ قال : لا وخرج من مکانہ تائها وبقي الشیطان أربعین یوما یحکم بین الناس فقطنوا لہ وأحدقوا بہ ونشروا التوراة فقرؤہا (۱) فطار من بین أیدیہم وألقى الخاتم فی البحر فابتلعه حوت ، ثم إن سلیمان قصد صیادا وهو جائع فاستطعمہ وقال : أنا سلیمان فكذبہ وضربہ فشجہ فجعل ، یغسل الدم ، فلام الصیادون صاحبہم وأعطوه سمکتین إحداهما التي ابتلعت الخاتم فشق بطنها وأخذ الخاتم فرد الله الیہ ملکہ ، فاعتذروا الیہ ؛ فقال : لا أحمدکم علی عذرکم ولا ألوکم علی ما كان منکم ، وسخر الله لہ الجن والشیاطین والریح ولم یکن سخرها لہ قبل ذلک وهو أشبه بظاہر القرآن وهو قوله تعالی : (قال رب اغفر لی وهب لی ملکا لا ینبغی لأحد من بعدی

(۱) وهل یعقل انہم بقوا أربعین یوما لا یقرؤن التوراة و اقل ما فیہا خمسة سبوت ؟ ان هذا لشیء عجاب ام الإدارة

إنك انت الوهاب * فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد) * وقيل : في سبب زوال ملكه غير ذلك والله أعلم^(١) *

* ذكر وفاة سليمان *

لما ردا الله الى سليمان الملك لبث فيه مطاعا والجن تعمل له (ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) وغير ذلك، ويعذب من الشياطين من شاء، ويطلب من شاء حتى اذا دنا أجله، وكان عاده اذا صلى كل يوم رأى شجرة نابتة بين يديه . فيقول : ما اسمك؟ فتقول : كذا فيقول : لاى شيء أنت؟ فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فينما هو قد صلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك؟ فقالت : الخرنوبة فقال لها لاى شيء؟ أنت قالت لخراب هذا البيت يعنى بيت المقدس ، فقال سليمان : ما كان الله ليخر به وأنا حتى أنت التي على وجهك هلاكى وخراب البيت وقلعها : ثم قال : اللهم اعم عن الجن موتي حتى يعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب *

وكان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي توفي فيها فينما هو قائم يصلى متوكئا على عصاه أدركه أجله، فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجن وهم في ذلك يعملون خوفاً منه، فأكلت، الارضة عصاه، فانكسرت فسقط فعلموا أنه قد مات وعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب (مالبثوا في العذاب المهين) ومقاساة الاعمال الشاقة *

ولما سقط أراد بنو اسرائيل أن يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرض على العصا يوماً وليلة فأكلت منها فحسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا في سنة^(٢) *

ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لا تيناك بأطيب الطعام، ولو

(١) الذي اعتقده ان ابتلاء سليمان كان يجلس اخيه ايشالون على كرسى داود الذي كان يرشح له سليمان * وليس يبيد ان ابتلاءه كان بالمرض حتى كان يجلس على الكرسى كأنه جسد لا حراك به اه الادارة : وهذا الوجه هو اختيار أبي مسلم الاصبهاني واستدل عليه بقول العرب للضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح . كذا في تفسير الفخر الرازي والألوسي (٢) يفهم من هذا أن سليمان قد وقف سنة متكئاً على العصا وهذا كلام لا تحصيل له ، والمعقول أنه مات ودفن ولا تعلم الجن بشأنه لانشغالهم بالأعمال فلما رأيت الجن عصاه وقد اكلتها دابة الأرض علموا أنها لم تستعمل وعدم استعمالها دليل موت صاحبها *

كنت تشربين الشراب لا تيناك بأطيب الشراب، ولكننا سننقل لك الماء والطين فهم ينقلون اليها حيث كانت ألم تر الى الطين يكون في وسط الخشبة؟ فهو ما ينقلونه لها (١) *
 قيل: إن الجن والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب الى بعض أولى التجربة منهم، وقيل كان إبليس - فقال لهم: أستم تنصرفون بأحمال وتعودون بغير أحمال؟ قالوا: بلى قال: فلکم في كل ذلك راحة، فحمت الريح الكلام فآلقتة في أذن سليمان، فأمر الموكلين بهم أنهم اذا جاؤا بالأحمال والآلات التي يبني بها الى موضع البناء والعمل يحملهم من هناك في عودهم ما يلقونه من المواضع التي فيها الأعمال ليكون أشق عليهم وأسرع في العمل، فاجتازوا بذلك الذي شكوا اليه حالهم فأعلموه حالهم، فقال لهم انتظروا الفرج فان الامور اذا تهاوت تغيرت فلم تطل مدة سليمان بعد ذلك حتي مات * وكان مدة عمره ثلاثا وخمسين سنة وملكة أربعين سنة *

* ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباز *

لما توفي كيقباز ملك بعده ابنه كيكاووس بن كينية بن كيقباز، فلما ملك حمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له، وكان يسكن بنواحي بلخ (٢) وولد له ولد سماه سياوخش وضمه إلى رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذك بن كرشاسب وكان أصهيد سجستان وما يليها وجعله عنده ليربيه فأحسن تربيته، وعلبه العلوم والفروسية والآداب وما يحتاج الملوك اليه، فلما كمل ما أراد حمله إلى أبيه فلما رآه سر به صورة ومعنى، وكان أبوه كيكاووس قد تزوج ابنة افراسياب ملك الترك، وقيل: انها ابنة ملك اليمن فهويت سياوخش ودعته إلى نفسها فامتنع فسعت به الى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم الشديد أن يخاطب أباه لينفذه إلى محاربة افراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه ليأمن كيد امرأته ففعل ذلك رستم، فسيره أبوه وضم اليه جيشا كثيفا، فسار إلى بلاد الترك للقاء افراسياب، فلما سار إلى تلك الناحية

(١) وهذه خرافة لا يصدقها إلا من سلبه الله نعمة العقل فالتبس عليه الأمر وأصبح يقلد كل شيء حتى أفسد نقله بهذه الأساطير فمن أين هم من قوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)؟ فهل يستقنون دابة الأرض بعدأ كلها المعصي؟ ويقولون أصبح رزقها على الجن لعمرى هذه للحماقة بعينها والجنون بمخادفيره .
 الإدارة (٢) بفتح فسكون من اشهر بلاد خراسان المسماة اليوم افغان ولكنها فصلت عنها وأصبحت اليوم اماراة صغيرة تحت سلطة الروس من جملة امارات تركستان

جرى بينهما صلح ، فكتب سیاوخش إلى أبيه يعرفه ماجرى بينه وبين افراسياب من الصلح ، فكتب اليه والده يأمره بمناهضة افراسياب ومحاربه وفسخ الصلح ، فاستقبح سیاوخش الغدر وأنف منه فلم ينفذ ما أمره به ، ورأى أن ذلك من فعل زوجة والده ليقبح فعله ، فراسل افراسياب في الأمان لنفسه لينتقل اليه ، فأجابه افراسياب إلى ذلك ، وكان السفير في ذلك قيران بن وكسعان ، ودخل سیاوخش إلى بلاد الترك ، فآكرمه افراسياب ، وأنزله وأجرى عليه ، وزوجه بنتا له يقال لها وسفافرید وهي أم كينخسرو فظهر له من أدب سیاوخش ومعرفة بالملك وشجاعته ماخاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعى ابني افراسياب وأخيه كندو حسدا منهم لسیاوخش فأمرهم افراسياب بقتله فقتلوه ومثلوا به ؛ وكانت زوجته ابنة افراسياب حاملة منه بابنه كينخسرو فطلبوا الحيلة في اسقاط ما في بطنها فلم يسقط ، فانكر قيران الذي كان أمان سیاوخش على يده قتله وحذر عاقبته والأخذ بثاره من والده كيكاووس ومن رستم ، وأخذ زوجة سیاوخش اليه لتضع ما في بطنها ويقتله ، فلما وضعت رق قيران لها ولللولود ولم يقتله واستر أمره حتى بلغ ، فسير كيكاووس إلى بلاد الترك من كشف أمره وأخذه اليه *

وحين بلغ خبر قتله إلى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزنا ، وهو أول من لبسه ، ودخل على كيكاووس ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : ان هذا اليوم يوم ظلام وسواد * ثم ان كيكاووس لما علم بقتل ابنه سير الجيوش مع رستم الشديد وطوس اصهبدا صبهان لمحاربة افراسياب ، فدخل بلاد الترك فقتلا واسرا ، وأثخنا فيها وجرى لها مع افراسياب حروب شديدة قتل فيها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سیاوخش * وزعمت الفرس : ان الشياطين كانت مسخرة له ، وانها بنت له مدينة طولها في زعمهم ثلثمائة فرسخ ، وبنوا عليها سورا من صفر ، وسورا من شبه^(١) وسورا من فضة ، وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والأرض ، وان كيكاووس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ثم ان الله أرسل إلى المدينة من يخربها فعجزت الشياطين عن المنع عنها ، فقتل كيكاووس جماعة من رؤسائهم * وقال بعض العلماء باخبار المتقدمين : انما سخر له فعل

(١) قال ابن السكيت الشبه - بكسر فسكون - اللاطون وانشد :

تدين لمزور الى جنب حلقة من الشبه سواها يرفق طيبها

أبوزيد جمعها أشباه . صاحب العين هو النحاس يصبغ فيصفر . وانما قيل له ذلك لانه يشبه بالذهب . اهـ

«ج ١٢ ص ٢٥ مخصص»

الشیاطین بأمر سلیمان بن داود، و كان مظفرا لا یناوتہ أحد من الملوك الاظهر علیه، فلم یزل كذلك حتی حدثته نفسه بالصعود الى السماء، فسار من خراسان الى بابل وأعطاه الله تعالى قوّة ارتفع بها هو ومن معه حتی بلغوا السحاب، ثم سلبهم الله تلك القوّة فسقطوا وهلكوا وأفلت بنفسه وأحدث يومئذ *

وهذا جمعيه من أكاذيب الفرس الباردة *

ثم ان كیکاووس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه و كثرت الخوارج علیه وصاروا يغزونه فيظفر مرة ويظفرون أخرى *

ثم غزا بلاد اليمن، وملكها يومئذ ذوالأذعار بن أبرهة ذی المنار بن الراءش فلما ورد اليمن خرج إليه ذو الأذعار، و كان قد أصابه الفالج فلم یکن یغزو فلما وطىء كیکاووس بلاده خرج اليه بنفسه وعساكره، وظفر بكیکاووس، فأسره؛ واستباح عسكره وحبسہ فی بئر وأطبق علیه، فسار رستم من سجستان الى اليمن وأخرج كیکاووس وأخذہ وأراد ذوالأذعار منعه فجمع العساكر وأراد القتال، ثم خاف البوار فاصطلحا على أخذ كیکاووس والعود الى بلاد الفرس فاخذہ وأعادہ الى ملكه، فأقطعه كیکاووس سجستان وزابلستان وهي أعمال غزنة^(۱) وأزال عنه اسم العبودية ثم توفي كیکاووس و كان ملكه مائة وخمسين سنة»

﴿ ذ كرمك كخسرو بن سیاوخش بن كیکاووس ﴾

لما مات كیکاووس ملك بعده ابن ابنه كخسرو بن سیاوخش بن كیکاووس وأمه وسفا فرید ابنة افراسياب ملك الترك؛ فلما ملك كتب إلى الاصبهدين جميعهم أن یأتوا بعساكرهم جميعا، فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفا مع طوس، وأمره بدخول بلاد الترك، وأن لا یمر بقریة ولا مدينة لهم إلا قتل كل من فيها إلا مدينة من مدنهم كان بها أخ له اسمه فرود بن سیاوخش، كان أبوه قد تزوج أمه فی بعض مدائن الترك فاجتاز طوس بها، فجرى بينه وبين فرود حرب قتل فيها فرود. فبلغ خبره كخسرو. فعظم علیه وكتب إلى عم له كان مع طوس يأمره بالقبض على طوس وارساله مقيدا والقیام بأمر الجيش. ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب فسیر افراسياب العساكر اليه فاقتلوا قتالا شديدا كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس الى رؤس الجبال وعادوا إلى كخسرو فوبخ عمه ولأمه واهتم بغزو الترك. فأمر بجمع العساكر جميعها وان لا یتخلف أحد. فلما اجتمعوا أعلمهم

(۱) هي ولاية من ولاية الافغان وكانت قديما عاصمتها من السلطان محمود الغزنوي

انه يريد قصد بلاد الترك من اربعة وجوه. فسير جودرز في اعظم العساكر و امره بالدخول إلى بلاد الترك بما يلي بلخ وأعطاه درفش كايان وهو العلم الأكبر الذي لهم؛ وكانوا لا يرسلونه إلا مع بعض أولاد الملوك لأمر عظيم، وسير عسكراً آخر من ناحية الصين؛ وسير عسكراً آخر مما يلي الخزر، وعسكراً آخر بين هذين العسكرين فدخلت العساكر بلاد الترك من كل جهاتها وأخربتها لاسيما جودرز فانه قتل وأخرب وسبي وتبعه كينخسرو بنفسه في طريقه فوصل إليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب وأثنى فيهم، ورآه قد قتل خمسمائة ألف ونيفا وستين ألفاً، وأسر ثلاثين ألفاً وغنم مالا يحصى ولا يحصى وعرض عليه من قتل من أهل افراسياب وطراختته فعظم جودرز عنده وشكره وأقطعه أصهبان وجرجان ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة من تلك الوجوه إلى الترك بما قتلوا وغنموا وأخربوا وانهم هزبوا لافراسياب عسكراً بعد عسكر فكتب اليهم ان يجدوا في محاربتهم ويوافقوه بموضع سماه لهم فلما بلغ افراسياب قتل من قتل من طراختته وأهله وعساكره عظم ذلك عليه فسقط في يديه ولم يكن بقي عنده من أولاده إلا ولده شیده فوجه في جيش نحو كينخسرو فسار إليه واقتلوا قتالاً شديداً أربعة أيام ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس يقتلونهم ويأسرون وأدركوا ابن افراسياب فقتلوه وسمع افراسياب بالحادثة وقتل ابنه فأقبل فيمن عنده من العساكر، فلقى كينخسرو فاقتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله، واشتد الأمر فانهم افراسياب وكثر القتل في الترك فقتل منهم مائة ألف، وجد كينخسرو في طلب افراسياب ولم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى بلغ أذربيجان، فاستتر؛ وظفر به وأتى به إلى كينخسرو * فلما حضر عنده سأله عن غدره بأبيه فلم يكن له حجة ولا عذر، فأمر بقتله فذبح كما ذبح سياوخش * ثم انصرف من أذربيجان مظفراً منصوراً فرحاً *

فلما قتل افراسياب ملك الترك بعده أخوه كي سواسف، فلما توفي ملك بعده ابنه جرزاسف وكان جباراً عاتياً *

فلما فرغ كينخسرو من الأخذ بثار أبيه واستقر في ملكه زهد في الدنيا وترك الملك وتنسك، واجتهد أهله وأصحابه به ليلازم الملك فلم يفعل، فقالوا له: فاعهد إلى من يقوم بالملك بعدك فعهد إلى هراسب وفارقهم كينخسرو وغاب عنهم فلا يدري ما كان منه ولا أين مات، وبعض يقول غير ذلك، وكان ملكه ستين سنة وملك بعده هراسب *

﴿ ذكر امر بني اسرائيل بعد سليمان ﴾

قيل: ثم ملك بعد سليمان علي بن اسرائيل ابنه رجبم بن سليمان وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم افرقت ممالك بني اسرائيل بعد رجبم فملك أفيا^(١) بن رجبم سبط يهوذا وبنيامين دون سائر الأسباط وذلك ان سائر الأسباط ملكوا عليهم يوربعم بن بايعا عبد سليمان بسبب القربان الذي كانت جرادة زوجة سليمان فيما زعموا قربته في داره للصنم فتوعدده الله تعالى أن نزع بعض الملك عن ولده فكان ملك أفيا بن رجبم ثلاث سنين ثم ملك آسا بن أفيا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملكهما إحدى وأربعين سنة، وكان رجلا صالحا، وكان أعرج *

﴿ ذكر محاربة آسا بن أفيا ورزح الهندي ﴾

قيل كان آسا بن أفيا رجلا صالحا، وكان أبوه قد عبد الأصنام ودعا الناس إلى عبادتها فلما ملك ابنه آسا أمر مناديا فنادى: ألا ان الكفر قد مات وأهله، وعاش الايمان وأهله فليس كافر في بني اسرائيل يطلع رأسه بكفر الاقتله؛ فان الطوفان لم يغرق الدنيا وأهلها، ولم يخسف بالقرى، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلى الأرض الا بترك طاعة الله والعمل بمعصيته، وشدد في ذلك، فأتي بعضهم ممن كان يعبد الأصنام ويعمل بالمعاصي إلى أم آسا الملك وكانت تعبد الأصنام فشكوا إليها فجاءت إليه ونهته عما كان يفعله وبالغت في زجره فلم يصغ إلى قولها بل تهددها على عبادة الأصنام وأظهر البراءة منها، فحينئذ أيس الناس منه وانتزح من كان يخافه وساروا إلى الهند، وكان بالهند ملك يقال له: رزح، وكان جبارا عا تيا عظيم السلطان قد أطاعه أكثر البلاد؛ وكان يدعو الناس إلى عبادته، فوصل إليه أولئك النفر من بني اسرائيل وشكوا إليه ملكهم؛ ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها وضعف ملكها وأطمعوه فيها، فأرسل الجواسيس فاتوه باخبارها فلما تبين الخبر جمع العساكر وساروا إلى الشام في البحر^(٢) وقال له بنو اسرائيل: ان لآسا صديقا نصره ويعينه قال: فإين آسا وصديقه من كثرة عساكري وجنودي؟ وبلغ خبره إلى آسا فتضرع إلى الله تعالى، وأظهر الضعف والعجز عن الهندي، وسأل الله النصره عليه،

(١) الذي في الاصحاح ١٥ من سفر الملوك الاول ايام (٢) سفر الملوك الهندي إلى فلسطين لا يعرف في التاريخ الصحيح ولا في كتب الأنبياء وإنما كانت الحرب بين آسا وبشام ملك اسرائيل وفي اخبار الأيام الثاني في الاصحاح الرابع عشر محاربة آسا لزراح الكوشى وكان جاء في ألف ألف وهي في نظري حكاية خرافية.

فاستجاب الله وأراه في المنام أني سأظهر من قدرتي في رزح الهندي وعسا كره ما أ كفيك
 شرم وأغنمكم أموالهم حتى يعلم أعداؤك ان صديقك لا يطلق وليه ولا ينهزم جنده، ثم
 سار رزح حتى أرسى بالساحل^(١) وسار إلى بيت المقدس، فلما صار على مرحلتين منه
 فرقى عسا كره فامتلات منهم تلك الأرض وملاّت قلوب بني إسرائيل رعبا، وبعث آسا
 العيون فعادوا وأخبروه من كثرتهم بما لم يسمع بمثله، وسمع الخبر بنو إسرائيل، فصاحوا
 وبكوا، وودّع بعضهم بعضا وعزموا على أن يخرجوا إلى رزح ويستسلموا إليه وينقادوا
 له، فقال لهم ملكهم: إن ربي قد وعدني بالظفر ولا خلف لوعده فعادوا للدعاء والتضرع
 ففعلوا ودعوا جميعهم وتضرعوا، فزعموا أن الله أوحى إليه يا آسا أن الحبيب لا يسلم حبيبه
 وأنا الذي أ كفيك عدوك فانه لا يهون من توكل على ولا يضعف من تقوى بي وقد
 كنت تذكري في الرخاء فلا أسلمك في الشدة، وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعدائي،
 فاستبشر وأخبر بني إسرائيل * فأما المؤمنون فاستبشروا، وأما المناقون فكذبوه *
 وأمره الله بالخروج إلى رزح في عسا كره فخرج في نفر يسير فوقهوا على راية من الأرض
 ينظرون إلى عسا كره؛ فلما رآهم رزح احتقرهم واستصغرم وقال: انما خرجت من بلادى
 وجمعت عسا كرى وأنفقت أموالى لهذه الطائفة؛ ودعا النفر من بني إسرائيل الذين قصدوه
 والجواسيس الذين أرسلهم ليختبروا له، وقال كذبتموني وأخبرتموني بكثرة بني إسرائيل
 حتى جمعت العسا كرى و فرقت أموالى، ثم أمر بهم فقتلوا وأرسل إلى آسا يقول له: أين صديقك
 الذي ينصرك ويخلصك من سطوتي؟ فاجابه آسا يا شقي! انك لا تعلم ما تقول أتريد أن
 تغالب الله بقوتك أم تكاثره بقلتك وهو معى في موقفى هذا ولن يغلب أحد كان الله معه
 وستعلم ما يحل بك فغضب رزح من قوله وصف عسا كره، وخرج إلى قتال آسا، وأمر
 الرماة فرمواهم بالسهم، فبعث الله من الملائكة مدد البني إسرائيل فاخذوا السهم، ورموا
 بها الهنود، فقتلت كل انسان منهم نشابته، فقتل جميع الرماة فضج بنو إسرائيل بالتسبيح
 والدعاء، وترات الملائكة للهنود * فلما رآهم رزح ألقى الله الرعب في قلبه وسقط في يده ونادى
 في عسا كره يأمرهم بالجملة عليهم، ففعلوا فقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير رزح وعبيده
 ونسائه * فلما رأى ذلك ولى هاربا وهو يقول قتلنى صديق آسا، فلما رآه آسا مدبرا قال:
 اللهم انك ان لم تهلكه استنفر علينا نائبه وبلغ رزح ومن معه إلى البحر فركبوا السفن،

(١) اى ساحل لفسطين ترسوفيه سفن الهند؟

فلما سارت بهم أرسل الله عليهم الرياح ففرقتهم أجمعين *
 ثم ملك بعد آسا ابنه سافاط (۱) الى أن هلك خمسا وعشرين سنة *
 ثم ملكت عزليا (۲) بنت عمرم أخت أخزيا وكانت قتلت أولاد ملوك بني اسرائيل ولم يبق
 منهم إلا يواش بن أخزيا وهو ابن ابنها فانه ستر عنها ثم قتلها يواش وأصحابه وكان ملكها
 سبع سنين *
 ثم ملك يواش أربعين سنة ، ثم قتله أصحابه وهو الذي قتل جدته *
 ثم ملك عوزيا بن امصيا بن يواش ، ويقال له : غوزيا الى أن توفى اثنتين وخمسين سنة *
 ثم ملك يوثام بن عوزيا الى أن توفى ست عشرة سنة *
 ثم ملك حزقيا بن أحاز الى أن توفى فيقال : انه صاحب شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاء
 عمره فضرع الى ربه فزاده ، وأمر شعيا باعلامه ذلك * وقيل : ان صاحب شعيا في هذه
 القصة اسمه صدقيا (۳) على ما يرد ذكره *

﴿ ذكر شعيا والملك الذي معه من بني اسرائيل ومسير سنحاريب الى بني اسرائيل ﴾
 قيل : كان الله تعالى قد أوحى الى موسى ما ذكر في القرآن (وقضينا الى بني اسرائيل في
 الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا
 عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً * ثم رددنا لكم
 الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * ان أحستم أحستم لأنفسكم
 وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول
 مرة وليتبروا ما علوا تبيرا * عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
 حصيرا (۴)) فكثر في بني اسرائيل الأحداث والذنوب وكان الله يتجاوز عنهم متعظفا
 عليهم ، وكان من أول ما أنزل الله عليهم عقوبة لذنوبهم ان ملكا منهم يقال له صدقيا (۵)
 وكانت عادتهم اذا ملك عليهم رجل بعث الله اليه نبيا يرشده ويوحى اليه ما يريد ولم يكن
 لهم غير شريعة التوراة فلما ملك صدقيا بعث الله تعالى اليه شعيا ، وهو الذي بشر بعيسى
 ومحمد عليه السلام (۶) فلما قارب أن ينقض ملكه عظمت الأحداث في بني اسرائيل

(۱) هو بهو سافاط (۲) عثليا وهي ام أخزيا بن بهرام (۳) الذي في الاصحاح التاسع والمشرين من أخبار
 الايام الثاني انه حزقيا (۴) راجع من الاصحاح ۲۸ إلى آخر الاصحاح ۳۰ من سفر التثنية (۵) قد علمت في آخر
 الفصل السابق انه حزقيا (۶) راجع الاصحاحات ۹ و ۲۶ و ۳۵ و ۴۲ و ۴۳ و ۵۰ و ۵۱ و ۵۲ و ۵۳ و
 ۵۴ و ۵۵ و ۶۰ و ۶۵ وكأها رموز واشارات الى رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

فأرسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل في عساكر يغص بها الفضاء فسار حتى نزل بيت المقدس ، وأحاط به ، وملك بني اسرائيل مريض في ساقه قرحة ، فاتاه النبي شعيا ، وقال له : ان الله يأمرك أن توصي وتعهد فانك ميت فأقبل الملك على الدعاء والتضرع ، فاستجاب الله له فأوحى الله الى شعيا أنه قد زاد في عمر الملك صدقيا^(١) * خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب * فلما قال له ذلك زال عنه الألم وجاءته الصحة * ثم ان الله أرسل على عساكر سنحاريب ملكا صاح بهم فماتوا غير ستة نفر منهم سنحاريب وخمسة من كتابه أحدهم يختصر في قول بعضهم ، فخرج صدقيا وبنو اسرائيل الى معسكرهم ، فغنموا ما فيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه ، فأرسل الطالب في أثره فوجدوه ومعه أصحابه ؛ فأخذوهم وقيدوهم وحملوهم اليه^(٢) فقال لسنحاريب : كيف رأيت صنع ربنا بك ؟ فقال : قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم فلم أسمع ذلك فطاف بهم حول بيت المقدس ، ثم سجنهم فأرعى الله الى شعيا يأمر الملك باطلاق سنحاريب ومن معه فأطلقهم ، فعادوا الى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم وبعساكرهم ، وبقى بعد ذلك سبع سنين ثم مات * وقد زعم بعض أهل الكتاب : ان بني اسرائيل سار اليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له : كفرو و كان يختصر ابن عمه و كاتبه ، وان الله أرسل عليهم ريحا فأهلك جيشه ، وأفلت هو و كاتبه ، وان هذا البابي قتله ابن له ، وان يختصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذي قتله ، وان سنحاريب سار بعد ذلك و كان ملكه بنيوى^(٣) وغزا مع ملك أذربيجان يومئذ بني اسرائيل ، فأوقع بهم ، ثم اختلف سنحاريب و ملك أذربيجان و تحاربا حتى تفانا عسكراهما فخرج بنو اسرائيل و غنموا ما معهم * وقيل : كان ملك سنحاريب الى أن توفي تسعا وعشرين سنة ، و كان ملك بني اسرائيل الذي حصره سنحاريب حزقيا ، فلما توفي حزقيا ملك بعده ابنه منشا^(٤) خمساً وخمسين سنة ثم ملك بعده أمون الى أن قتله أصحابه ثلثي عشرة سنة * ثم ملك ابنه يوشيا - الى أن قتله فرعون مصر الأجدع إحدى وثلاثين سنة * ثم ملك بعده ابنه ياهو أجاز بن يوشيا فعزله فرعون الأجدع واستعمل بعده يواقيم بن

(١) عرفت قريبا انه حزقيا (٢) ليس في سفر أخبار الأيام ما يفيد اسرا احد منهم ولكنهم رجعوا الى بلادهم فقتله أولاده وعبارة فقرة ٢٠ اصحاح ٣٣ من أخبار الأيام الثاني : فرجع بخزي الوجه الى أرضه ولما دخل بيت إله قتله هناك بالسيف الذين خرجوا من احشائه . (٣) مدينة على شاطئ دجلة الشرقى تسمى الآن الموصل المتينة راجع صحيفة ٥ (٤) في أخبار الأيام منسى بالسين المهمة المشددة *

یاهو آحاز، ووظف علیہ خراجا یحملہ الیہ، وکان ملکہ اثنی عشر سنة *
 ثم ملک بعدہ ابنہ یو یاحین^(۱) فغزاه بختنصر، وأشخصه الی بابل بعد ثلاثة أشهر من ملکہ
 وملك بعدہ یقونیا ابن عمہ^(۲) وسماه صدقیا، وخالفه فغزاه وظفر به، وحمله الی بابل وذبح
 ولده بین یدیه وسمل عینیه، وخرّب بیت المقدس والهیكل، وسبي بنی اسرائیل، وحملهم
 الی بابل فمكثوا الی أن عادوا الیہ علی ما نذرہ ان شاء الله * وکان جمیع ملک صدقیا
 إحدى عشرة سنة *

وقیل: ان شعیا أوحی الله الیہ لیقوم فی بنی اسرائیل یدکرهم بما یوحی الله علی لسانہ
 لما كثرت فیہم الأحداث ففعل، فعدوا علیہ لیقتلوه، فهرب منهم فلقیته شجرة فانفلقت
 له، فدخلها وأخذ الشيطان بهدب ثوبه وأراه بنی اسرائیل، فوضعوا المنشار علی الشجرة
 فنشروها حتی قطعوه فی وسطها *

وقیل فی أسماء ملوکهم غیر ذلك ترکناه کراهة التطویل ولعدم الثقة بصحة النقل به *

﴿ ذکر ملک ہراسب و ابنہ بشتاسب و ظهور زرادشت ﴾

قد ذکرنا أن کیخسر و لما حضرتہ الوفاة عهد الی ابن عمہ ہراسب بن کیوخی بن
 کیکاووس فهو ابن ابن کیکاووس، فلما ملک اتخذ سریرا من ذهب و کله بأنواع
 الجواهر، وبنیت له بأرض خراسان مدينة بلخ، وسماها الحسناء، ودون الدواوین، وقوی
 ملکہ بانتخابه الجنود. و عمر الأرض وجبى الخراج لأرزاق الجند، واشتدت شوكة
 الترك فی زمانه، فنزل مدينة بلخ لقتالهم، وکان محمودا عند أهل مملکتہ، شدید القمع
 لاعدائه المجاورین له، شدید التفقد لأصحابه، بعيد الهمة، عظیم البیان، وشق عدة أنهار
 و عمر البلاد وحمل الیہ ملوک الهند والروم والمغرب الخراج، وکاتبوه بالتملیک هبة
 له وحذرا منه ثم انه تنسک وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب فی
 الملك وکان ملکہ مائة وعشرين سنة *

و ملک بعدہ ابنہ بشتاسب و فی أيامه ظهر زرادشت بن سقیان الذی ادعی النبوة
 وتبعه المجوس. وکان زرادشت فیما یزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين یخدم لبعض

(۱) هو یهو یا کین کما فی فقرة ۸ من الاصحاح ۳۶ من اخبار الأيام الثاني (۲) الفقرة ۱۰ من اصحاح

۳۶ من سفر اخبار الأيام الثاني: وملك صدقیا اخاه علی یهوذا واورشليم *

(۱۹۲ - ج ۱ الكامل)

تلامذة أرميا النبي خاصة به فخانه وكذب عليه ، فدعا الله عليه ، فبرص ولحق ببلاد أذربيجان
وشرع بها دين المجوس *

وقيل : إنه من العجم وصنف كتاباً وطاف به الأرض فما عرف أحد معناه ،
وزعم أنها لغة سماوية خوطب بها وسماه اشتا ، فسار من أذربيجان إلى فارس ، فلم يعرفوا
ما فيه ولم يقبلوه ، فسار إلى الهند ، وعرضه على ملوكها * ثم أتى الصين والترك فلم يقبله
أحد ؛ وأخرجوه من بلادهم ، وقصد فرغانة فأراد ملكها أن يقتله ، فهرب منها وقصد بشتاسب
ابن لهراسب فأمر بحبسه فحبس مدة *

وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير ؛ ثم شرح الزند بكتاب سماه بازند
بمعنى تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضات وأحكام النجوم والطب وغير ذلك من
خبر القرون الماضية وكتب الأنبياء ، وفي كتابه : تمسكوا بما جئتم به إلى أن يجيئكم
صاحب الجمل الأحمر يعني ، محمداً ﷺ وذلك على رأس ألف سنة وستمئة سنة ^(١) وبسبب
ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ، ثم يذكر عند أخبار سابور ذي الأكتاف أن
من جملة الأسباب الموجبة لغزوة العرب هذا القول والله أعلم *

ثم أن بشتاسب أحضر زرادشت وهو بيلخ ، فلما قدم عليه شرع له دينه فأعجبه واتبعه
وقهر الناس على اتباعه : وقتل منهم خلقاً كثيراً حتى قبلوه ودانوا به *
وأما المجوس فيزعمون أن أصله من أذربيجان ، وأنه نزل على الملك من سقف إيوانه
ويده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه وكل من أخذها من يده لم تحرقه ، وأنه اتبعه الملك
ودان بدينه ، وبني بيوت النيران في البلاد وأشعل من تلك النار في بيوت النيران ،
فيزعمون أن النيران التي في بيوت عبادتهم من تلك إلى الآن *
وكذبوا فان النار التي للمجوس طفئت في جميع البيوت لما بعث الله محمداً ﷺ على
مانذكره إن شاء الله تعالى *

وكان ظهور زرادشت بعد مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسب ، وأتاه بكتاب زعم
أنه وحى من الله تعالى ، وكتب في جلده اثني عشر ألف بقرة حفرا ، ونقشاً بالذهب ، فجعله
بشتاسب في موضع باصطخر ، ومنع من تعليمه العامة ، وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون

(١) هذا لا يكون لأنه إذا كان من تلاميذ أرميا ، فيكون ذلك في أيام سبي بابل أو بعد ذلك بقليل وسبي
بابل كان في القرن السادس قبل الميلاد والنبي صلى الله عليه وسلم جاء في القرن السابع بعده ومدة ذلك
الف ومائتا سنة أو أقل *

بدین الصابئة، وسیرد باقی اخبارہ *

﴿ ذکر مسیر بختنصر ^(۱) الی بنی اسرائیل ﴾

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه بختنصر على بني إسرائيل فقيل: كان في عهد أرميا النبي، ودانيال، وحنانيا، وعزارييا، وميشائيل؛ وقيل: إنما أرسله الله على بني إسرائيل لما قتلوا يحيى ^(۲) بن زكريا. والاول أكثر *

وكان ابتداء أمر بختنصر ما ذكره سعيد بن جبیر قال: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ الكتب فلما بلغ إلى قوله تعالى (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) قال: أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يده، فأرى في المنام مسكينا يقال له: بختنصر يابل، فسار على سبيل التجارة إلى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم حتى دلوه على بختنصر فأرسل من يحضره فراه صعلو كما مريضاً، فقام عليه في مرضه يعالجه حتى برأ فلما برأ أعطاه نفقة وعزم على السفر، فقال له بختنصر، وهو يبكي، فعلت معي ما فعلت ولا أقدر على مجازاتك قال الاسرائيلي: بلى تقدر عليه تكتب لي كتابا إن ملكت أطلقتني، فقال: أنتهزي بي؟ فقال إنما هذا أمر لا محالة كأن *

ثم ان ملك الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام، فأرسل انسانا يثق به ليتعرف له أخباره وحال من فيه، فسار إليه ومعه بختنصر فقير لم يخرج إلا للخدمة، فلما قدم الشام رأى أكبر بلاد الله خيلا ورجالا وسلاحا، فقت ذلك في ذرعه فلم يسأل عن شيء وجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام، فيقول لهم ما يمنعكم أن تغزوا بابل؟ فلو غزوتموها مادون بيت مالها شيء فكلهم يقول له: لانحسن القتال ولا نراه، فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيول وأرسل بختنصر إلى الملك يطلب إليه أن يحضره ليعرفه جلية الحال، فأحضره فأخبره بما كان جميعه *

ثم ان الملك أراد أن يبعث عسكريا إلى الشام أربعة آلاف راكب جديدة واستشار فيمن يكون عليهم فأشاروا ببعض أصحابه، فقال لا بل بختنصر فجعله عليهم فساروا فغنموا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين، ثم أن لهراسب استعمله أصيب بد على ما بين

(۱) قال في القاموس وبخت نصر بالتشديد اصله بوخت ومعناه ابن، ونصر كبقم صنم اه (۲) غلط فاضح على التاريخ فان بخت نصر ولي الملك سنة ۶۰۶ قبل ميلاد المسيح، ويحيى قتل بعد الميلاد في العقد الثالث منه اي في سنة ثمان وعشر بن تقريبا *

الأهواز الى أرض الروم من غرب دجلة، وكان السبب في مسيره الى بني اسرائيل انه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا سار الى الشام فصالحه أهل دمشق وبيت المقدس فعاد عنهم وأخذ رهائهم، فلما عاد من القدس الى طبرية وثب بنو اسرائيل على ملكهم الذي صالح مختصر فقتلوه وقالوا داهنت أهل بابل وخذلتنا، فلما سمع مختصر بقتل الرهائن الذين معه عاد الى القدس فأخبره وقيل: ان الذي استعمله انما كان الملك بهمن بن بشتاسب بن لهراسب، وكان مختصر قد خدم جده وأباه وخدمه وعمر عمرا طويلا، فأرسل بهمن رسلا الى ملك بني اسرائيل بيت المقدس فقتلهم الاسرائيلي فغضب بهمن من ذلك، واستعمل مختصر على أقاليم بابل وسيره في الجنود الكثيرة فعمل بهم ما ذكره * هذه الأسباب الظاهرة *

وانما السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بني اسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره، وكانت سنة الله تعالى في بني اسرائيل انه اذا ملك عليهم ملكا أرسل معه نبيا يرشده ويهديه الى أحكام التوراة، فلما كان قبل مسير مختصر اليهم كثرت فيهم الأحداث والمعاصي، وكان الملك فيهم يقونيا بن يواقيم فبعث الله اليه أرميا قيل هو الخضر عليه السلام، فأقام فيهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن المعاصي ويذكر لهم نعمة الله عليهم باهلاك سنحاريب فلم يردوا فأمره الله أن يحذرهم عقوبته وانهم إن لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم ويسبي ذراريهم ويحرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة فلم يراجعوها فأرسل الله اليه لا يقضن لهم فتنة تذر الحليم حيران، ويضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم، ولا سلطان عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل وعساكر مثل قطع السحاب، يهلك بني اسرائيل وينتقم منهم ويحرب بيت المقدس فلما سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه، وتضرع الى الله في رفع ذلك عنهم في أيامه، فأوحى الله اليه وعزتي لا أهلك بيت المقدس وبني اسرائيل حتي يكون الأمر من قبلك في ذلك ففرح أرميا وقال لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق لا أمر بهلاك بني اسرائيل أبدا، وأتى ملك بني اسرائيل فأعلمه بما أوحى اليه فاستبشر وفرح، ثم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين ولم يزدادوا إلا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي حيث لم يكونوا هم يتذكرون، فقال لهم ملكهم يا بني اسرائيل انتهوا عما أتم عليه قبل أن يأتيكم عذاب الله فلم ينتهوا، فألقى الله في قلب مختصر أن يسير الى

بي اسرائيل بيت المقدس فسار في العساكر الكثيرة التي تملأ الفضاء، وبلغ ملك بني اسرائيل الخبر فاستدعى أرميا النبي، فما حضر عنده قال له يا أرميا أين مازعت ان ربك أوحى اليك أن لا يهلك بيت المقدس حتي يكون الأمر منك؟ فقال أرميا: إن ربي لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل ودنا انقطاع ملكهم وأراد الله إهلاكم أرسل الله ملكا في صورة آدمي الى أرميا، وقال له استفتيهم، فأناه وقال له يا أرميا أنا رجل من بني اسرائيل أستفتيك في ذوى رحمتي وصلت أرحامهم بما أمرني الله به وأتيت اليهم حسنا وكرامة فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا سخطالي وسوء سيرة معي فأفتني فيهم، فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به أن تصله، فانصرف عنه الملك ثم عاد اليه بعد أيام في تلك الصورة، فقال له أرميا أما طهرت أخلاقهم وما رأيت منهم ما تريد؟ فقال والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يوتيها أحد من الناس الى ذوى رحمة إلا وقد آتيتها اليهم وأفضل من ذلك فلم يزدادوا إلا سوء سيرة، فقال ارجع إلى أهلك وأحسن اليهم فقام الملك من عنده فلبث أياما، ونزل بمختصر على بيت المقدس بأكثر من الجراد ففرع منهم بنو اسرائيل، وقال ملكهم لأرميا: أين ما وعدك ربك؟ فقال إني بربي واثق، ثم ان الملك الذي أرسله الله يستفتي أرميا عاد اليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس، فقال مثل قوله الاول وشكا أهله وجورهم، وقال له: يا بني الله كل شيء كنت أصبر عليه قبل اليوم لان ذلك كان فيه سخطي وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سخط الله تعالى، فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم يشتد عليهم غضبي، وإنما غضبت اليوم لله وأتيتك لا تخبرك خبرهم، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلا مادعوت الله عليهم أن يهلكوا، فقال أرميا ياملك السموات والأرض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم، فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس والتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها، فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه، وقال: ياملك السموات والأرض يا أرحم الراحمين أين ميعادك أيارب الذي وعدتني به؟ فأوحى الله اليه انه لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت رسولنا فاستيقن انها فتياه، وان السائل كان من عند الله، وخرج أرميا حتى خالط الوحش، ودخل بمختصر وجنوده بيت المقدس، فوطئ الشام، وقتل بني اسرائيل حتي أفناهم، وخرب بيت المقدس وأمر جنوده فحملوا التراب والقوه فيه حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى

بابل وأخذ معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم فجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمعوا واختار منهم مائة ألف صبي فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه، وكان من أولئك الغلمان دانيال، النبي وحنانيا، وعزارياء، وميشائيل * وقسم بني اسرائيل ثلاث فرق قتل ثلثا، وأقر بالشام ثلثا؛ وسي ثلثا *

ثم عمر الله بعد ذلك أرميا فهو الذي رؤى بفلوات الأرض والبلدان، ثم أن يختصر عاد الى بابل وأقام في سلطانه ما شاء الله ان يقيم، ثم رأى رؤيا فينا هو قد أعجبه ما رأى اذ رأى شيئا انساه ما رأى، فدعا دانيال وحنانيا وعزارياء وميشائيل، وقال: أخبروني عن رؤيا رأيتموها فانسيتموها ولئن لم تخبروني بها وتأويلها لانز عن أكتافكم، فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرعوا اليه، وسألوه أن يعلمهم اياها، فأعلمهم الذي سألهم عنه، فجاؤا الى مختصر، فقالوا رأيت تمثالا قال: صدقتم، قالوا: قدماه وساقاه من نغار وركبته وفخذه من نحاس وبطنه من فضة و صدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد فينا أنت تنظر اليه قد أعجبك ارسل الله عليه صخرة من السماء فدقته، وهي التي أنستك الرؤيا، قال صدقتم فماتوا ويلها؟ قالوا أريت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكا من بعض؛ وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض، وبعضهم أشد، وكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد، ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن، ثم كان فوقها الذهب وهو أحسن من الفضة وأفضل، ثم كان الحديد وهو ملكك فهو أشد الملك وأعز وكانت الصخرة التي رأيت - ان ارسل الله ملكا من السماء فدق ذلك جميعه - نيا يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر اليه، فلما عبر دانيال ومن معه رؤيا يختصر قربهم وادناهم واستشارهم في أمره، فحسدتهم أصحابه وسعوا بهم اليه، وقالوا عنهم ما أوحشه منهم، فأمر فحفر لهم اخدودا وألقاهم فيه وهم ستة رجال والقي معهم سبعا ضاريا ليا كلهم، ثم قال أصحاب يختصر انطلقوا فلنا كل ولنشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه يتهم لم يخذش منهم أحدا، ووجدوا معهم رجلا سابعا، فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة، فلطم يختصر لطمه فمسخه، وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يعقله الانسان، ثم رده الله الى صورة الانس واعاد عليه ملكه، فلما عاد الى ملكه كان دانيال واصحابه أكرم الناس عليه، فعاد الفرس وسعوا بهم الى يختصر

وقالوا له في سعائهم: ان دانيال اذا شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البول وكان ذلك عندهم عارا فصنع لهم بختنصر طعاما وأحضره عنده، وقال للبواب: انظر أول من يخرج ليول فاقبله وان قال لك أنا بختنصر فقل له كذبت: بختنصر أمرني بقتلك واقتله، فخبس الله عن دانيال البول وكان أول من قام من الجمع بختنصر، فقام مدلا انه الملك لثلا يقدم أحد عليه. وكان ذلك ليلا فلما رآه البواب شد عليه ليقتله. فقال له أنا بختنصر فقال: له كذبت ان بختنصر أمرني بقتلك وقتله *

وقيل في سبب قتله: إن الله أرسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت الى رأسه، فكان لا يقرو ولا يسكن حتى يدق رأسه فلما حضره الموت قال لأهله: شقوا رأسي فانظروا ما هذا الذي قتلني؟ فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة بأمر رأسه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه وضعف بختنصر، لما تجبر قتله بأضعف مخلوقاته، تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد* وأما دانيال فانه أقام بأرض بابل، وانتقل عنها ومات، ودفن بالسوس^(۱) من أعمال خوزستان *

ولما أراد الله تعالى أن يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس كان بختنصر قد مات، فانه عاش بعد تخريب بيت المقدس أربعين سنة في قول بعض أهل العلم، وملك بعده ابن له يقال له . والمرجع فلك الناحية ثلاثا وعشرين سنة ثم هلك وملك ابن له يقال له : بلناصر^(۲) سنة، فلما ملك تخطط في أمره فعزله ملك الفرس حينئذ وهو مختلف فيه على ما ذكرناه، واستعمل بعده داريوش على بابل والشام وبقي ثلاثين سنة، ثم عزله واستعمل مكانه أخشويرش فبقي أربع عشرة سنة، ثم ملك ابنه كيرش العلي وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية، وفهم عن دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزاريا وغيرهما، فسألوه أن يأذن لهم في الخروج الى بيت المقدس، فقال لو كان بقي منكم ألف نبي ما فارقتمكم، وولي دانيال القضاء وجعل اليه جميع أمره، وأمره أن يقسم ما غنمه بختنصر من بني اسرائيل عليهم، وأمرهم بعمارة بيت المقدس، فعمر في أيامه وعاد اليه بنو اسرائيل وهذه المدة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس منسوبة الى بختنصر، وكان

(۱) يزعم الناس أنه مدنون بالاسكندرية وله هناك مقام ومسجد وهو خطأ لان دانيال مولود في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ومات في القرن السادس، وبناء الاسكندرية في أواخر القرن الرابع أي بمدة سنة ۳۳۳ قبل الميلاد (۲) الذي في الفقرة الاولى من الاصحاح السابع من سفر دانيال أنه ييلشاصر *

ملكت كيرش اثنتين وعشرين سنة *

وقيل : إن الذي أمر بعود بني إسرائيل الى الشام بشتاسب بن لهراسب ، وكان قد بلغه خراب بلاد الشام ، وانها لم يبق بها من بني إسرائيل أحد فنأدى في أرض بابل من شاء من بني إسرائيل أن يرجع الى الشام فليرجع ، وملك عليهم رجلا من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ، فرجعوا وعمروه ، وكان أرميا بن حزقيا من سبط هرون ابن عمران ، فلما وطئ بختنصر الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل وسباهم وقد فارق البلاد واختلط بالوحش فلما عاد بختنصر الى بابل أقبل أرميا على حماره معه عصير عنب وفي يده سلة تين ، فرأى بيت المقدس خرابا ، فقال : (أني يحيي هذه الله بعد موتها * فأماته الله مائة عام) ، ثم أمات حماره وأعمى عنه العيون ، فلما أن عمر بيت المقدس أحيا الله من أرميا عينيه ، ثم أحيا جسده وهو ينظر اليه ، وقيل له : (كم لبثت ؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم) ، قيل : (بل لبثت مائة عام ، فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) ويتغير ، (وانظر الى حمارك) ، فنظر الى عظام حماره وهي تجتمع بعضها الى بعض ؛ ثم كسى لحما ، ثم قام حيا بأذن الله ونظر الى المدينة وهي تبنى ، وقد كثر فيها بنو إسرائيل وتراجعوا اليها من البلاد ، وكان عهدا خرابا وأهلها ما بين قتيل وأسير ، فلما رآها عامرة (قال : أعلم إن الله على كل شيء قدير) *

وقيل : إن الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه كان عزيزاً ، فلما عاش قصد منزله من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده عجوزا عمياء زمنة كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها : هذا منزل عزيز ؟ قالت نعم وبكت ، وقالت : ما أرى أحدا يذكرك عزيزاً غيرك ، فقال : أنا عزيز ، فقالت : إن عزيزاً كان مجاب الدعوة ، فادعوا الله لي بالعافية ، فدعا لها فعاد بصرها ، وقامت ومشيت فلما رآته عرفته ، وكان لعزيز ولد وله من العمر مائة وثلاث عشرة سنة وله أولاد شيوخ ؛ فذهبت اليهم الجارية ، وأخبرتهم به فجاءوا ، فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت في ظهره *

وقيل : إن عزيزاً كان مع بني إسرائيل بالعراق فعاد إلى بيت المقدس ، فجدد لبني إسرائيل التوراة لانهم عادوا الى بيت المقدس ، ولم يكن معهم التوراة لأنها كانت قد أخذت فيما أخذ وأحرقت وهدمت ، وكان عزيز قد أخذ مع السبي ، فلما عاد عزيز الى بيت المقدس مع بني إسرائيل جعل يمسك ليلاً ونهاراً وانفرد عن الناس فيمنها هو

كذلك في حزنه إذ أقبل إليه رجل وهو جالس، فقال يا عزيز ما يبكيك، فقال: أباكى لأن كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا انعدم، قال: فتريد أن يرده الله عليكم، قال: نعم، قال: فارجع ووصم وتطهر والميعاد بيننا غدا هذا المكان، ففعل عزيز ذلك، وأتى المكان فانتظره، وأتاه ذلك الرجل ببناء فيه ماء، وكان ملكا بعثه الله في صورة رجل فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التوراة في صدره فرجع الى بنى إسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها فأحبوه حباً شديداً لم يحبوا شيئاً قط مثله وأصلح أمرهم وأقام عزيز بينهم ثم قبضه الله إليه على ذلك وحدثت فيهم الأحداث حتى قال بعضهم عزيز ابن الله ولم يزل بنو إسرائيل بيت المقدس وعادوا وكثروا حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة؛ وقد اختلف العلماء في أمر بختنصر وعمارته بيت المقدس اختلافاً كثيراً تركنا ذكره اختصاراً *

﴿ ذكر غزو بختنصر العرب ﴾

قيل: أوحى الله الى برخيا بن حنانيا يأمره أن يقول لبختنصر ليغز العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم، فقال برخيا لبختنصر ما أمر به فابتدأ بمن في بلاده من تجار العرب فاخذهم وبني لهم حران بالنجف، وجسهم فيه، ووكل بهم وانتشر الخبر في العرب، فخرجت اليه طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا عنهم فانزلهم السواد فابتنوا الأنبار، وخلى عن أهل الحيرة فاتخذوها منزلاً حياة بختنصر، فلما مات انضموا الى أهل الأنبار وهذا أول سكنى العرب السواد بالحيرة والأنبار * وسار الى العرب بنجد والحجاز، فأوحى الله الى برخيا وأرميا يأمرهما أن يسيرا الى معدة ابن عدنان^(١)، فيأخذه ويحملاه الى حران، وأعلمهما انه يخرج من نسله محمد ﷺ الذي يتختم به الأنبياء، فسارا تطوى لهما المنازل والأرض حتى سبقا بختنصر الى معدة حملاه الى حران في ساعتها ولمعد حينئذ اثنتا عشرة سنة، وسار بختنصر فلقى جموع العرب فقاتلهم فهزمهم، وأكثر القتل فيهم، وسار الى الحجاز، فجمع عدنان العرب، والتقى هو وبختنصر بذات عرق، فاقتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون

(١) تفيد عبارة المؤلف ان معد بن عدنان كان موجوداً في عهد بختنصر وهذا بعيد لانه يقتضى ان يتناسل عشرون طبقة في الف ومائتى سنة ويلزم منه أن لا يولد للرجل إلا بعد مضي ستين سنة من عمره على توالي عشر بنين شخصاً ولا يخفى ما فيه *

هناك ، واجتمع عليه العرب وخذق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه ، فكمن بختصر كينا وهو أول كمين عمل وأخذتهم السيوف ، فنادوا بالويل ، ونهى عدنان عن بختصر وبختصر عن عدنان ، فافترقا فلما رجع بختصر خرج معد بن عدنان مع الأنبياء حتى أتى مكة ، فأقام اعلامها وحج وحج معه الأنبياء ، وخرج معد حتى أتى ريشوب وسأل عمن بقي من ولد الحرث بن مضاض الجرهمي ، فقيل له : بقي جوشم بن جلهممة فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد *

﴿ ذكر بشتاسب والحوادث في ما كره وقتل أبيه لهراسب ﴾

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرر قوانينه ، وابنتى بفارس مدينة فسا ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب ؛ وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته : ثم انه ارسل إلى ملك الترك واسمه خرزاسف - وهو أخو افراسياب - وصالحه ، واستقر الصلح على أن يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عادتها على أبواب الملوك ، فلما جاء زرادشت إلى بشتاسب واتبعه على ما ذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب بنقض الصلح مع ملك الترك ، وقال أنا أعينك طالعا تسير فيه إلى الحرب فتظفرو هذا أول وقت وضعت فيه الاختبارات للملوك بالنجوم ، وكان زرادشت عالما بالنجوم جيد المعرفة بها فاجابه بشتاسب الى ذلك ، فأرسل إلى الدابة التي يباب ملك الترك وإلى الموكل بها فصرفها ؛ فغضب ملك الترك وأرسل اليه يتهدده وينكر عليه ذلك ويأمره بانفاذ زرادشت اليه وإن لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته ، فكتب اليه بشتاسب كتابا غليظا يؤذنه فيه بالحرب وسار كل واحد منهما الى صاحبه والتقى واقتلا قتالا شديدا . فكانت الهزيمة على الترك وقتلوا قتلا ذريعا . ومروا منهزمين . وعاد بشتاسب الى بلخ ، وعظم أمر زرادشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله ، وكان أعظم الناس غناء في هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب ، فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه اسفنديار ، وقالوا : يريد الملك لنفسه فندبه لحرب بعد حرب ثم أخذه وحبسه مقيدا ؛ ثم ان بشتاسب سار الى ناحية كرمان وسجستان ؛ وسار الى جبل يقال له طمبدر لدراسة دينه والتنسك هناك ، وخلف أباه لهراسب يبلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك بها خزائنه وأولاده ونسائه ، فبلغت الأخبار الى ملك الترك خرزاسف ، فلما تحققه جمع عساكره وحشد وسار الى بلخ ؛ واتهم الفرصة بغية بشتاسب عن مملكته ، ولما

بلغ بلخ ملکها . و قتل لہراسب و ولدین لبشتاسب و الہرابذہ . و أحرق الدواوین . و ہدم بیوت النیران . و أرسل السرایا الی البلاد فقتلوا و سبوا و أخرجوا ، و سبوا بنتین لبشتاسب إحداهما خمانی ، و أخذ علیہم الاکبر المعروف بدرفش کایان ، و سار متبعا لبشتاسب ، و ہرب بشتاسب من بین یدیه ، فتحصن بتلك الجبال بما یلی فارس ، و ضاق ذرعا بما نزل بہ *

فلما اشتد علیہ الأمر أرسل إلی ابنہ اسفندیار مع عالمہم جاماسب فاخرجه من محبسہ و اعتذر الیہ ، و وعدہ أن یعهد الیہ بالملک من بعدہ ؛ فلما سمع اسفندیار کلامہ سجد لہ و نهض من عنده و جمع من عنده من الجند و بات لیلته مشغولا بالتجهز ، و سار من الغد نحو عسکر الترتک و ملکہم ، و التقوا و اقتتلوا و التحمت الحرب و حمى الوطیس ، و حمل اسفندیار علی جانب من العسکر فأثر فیہ و وھنہ ، و تابع الحملات و فشا فی الترتک أن اسفندیار هو المتولی لخر بہم فانہزموا لایلوون علی شیء ، و انصرف اسفندیار و قد ارتجع درفش کایان ، فلما دخل علی ایہ استبشر بہ ، و أمرہ باتباع الترتک ، و وصاہ بقتل ملکہم و من قدر علیہ من أهلہ ، و یقتل من الترتک من أمکنہ قتله ، و أن یستنقذ السبایا و الغنائم الی أخذت من بلادہم . فسار اسفندیار و دخل بلاد الترتک و قتل و سبوا و أخرج . و بلغ مدینتہم العظمی . و دخلها عنوة . و قتل الملك و اخوته و مقاتلته . و استباح أموالہ ، و سبوا نساءہ . و استنقذ أختیہ و دوخ البلاد . و انتهى إلی آخر حدود بلاد الترتک . و إلی التبت . و أقطع بلاد الترتک . و جعل کل ناحیة إلی رجل من وجوہ الترتک بعد أن أمنہم . و وظف علیہم خراجا یحملونہ کل سنة إلی أبیہ بشتاسب . ثم عاد إلی بلخ : فحسده أبوہ بما ظہر منه من حتمظ الملك و الظفر بالترتک و أسر ذلك فی نفسہ . و أمرہ بالتجهز و المسیر إلی قتال رستم الشدید بسجستان . و قال لہ : هذا رستم متوسط بلادنا و لا یعطینا الطاعة لان الملك کیکاووس . أعتقه فأقطعه إلیاها و قد ذکرنا ذلك فی ملک کیکاووس و کان غرض بشتاسب أن یقتله رستم أو یقتل هو رستم فانه کان أيضا شدید الکراهة لرستم . فجمع العساکر و سار إلی رستم لینزع سجستان منه فخرج الیہ رستم و قاتلہ . فقتل اسفندیار قتله رستم ، و مات بشتاسب و کان ملکہ مائة سنة و اثنتی عشرة سنة ، و قیل مائة و عشرين سنة ، و قیل مائة و خمسين سنة ، و قیل : انه جاءہ رجل من بنی اسرائیل زعم انه نبی أرسل الیہ و اجتمع بہ یبلغ فكان یتکلم بالعبری و زرادشت نبی المجوس یعبر عنہ ، و جاماسب العالم هو حاضر معہم

يترجم ايضا عن الاسرائيلي ، وكان بشتاسب ومن قبله من آباءه وسائر الفرس يدينون
بدين الصابئة قبل زرادشت *

﴿ ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاووس إلى أيام بهمن بن اسفنديار ﴾
قد مضى ذكر الخبر عن زعم ان كيكاووس كان في عهد سليمان بن داود ، وقد ذكرنا
من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن ، والخبر عن بلقيس بنت اليفرش ، وصار الملك
بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له : انعم الانعامه * قال أهل اليمن انه
سار غازيا نحو المغرب حتي بلغ واديا يقال له وادي الرمل ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى
اليه لم يجد وراه مجازا لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذا انكشف الرمل ، فامر
رجلا يقال له عمرو أن يعبر هو وأصحابه فعبروا فلم يرجعوا ، فلما رأى ذلك أمر بنصب
صنم نحاس فصنع * ثم نصب على صخرة على شفير الوادي ، وكتب على صدره بالمسند :
هذا الصنم لياسر انعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب ؛ وقيل ان
وراء ذلك الرمل قوما من أمة موسى وهم الذين عنى الله بقوله (ومن قوم موسى أمة
يهدون بالحق وبه يعدلون) والله أعلم ^(١) *

ثم ملك بعده تبع وهو تبان وهو أسعد وهو أبو كرب بن ملكي كرب تبع بن زيد
ابن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذى المنار بن الراض بن قيس بن صيفي
ابن سبأ ، وكان يقال له الزائد ، وكان تبع هذا في أيام بشتاسب واردشير بهمن بن
اسفنديار بن بشتاسب وانه شخص متوجها من اليمن في الطريق الذي سلكه الراض حتي
خرج على جبلى طيء ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى موضع الحيرة تحير وكان
ليلا فأقام بمكانه ، فسمى ذلك المكان بالحيرة وخلف به قوما من الأزد ولخم وجذام
وعاملة وقضاة ، فبنوا أقاموا به ، ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون
وبلحارث بن كعب وإياد ، ثم توجه إلى الموصل ثم إلى أذربيجان ، فلقى الترك فهزمهم فقتل
المقاتلة وسبي الذرية ، ثم عاد إلى اليمن فهابته الملوك وأهدوا اليه ، وقدمت عليه هدية ملك
الهند وفيها تحف كثيرة من الحرير والمسك والعود وسائر طرف الهند فرأى ما لم ير
مثله ؛ فقال للرسول كل هذا في بلدكم ؛ فقال أكثره من بلد الصين . ووصف له بلد الصين
فخلف ليغزونها . فسار بحمير حتى أتى إلى الركايك وأصحاب القلائس السود . ووجه رجلا

(١) ماتقدم من الصنم ومن قوم موسى خرافة ظاهرة *

من أصحابه يقال له ثابت، نحو الصين في جمع عظيم. فأصيب، فسار تبع حتى دخل الصين. فقتل مقاتلتها واكتسح ما وجد فيها. وكان مسيره ومقامه ورجعته في سبع سنين، ثم انه خلف بالتبت اثني عشر ألف فارس من حمير، فهم أهل التبت. ويزعمون أنهم عرب وألوانهم ألوان العرب وخلقهم هكذا ذكر *

وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقد قدم بعضهم من آخره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ما وجدنا مختصراً *

﴿ ذكر خبر اردشیر بهمن وابنته خمائی ﴾

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه اردشیر بهمن بن اسفنديار، وكان مظفراً في مغازيه، وملك أكثر من أبيه، وقيل انه ابنتي بالسواد مدينة وسماها أياوان اردشير، وهي القرية المعروفة بهميناً بالزاب الأعلى، وابنتي بكور دجلة الابله، وسار الى سجستان طالبا بثار أبيه، فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز، وبهمن هو أبودارا الأكبر. أبو ساسان أبي ملوك الفرس الاحرار اردشير بن بابك وولده وأم دارا خمائی ابنة بهمن فهي أخته وأمه. وغزا بهمن رومية^(۱) الداخلة في ألف ألف مقاتل. وكان ملوك الارض يحملون اليه الآتوة. وكان أعظم ملوك الفرس شأناً وأفضلهم تدبيراً. وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب. وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود. وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة. وقيل ثمانين سنة. وكان متواضعاً مرضياً فيهم وكانت كتبه تخرج من عبد الله تخدام الله السائس لاموركم *

ثم ملكت بعده ابنته خمائی ملكوها جبالاً لآبيها ولعقلها وفروسيها وكانت تلقب بشهر زاد، وقيل: انما ملكت لانها حين حملت منه دارا الأكبر سألته أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك، ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملاً في بطنها وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك، فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال واتخذ غنماً وكان يتولاها بنفسه فاستبشعت العامة ذلك منه، وهلك بهمن وابنه دارا في بطن أمه فلكوها ووضعته بعد أشهر من ملكها، فأنفقت من إظهار ذلك، وجعلته في تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته في نهر الكرم من اصطخر، وقيل بنهر بلخ، وسار التابوت الى طحان من اهل اصطخر، ففرح لما فيه من الجوهر، فحضنته امرأته، ثم ظهر أمره حين شب،

(۱) هذا غير معقول

فأقرت خماني بإساءتها ، فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون أبناء الملوك فحولت التاج اليه وسارت الى فارس وبنيت مدينة اصطخر ، وكانت قد أوتيت ظفرا ، وأغزت الروم ، وشغلت الأعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتهما الخراج ، وكان ملكها ثلاثين سنة ، وقيل : إن خماني أم دارا حضنته حتى كبر ^(١) فسلمت الملك اليه ، وعزلت نفسها فضبط الملك بشجاعة وحزم *

ونرجع الى ذكر بني اسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم الى حين تصرفها ومدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس * قد ذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف الى بيت المقدس من سبايا بني اسرائيل الذين كان يختصر سباهم ، وكان ذلك في أيام كيرش بن اخشويرش ، وملكه يبابل من قبل بهمن وأربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خماني ، وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه يختصر مائة سنة ؛ كل ذلك في أيام بهمن بعضه ، وفي أيام ابنته خماني بعضه ، وقيل : غير ذلك ، وقد تقدم ذكر الاختلاف * وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب وأنكر عليه قوله ولم يملك كيرش منفردا قط ، ولما عمر بيت المقدس ورجع اليه أهله كان فيهم عزيز وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس اما رجل منهم واما رجل من بني اسرائيل الى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم لسبب غلبة الاسكندر على الناحية حين قتل دارا بن دارا وكان جملة مدة ذلك فيما قيل ثمانيا وثمانين سنة *

* ذكر خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين *
وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار وكان يلقب جهرا زاد يعني كريم الطبع ، فنزل يبابل ، وكان ضابطا لملكة قاهرا لمن حوله من الملوك يؤدون اليه الخراج ، وبني بفارس مدينة سماها دارا بجرد وحذف ^(٢) دواب البرد ورتبها ، وكان معجبا بابنه دارا ، ومن حبه له سماه باسم نفسه ، وصير له الملك بعده وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة *
ثم ملك بعده ابنه دارا وبني بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة دارا وهي مشهورة الى الآن واستوزر إنسانا لا يصلح لها فأفسد قلبه على أصحابه فقتل رؤساء عسكره ، واستوحش منه الخاصة والعامة ، وكان شابا غرا جميلا حقودا جبارا سيء السيرة في رعيته ، وكان ملكه أربع عشرة سنة *

(١) هذا هو المعقول (٢) قال في المصباح وحذف بالثقل مبالغة وكل شيء أخذت من نواحيه حتى سوبته فقد حذفته تحذيفا *

﴿ ذكر الاسكندر ذى القرنين ﴾

كان فيلوس^(١) أبو الاسكندر اليوناني من أهل بلدة يقال لها مقدونية كان ملكا عليها وعلى بلاد أخرى، فصالح دارا على خراج يحمله اليه في كل سنة فلما هلك فيلوس ملك بعده ابنه الاسكندر، واستولى على بلاد الروم أجمع، فقوى على دارا فلم يحمل اليه من الخراج شيئا وكان الخراج الذى يحمله ايضا من ذهب فسخط عليه دارا وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في ترك حمل الخراج وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم وكتب اليه انه صبي وانه ينبغي له أن يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك وان لم يفعل ذلك واستعصى عليه بعث اليه من يأتيه به في وثاق، وان عدة جنوده كعدة حب السمسم الذى بعث به اليه فكتب اليه الاسكندر انه قد فهم ما كتب به وقد نظر الى ما ذكر في كتابه اليه من إرساله الصولجان والكرة وتيمن به لالقاء الملقى الكرة الى الصولجان واحترازه لها؛ ويشبه الأرض بالكرة وانه يجر ملك دارا الى ملكه، وتيمنه بالسمسم الذى بعث كتيمنه بالصولجان والكرة لدسمه وبعده من المرارة والحراقة، وبعث اليه بصرة فيها خردل وأعله في ذلك أن ما بعث به اليه قليل ولكنه مر حريف وان جنوده مثله فلما وصل كتابه الى دارا تاهب لمحاربه *

وقد زعم بعض العلماء بأخبار الأولين أن الاسكندر الذى حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الأصغر الذى حاربه، وان أباه دارا الأكبر^(٢) كان تزوج أم الاسكندر وهى ابنة ملك الروم، فلما حملت اليه وجدتن ريحها وسهكها فأمر أن يحتمل لذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر، فغسلت بمائها فأذهب ذلك كثير من نتنها ولم يذهب كله، وانتهت نفسه عنها فردها الى أهلها، وقد علقت منه، فولدت فى أهلها غلاما، فسمته باسم الشجرة التي غسلت بمائها مضافا الى اسمها، وقد هلك أبوها، وملك الاسكندر بعده فمنع الخراج الذى كان يؤديه جده الى دارا فأرسل يطلبه، وكان ييضامن ذهب، فأجابه: أنى قد ذبحت الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فان أحببت وادعناك وان أحببت ناجزناك، ثم خاف الاسكندر من الحرب فطلب الصلح، فاستشار دارا أصحابه فأشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم

(١) كذا فى الطبرى وصححه الاستاذ فيليبس (٢) اغرب ما فى هذه الحكاية ان الاسكندر معروف بالنسب وكان الفرس عز عليهم أن يقهر ملكهم رجل من غيرهم فخلقوا هذه الحكاية ليكون الغالب والمغلوب منهم *

عليه ، فعند ذلك ناجزه دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبي دارا وحكما علي الفتك بدارا فاحتكما شيئا ولم يشترطا أنفسهما *
 فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه في الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم أصحاب دارا ، ولحقه الاسكندر وهو بأخر رمق ، وقيل : بل فتك به رجلان من حرسه من أهل همدان جبالا للراحة من ظلمه ، وكان فتكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه ولم يكن ذلك بأمر الاسكندر ، وكان قد أمر الاسكندر مناديا ينادى عند هزيمة عسكر دارا أن يؤسر دارا ولا يقتل ، فأخبر بقتله فنزل اليه ومسح التراب عن وجهه وجعل رأسه في حجره وقال له : انما قتلك أصحابك وانتي لم أهم بقتلك قط ، ولقد كنت أرغب بك يا شريف الأشراف ويا ملك الملوك وحر الأحرار عن هذا المصرع فأوص بما أحببت ، فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقى أحرار فارس ويأخذ له بثأره ممن قتله ، ففعل الاسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبي دارا ، وقال لهما إنكما لم تشرطتا نفوسكما فقتلها بعد أن وفي لهما بما ضمن لهما ، وقال : ليس ينبغي أن يستبقى قاتل الملوك إلا بدمه لا تخفر وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلي الخزر ، وقيل : ببلاد الجزيرة عند دارا ، *

وكان ملك الروم قبل الاسكندر متفرقا فاجتمع ، وملك فارس مجتمعا ففرق *
 وحمل الاسكندر كتبها وعلوما لأهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقله الى الرومية وقد ذكرنا قول من قال ان الاسكندر أخو دارا الأبيه *
 واما الروم وكثير من أهل الأنساب فيزعمون أنه الاسكندر بن فيلفوس ، وقيل فيلبوس بن مطريوس ، وقيل ابن مصريم بن هرمس بن هردس بن ميطنون بن رومي ابن ليطي بن يونان بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن روميطن بن زنط بن توقيل بن رومي ابن الاصفر بن اليفز بن العيص بن إسحق بن ابراهيم *
 فجمع بعد هلك دارا ملك دارا ؛ فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة ، وعرض جنده فوجدهم على ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل ، منهم من جنده ثمانمائة ألف رجل ، ومن جنده دارا ستمائة ألف رجل ؛ وتقدم بهدم حصون فارس وبيوت النيران ، وقتل الهرا بذة وأحرق كتبهم ، واستعمل على مملكة فارس رجالا ، وسار قدما إلى أرض الهند ، فقتل ملكها وقطع مدنها ، وخرّب بيوت الأصنام ، وأحرق كتب علومهم

ثم سار منها إلى الصين فلما وصل إليها أتاه حاجبه في الليل ، وقال : هذا رسول ملك الصين فاحضره ، فسلم وطلب الخلوة . ففتشوه فلم يروا معه شيئا فخرج من عند الاسكندر فقال : أنا ملك الصين جئت أسألك عن الذي تريده فان كان مما يمكن عمله عملته وتركت الحرب . فقال له الاسكندر : ما الذي آمنك مني ؟ قال : علمت انك عاقل حكيم ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا ذجل وأنت تعلم انك ان قتلتني لم يكن قتلي سببا لتسليم أهل الصين ملكي اليك ، ثم انك تنسب إلى الغدر فعلم انه عاقل ، فقال له : أريد منك ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف الارتفاع لكل سنة قال : قد أجبتك ولكنك اسألني كيف حالي ؟ قال : قل كيف حالك ؟ قال أكون اول قتيل لمحارب وأول أكلة لمفترس ، قال : فان قنعت منك بارتفاع سنتين ، قال : يكون حالي أصلح قليلا قال : فان قنعت منك بارتفاع سنة ، قال : يبقى ملكي وتذهب لذاتي ، قال : وأنا أترك لك ماضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك ؟ قال . يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لى والثلث للعسكر والثلث لك . قال : قد قنعت منك بذلك فشكره وعاد . وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح *

فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الاسكندر . فركب الاسكندر والناس ، فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج ، فقال له الاسكندر أغدرت ؟ قال : لا ولكنى أردت أن تعلم اني لم أطعك من ضعف ولكنى لما رأيت العالم العلوى مقبلا عليك أردت طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك ، فقال له الاسكندر : لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بيني وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك ، فقال له ملك الصين : فلست تخسر وبعث اليه بضعف ما كان قرره معه ، وسار الاسكندر عنه من يومه ودانت له عامة الارضين في الشرق والغرب وملك التبت وغيرها *

فلما فرغ من بلاد المغرب والمشرق وما بينهما قصد بلاد الشمال ، وملك تلك البلاد ودان له من بها من الأمم المختلفة الى أن اتصل بديار أجوج وماجوج ، وقد اختلفت الاقوال فيهم ، والصحيح انهم نوع من الترك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الارض ويخربون ما قدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم

(٢١٢ - ج ١ الكامل)

فلما رأى أهل تلك البلاد الاسكندر شكوا اليه من شرهم كما أخبر الله عنهم في قوله، (ثم اتبع سبيا حتى اذا بلغ بين السدين) وهما جبلان متقابلان لا يرتقى فيهما وليس لهما مخرج إلا من الفرجة التي بينهما، فلما بلغ الى تلك وقارب السدين (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا؟ * قال ما مكنى في ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) يقول ما مكنى ربي فيه خير من خرجكم ولكن أعينوني بالقوة والقوة الفعلة والصناع والآلة التي يبنى بها، فقال: (أتوني زبر الحديد) أى قطع الحديد فأتوه بها فحفر الأساس حتى بلغ الماء؛ ثم جعل الحديد والحطب صفوفًا بعضها فوق بعض (حتى اذا ساوى بين الصدفين) وهما جبلان أشعل النار في الحطب؛ فحمى الحديد وأفرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب، فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد، فبقى كأنه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد، وجعل أعلاه شرفا من الحديد، فامتعت يأجوج ومأجوج من الخروج الى البلاد المجاورة لهم قال الله تعالى: (فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا) *

فلما فرغ من أمر السد دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالى والشمس جنوبية، فلماذا كانت ظلمة وإلا فليس فى الأرض موضع إلاتطلع الشمس عليه أبدا، فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمئة من أصحابه يطلب عين الخلد^(١) فسار فيها ثمانية عشر يوما، ثم خرج ولم يظفر بها، وكان الخضر^(٢) على مقدمته فظفر بها وسبح فيها وشرب منها والله أعلم * ورجع الى العراق فمات فى طريقه بشهر زور بعلة الخوانيق، وكان عمره ستا وثلاثين سنة فى قول، ودفن فى تابوت من ذهب مرصع بالجواهر، وطلى بالصبر لثلا يتغير وحمل الى أمه بالاسكندرية *

وكان ملكه أربع عشرة سنة، وقتل دارا فى السنة الثالثة من ملكه، وبنى اثنتي عشرة مدينة منها أصبهان وهى التى يقال لها جى، ومدينة هراة، ومرو؛ وسمرقند، وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبأرض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية *

فلما مات الاسكندر أطاف به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم

(١) ان معرفة ان العين عين خلد لا تكون الا عن تجربة وان ناسا شر بوا منها فخلدوا هذا المبرو ولم يسمع *

(٢) فى اعتقادى ان الخضر - بالروايات المذاعة - شخص فرضى كإبي زيد السروجى فى مقامات الحريرى *

فکان یجمعهم و یستریح الی کلامهم فوقفوا علیه ، فقال کبیرهم : لیتکلم کل واحد منکم
بکلام یكون للنخاصة معزیا وللعامة واعظا ووضع یدہ علی التابوت ، وقال : أصبح أسر
الأسراء أسیرا ؛ وقال آخر : هذا الملك كان یحب الذهب فقد صار الذهب یخبؤه ، وقال آخر
ما أزهت الناس فی هذا الجسد ؟ وما أرغبهم فی التابوت ؟ وقال آخر : من أعجب العجب أن
القوی قد غلب والضعفاء لاهون مغترون ، وقال آخر : هذا الذی جعل أجله ضمارا وجعل
أمله عیانا هلا باعدت من أجلک لتبلغ بعض أملك ؟ بل هلا خفت من أملك بالامتناع
من وفور أجلک ؟ وقال آخر : أیها الساعی المنتصب جمعت ماخذک عند الاحتیاج الیه
فغودرت علیک أوزارہ ، وقارفت آثامہ ، فجمعت لغيرک واثمہ علیک ، وقال آخر قد
كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتک فمن كان له معقول فلیعقل ومن كان
معتبرا فلیعتبر ، وقال آخر : رب هائب لک یخافک من ورائک وهو الیوم بحضرتک ولا
یخافک ، وقال آخر : رب حریص علی سکوتک اذ لاتسکت وهو الیوم حریص علی کلامک
إذ لاتتکلم ، وقال آخر : کم أماتت هذه النفس لثلاث موت وقد ماتت ؟ اوقال آخر : وكان
صاحب کتب الحکمة قد كنت تأمرنی أن لا أبعد عنک فالیوم لا أقدر علی الدنومنک ،
وقال آخر : هذا یوم عظیم أقبل من شره ما كان مدبرا ، وأدبر من خیره ما كان مقبلا فمن
كان با کیا علی من زال ملکک فلیک ، وقال آخر : یاعظیم السلطان اضمحل سلطانک كما
اضمحل ظل السحاب ، وعفت آثار مملکتک كما عفت آثار الذباب ، وقال آخر : یامن
ضاقت علیه الأرض طولا وعرضا لیت شعری کیف حالک بما احتوی علیک منها ؟ وقال
آخر : اعجبوا ممن كان هذا سیدله کیف شهر نفسه بجمع الأموال الحطام البائد والهشیم
النافد ؟ وقال آخر : أیها الجمع الحافل والملقی الفاضل لا ترغبوا فیما لا یدوم سروره وتنقطع
لذته فقد بان لکم الصلاح والرشاد من الغی والفساد ، وقال آخر : انظروا الی حلم النائم
کیف انقضی وظل الغمام کیف انجلی ، وقال آخر : یامن كان غضبه الموت هلا غضبت
علی الموت ؟ وقال آخر : قدرأیتم هذا الملك الماضی فلیتعظ به هذا الملك الباقی ، وقال آخر :
إن الذی كانت الآذان تنصت له قد سکت فلیتکلم الآن کل ساکت ؛ وقال آخر : سیلحق
بک من سره موتک كما لحقت بمن سرك موته ، وقال آخر : مالک لاتقل عضواً من أعضائک
وقد كنت تستقل بملك الأرض ؟ بل مالک لا ترغب عن ضیق المكان الذی أنت فیہ ؟
وقد كنت ترغب عن رحب البلاد ، وقال آخر : ان دنیا یكون هذا فی آخرها فالزهد أولی

أن يكون في أولها . وقال صاحب مآثره : قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا أرى عميد القوم . وقال صاحب بيت ماله : قد كنت تأمرني بالادخار فإلى من أدفع ذخارك ؟ وقال آخر : هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها في سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك في الطلب . وقالت زوجته روشنك : ما كنت أحسب ان غالب دارا يغلب فان الكلام الذي سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكاس الذي شرب به ليشر به الجماعة . وقالت أمه حين بلغها موته : لئن فقدت من ابني أمره لم يفقد من قلبي ذكره * ﴿ فهذا كلام الحكماء ، فيه مواعظ وحكم حسنة فلماذا أثبتها ﴾ *

ومن حيل الإسكندر في حروبه أنه لما حارب دارا خرج إلى بين الصفيين وأمر مناديا فنادى : يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم اليانا وما كتبنا اليكم من الأمان فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فإنه يرى منا الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا *
ومن حيله أنه تلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ، ثم عاد إلى الهند . فخرج اليهم ملك الهند . فأمر الإسكندر بتلك الفيلة فملئت بطونها من النفط والكبريت . وجرت على العجل إلى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه . فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النار في تلك الفيلة . فلما حميت انكشف أصحابه عنها ، وغشيتها فيلة الهند فضربت بها بخراطيمها فاحترقت ، وولت هاربة راجعة على الهند فانهزموا بين يديها *

ومن حيله أنه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الأقوات . وبها عيون ماء فعاد عنها فأرسل اليها قوما على هيئة التجار . ومعهم أمتعة يبيعونها . وأمرهم بمشترى الطعام والمغالة في ثمنها . فاذا صار عندهم أحرقوه وهربوا . ففعلوا ذلك وهربوا اليه ، فأنفذ السرايا إلى سواد تلك المدينة ، وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به ، فسار الإسكندر اليهم فلم يمتنعوا عليه *

وكتب إلى أرسطاطاليس يذكر له ان من خاصة الروم جماعة لهم هم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة ، وأنه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة ، فكتب اليه أرسطاطاليس فهمت كتابك فان ما ذكرت من بعدهم هم فان الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس . والغدر من دناءة النفس وخبثها . وأما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفه في معيشته واخصه بحسان النساء ، فان رفاهية العيش تميمت الشجاعة وتجب السلامة .

وإياك والقتل فانه زلة لا تستقال . وذنبا لا يغفر . وعاقب بدون القتل تكن قادرا على العفو فما أحسن العفو من القادر . وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة . ولا تؤثر نفسك على أصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة *
وكتب الى أرسطاطاليس أيضا لمملك بلاد فارس يذكر له أنه رأى بايران شهر رجالا ذوى رأى وصرامة وشجاعة وجمال وأنساب رفيعة ، وانه انما ملكهم بالحظ والانفاق، وانه لا يأمن - ان سافر عنهم فقارقههم - وثوبهم وانه لا يكفى شرهم الا بيوارهم * فكتب اليه قد فهمت كتابك فى رجال فارس : فاما قتلهم فهو من الفساد والبغى الذى لا يؤمن عاقبته ولو قتلهم لاثبت أهل البلد أمثالهم ، وصار جميع أهل البلد أعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون قد وترتهم فى غير حرب ، واما اخراجك اياهم من عسكري فخاطرة بنفسك وأصحابك ولكنى أشير عليك برأى هو أبلغ من القتل وهو أن تستدعى منهم أولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكا برأسه ، فتتفرق كلمتهم ؛ ويقع بأسهم بينهم ويجمعون على الطاعة والمحبة لك ، ويرون أنفسهم صنيعتك ^(١) ففعل الاسكندر ذلك ، فهم ملوك الطوائف ، وقيل فى ملوك الطوائف غير هذا السبب ونحن نذكره ان شاء الله *

* ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر *

لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه الاسكندر وس ، فابي واختار العبادة فماتت اليونان فيما قيل بطليموس بن لاغوس ، وكان ملكة ثمانيا وثلاثين سنة ، ثم ملك بعده

(١) وهذه خطة المستعمرين اليوم تماما . فمن أغرب التقسيمات الحاضرة ان بلاد الشام قسمت بعد الحرب العظمى بين الانكليز وفرنسا ، فالانكليز قسموا سهوم الى حكومتين : امارة الشرق العربى او شرق الأردن وعاصمتها عمان ، وحكومة فلسطين وعاصمتها القدس ولغاتهما الرسمية العربية والانكليزية والعبرية * والفرنسيون قسموا نصيبهم الى دول كثيرة : دولة دمشق ، دولة حلب ، دولة لبنان الكبير ، دولة العلويين - أى اللاذقية - ، وسنجق اسكندرونة المستقل وان جرابلس وجبل الاكراد لها ادارة خاصة بل ان بعض المناطق تمثل برج بابل اذ تقبل الحكومة فى سجلاتها - بصورة رسمية - العربية والفرنسية والتركية والكردية واما الارمنية فانها الآن غير رسمية ولا يبعد ان يحدثوا دولا اخرى ويقبلوا لغات غير المذكورات فى هذه المقاطعة التى مجموع سكانها نحو ثلاثة ملايين . ومع الاسف فهذا التقسيم بعينه جارى فى أفريقيا والهند والمستعمرات الأخرى كثير النزاع ويشهد التنافس فيستنجل الاستعمار وتقوى مغالبه . مادامت التفرقة والتنافس رائجين رغم العلم بانهما الداء الوحيد الذى مرق الشرق . واضعف قواه الهائلة . الادارة *

بطليموس فيلادلفوس وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك بعده بطليموس اورغاطس
أربعا وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطليموس فيلا فطر احدى وعشرين سنة ، ثم ملك
بعده بطليموس أيفانس اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطليموس أورغاطس تسعا
وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطليموس ساطر سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده بطليموس
الاخشدر احدى عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده بطليموس الذي اختفى عن ملكه ثمانى سنين ،
ثم ملكت بعده كيلو بطره سبع عشرة سنة و كانت من الحكماء * وهؤلاء كلهم من اليونان *
وكل من كان بعد الاسكندر كان يدعى بطليموس كما كانت تدعى ملوك الفرس
أكاسرة وملوك الروم قياصرة ، وقد ذكر بعض العلماء أن بطليموس صاحب المجسطى
وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك ، وإنما كان أيام ملوك الروم على ما ذكره
إن شاء الله تعالى *

ثم ملك الشام فيما بعد كيلو بطره ملوك الروم فكان أول من ملك منهم جايوس
يوليوس خمس سنين ، ثم ملك بعده أغسطس ستا وخمسين سنة ، فلما مضى من ملكه
اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وقيل : كان بين مولده وقيام
الاسكندر ثلاثمائة سنة وثلاث سنين *

* ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف *

لما مات الاسكندر ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف ، وقد تقدم ذكر السبب
في تملكهم ، وقيل : كان السبب في ذلك ان الاسكندر لما ملك بلاد الفرس ، ووصل
الى ما أراد كتب الى أرسطاطاليس الحكيم : إني قد وترت جميع من في بلاد المشرق
وقد خشيت أن يتفقوا بعدى على قصد بلادنا وإيذاء قومنا وقد هممت أن أقتل أولاد
من قتلت من الملوك وألحقهم بأبائهم فما ترى ؟ فكتب اليه : إنك ان قتلت أبناء الملوك
أفضى الملك الى السفلى والانذال ، والسفلى إذا ملكوا قدروا ، وإذا قدروا طغوا وبلغوا
وظلبوا ، وما يخشى من معرفتهم أكثر ، والرأى أن تجمع أبناء الملوك فتملك كل
واحد منهم بلدا واحدا وكورة واحدة ، فان كل واحد منهم يقوم في وجه الآخر يمنعه
عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده ، فتولد العداوة بينهم ، فيشتغل بعضهم ببعض ، فلا
يتفرغون الى من بعد عنهم ^(١) *

(١) وهذه الوصية نفذها الانكاز في الهند فجلوا فيه من الامارات عدداً كثيراً وبدؤا بها في البلاد العربية الادارة

فَعِنْدَهَا قِسْمُ الْاِسْكَانِدْرِ بِلَادِ الْمَشْرِقِ عَلٰى مَلُوكِ الطَّوَاتِفِ وَنَقَلَ عَنْ بِلَدِ اَنَّهُمُ النُّجُومُ وَالْحِكْمَةُ ، وَكَانَ مِنْ حَالِهِمْ بَعْدَ الْاِسْكَانِدْرِ مَا ذَكَرَهُ اَرِسْطَاطَالِيسُ وَاسْتَعْمَلُوا عَنْ قِصْدِ الْيُونَانِ ، *

وَكَانَ اَرِسْطَاطَالِيسُ مِنْ اَفْضَلِ الْحِكْمَاءِ وَاعْلَمَهُمْ ، وَكَانَ الْاِسْكَانِدْرِ يَصْدُرُ عَنْ رَايِهِ ، وَاخَذَ الْحِكْمَةَ عَنْ اَفْلَاطُونِ تَلْمِيْذِ سَقْرَاطِ ، وَسَقْرَاطُ تَلْمِيْذُ اَوْسِيْلَاوْسِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ دُونَ غَيْرِهَا — وَمَعْنَاهُ رَأْسُ السَّبَاعِ — : وَكَانَ اَوْسِيْلَاوْسُ تَلْمِيْذَ اِنْكَسَاغُورْسِ اِلَّا اَنْ اَرِسْطَاطَالِيسُ خَالَفَ اُسْتَاذَهُ فِي عِدَّةِ مَسَائِلَ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : اَفْلَاطُونُ صَدِيْقٌ وَالْحَقُّ صَدِيْقٌ اِلَّا اَنْ الْحَقُّ اَوْلٰى بِالصَّدَاقَةِ مِنْهُ . *

وَقد اختلف العلماء في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الاسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا اقليم بابل ، فقال هشام بن الكلبي وغيره ملك بعد الاسكندر بلاس سلبقيس ، ثم انطيوخس وهو الذي بنى مدينة انطاكية ؛ وكان في ايدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة اربعاً وخمسين سنة وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الاهواز وفارس *

* ذكر ملك اشك بن اشكان *

ثم خرج رجل يقال له اشك وهو من ولد دارا الاكبر وكان مولده ومنشاه بالرى فجمع جمعا كبيرا وسار يريد انطيوخس وزحف اليه انطيوخس والتقي ابيلا دالموصل فقتل انطيوخس وملك اشك السواد وصار بيده من الموصل الى الرى واصبهان، وغظته سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفعله وبدءوا به في كتبهم وسموه ملكا من غير ان يعزل احدا منهم ثم ملك بعده ابنه سابور بن اشك *

* ذكر ملك جوذرز *

ثم ملك بعد سابور جوذرز اشكان وهو الذي غزا بني اسرائيل في المرة الثانية، وسبب تسلط الله اياه عليهم قتلهم يحيى بن زكريا فاكثر القتل فيهم فلم يعد لهم جماعة بجماعتهم الاولى، ورفع الله منهم النبوة وانزل بهم النمل * وقيل : ان الذي غزا بني اسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم، فقتلهم وسباهم ، وخرّب بيت المقدس ، وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يطلبون ثار انطيوخس ، وملك بابل حينئذ بلاش ابو اردوان الذي قتله اردشير بن بابك فكتب بلاش الى ملوك الطوائف يعلمهم ما اجمعت عليه الروم من غزو بلادهم وما حشدوا وجمعوا وانه ان عجز عنهم ظفروا بهم جميعا فوجه

كل ملك من ملوك الطوائف الى بلاش، من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته؛ فاجتمع عنده اربعمائة ألف رجل، فولى عليهم صاحب الحضرة، وكان له ما بين السواد والجزيرة، فلقى الروم وقتل ملكهم واستباح عسكرهم وذلك الذي هيج الروم على بناء القسطنطينية، ونقل الملك من رومية اليها، وكان الذي أنشأها قسطنطين الملك: وهو أول من تنصر من ملوك الروم: وأجلى من بقي من بني اسرائيل عن فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم: وأخذ الخشبة التي يزعمون انهم صلبوا المسيح عليها فعظمها الروم. وأدخلوها خزائنهم وهي عندهم الى اليوم * ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك أردشير بن بابك: ولم يبين هشام مدة ملكهم *

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس: ملك بلادهم بعد الاسكندر ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل وهم الاشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف، وكان ملكهم مائتي سنة: وقيل: كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة ملك من هذه السنين اشك بن أشكان عشرين سنة: ثم ابنه سابور ستين سنة وفي احدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: وان تيطوس بن اسفيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح بنحو من أربعين سنة، فملك المدينة قتل وسبي وأخرب المدينة * ثم ملك جودرز بن اشغان الاكبر عشرين سنة * ثم ملك بيرن الاشغاني احدى وعشرين سنة * ثم ملك جودرز الاشغاني تسعا وثمانين سنة * ثم ملك نرسی الاشغاني أربعين سنة * ثم ملك هرمن الاشغاني سبع عشرة سنة * ثم ملك اردوان لاشغاني اثنتين وعشرين سنة * ثم ملك كسرى الاشغاني أربعين سنة * ثم ملك بلاش الاشغاني أربعين سنة * ثم ملك اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة * ثم ملك أردشير بن بابك *

وقال بعضهم: ملك بلاد الفرس بعد الاسكندر ملوك الطوائف الذين فرق الاسكندر المملكة بينهم، وتفرد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه عليها ما خلا السواد فانه كان أربعين سنة بعد هلاك الاسكندر في يد الروم: وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك قد ملك الجبال وأصبهان، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد، وكانوا ملوكا عليها وعلى الماهات والجبال: وأصبهان كالكابليين على سائر ملوك الطوائف لان العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده؛ ولذلك قصد لذكورهم في كتب سير

الملوك فاقصرنا على ذكرهم دون غيرهم ، فكانت مائة ملوك الطوائف مائتي سنة وستين سنة، وقيل: ثلاثمائة وأربعا وأربعين سنة. وقيل: خمسمائة وثلاثا^(١) وعشرين سنة والله أعلم. فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ، ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد أشك بن جزه وهو من ولد اسفنديار بن بشتاسب في قول ، وبعض الفرس زعم ان أشك بن دارا قال بعضهم: أشك بن أشكان الكبير هو من ولد كيكاووس و كان ملكه عشرين سنة ، ثم ملك بعده أشك ابنه احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة ثم ملك ابنه جوذرز عشرين سنة ، ثم ملك ابنه تيرى احدى وعشرين سنة ، ثم ملك ابنه جوذرز الأصغر تسع عشرة سنة، ثم ابنه نرسة^(٢) أربعين سنة، ثم ملك هرمز بن بلاش بن أشكان سبع عشرة سنة ثم أردوان الأكبر بن أشكان اثنتي عشرة سنة ثم كسرى بن أشكان أربعين سنة ثم أردوان الأصغر بن بلاش ثلاث عشرة سنة و كان أعظم ملوك الأشكانية وأظهرهم وأعزهم قهر للملوك ، ثم ملك أردشير بن بابك وجمع مملكة الفرس على ما نذ كره ان شاء الله وقد عد بعضهم في أسماء الملوك غير ما ذكرنا لاحاجة الى الاطالة بذكره وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك أردشير بن بابك *

✽ ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى ابن مريم

ويحيى بن زكريا عليهم السلام ✽

انما جمعنا هذين الأمرين العظيمين في هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر فنقول: كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود ، و كان آل ماثان رؤس بني اسرائيل وأجبارهم و كان متزوجا بحنة بنت فاقوذ و كان زكريا بن برخيا متزوجا بأختها إيشاع ، وقيل : كانت إيشاع أخت مريم بنت عمران و كانت حنة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولدا فبينما هي في ظل شجرة أبصرت طائرا يزق فرخاله فاشتت الولد فدعت الله أن يهب لها ولدا ونذرت ان يرزقها ولدا أن يجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته فخرت ما في بطنها ولم تعلم ما هو و كان النذر المحرر عندهم أن يجعل للكنيسة يقوم بخدمتها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم . فاذا بلغ خير فان أحب أن يقيم فيها أقام وان أحب أن يذهب ذهب حيث شاء ولم يكن يحرر الا الغلمان لان الإناث لا يصلحن لذلك لما يصيبهن من الحيض

(١) هذا هو القول المرضي لان الاسكندر مات في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وقيام أردشير بن بابك وازاكه.

ملوك الطوائف كان سنة ٣٣٠ قبل الميلاد (٢) و يقال ترهسى *

(٢٢٢ - ج ١ الكامل)

والأذى ثم هلك عمران وحنة حامل بمریم فلما وضعتها اذ هي اشي فقالت عند ذلك (رب اني وضعتها اشي والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأثي) في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها (واني سميتها مريم) وهي بلغتهم العبادة ثم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعها عند الاحبار أبناء هرون وهم يلون من بيت المقدس مايلي بنوشية من الكعبة فقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا أنا حق بها لان خالتها عندي فقالوا الكنا نقترع عليها فألقوا أقلامهم في نهر جار قيل هو نهر الأردن فألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فأخذها وكفلها وضمها الى خالتها أم يحيى، واسترضع لها حتي كبرت فبني لها غرفة في المسجد لا يرقى اليها إلا بسلم، ولا يصعد اليها غيره و كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فيقول: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله *

فلما رأى زكريا ذلك منهدعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فقال: ان الذي فعل هذا بمریم قادر على أن يصلح زوجتي حتى تلد، (فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء)، فبينما هو يصلي في المذبح الذي لهم، فاذا هو برجل شاب هو جبريل ففرع زكريا منه، فقال له (ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله) يعنى عيسى ابن مريم عليه السلام، ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه؛ وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى، فقالت لها يا مريم أحامل أنت؟ فقالت: لماذا تسأليني؟ قالت: لما أنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك تصديقه، وقيل: صدق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين وسماه الله تعالى يحيى ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم، قال الله تعالى (لم نجعل له من قبل سميا) وقال تعالى (والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) قيل: أوحش ما يكون ابن آدم في هذه الأيام الثلاثة فسله الله تعالى من وحشتها، وانما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين^(١)، وقيل: بستة أشهر، وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان (قال: رب أنى يكون لى ولد وقد بلغت الكبر وامرأتى عاقر) وكان عمره اثنتين وتسعين سنة، وقيل: مائة وعشرين سنة. وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة. فقيل له: (كذلك الله يفعل

(١) في الاصحاح الأول من انجيل لوقا ما يفيد أنهما كانتا حاملتين معا *

ما يشاء) وإنما قال ذلك استخباراً هل يرزق الولد من امرأته العاقراً أم غيرها لا إنكاراً لقدرة الله تعالى (قال: رب اجعل لي آية قال: آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) قال: أمسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية، والرمز الاشارة فلما ولد رآه أبوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع . مقرون الحاجبين . دقيق الصوت قويا في طاعة الله مذ كان صبيا، قال الله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا) قيل: انه قال له يوما الصبيان امثاله: يا يحيى اذهب بنا نلعب، فقال لهم مالم لعب خلقت، وكان يأكل العشب وأوراق الشجر، وقيل كان يأكل خبز الشعير، ومر به إبليس ومعه رغيف شعير، فقال: أنت تزعم أنك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير، فقال: يحيى ياملعون هو القوت، فقال إبليس: ان الأقل من القوت يكفي لمن يموت، فأوحى الله اليه اعقل ما يقول لك *

ونبي صغيرا فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، ولبس الشعر، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أينما جنة الليل أقام، ولم يكن له عبد ولا أمة واجتهد في العبادة، فنظر يوماً الى بدنه وقد نحل . فبكى . فأوحى الله اليه يا يحيى أتبكي لما نحل من جسمك . وعزتي وجلالي لو اطلعت في النار اطلاعة لتدرعت الحديد عرض الشعر . فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه . وبدت أضراسه للناظرين . فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه . وأقبلت زكريا ومعه الأخبار . فقال: يا بني ما يدعوك إلى هذا قال: أنت أمرتني بذلك حيث قلت: ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله . فقال: فابك واجتهد إذن . فصنعت له أمه قطعتي لبد على خديه تواري أضراسه . فكان يبكي حتى ييلهما . وكان زكريا إذا أراد أن يعظ الناس نظر فان كان يحيى حاضر الم يذكر جنة ولا نارا * .

وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة . فكان مما نسخ انه حرم نكاح بنت الأخ . وكان للمكهم واسمه هير ودس بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها فنهاه يحيى عنها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها . فلما بلغ ذلك أمها قالت لها إذا سألك الملك ما حاجتك؟ فقولي: أن تدبج يحيى بن زكريا . فله ادخلت عليه وسألهما ما حاجتك؟ قالت: أريد أن تدبج يحيى بن زكريا^(١)

(١) الذي في الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى والاصحاح الثالث من انجيل لوقا زكريا وودس المزوج هيروديا امرأة فيلبس اخيه اعترض عليه يحيى فحبسه وفي حفلة ولادة هيرودس رقصت ابنته فارضته وارضت الحاضرين فوعدها بانفاذ ما تطلب فكافته — بناء على ايعاز والدتها — بتقطع رأس يحيى ووضعها في طبق فامر بتقطع رأسه في السجن وهو كاره ولكن فعل تنفيذاً لوعده *

فقال: سلى غير هذا قالت: ما أسالك غيره، فلما أبت دعا يحيى ودعا بطست فذبحه فلما رأت الرأس قالت اليوم قرت عيني، فصعدت الى سطح قصرها، فسقطت منه الى الأرض ولها كلاب ضارية تحته؛ فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهي تنظر، وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر؛ فلما قتل بذرت قطرة من دمه على الأرض فلم تزل تغلى حتى بعث الله بختنصر عليهم^(١) فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم، فألقى الله في قلبه أن يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن، فقتل منهم سبعين ألفا حتى سكن الدم *

وقال السدى نحو هذا غير انه قال أراد الملك أن يتزوج بنت امرأة له، فنهاه يحيى عن ذلك فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى، فأرسل اليه فقتله، وأحضر رأسه في طست وهو يقول له لا تحل لك، فبقى دمه يغلى فطرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة فلم يسكن الدم فسلط الله عليهم بختنصر في جمع عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم، فأراد الرجوع فأته امرأة من بنى اسرائيل، فقالت: بلغنى أنك تريد العود قال نعم؛ قد طال المقام وجاع الناس وقلت الميرة بهم وضاق عليهم، فقالت إن فتحت لك المدينة أقتل من أمرك بقتله وتكف اذا أمرتك؟ قال: نعم قالت: اقسم جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة، ثم ارفعوا أيديكم الى السماء، وقولوا اللهم إنا نستفتحك على دم يحيى بن زكريا ففعلوا فخرّب سور المدينة فدخلوها فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن، فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفا وسكن الدم فأمرته بالكف وكف *

وخرّب بيت المقدس، وأمر أن تلقى فيه الجيف، وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بنى اسرائيل منهم عزريا وميشائيل ورأس الجالوت، فكان دانيال أكرم الناس عليه، فحسداهم المجوس وسعوا بهم الى بختنصر وذكروا ما تقدم من إلقيهم الى السبع ونزول الملك عليهم، ومسح بختنصر ومقامه في الوحش سبع سنين *

وهذا القول وما لم نذكره من الروايات من ان بختنصر هو الذى خرب بيت المقدس، وقتل بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا باطل عند أهل السير والتاريخ، وأهل العلم بامور الماضين، وذلك أنهم أجمعون مجمعون على أن بختنصر غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد أرميا بن حلقيا، وبين عهد أرميا وقتل يحيى أربعائة سنة وإحدى

(١) تخريب بابده تخريب نين بختنصر الذى فى سنة ٦٠٦ قبل الميلاد من يحيى الذى ولد فى أول عام للميلاد؟ *

وستون سنة (۱) عند اليهود والنصارى ويذكرون أن ذلك في كتبهم وأسفارهم مبين،
وتوافقهم المجوس في مدة غزو بختنصر بني إسرائيل إلى موت الاسكندر وتخالفتهم
في مدة ما بين موت الاسكندر ومولد يحيى، فيزعمون أن مدة ذلك كانت إحدى
وخمسين سنة *

وأما ابن إسحق فإنه قال: الحق أن بني إسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من
بابل وكثروا، ثم عادوا يحدثون الأحداث ويعود الله سبحانه وتعالى عليهم، ويبعث
فيهم الرسل، ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون، حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريا وابنه
يحيى وعيسى ابن مريم عليهم السلام فقتلوا يحيى وزكريا، فابتعث الله عليهم ملكا من
ملوك بابل يقال له: جودرس، فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام، فلما دخل عليهم بيت
المقدس قال: لقائد عظيم من عسكره اسمه نبوزاذان وهو صاحب الفيل: اني كنت
حلفت لئن أنا ظفرت ببني إسرائيل لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكرى إلا أن
لا أجد من أقتله، وأمره أن يدخل المدينة ويقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم، فدخل
نبوزاذان المدينة، فأقام في المدينة التي يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى، فقال
يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى؟ فقالوا هذا دم قربان لنا لم يقبل فلذلك هو يغلى
فقال: ما صدقتموني الخبر فقالوا: انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يقبل منا
فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤوسهم فلم يهدأ فامر بسبعمائة من
علمائهم، فذبحوا على الدم فلم يهدأ *

فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم: يا بني إسرائيل أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد
طال ما ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل أن لا أدع منكم نافع نارا ولا ذكرا إلا
قتلته، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر، وقالوا: هذانبي كان ينهانا عن كثير
ما يسخط الله ويخبرنا بخبركم فلم نصرقه وقتلناه فهذا دمه؛ فقال: ما كان اسمه، قالوا: يحيى
ابن زكريا قال: الآن صدقتموني لمثل هذا انتقم ربكم منكم، وخر ساجدا، وقال لمن حوله:
أغلقوا أبواب المدينة واطرحوا من هنا من جيش جودرس، ففعلوا وخلا
في بني إسرائيل، ثم قال للدم: يا يحيى قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك
وما قتل منهم فاهدا باذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد فسكن الدم ورفع نبوزاذان

(۱) بل أكثر من خمسمائة سنة *

القتل ، وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره *
ثم قال لبي إسرائيل ان جو درس أمرني ان أقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم في عسكره ،
ولست أستطيع ان أعصيه قالوا افعل فأمرهم ان يحفروا حفيرة ، وأمر بالخنيل ، والبغال
والحمير ، والبقر ، والغنم ، والابل فذبحها حتى كثر الدم وأجرى عليه ماء ، فسال الدم
في العسكر ، فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم ، فالتقوا فوق المواشى ، فلما نظر جو درس الى الدم
قد بلغ عسكره أرسل الى نبوزاذان أن ارفع القتل عنهم ؛ فقد انتقمت منهم بما فعلوا ،
وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله بنى إسرائيل يقول الله تعالى لنييه محمد ﷺ (وقضينا
الى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد
أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا * ثم
رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * إن أحستهم أحستهم
لانفسكم وان أسأتهم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسووا ووجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه
أول مرة وليتبروا ما علوا تبيرا * عسى ربكم أن يرحكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا) وعسى من الله حق ، وكانت الواقعة الأولى مختصر وجنوده ، ثم رد الله سبحانه
لهم الكرة ، ثم كانت الواقعة الأخيرة جو درس وجنوده ، وكانت أعظم الوقعتين فيها
كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسأهم يقول الله تعالى (وليتبروا
ما علوا تبيرا ^(١)) : وزعم بعض أهل العلم : ان قتل يحيى كان أيام أردشير ^(٢) بن بابك
وقيل : كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف والله أعلم *

* ذكر قتل زكريا *

لما قتل يحيى وسمع أبوه بقتله فرّ هاربا فدخل بستانا عند بيت المقدس فيه أشجار ،
فارسل الملك فى طلبه ، فمر زكريا بالشجرة ، فنادته هلم الى يابى الله فلما أتاها انشقت فدخلها
فانطبقت عليه وبقى فى وسطها ، فأتى عدو الله إبليس فأخذ هدب رداءه فأخرجه من
الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم ، ثم لقي الطلب فأخبرهم ، فقال لهم : ما تريدون ؟ فقالوا
نلتمس زكريا فقال انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها قالوا : لان صدقك : قال فان
لى علامة تصدقونى بها فأراهم طرف رداءه ، فأخذوا الفؤوس وقطعوا الشجرة اثنتين

(١) ان الذى خرب بيت المقدس الخراب الثانى هو طيطوس الرومانى *

(٢) هذا خطأ فان أردشير وحده الملكة الفارسية سنة ٢٣٠ قبل ميلاد المسيح *

وشقوها بالمنشار فانتز كريا فيها، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض فانتقم به منهم* وقيل ان السبب في قتله أن إبليس جاء الى مجالس بني اسرائيل، فقدم كريا بمريم وقال لهم: ما أحبلها غيره، وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوه فهربوا وذكروا من دخوله الشجرة نحو ما تقدم (١)*

* ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته الى آخر أمره *

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف، قالت المجوس: كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل (٢) وبعد إحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيين، وقالت النصارى: ان ولادته كانت لمضى ثلثمائة وثلاث وستين سنة (٣) من وقت غلبة الاسكندر على أرض بابل، وزعموا أن مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستة أشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة، وقيل عشرين، وأن عيسى عاش الى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما، وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة، وان يحيى قتل قبل أن يرفع المسيح وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنة *

وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة وكانت هي وابن عمها يوسف بن يعقوب ابن مائان النجار يريان خدمة الكنيسة، وكان يوسف حكيما نجارا يعمل بيديه ويتصدق بذلك، وقالت النصارى: إن مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها إلا أنه لم يقربها إلا بعد رفع المسيح (٤) والله أعلم *

وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرائيل نفذ ماؤها، فقالت ليوسف: ليذهب معها الى الماء، فقال: عندي من الماء

(١) دخول زكريا عليه السلام الشجرة لاصل له وانما هو محض افتراء اهـ واي فائدة لدخوله في الشجرة وبقاء طرف رداءه عرضة لنظر طاليه؟ وهذه بلاشك دسيسة لاعظام مقام ابليس حيث أفسد المجرزة وقتل نبي الله زكريا عليه السلام والمعجب من اراد أمثال هذه المنكرات في الكتب الاسلامية . الادارة (٢) هذا غلط والصحيح ان ذلك كان بعد الاسكندر بأكثر من ثلثمائة سنة (٣) وهذا أيضا غلط لان المدة اقل من ذلك بقليل (٤) هذا يخالف ما في انجيل مرقس اصحاح ٦ فقرة ٣ ونصها . أليس هذا هو النجار بن مريم واخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ اوليست اخواته ههنا عندنا؟ وفي انجيل متى اصحاح ١٢ فقرة ٤٦ وفيما هو يكلم الجموع اذا امه واخوته قد وقفوا خارجا طالين ان يكلموه ٤٧ فقال له واحد هوذا امك واخوتك واقفون خارجا طالين ان يكلموك ٤٨ فاجاب وقال للقائل له من هي أمي؟ ومن هم اخوتي؟ ٤٩ ثم مديده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي

ما يكفيني إلى غد، فأخذت قلتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة، فوجدت جبرائيل قد مثله الله لها (بشرا سويا)، فقال لها: يا مريم ان الله قد بعثني إليك (لأهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى مطيعا لله، وقيل: هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلا، (قال: انما أنار رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا، قالت: أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا) أى زانية، (قال: كذلك قال ربك) الى قوله (أمرام مقضيا) * فلما قال: ذلك استسلمت لقضاء الله، فنفخ فى جيب درعها، ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح، وملاأت قلتها، وعادت، وكان لا يعلم فى أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار. وكان معها. وهو أول من أنكر حملها. فلما رأى الذى بها استعظمه ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها فاذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وانها لم تغب عنه ساعة قط. واذا أراد أن يبرئها رأى الذى بها. فلما اشتد ذلك عليه كلمها. فكان أول كلامه لها أن قال لها: انه قد وقع من أمرك شىء قد حرصت على أن أميته وأأكتمه فغلبنى. فقالت: قل قولا جميلا. فقال: حدثيني هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم. قال: فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه؟ قالت: نعم. قال: فهل يكون ولد بغير ذكر؟ قالت له: نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه بغير بذر؟ ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطر، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحدة منها وحده أو تقول لن يقدر الله على أن ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر، قال يوسف: لا أقول هكذا، ولكنى أقول: إن الله يقدر على ما يشاء انما يقول لذلك كن فيكون، قالت له ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا أنثى؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شىء من الله لا يسعه أن يسألها عنه لما رأى من كتمانها له، وقيل إنها خرجت الى جانب الحجرات لحيض أصابها، فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران، فلما طهرت اذا برجل معها وذكرا الآيات، فلما حملت أتها خالتها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا إني حبلى، فقالت لها مريم وأنا أيضا حبلى، قالت امرأة زكريا: فاني وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وولدت امرأة زكريا يحيى وقد اختلف فى مدة حملها، فقيل تسعة أشهر وهو قول النصارى، وقيل ثمانية أشهر فكان ذلك آية أخرى لانه لم يعيش مولود لثمانية أشهر غيره، وقيل ستة أشهر، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى: (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) عقبه بالفاء *

فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فأتت أقصاه (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت) وهي تطلق من الجبل إستحياء من الناس (ياليتني مت قبل هذا و كنت نسيامنسيا) تعني نسي ذكري وأثرى فلا يرى لي أثر ولا عين قالت مريم: كنت اذا خلوت حدثني عيسى وحدثته فاذا كان عندنا انسان سمعت تسيحه في بطني (فناداها) جبرائيل (من تحتها) أي من أسفل الجبل (لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) وهو النهر الصغير أجراه تحتها فنقرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرائيل ومن فتحها قال: إنه عيسى انطقه الله (وهزى اليك بجذع النخلة) كان جذعا مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وقيل: كان مقطوعا فلما أجهداها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وأرطب فقبل لها: (وهزى اليك بجذع النخلة) فهزته فتساقط الرطب فقال لها (فكلى واشربي وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) و كان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي *

فلما ولده ذهب إبليس فأخبر بني اسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشهدون بدعوتها، (فأتت به قومها تحمله)، وقيل: إن يوسف النجار تركها في مغارة أربعين يوما، ثم جاء بها الى أهلها، فلما رأوها قالوا لها: (يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) فما بالك أنت؟ و كانت من نسل هرون أخى موسى كذا قيل *

قلت: إنها ليست من نسل هرون إنما هي من سبط يهوذا بن يعقوب من نسل سليمان ابن داود، وإنما كانوا يدعون بالصالحين، وهرون من ولد لاوى بن يعقوب *

قالت لهم ما أمرها الله به بعد ذلك. فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام (أشارت اليه) فغضبوا، وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها، (قالوا: كيف تكلم من كان في المهدي صيبا)؟ فتكلم عيسى، فقال: (إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) فكان أول ما تكلم به العبودية ليكون أبلغ في الحجته على من يعتقد أنه إله، و كان قومها قد أخذوا الحجارة ليرجموها، فلما تكلم ابنها تركوها، ثم لم يتكلم بعدها حتي كان بمنزلة غيره من الصبيان، وقال بنو اسرائيل: ما أحبلها غير زكريا فإنه هو الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه، ففر منهم، ثم أدر كوه، فقتلوه، وقيل في سبب قتله غير ذلك وقد تقدم ذكره *

(م ٢٣٣ - ج ١ الكامل)

وقيل : إنه لما دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك ، فانهم انظفروا بك عيوك وقتلوك وولدك ؛ فاحتملها يوسف النجار وسار بها إلى أرض مصر فلما وصلا إلى تخوم مصر أدر كها المخاض فلما وضعت وهي محزونة قيل لها (لا تحزني) الآية إلى إنسيا فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء ، وأصبحت الأصنام منكوسة على رؤسها ، وفزعت الشياطين فجاءوا إلى إبليس ، فلما رأى جماعتهم سألهم فأخبروه ، فقال قد حدث في الأرض حادث ، فطار عند ذلك وغاب عنهم ، فر بالمكان الذي ولد فيه عيسى ، فرأى الملائكة محققين به ، فعلم أن الحادث فيه ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى ، فعاد إلى أصحابه وأعلمهم بذلك ، وقال لهم : ما ولدت امرأة إلا وأنا حاضر وإني لأرجو أن أضل به أكثر ممن يهتدى ، واحتملته مريم إلى أرض مصر ، فمكث اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها *

قلت والقول الأول في ولادته بأرض قومها للقرآن أصح لقول الله تعالى (فأنت به قومها تحمله) وقوله (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) وقيل : إن مريم حملت المسيح إلى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى ، وقيل الربوة دمشق ، وقيل بيت المقدس ، وقيل غير ذلك ، فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني إسرائيل ، وكان من الروم واسمه هيردوس ، فان اليهود أغروه بقتله ، فساروا إلى مصر ، وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة إلى أن مات ذلك الملك وعادوا إلى الشام ، وقيل : ان هيردوس لم يرد قتله ولم يسمع به إلا بعد رفعه وإنما خافوا اليهود عليه والله أعلم *

﴿ ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته ﴾

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان ، وكانت داره يأوي إليها الفقراء والمساكين فسرق له مال فلم يتهم المساكين ، فحزنت مريم ، فلما رأى عيسى حزن أمه قال : أتريدين ان أدله على ماله؟ قالت : نعم قال إنه أخذه الأعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الأعمى المقعد فاخذه ، فقيل للأعمى ليحمل المقعد فآظهر العجز ، فقال له المسيح : كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال فاعترفا وأعاداه ، ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عنده شراب فاهتم لذلك . فلما رآه عيسى دخل بيتا للدهقان فيه صقان من جرار . فأمر عيسى بيده على افواها وهو يمشی . فامتلات شرابا وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة . وكان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلهم وبما كانوا ياكلون . قال وهب : بينما عيسى يلعب مع

الصیوان اذ وثب غلام علی صبی فضربه علی رجله فقتله . فالتقاء بین رجلی المسیح متلطخا بالدم فانطلقوا به الی الحاکم فی ذلك البلد ، فقالوا قتل صیبا ، فسأله الحاکم ، فقال ما قتلته فأرادوا أن یبطشوا به . فقال اتوني بالصبي حتى أسأله من قتله . فتعجبوا من قوله وأحضروا عنده القتيل ، فدعا الله فأحياه ، فقال : من قتلک ، فقال قتلی فلان یعنی الذی قتله . فقال بنو اسرائیل للقتیل : من هذا . قال هذا عیسیٰ ابن مریم ، ثم مات الغلام من ساعته *
 وقال عطاء : سلبت مریم عیسیٰ الی صباغ یتعلم عنده . فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة ، فقال للمسیح هذه ثياب مختلفة الألوان . وقد جعلت فی کل ثوب منها خیطا علی اللون الذی یصبغ به فاصبغها حتی أعود من حاجتی هذه فاخذها المسیح وألقاها فی جب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال صبغتھا فقال : أين هی ؟ قال فی هذا الجب قال کلھا ؟ قال نعم قال لقد أفسدتھا علی أصحابھا وتغیظ علیہ فقال له المسیح : لاتعجل وانظر الیھا وقام وأخرجھا کل ثوب منها علی اللون الذی أراد صاحبه : تتعجب الصباغ منه ، وعلم أن ذلك من الله تعالی *

ولما عاد عیسیٰ وأمه الی الشام نزلوا بقریة یقال لها ناصرة . وبها سمیت النصارى . فأقام الی أن بلغ ثلاثین سنة . فأوحى الله الیه أن یرز للناس ویدعوهم الی الله تعالی . ویداوی المرضى والزمنی والأکمه والأبرص وغيرهم من المرضى ففعل ما أمر به . وأحبه الناس ، وکثر أتباعه ، وعلا ذکره *

وحضر یوما طعام بعض الملوك ، وكان دعا الناس الیه فقعده علی قصعة يأكل منها ولا تنقص ، فقال الملك من أنت ؟ قال أنا عیسیٰ ابن مریم ، فنزل الملك عن ملكه واتبعه فی نفر من أصحابه ، فكانوا الحواریین . وقیل : ان الحواریین هم الصباغ الذی تقدم ذكره وأصحاب له : وقیل : كانوا صیادین : وقیل قصارین ، وقیل ملاحین والله أعلم ، وكانت عدتهم اثنی عشر رجلا ، وكانوا إذا جاعوا أو عطشوا قالوا یروح الله قد جعنا وعطشنا ، فیضرب یده الی الأرض . فیخرج لكل انسان منهم رغیفان وما یشربون . فقالوا : من أفضل منا ؟ إذا شئنا أطعمتنا وسقیتنا . فقال : أفضل منکم من يأكل من کسب یده . فصاروا یغسلون الثياب بالأجرة *

ولما أرسله الله أظهر من المعجزات أنه صور من الطین صورة طائر . ثم نفخ فیہ فیصیر طائرا باذن الله ، قیل هو الخفاش . وكان غالب علی زمانه الطب . فأتاهم . بما أبرأ

الآكله والأبرص وأحيا الموتى تعجيزا لهم * فمن أحياه عازر . وكان صديقا لعيسى .
فرض فارسلت أخته الى عيسى أن عازر يموت . فسار اليه وبينهما ثلاثة أيام . فوصل
اليه وقد مات منذ ثلاثة أيام . فأتى قبره فدعا له فعاش وبقى حتى ولد له * وأحيا امرأة
وعاشت وولد لها . وأحيا سام بن نوح كان يوما مع الحوارين يذكر نوحا والغرق
والسفينة ، فقالوا : لو بعثت لنا من شهد ذلك فأتي تلاء ، وقال : هذا قبر سام بن نوح .
ثم دعا الله فعاش . وقال : قد قامت القيامة . فقال المسيح . لا ولكن دعوت الله فأحياك ،
فسألوه فأخبرهم ، ثم عاد ميتا * وأحيا عزيرا النبي قال له بنو إسرائيل : أحى لنا عزيرا
والأحرقناك ، فدعا الله فعاش ، فقالوا : ما تشهد لهذا الرجل ؟ قال أشهد انه عبد الله
ورسوله * وأحيا يحيى بن زكريا * وأحيا غير من ذكرناه ، وكان يمشى على الماء^(١) *

* ذكر نزول المائدة *

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة ، وسبب ذلك ان الحوارين قالوا له : يا عيسى (هل
يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) ؟ فدعا عيسى ؛ فقال : (اللهم بنا أنزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيد الأولنا وآخرنا) ، فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأكلون منها
ولا تنفد ، فقال لهم : إنها مقيمة ما لم تدخروا منها فمضى يومهم حتى ادخروا ، وقيل : أقبلت
الملائكة نمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم ، فأكل
منها آخر الناس كما أكل أولهم ، وقيل كان عليها من ثمار الجنة ، وقيل : كانت تمد بكل طعام
إلا اللحم ، وقيل : كانت سمكة فيها طعم كل شيء . فلما أكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت
حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد أنك رسول الله ، ثم تفرقوا ، فتحدثوا بذلك فكذب
به من لم يشهده ، وقالوا سحر أعينكم ، فافتن بعضهم وكفر ، ففسخوا خنازير ليس فيهم
امرأة ولا صبي فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا *

وقيل : كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى
سقطت بين أيديهم ، فبكى عيسى ، وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة
ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب
من ريحها ، فقال شمعون : يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ ، فقال المسيح

(١) في هذا الباب اتى المؤلف بقليل من الحق وكثير من الباطل الذي لم يؤيد بمخبر صحيح *

لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شئ خلقه الله بقدرته ، فقال لهم : كلوا بما سألتم ، فقالوا له : كل أنت يا روح الله ، فقال معاذ الله أن آكل منها فلم يأكل ولم يأكلوا منها ، فدعا المرضى والزمي والفقراء ، فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة فشبوا وهي بحالها لم تنقص ، فصح المرضى والزمي ، واستغنى الفقراء ، ثم سعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها *

وقيل : إنها نزلت أربعين يوما كانت تنزل يوما وتنقطع يوما ، وأمر الله عيسى أن يدعو اليها الفقراء دون الأغنياء ، ففعل ذلك ، فاشتد على الأغنياء وجحدوا نزولها وشكوا في ذلك وشكوا غيرهم فيها ، فأوحى الله إلى عيسى اني شرطت أن أعذب المكذبين عذابا لا أعذب به أحدا من العالمين ، فمسح منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا ، فاصبحوا خنازير ، فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى ، وبكوا ، وبكى عيسى على المسوخين ، فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطاقوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام ، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ^(١) *

﴿ ذكر رفع المسيح إلى السماء ونزوله إلى أمه وعوده إلى السماء ﴾

قيل : ان عيسى استقبله ناس من اليهود ، فلما رأوه قالوا : قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وأمه ، فسمع ذلك ودعا عليهم ، فاستجاب الله دعاه ومسحهم خنازير ، فلما رأى ذلك رأس بنى اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله ، فاجتمعوا عليه ؛ فسألوه ؛ فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته وثاروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل ، فأدخله في خوخة الى بيت فيهاروزنة ^(٢) في سقفا ، فرفعه الى السماء من تلك الروزنة ، فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه اسمه نطليانوس ان يدخل اليه فيقتله ، فدخل فلم ير أحدا وألقى الله عليه شبه المسيح ، فخرج اليهم ، فظنوه عيسى ، فقتلوه وصلبوه *

وقيل : ان عيسى قال لأصحابه أيكم يجب ان يلتقى عليه شبهى وهو مقتول ؟ فقال رجل منهم : أنا يا روح الله فألقى عليه شبهه فقتل وصلب * وقيل : ان الذى شبه بعيسى وصلب رجل اسرايلى اسمه يوشع أيضا *

(١) مسألة المائة وهي الخمسة الارغفة والسكنتين مذكورة في الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى والسادس من مرقس والتاسع من لوقا (٢) هي الكوة اه قاموس *

وقيل : لما علم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعاما ، فقال : اجضروني الليلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاهم ، وقام يخدمهم ، فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده ويمسحها بثيابه ، فتعاضموا ذلك وكرهوه ، فقال من يرد على الليلة شيئا مما أصنع فليس مني فأقروه حتى فرغ من ذلك ، ثم قال : أما ما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن بي أسوة فلا يتعاضم بعضهم على بعض ، وأما حاجتي التي أستعينكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء ، فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لي ليلة ؟ قالوا : والله ما ندرى مالنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقرر عليه الليلة وكلما نريد الدعاء حيل بيننا وبينه ، فقال : يذهب بالراعي ويفترق الغنم وجعل ينعي نفسه ، ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ، وليبغني أحدكم بدراهم يسيرة ، وليأكلن ثمنى نخرجوا وتفرقوا ، وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون أحد الحواريين ، وقالوا هذا صاحبه *

واختلف العلماء في موته قبل رفعه الى السماء ، فقيل : رفع ولم يميت ، وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم أحياه ورفعاه ولما رفع الى السماء قال الله له انزل فلما قالوا للشمعون عن المسيح جحد ، وقال : ما أنا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثا ، فلما سمع صياح الديك بكى وأحزنه ذلك ، وأتى أحد الحواريين الى اليهود فداهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهما ، فأتي معهم الى البيت الذي فيه المسيح فدخله ورفع الله المسيح وألقى شبهه على الذي داهم عليه ، فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له أنت كنت تحي الموتى وتفعل كذا وكذا ، فهلا تنجى نفسك : وهو يقول أنا الذي دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله ووصلوا به الى الخشبة وصلبوه عليها *

وقيل : ان اليهود لما داهم عليه الحواري اتبعوه وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه ، فاظلمت الأرض ، وأرسل الله ملائكة فحاولوا بينهم وبينه وألقى شبه المسيح على الذي داهم عليه ، فأخذوه ليصلبوه ، فقال : أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه ، فقتلوه وصلبوه عليها (١) *

(١) هذا هو الوجه المرضي والذي ذكره برنابا حواري المسيح في الفصل السابع عشر بعد المائتين من انجيله

وما عداه من الروايات باطل *

ورفع الله المسيح اليه بعد أن توفاه ثلاث ساعات، وقيل سبع ساعات ثم أحياه ورفعته ثم قال له ، انزل الى مريم فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها فنزل عليها بعد سبعة أيام ، فاشتعل الجبل حين هبط نورا وهي^(١) عند المصلوب تبكي ، ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون ، فقال : ماشأنكما تبكيان ؟ قالتا : عليك ، قال : اني رفعتني الله اليه ولم يصنني إلاخير ، وإن هذا شيء (شبه لهم) وأمرها فجمعت له الحواريين فبشهم في الارض ورسلا عن الله وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه الله اليه وكساه الريش والبسه النور ، وقطع عنه لذة الطعام والمشرب ، وطار مع الملائكة فهو معهم ، فصار إنسيا ملكيا سماويا أرضيا ، ففرق الحواريون حيث أمرهم ، فلك الليلة التي أهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النار *

وتعدى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم ، فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس ، وكانوا تحت يده ، وكان صاحب وثن ، فقيل له: إن رجلا كان في بني إسرائيل ، وكان يفعل الآيات من إحياء الموتى وخلق الطير من الطين والاعراب عن الغيوب ، فعدوا عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله ، فقال الملك : ويحكم ما منعكم أن تذكروا هذا من أمره : فوالله لو علمت ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايدي اليهود وسألهم عن دين عيسى ، فأخبروه ، وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شبه لهم فغيبه وأخذ الخشبة التي صلب عليها فآكرمها وصانها ، وعدا على بني إسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة * فمن هناك كان أصل النصرانية^(٢) في الروم ، وقيل : كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الأعظم الملقب قيصر واسمه طياريوس وكان هذا أيضا يسمى ملكا وكان ملك طياريوس ثلاثا وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثمانى عشرة سنة وأياما *

﴿ ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى عهد نبينا محمد ﷺ ﴾

زعموا ان ملك الشام جميعه صار بعد طياريوس الى ولده جايوس : وكان ملكه اربع سنين ، ثم ملك بعده ابن له آخر اسمه قلوديوس اربع عشرة سنة ، ثم ملك بعده

(١) لم تكن امه هي التي تبكي عند القبر او موضع الصلب واكنها مريم المجدلية ومريم الأخرى اخت مرثا وهي مريم ام يعقوب يراجع اصحاح ٢٠ من يوحنا واصحاح ٢٤ لوقا واصحاح ٦ مرقس واصحاح ٢٨ متى
(٢) أصل النصرانية في الروم الحواريون الذين ذهبوا الى بلادهم ونشروا الدين بينهم *

نيرون الذي قتل بطرس وبولس فصلبهما منكسين أربع عشرة سنة ، ثم ملك بعده بوطلايس أربعة أشهر ، ثم ملك اسفسيانوس وهذا الذي وجه ابنه طيطوس إلى البيت المقدس فهدمه وقتل من بني اسرائيل غضباً للمسيح^(١) ثم ملك ابنه طيطوس ، ثم ملك أخوه دومطيانوس ست عشرة سنة ، ثم ملك بعده نارواس ست سنين ، ثم ملك من بعده طرايانوس تسع عشرة سنة . ثم ملك بعده هدريانوس احدى وعشرين سنة ، ثم ملك من بعده انطونينوس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة . ثم ملك مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة ، ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك من بعده فرطينا جوس ستة أشهر ثم ملك بعده سيواروش أربع عشرة سنة ، ثم ملك بعده انطينانوس سبع سنين ثم ملك من بعده مرقيانوس ست سنين . ثم ملك من بعده انطينانوس أربع سنين وفي ملكه مات جالينوس الطبيب . ثم ملك الحسنروس ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك مكسيانوس ثلاث سنين ، ثم ملك جورديانوس ست سنين . ثم فيلفوس سبع سنين ، ثم ملك داقوس ست سنين ؛ ثم ملك قالوس ست سنين ، ثم ملك والريانوس وقالينوس خمس عشرة سنة . ثم ملك قلو ديوس سنة . ثم ملك قريطاليوس شهرين . ثم ملك أورليانوس خمس سنين . ثم ملك طيقطوس ستة أشهر . ثم ملك فولورنوس خمسة وعشرين يوماً ثم ملك فرويوس ست سنين ، ثم ملك دقلطيانوس ست سنين ؛ ثم ملك مخسيميانوس عشرين سنة . ثم قسطنطين ثلاثين سنة . ثم ملك يليانوس سنتين ، ثم ملك يويانوس سنة ، ثم ملك والنطيانوس وخرطيانوس عشر سنين ، ثم ملك خرطيانوس ووالنطيانوس الصغير سنة ، ثم ملك تيداسيس الأكبر سبع عشرة سنة ، ثم ارقاديوس وانوريوس عشرين سنة . ثم ملك تيداسيس الأصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة ، ثم ملك مرقيانوس سبع سنين ؛ ثم ملك لاوست عشر سنين ، ثم ملك زانون ثمانى عشرة سنة ، ثم ملك انسطاس سبعا وعشرين سنة . ثم ملك يوسطيانوس تسع سنين ، ثم ملك يوسطيانوس الشيخ عشرين سنة ، ثم ملك يوسطيس اثني عشرة سنة ، ثم ملك طيار يوس ست سنين ثم مريقيش وتاداسيس ابنه عشرين سنة ، ثم ملك فوقا الذي قتل سبع سنين وستة أشهر ،

(١) لم يكن ذلك غضباً للمسيح ولكن اليهود طعموا في ان يتحرروا من ربة الرومان فجاء اليهم وقتلهم وهدم هيكلهم وخرّب بيت المقدس وشتتهم في بقاع الارض وقد ألف في ذلك احد قوادهم كتابا هو عمدة المؤرخين في شأنهم واسمه يوسفوس وكان قائد فرقة في جهة رفح *

ثم هرقل الذي كتب اليه النبي ﷺ ثلاث سنين *
 فمن لدن عمر البيت المقدس بعد أن أخربه بختصر الى الهجرة على قولهم الف سنة
 ونيف ، ومن ملك الاسكندر اليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة ، فمن ذلك من وقت
 ظهوره الى مولد عيسى عليه السلام ثلثمائة سنة وثلاث سنين ؛ ومن مولده الى ارتفاعه
 اثنتان وثلاثون سنة ، ومن وقت ارتفاعه الى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر .
 هذا الذي ذكره أبو جعفر من عدد ملوك الروم ، وقد أخلت ذكرهم عن شيء من الحوادث
 التي كانت في أيامهم ، وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ ، وخالفه في كثير منها ، ووافقه
 في الباقي مع مخالفة الاسم وأضاف الى أسمائهم ذكر شيء من الحوادث في أيامهم وأنا أذكره
 مختصراً إن شاء الله *

﴿ ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الأولى الصابثون ﴾

ذكر غير واحد من علماء التاريخ أن الروم غلبت اليونان وهم ولد صوفير ،
 والاسرائيليون يدعون أن صوفير هو الاثصر ابن نفر بن عيص بن إسحق بن ابراهيم وكانوا
 ينزلون رومية قبل غلبتهم على اليونان ، وكانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابثين
 ولهم أصنام يعبدونها على عادة الصابثين ، فكان أول ملوكهم برومية غالوس ؛ وكان
 ملكه الاني عشرة سنة ؛ وقيل : كان ملك قبله روملس وأرمانوس وهما بניהا واليهما
 نسبت وأضيف الروم إليها ، وإنما غالوس أول من يعد في التاريخ لشهرته ، ثم ملك بعده
 يوليوس أربع سنين وأربعة أشهر ، ثم ملك أوغسطس — ومعناه الصباء — وهو
 أول من سمى قيصر ، وتفسير ذلك انه شق عنه بطن أمه لانها ماتت وهي حامل به
 فاخرج من بطنها ثم صار ذلك لقباً لملوكهم ، وكان ملكه ستاً وخمسين سنة وخمسة أشهر ،
 وأكثر المؤرخين يتدثون باسمه لأنه أول من خرج من رومية ، وسير الجنود برا وبحرا ،
 وغزا اليونانيين واستولى على ملكهم ، وقتل كيلوبطرة آخر ملوكهم ، واستولى على الاسكندرية
 ونقل مافيا إلى رومية ، وملك الشام ، واضمحل ملك اليونانيين ودخلوا في الروم ،
 واستخلف على البيت المقدس هيردوس بن انطيقوس ، ولانثتين وأربعين سنة من ملكه
 كانت ولادة المسيح ، وهو الذي بنى قيصارية *

ثم ملك بعده طيباريوس ثلاثاً وعشرين سنة ، وهو الذي بنى مدينة طبرية فأضيفت

(٢٤٢ - ج ١ الكامل)

اليه وعربها العرب . وفي ملكه رفع المسيح عليه السلام . وملك بعد رفعه ثلاث سنين *
ثم ملك بعده ابنه غايوس أربع سنين . وهو الذي قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة عند
النصارى ويعقوب أخا يوحنا بن زبدي . وهما من الحواريين ، وقتل خلقا من النصارى ،
وهو أول الملوك من عباد الأصنام قتل النصارى ، ثم ملك قلوديوس بن طيار يوس أربع
عشرة سنة ، وفي ملكه حبس شمعون الصفا ، ثم خلص شمعون من الحبس وسار إلى
أنطاكية فدعا إلى النصرانية ثم سار إلى رومية فدعا أهلها أيضا فأجابته زوجة الملك ،
وسارت إلى البيت المقدس ، وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب
عليها ، وكانت في أيدي اليهود فأخذتها وردتها إلى النصارى ، ثم ملك نيرون ثلاث عشرة
سنة وثلاثة أشهر وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وفي أيامه
ظفرت اليهود يعقوب بن يوسف ، وهو أول الأساقفة بالبيت المقدس فقتلوه وأخذوا
خشبة الصليب فدفنوها ، وفي أيامه كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا
في صورة الأرض ، ثم ملك بعده غلباس سبعة أشهر ، ثم ملك أوثون ثلاثة أشهر ، ثم
ملك ييطاليس أحد عشر شهرا ، ثم ملك اسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر ، وفي أيامه
خالف أهل البيت المقدس قيصر فحصرهم وافتتح المدينة عنوة وقتل كثيرا من أهلها من
اليهود والنصارى وعمهم الأذى في أيامه ثم ملك ابنه طيطوس سنتين وثلاثة أشهر ، وفي
أيامه أظهر مرقيون مقالته بالاثنين وهما الخير والشرو بعد ثالث بينهما واليه تنسب
المرقونية وهو من أهل حران ثم ملك ذو مطيانش بن أسباسيانوس خمس عشرة سنة
وعشرة أشهر ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا الحوارى كاتب الانجيل الى جزيرة في
البحر ثم رده ثم ملك نرواس سنة وخمسة أشهر ، ثم ملك طرايانوس تسع عشرة سنة ، وفي
السادسة من ملكه توفى يوحنا كاتب الانجيل بمدينة أفسوس ، ثم ملك أيليا اندريانوس
عشرين سنة وقتل من اليهود والنصارى خلقا كثيرا الخلاف كان منهم عليه وأخرب
البيت المقدس وهو آخر خرابه ، فلما مضى من ملكه ثمان سنين عمره أيضا وسماه أيليا
فبقى الاسم عليه فكان قبل ذلك يسمى أورشلم . وأسكن المدينة جماعة من الروم واليونان *
وبنى هيكلا عظيما للزهرة وكان على البنيان فهدم من أعلاه كثير . وهو باق الى يومنا
هذا وهو سنة ثلاث وستمائة ، وقد رأيت به وهو محكم البناء ولا أدري كيف نسب الى
داود وقد بي بعده بدهر طويل على أنني سمعت بالبيت المقدس من جماعة يذكرون أن

داود بنه وكان يتفرغ فيه لعبادته *

وفي أيام هذا الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت *

ثم ملك انطينس يوس اثنتين وعشرين سنة وفي أيامه كان بطليموس صاحب
المجسطى والجغرافيا وغيرهما وقيل: إنه من ولد قلو ديوس ، ولهذا قيل له القلودي نسبة إليه
وهو السادس من ملوك الروم *

ودليل كونه في هذا الزمان ، وليس من ملوك اليونان ، أنه ذكر في كتاب المجسطى
أنه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبختصر ، وكان من ملك بختصر
الى قتل دارا أربعائة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة عشر يوما ، ومن قتل دارا
الى زوال ملك كيلوبطرة الملكة آخر ملوك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وست
وثمانون سنة ، ومدة غلبة أوغسطس الى أنطينوس مائة وسبع وستون سنة فمد ملك
بختصر الى أدريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريبا ، وهذا موافق لما
حكاه بطليموس *

قال : ومن زعم أن ابن كيلو بطرة آخر ملوك اليونانيين ، فقد أبطل ذكر هذا بعض
العلماء بالتاريخ وعدم ملوك اليونان وذكروا مدة ملكهم على ما قال * وأما أبو جعفر الطبري
فانه ذكر في مدة ملكهم مائتي سنة وسبعا وعشرين سنة على ما تقدم ذكره *
ثم ملك بعده مرقص ، ويسمى أورليوس تسع عشرة سنة ، وفي ملكه أظهر ابن ديسان
مقاتله ، وكان أسقفا بالرها وهو من القائلين بالاثنين . ونسب الى نهر على باب الرها يسمى
ديسان وجد عليه منبوذا ، وبني على هذا النهر كنيسة *

ثم ملك قومودوس اثني عشرة سنة ، وفي أيامه كان جالينوس قد أدرك بطليموس
القلودي ، وكان دين النصرانية قد ظهر في أيامه . وذكروا في كتابه في جوامع كتاب
أفلاطون في السياسة *

ثم ملك برطينقش ثلاثة أشهر * ثم ملك يوليانوس شهرين * ثم ملك سسيوارس
سبع عشرة سنة ، وشمل اليهود والنصارى في أيامه القتل والتشريد ، وبني بالاسكندرية
هيكلًا عظيمًا سماه هيكل الآلهة * ثم ملك أنطونيوس ست سنين * ثم ملك مقرون يوس
سنة وشهرين * ثم ملك أنطونيوس الثاني أربع سنين * ثم ملك الكسندروس ويلقب
بامياس ثلاث عشرة سنة * ثم ملك مقسميانوس ثلاث سنين * ثم ملك مقسموس

ثلاثة أشهر * ثم ملك غرديانوس ست سنين * ثم ملك فيلبوس ست سنين وتنصرو ترك دين الصابئين ، وتبعه كثير من أهل مملكته ، واختلفوا لذلك ، وكان فيمن خالفه بطريق يقال له داقوس فقتل فيلبوس واستولى على الملك ، ثم ملك بعده فيلبس داقوس سنتين ، وتتبع النصارى فهرب منه أصحاب الكهف الى غار في جبل شرقي مدينة أفسوس ، وقد خربت المدينة وكان لبثهم فيه مائة وخمسين سنة *

وهذا باطل لأنه على هذا السياق من حين رفع المسيح الى الآن نحو مائتي سنة وخمس عشرة سنة ، وكان لبث أصحاب الكهف على ما نطق به القرآن المجيد ثلاثمائة سنين (وازدادوا تسعا) ، فذلك خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ؟ فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الاسلام بنحو ستين سنة ؛ وقد ذكرنا أن من لدن ظهورهم الى الهجرة زيادة على مائتي سنة فهذه الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبي عليهما الصلاة والسلام إلا أن هذا الناقل قد ذكر أن غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة على ما تراه مذكورا ، وفيه مخالفة للقرآن ؛ ولولا نص القرآن لكان استقام له ما يريد *

ثم ملك بعده غليوس سنتين وكان شريكه في الملك يوليانوس ملك خمس عشرة سنة * ثم ملك قلوديوس ثم ملك ابنه أورليانوس ست سنين * ثم ملك طافستوس وأخوه فورس تسعة أشهر * ثم بروبس تسع سنين * ثم ملك قاروس سنتين وخمسة أشهر * ثم ملك دقلطيانوس سبع عشرة سنة * ثم ملك مقسيانوس وشاركه مقسمطيوس ؛ ثم اقتتل فاقسم الملك فلما الأب على الشام وبلاد الجزيرة وبعض الروم ؛ وملك الابن رومية وما اتصل بهامن أرض الفرنج ، وملكاً تسع سنين وتملك معها قسطنس أبو قسطنطين بلاد بوزنطيا وما يليها وهي نواحي القسطنطينية ولم تكن بنيت حينئذ * ثم مات قسطنس وملك بعده ابنه قسطنطين المعروف بأمه هيلانا وهو الذي تنصر *

قال ومن أول ملوك الروم الى هنا كانوا شيبين بملوك الطوائف لا ينضبط عددهم وقد اختلف الناس فيهم كاختلافهم في ملوك الطوائف وانما الذي يقول عليه من قسطنطين الى هرقل الذي بعث محمد ﷺ في أيامه ولقد صدق قائل هذا فان فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه عند ذكر دقيوس وأصحاب الكهف ولهذا العلة لم يذكر الطبري أصحاب الكهف في زمان أي الملوك كانوا وانما ذكرناه نحن لما في أيام

الملوك من الحوادث (١) *

﴿ الطبقة الثانية من ملوك الروم المنتصرة ﴾

ثم ملك قسطنطين المعروف بأمه هيلانا في جميع بلاد الروم ، وجرى بينه وبين مقسيانوس وابنه حروب كثيرة ، فلپامات استولى على الملك وتفرد به ، وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة اشهر وهو الذي تنصر من ملوك الروم وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها الى هذا الوقت وقد اختلفوا في سبب تنصره ، فقيل : إنه كان به برص وأرادوا نزعہ ، فأشار عليه بعض وزرائه بمن كان يكتم النصرانية باحداث دين يقاتل عليه ، ثم حسن له النصرانية يساعده من دان به ففعل ذلك فتبعه النصارى من الروم مع أصحابه وخاصته ، فقوى بهم وقهر من خالفه ، وقيل : إنه سير عساكر على أسماء أصنامهم فانهزمت العساكر ، وكان لهم سبعة أصنام على أسماء الكواكب السبعة على عادة الصابئين ، فقال له : وزيره يكتم النصرانية في هذا وأزرى بالأصنام ، وأشار عليه بالنصرانية فأجابہ فظفر ودام ملكه ، وقيل غير ذلك * وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية لثلاث سنين خلت من ملكه بمكانها الآن اختاره لحصاته ، وهي على الخليج الآخذ من البحر الأسود إلى بحر الروم . والمدينة على البر المتصل برومية وبلاد الفرنج والاندلس ، والروم تسميها استنبول يعنى مدينة الملك ، ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنودس (٢) الاول بمدينة نيقية من بلاد الروم ومعناه الاجتماع ، فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفا ؛ فاختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا متفقين غير مختلفين ، فخرموا له اريوس الاسكندراني الذي يضاف اليه الاريسية من النصارى ، ووضع شرائع النصرانية بعد ان لم تكن ، وكان رئيس هذا الجمع بطرق الاسكندرية * وفي السنة السابعة من ملكه صارت أمه هيلانا الرهاوية ، كان أبوه سبأها من الرها ، فولدها هذا الملك ، فسارت إلى البيت المقدس ، وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها ، وجعلت ذلك اليوم عيداً فهو عيد الصليب ، وبنيت الكنيسة المعروفة بقمامة ، وتسمى القيامة وهي إلى وقتنا هذا يحجها أنواع النصارى ، وقيل كان مسيرها بعد ذلك لأن ابنها دان بالنصرانية في قول بعضهم بعد عشرين سنة من ملكه وفي

(١) معلوم ان أسماء الملوك المذكورين في هذا الباب والذي قبله محرقة عن اصلها الروماني كما هي عادة العرب في الاسماء التي ينقلونها الى لغتهم وان تصحيح كل اسم — كما هو في لغته — يطول (٢) كانت في الأصول السنودس واصلاحها الأستاذ السنودس بلاها *

السنة الحادية والعشرين من ملكا طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه منها كنيسة حمص
وكنيسة الرها وهي من العجائب *

ثم ملك بعده قسطنطين انطاكية أربعاً وعشرين سنة بعهد من أبيه إليه، وسلم إليه
القسطنطينية، وإلى أخيه قسطنس انطاكية والشام ومصر والجزيرة، وإلى أخيه
قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة؛ وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد
لاخيهما قسطنطين *

ثم ملك بعده يوليانوس ابن أخيه سنتين. وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفي ذلك
فلما ملك أظهرها، وخرب البيع، وقتل النصارى، وهو الذي سار إلى العراق أيام سابور
ابن اردشير فقتل بسهم غرب * وقد ذكر أبو جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذي الأكناف
وهو بعد سابور بن اردشير * ثم ملك بعده يونيانوس سنة أظهر دين النصرانية ودان بها
وعاد عن العراق ثم ملك بعده ولنطوش اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر * ثم ملك والنس
ثلاث سنين وثلاثة أشهر * ثم ملك والنطيانوس ثلاث سنين *

ثم ملك تدوس الكبير ومعناه عطية الله تسع عشرة سنة * وفي ملكه كان السنودس
الثاني بمدينة القسطنطينية، اجتمع فيه مائة وخمسون أسقفًا لعنوا مقدونس وأشياء
وكان فيه بطرق الاسكندرية، وبطرق انطاكية، وبطرق البيت المقدس * والمدن التي
يكون فيها كراسى البطرق أربع: إحداها رومية وهي لبطرس الحواري، والثانية
الاسكندرية وهي لمرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة، والثالثة القسطنطينية؛ والرابعة
انطاكية وهي لبطرس أيضا * ولثمان سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف * ثم ملك بعده
إرقاديوس بن تدوس ثلاث عشرة سنة * ثم ملك تدوس الصغير ابن تدوس الكبير
اثنتين وأربعين سنة، ولاحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنودس الثالث بمدينة
أفسوس وحضر هذا المجمع مائة أسقف، وكان سببه ما ظهر من نسطورس بطرق
القسطنطينية، وهو رأس النسطورية من النصارى من مخالفة مذهبهم، فلعنوه ونفوه،
فسار إلى صعيد مصر، فأقام ببلاد اخميم، ومات بقرية يقال لها سيصلح وكثير أتباعه، وصار
بسبب ذلك بينهم وبين مخالفهم حرب وقتال، ثم دثرت مقالاته إلى أن أحيها برصوما
مطران نصيين قديما *

ومن العجائب أن الشهر ستاني مصنف كتاب نهاية الاقدام في الأصول ومصنف

كتاب الملل والنحل في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ذكر فيه ان نسطور كان أيام المأمون ، وهذا تفرد به ولا أعلم له في ذلك موافقا *

ثم ملك بعده مرقيان ست سنين ، وفي أول سنة من ملكه كان السنودس الرابع على سقرس بطرق القسطنطينية اجتمع فيه ثلثمائة وثلاثون أسقفا ، وفي هذا المجمع خالفت يعقوبية سائر النصارى * ثم ملك ليون الكبير ست عشرة سنة * ثم ملك ليون الصغير سنة ، وكان يعقوبى المذهب * ثم ملك زينون سبع سنين وكان يعقوبيا فزهد في الملك ، فاستخلف ابنأ له ، فهلك ، فعاد الى الملك * ثم ملك نسطاس سبعا وعشرين سنة ، وكان يعقوبى المذهب ؛ وهو الذى بنى عمورية ، فلما حفر أساسها أصاب فيه مالا وفي بالنفقة على بنائها وفضل منه شيء بنى به بيعة وديرة * ثم ملك يوسطين سبع سنين ، وأكثر القتل في يعقوبية * ثم ملك يوسطانوس تسعا وعشرين سنة ، وبني بالرها كنيسة عجيبة ، وفي أيامه كان السنودس الخامس بالقسطنطينية ، فحرموا أدريحا أسقف منبج لقوله بتناسخ الأرواح فى أجساد الحيوان وان الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبه ؛ وفي أيامه كان بين العاقبة والملكية ببلاد مصرقتن ، وفي أيامه ثار اليهود بالبيت المقدس وجبل الخليل على النصارى ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وبني الملك من البيع والديرة شيئا كثيرا * ثم ملك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة ، وفي أيامه كان كسرى أنوشروان * ثم ملك طبار يوس ثلاث سنين وثمانية أشهر ، وكان بينه وبين أنوشروان : مراسلات ومهادات . وكان مغرى بالبناء وتحسينه وتزويقه * ثم ملك موريق عشرين سنة وأربعة أشهر ، وفي أيامه ظهر رجل من أهل مدينة حماه يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى وأحدث رأيا يخالف من تقدمه ، وتبعه خلق كثير بالشام ثم انهم انقرضوا ولم يعرف الآن منهم أحد^(١) وهذا موريق هو الذى قصده كسرى ابرويز حين انهزم من بهرام

(١) لعل ذلك فى زمن المؤلف بحيث انهم تمزق شملهم ولم يبق منهم ما يصل خبره اليه بسبب ضعفهم بل هذا كان قبل وضع لبنان تحت حماية فرنسا فى سنة ١٢٨٢ هجرية الموافق ١٨٦٦ ميلادية — وذلك بسبب مذبحه وقعت بين المسلمين والنصارى فى الشام — اذ بعده فقد اشتد ساعدهم بفرنسا وكثروا وازداد عددهم واصبحوا يزيدون على مائة الف وبعدها انتهاء الحرب الكبرى واحتلال فرنسا سورية من بلاد الشام باسم الانتداب فقد جعلت لبنان حكومة على حدة لما ذكرنا ذلك فى صحيفة (١٦٥) ومعظم المستخدمين فى هذه الحكومة الجديدة المسيحية من المارون ولهم بطريكية خاصة مقرها بكركى وكل مفوض افرنسى يأتى الى بلاد الشام فهو مكلف بزيارته رسميا يعمل له قداس ويصلى له وذلك لان الفخائع الافرنسية التى تزداد كل يوم فى البلاد الشامية لا بد لها من ستار يخفف ويلات

جوبين : فزوجه ابنته : وأمه بعسا كره . وأعادته الى ملكه على ما نذ كره ان شاء الله * ثم ملك بعده فوقاس . وكان من بطارقة موريق فوثب به فاغتاله فقتله . وملك الروم بعده . وكان ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر : ولما ملك تتبع ولد موريق وحاشيته بالقتل : فلما بلغ ذلك إبرويز غضب ، وسير الجنود الى الشام ومصر : فاحتوى عليهما : وقتلوا من النصارى خلقا كثيرا ، وسير ذلك عند ذكر ابرويز * ثم ملك هرقل : وكان سبب ملكه أن عساكر الفرس لما فتكت في الروم ساروا حتى نزوا على خليج القسطنطينية وحاصروها وكان هرقل يحمل الميرة في البحر الى أهلها . فحسن موقع ذلك من الروم ، وبانت شهامته وشجاعته : وأحبه الروم فحملهم على الفتك بفوقاس . وذكرهم سوء آثاره : ففعلوا ذلك وقتلوه وملكوا عليهم هرقل *

﴿ ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة ﴾

فاولهم هرقل قد ذكر سبب ملكه : وكان مدة ملكه خمسا وعشرين سنة . وقيل : إحدى وثلاثين سنة . وفي أيامه كان النبي ﷺ . ومنه ملك المسلمون الشام * ثم ملك بعده ابنه قسطنطين : وقيل : هو ابن أخيه قسطنطين وكان ملكه تسع سنين وستة أشهر وسيرد خبره عند ذكر غزاة الصواري إن شاء الله ، وفي أيامه كان السنودس السادس على لعن رجل يقال له قورس الاسكندري خالف الملكية ووافق المارونية * ثم ملك بعده ابنه قسطا خمس عشرة سنة في خلافة على عليه السلام ومعاوية * ثم ملك هرقل الاصغر ابن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر * ثم ملك قسطنطين بن قسطا ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك * ثم ملك اسطينان المعروف بالأخرم تسع سنين أيام عبد الملك . ثم خلعه الروم ، وخرموا أنفه . وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الحزر . واستنجده فلم ينجده ، فانتقل الى ملك برجان * ثم ملك بعده لونطش ثلاث سنين أيام عبد الملك : ثم ترك الملك وترهب * ثم ملك السمين المعروف بالطرسوسي سبع سنين . فقصد اسطينان ومعه برجان . وجرى بينهما حروب كثيرة . وظفر به اسطينان : وخلعه ، وعاد الى ملكه ،

مشهدا المؤمن فهي تريد ان تجعل لها أعوانا ينشرون دعايتها وينقلون لها الأخبار بسبب النعرة الدينية التي اتخذتها وفي الحقيقة لولا التعصب لفسد عملها كما لما تركت من المظالم وانواع الاستبداد الذي لا يسلم منه احد من تحت نفوذها وان كان بعض الشراؤون من بعض فالشري يؤلم صاحبه مهما كان نوعه . الادارة *

فكان ذلك أيام الوليد بن عبد الملك : واستقر اسطينان ، وكان قد شرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجا كل سنة ، ففسف الروم وقتل بها خلقا كثيرا . فاجتمعوا عليه وقتلوه ، فكان ملكه الثاني ستين ونصفا ، وكان قتله أول دولة سليمان بن عبد الملك * ثم ملك نسطاس بن فيلفوس ، وكان في أيامه اختلاف بين الروم فخلعوه ونفوه * ثم ملك تيدوس المعروف بالارمني في أيام سليمان بن عبد الملك أيضا . وهو الذي حصره مسلمة بن عبد الملك * ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين لضعفه عن الملك ، وضمن اليون للروم رد المسلمين عن القسطنطينية فلكوه ، فكان ملكه ستا وعشرين سنة ، ومات في السنة التي بويع فيها الوليد ابن يزيد بن عبد الملك * ثم ملك بعده ابنه قسطنطين إحدى وعشرين سنة ، وفي أيامه انقرضت الدولة الاموية ، وتوفي لعشر سنين مضت من أيام المنصور * ثم ملك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة وأربعة أشهر بقية أيام المنصور ، وتوفي في خلافة المهدي * ثم ملك بعده ريني امرأة اليون بن قسطنطين ، ومعها ابنها قسطنطين بن اليون ، وهي تدبر الأمر بقية أيام المهدي والهادي وصدرأ من خلافة الرشيد ، فلما كبر ابنها أفسد ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة فانهزم وكاد يؤخذ فكحلته أمه ^(١) وانفردت بالملك بعده خمس سنين وهاذنت الرشيد * ثم ملك بعدها نقفور أخذ الملك منها وكان ملكه سبع سنين وثلاثة أشهر وهو نقفور ابن استبراق وكنيتُ قد رأته مضبوطا بكثير من الكتب بسكون القاف حتي رأيت رجلا زعم أن اسمه نقفور بفتح القاف *

وعهد نقفور الى ابنه استبراق بالملك بعده وهو أول من فعل ذلك في الروم ولم يكن يعرف قبله * وكانت ملوك الروم قبل نقفور تحلق لحاهاو كذلك ملوك الفرس فلم يفعله نقفور * وكانت ملوك الروم قبله تكتب من فلان ملك النصرانية فكتب نقفور من فلان ملك الروم ، وقال : لست ملك النصرانية كلها ، وكانت الروم تسمى العرب سارقوس يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم إسماعيل فنهام عن ذلك ، وجرى بين نقفور وبين برجان حرب سنة ثلاث وتسعين ومائة فقتل فيها * ثم ملك بعده ابنه استبراق بعهد من أبيه اليه ، وكان ملكه شهرين * ثم ملك بعده ميخائيل

(١) اي سملت عينه *

ابن جرجس وهو ابن عم نقفور، وقيل ابن استبراق، وكان ملكه سنتين في أيام الأمين وقيل أكثر من ذلك؛ فوثب به اليون المعروف، بالطريق وغلب على الأمر وحبسه * ثم ملك بعده اليون البطريق سبع سنين وثلاثة أشهر، فوثب به أصحاب ميخائيل في خلاص صاحبهم وقتل اليون، ثم فتح لهم ذلك وعاد ميخائيل إلى الملك، وقيل: إنه كان قد ترهب أيام اليون، وكان ملكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين، وقيل: أكثر من ذلك * ثم ملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة، وهو الذي فتح زبطرة، وسار المعتصم بسبب ذلك، وفتح عمورية، وكان موته أيام الواثق * ثم ملك بعده ابنه ميخائيل ثمانيا وعشرين سنة، وكانت أمه تدبر الملك معه، وأراد قتلها فترهبت، وخرج عليه رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط فلقية ميخائيل فيمن عنده من أسارى المسلمين، فظفر به ميخائيل فمثل به، ثم خرج عليه بسيل الصقلي فاستولى على الملك وقتل ميخائيل سنة ثلاث وخمسين ومائتين * ثم ملك بعده بسيل الصقلي عشرين سنة أيام المعز والمهتدي وصدرًا من أيام المعتمد، وكانت أمه صقلية فنسب إليها * وقد غلط حمزة الأصفهاني فيه، فقال عند ذكر ميخائيل: ثم انتقل الملك عن الروم وصار في الصقل فقتله بسيل الصقلي ظنا منه أن أباه كان صقليا *

ثم ملك بعده ابنه اليون بن بسيل ستا وعشرين سنة أيام المعتمد والمعتضد والمكتفي وصدرًا من أيام المقتدر، وقيل: إن وفاته كانت سنة سبع وتسعين ومائتين * ثم ملك أخوه الإسكندروس سنة وشهرين، ومات بالديلة، وقيل: إنه اغتيل لسوء سيرته * ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون وهو صبي، وتولى الأمر له بطريق البحر واسمه أرمانوس وشرط على نفسه شروطا: منها أنه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لاهو ولا أحد من أولاده فلم يرض غير سنتين حتى خوطب هو وأولاده بالملك، وجلس مع قسطنطين على السرير، وكان له ثلاثة من الولد نحصى أحدهم، وجعله بطرقاليا من المنازعة فان البطريق يحكم على الملك، فبقي على حاله إلى سنة ثلاثين وثلثمائة من الهجرة، فاتفق ابناه مع قسطنطين الملك على إزالة أبيهما؛ فدخلا عليه وقبضاه وسيراه إلى دير له في جزيرة بالقرب من القسطنطينية، وأقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوما، وأرادا الفتك به، فسبقهما إلى ذلك وقبض عليهما وسيرهما إلى جزيرتين في البحر، فوثب أحدهما بالموكل به، فقتله أخذه أهل تلك الجزيرة فقتلوه، وأرسلوا رأسه إلى قسطنطين الملك، فجزع لقتله، وأما

ارمانوس فانه مات بعد أربع سنين من ترهبه ، ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر والظاهر والراضى والمستكفى وبعض أيام المطيع ، ثم خرج على قسطنطين هذا قسطنطين ابن أندرونقس ، وكان أبوه قد توجه الى المكثفى سنة أربع وتسعين ومائتين وأسلم على يده وتوفى ، فهرب ابنه هذا على طريق أرمينية وأذربيجان الى بلاد الروم فاجتمع عليه خلق كثير وكثرت أتباعه ، فسار الى القسطنطينية ، ونازع الملك قسطنطين فى ملكه وذلك سنة إحدى وثلاثمائة ، فظفر به الملك فقتله ، وخرج عن طاعته أيضا صاحب رومية وهى كرسى ملك الافرنج ، وتسمى بالملك ، ولبس ثياب الملوك ، وكان قبل ذلك يطبع ملوك الروم أصحاب القسطنطينية ويصدرون عن أمرهم ، فلما كان سنة أربعين وثلاثمائة قوى ملك رومية ، فخرج عن طاعته ، فأرسل اليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومن معه من الافرنج ؛ فالتقوا واقتلوا فانهزمت الروم ، وعادت الى القسطنطينية منكوبة فكف حينئذ قسطنطين عن معارضته ، ورضى بالمسألة ، وجرى بينهما مصاهرة ، فزوج قسطنطين ابنه ارمانوس بابنة ملك رومية ولم يزل أمر الافرنج بعد هذا يقوى ويزداد ويتسع ملكهم كالأستيلاء على بعض بلاد الأندلس على ما نذكره ، وكأخذهم جزيرة صقلية وبلاد ساحل الشام ، والبيت المقدس على ما نذكره ، وفى آخر الأمر ملكوا القسطنطينية سنة إحدى وستمائة على ما نذكره ان شاء الله *

ومما ينبغى أن يلحق بهذا ان الطوائف من الترك اجتمعت منهم البجناك والبختي وغيرهما ، وقصدوا مدينة لاروم قديمة تسمى وليدر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وحصروها ، فبلغ خبرهم الى ارمانوس فسير اليهم عسكرا كثيرا ففهم من المنتصرة اثنا عشر ألفا ، فاقتلوا قتالا شديدا ، فانهزم الروم واستولى الترك على المدينة ، وخرّبوها بعد أن أكثروا القتل فيها والسبي والنهب ، ثم ساروا الى القسطنطينية وحصروها أربعين يوما ، وأغاروا على بلاد الروم واتصلت غاراتهم الى بلاد الافرنج ، ثم عادوا راجعين *

﴿ ذكر وصول قبائل العرب الى العراق ونزولهم الحيرة ﴾

قال ابن الكاظمى لمات بختنصر انضم الذين أسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الأنبار ، وبقية الحيرة خرابا دهرًا طويلًا واهلها بالأنبار لا يطلع عليهم قادم من العرب ، فلما أكثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، ومزقتهم الحروب خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشارف الشام ؛ وأفلت منهم قبائل حتى

نزلوا بالبحرين وبها جماعة من الأرد، وكان الذين أقبلوا، من تهامة مالك وعمرو ابنا فهم ابن تيم بن أسد بن وبرة بن قضاة، ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم، والحيقاد بن الحنق بن عمير بن قبيص بن معد بن عدنان في قبص كلها، ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمشان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفضى بن دعوى بن اباد بن نزار بن معد بن عدنان وغيره من إياد، فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب، وتحالفوا على التنوخ وهو المقام، وتعاقدوا على التناصر والتساعد، فصاروا يدا واحدة، وضمهم اسم تنوخ، وتنخ عليهم بطون من نمارة بن لحم، ودعا مالك بن زهير جذيمة الأبرش ابن مالك بن فهم بن غانم بن أوس الأزدي الى التنوخ معه، وزوجه أخته لميس فتبخ جذيمة، وكان اجتماعهم أيام ملوك الطوائف وانما سموا ملوك الطوائف لان كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الأرض *

قال: ثم تطلعت أنفس من كان بالبحرين الى ريف العراق فطمعوا في ان يغلبوا الأعاجم فيما يلي بلاد العرب أو مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف، فاجمعوا على المسير الى العراق، فكان أول من تطلع منهم الحيقاد بن الحنق في جماعة من قومه وأخلاق من الناس، فوجدوا الأرمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الأردوانيين وهم ملوك الطوائف، وهو ما بين نغز وهي قرية من سواد العراق الى الابل فدفعوهم عن بلادهم * والأرمانيون من بقايا إرم فلهدا سموا الأرمانيين وهم نبط السواد، ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وغيرهم من تنوخ الى الأنبار على ملك الأرمانيين وطلع نمارة ومن معه الى نغز على ملك الأردوانيين؛ وكانوا لا يدينون للأعاجم حتى قدمها تبع وهو أسعد أبو كرب بن مليكيكرب في جيوشه، فخلف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره وسار تبع، ثم رجع اليهم فأقرهم على حالهم ورجع الى اليمن وفيهم من كل القبائل *

ونزلت تنوخ من الأنبار الى الحيرة في الأخبية لا يسكنون بيوت المدر، وكان أول من ملك منهم مالك بن فهم، وكان منزله مما يلي الأنبار ثم مات مالك فملك بعده أخوه عمرو بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي، ثم مات فملك بعده جذيمة الأبرش بن فهم، وقيل: ان جذيمة من العادية الأولى من بني دمار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام والله أعلم *

﴿ ذکر جذیمة الأبرش ﴾

قال : و كان جذیمة من أفضل ملوك العرب رأيا و أبعدهم مغارا و أشدهم نكایة ، و أول من استجمع له الملك بأرض العراق ، و ضم اليه العرب ، و غزا بالجیوش ، و كان به برص فكنت العرب عنه ، فقيل : الواضح و الأبرش إعظاما له ، و كان منازلها ما بين الحيرة . و الأنبار . و بقة . و هيت . و عين النمر و اطراف البر إلى العمير . و خفية ، و تجي اليه الأموال و تفد اليه الوفود ، و كان غزاطسها و جديسافي منازلهم من اليمامة ، فأصاب حسان بن تبع أسعد أبي كرب قد أغار عليهم ، فعاد بمن معه و أصاب حسان سرية لجذیمة فاجتاحها ؛ و كان له صنمان يقال لهما الضيرتان ، و كانت اياها بعين أبانغ فذكر لجذیمة غلام من لحم في أخواله من اياها يقال له عدی بن نصر بن ربيعة له جمال و ظرف ، فغزاهم جذیمة ، فبعثت اياها من سرق صنميه و حملها إلى اياها ، فأرسلت اليه ان صنميك أصبحتا فينا زهدا فيك فان أوثقت لنا ان لا تغزو ناد فعناهما اليك ، قال : و تدفعون معهما عدی بن نصر فأجابوه الى ذلك ، و أرسلوه مع الصنمين ، فضمه الى نفسه و ولاه شرابه ، فأبصرته رقاش أخت جذیمة فعشقتة و راسلته ليخطبها الى جذیمة ؛ فقال لا أجترى ، على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه ، فاسقه صرفا ، و اسق القوم ممزوجا ، فاذا أخذت الخمر فيه ، فاخطبني اليه فلن يردك ، فاذا زوجك فأشهد القوم ، ففعل عدی ما أمرته ، فأجابه جذیمة و أملكه اياها ، فانصرف اليها ، فاعرس بها من ليلته و أصبح بالخلوق ، فقال له جذیمة و أنكرا ما رأی به . ما هذه الآثار يا عدی ؟ قال : آثار العرس قال : أي عرس ؟ قال : عرس رقاش قال : من زوجكها و يحك ؟ قال : الملك ، فندم جذیمة و أكب على الارض متفكرا و هرب عدی فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر ، فأرسل اليها جذیمة

خبريني و أنت لا تكذبيني أبحر زنيث أم بهجين ؟
أم بعبد فانت أهل لعبد ؟ أم بدون فانت أهل لدون ؟

فقالت : لا بل أنت زوجتي امرء أعرىيا حسيبا ولم تستأمرني في نفسي ، فكف عنها و عذرها و رجع عدی إلى اياها ، فكان فيهم نخرج يوما مع فتية متصيدين ، فرمى به فتية منهم فيما بين جبلين فتكسرفات ، فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا ؛ فلما ترعرع و شب ألبسته و عطرتة و أزارته خاله ، فلما رآه أحبه و جعله مع ولده ، و خرج جذیمة متبديا بأهله و ولده في سنة خصيبة ، فأقام في روضة ذات زهر و غدر ، فخرج ولده و عمرو

معهم يجتنون الكفاة، فكانوا إذا أصابوا كفاة جيدة أكلوها، وإذا أصابها عمرو خباها، فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون وعمرو يقول

هذا جناي وخياره فيه * إذ كل جان يده في فيه

فضمه جذيمة اليه والتزمه، وسر بقوله، وأمر فجعل له حلي من فضة وطوق، فكان أول عربي ألبس طوقا، فبينما هو على أحسن حالة إذ استطارته الجرس، فطلبه جذيمة في الآفاق زمانا فلم يقدر عليه، ثم أقبل رجلان من بلقين قضاة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام يريدان جذيمة وأهديا له طرفا فزلا منزلا ومعهما قينة لهما تسمى أم عمرو، فقدمت طعاما، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى عريان قد تلبد شعره وطالت أظفاره، وساءت حاله، فجلس ناحية عنهما، ومد يده يطلب الطعام فناولته القينة كراعا فأكلها، ثم مد يده ثانية، فقالت: «لا تعط العبد الكراع فيقطع في الذراع، فذهبت مثلا ثم سقتهما من شراب معها وأوكت زقها، فقال عمرو بن عدى:

صددت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمين

وماشرُ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا

فسألاه عن نفسه، فقال: ان تنكراني وتنكر انسي، فاني أنا عمرو بن عدى ابن تنوخية اللخمى وغدا ما ترياني في نمارة غير معصى، فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا حاله، وألبساه ثيابا، وقالوا: ما كنا لنهدى لجذيمة أنفس من ابن أخته، فخرج به إلى جذيمة فسر به سرورا شديدا، وقال: لقد رأيت يوم ذهب وعليه طوق فما ذهب من عيني وقلبي إلى الساعة، وأعادوا عليه الطوق فنظر إليه، وقال: كبر عمرو عن الطوق، وأرسلها مثلا، وقال لمالك وعقيل: ما حكمكما؟ قالوا: حكمنا منادمتك ما بقينا وبقيت فهما ندما ناجذيمة اللذان يضربان مثلا *

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقي من عائلة العمالقة فتحارب هو وجذيمة فقتل عمرو وانهزمت عساكره، وعاد جذيمة سالما، وملك بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة، وكان جنود الزباء بقايا العماليق وغيرهم. وكان لها من الفرات إلى تدمر، فلما استجمع لها أمرها واستحكم ملكها اجتمعت لغزو جذيمة تطلب بثأر أبيها فقالت لها أختها ربيعة - وكانت عاقلة - إن غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده والحرب سجال، وأشارت بترك الحرب وإعمال الحيلة،

فاجابتها الى ذلك و كتبت الى جذيمة تدعوها الى نفسها وملكها ، و كتبت اليه انها لم تجد ملك النساء إلا قبحا في السماع و ضعفا في السلطان ، و انها لم تجد لملكها و لالنفسها كفوًا غير ه ، فلما انتهى كتاب الزباء اليه استخف مادعته اليه و جمع اليه ثقافته و هو « بيقه » من شاطيء الفرات فعرض عليهم ما دعته اليه و استشارهم فأجمع رأيهم على أن يسير اليها و يستولى على ملكها و كان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من لخم ، و كان سعد تزوج أمة لجذيمة فولدت له قصيرا و كان أديبا حازما ناصحا لجذيمة قريبا منه فخالفهم فيما أشاروا به عليه و قال : « رأى فاتر و عدو حاضر » فذهبت مثلا و قال لجذيمة : اكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك و الا لم تتمكنها من نفسك و قد وترتها و قتلت أباهها ، فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير ، و قال له : لا ولكنك امرؤ « رأيك في الكن لاني الضح » فذهبت مثلا ، و دعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى ، فاستشاره ، فشجعه على المسير ، و قال : ان نمارة قومي مع الزباء فلو رأوك صاروا معك فأطاعه ، فقال قصير « لا يطاع لقصير أمر » و قالت العرب : « بيقه أبرم الأمر » فذهبت مثلا ، و استخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه و عمرو ابن عبد الجن على خيوله معه ؛ و سار في وجوه أصحابه ، فلما نزل الفرضة قال لقصير : ما الرأي ؟ قال « بيقه تركت الرأي » فذهبت مثلا ، و استقبله رسل الزباء بالهدايا و الألفاظ ، فقال يا قصير : كيف ترى ، قال « خطر يسير و خطب كبير » فذهبت مثلا ، و ستلقاك الخيول فان سارت أمامك فان المرأة صادقة ، و ان أخذت جنبيك و أحاطت بك ، فان القوم غادرون ، فاركب العصا . و كانت فرسا لجذيمة لا تجارى ، فاني راكبها و مسيرك عليها ؛ فلقيته الكتائب فحالت بينه و بين العصا ، فركبها قصير و نظر اليه جذيمة موليا على متنها ، فقال : « ويل أمه حزم على متن العصا » * فذهبت مثلا و قال : « ما ضل من تجرى به العصا » فذهبت مثلا و جرت به الى غروب الشمس ، ثم نفقت ، و قد قطعت أرضا بعيدة ، فبنى عليها برجاً يقال له برج العصا ، و قالت العرب : « خير ما جاءت به العصا » مثل تضربه ، و سار جذيمة ، و قد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزباء ، فلما رأته تكشفت فاذا هي مظفورة الأاسب - و الأاسب بالباء الموحدة هو شعر الاست - و قالت له ، يا جذيمة « ادأب عروس » ترى ؟ فذهبت مثلا فقال : « بلغ المدا و جف الثرى و أمر غدر أرى » فذهبت مثلا ، فقالت له ، أما إلهي ما بنا من عدم مواس و لا قلة أواس و لكنها شيمة ما أناس ، فذهبت مثلا و قالت له : أنبئت أن دماء الملوك شفاء من الكلب ؟ ثم أجلسته على نطع و أمرت

بطست من ذهب فاعده له، وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها، ثم أمرت براهشيه فقطعا
وقدمت اليه الطست، وقد قيل لها: ان قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه،
و كانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة إلا في قتال تكرمه للملك، فلما ضعفت يداه سقطتا
فقطر من دمه في غير الطست، فقالت: لا تضيعوا دم الملك، فقال جزيمة: «دعوا دما ضيعه
أهله» فذهبت مثلا؛ فهلك جزيمة وخرج قصير من الحى الذين هلكت العصاين أظهرهم
حتى قدم على عمرو بن عدى وهو بالحيرة فوجه قد اختلف هو وعمرو بن عبد الجن، فأصلح
بينهما وأطاع الناس عمرو بن عدى، وقال له قصير: تهيأ واستعد ولا تطل دم خالك فقال:
«كيف لي بها؟ وهى أمتع من عقاب الجو» فذهبت مثلا، وكانت الزباء سألت كهنة عن أمرها
وهلا كهأ فقالوا لها ترى هلا لك بسبب عمرو بن عدى ولكن حتفك بيدك، فحذرت عمرا
واتخذت نفقا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها، ثم قالت: ان فجأني أمر دخلت النفق
الى حصنى، ودعت رجلا مصورا حاذقا، فأرسلته الى عمرو بن عدى متكررا، وقالت له
صوره جالسا وقائما ومنفصلا ومتكرا ومتسلحا بهيئته ولبسه ولونه، ثم أقبل الى ففعل
المصور ما أوصته الزباء، وعاد اليها، وأرادت ان تعرف عمرو بن عدى فلا تراه على
حال الا عرفته وحذرتة. وقال قصير لعمرو: أجدع أنفى واضرب ظهري ودعنى
واياها، فقال عمرو: ما أنا بفاعل، فقال قصير: «خل عنى اذا وخلاك ذم، فذهبت
مثلا، فقال عمرو: فانت أبصر فجدع قصير أنفه ودق بظهره، وخرج كأنه هارب وأظهر
أن عمرا فعل ذلك به، وسار حتى قدم على الزباء، فقيل لها: إن قصيرا بالباب فأمرت به،
فأدخل عليها فاذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب، فقالت: «لامر ما جدع قصير أنفه» فذهبت
مثلا قالت: ما الذى أرى بك يا قصير؟ قال زعم عمرو أنى غدرت خاله وزينت
له المسير اليك ومالاتك عليه، ففعل بي ماترين، فاقبلت اليك وعرفت أنى لا أكون مع
أحد هو أثقل عليه منك، فأكرمه، وأصابته عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأى
والتجربة والمعرفة بأمر الملك، فلما عرف أنها قد استرسلت اليه؛ ووثقت به قال لها:
ان لى بالعراق أموالا كثيرة ولى بها طرائف وعطر. فابعثنى لأحمل مالى. وأحمل اليك
من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين أرباحا وبعض مالا غنى
للملوك عنه. فسرحتة ودفعت اليه أموالا وجهزت معه عيرا فسار حتى قدم العراق. وأتى
عمرو بن عدى متخفيا وأخبره الخبر، وقال جهزنى بالبر والطرف وغير ذلك لعل الله

يمكنك من الزبایہ ، فتصیب ثارك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك كله الى الزبایہ
فعرضه عليها فاعجبها وسرها وازدادت به نقة ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به في المرة
الأولى، فسار حتى قدم العراق، وحمل من عند عمر و حاجته ولم يدع طرفه ولا متاعا قدر عليه ،
ثم عاد الثالثة فأخبر عمر الخبر ، وقال : اجمع لي ثقات أصحابك وجندك وهيي لهم الغرائر
وهو أول من عملها وحمل كل رجلين على بعير في غرار تين وجعل معقد رؤسهما من باطنهما
وقال له : اذا دخلت مدينة الزبایہ أقتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا
بأهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت الزبایہ تريد نفقها قتلتها ففعل عمرو ذلك وساروا
فلما كانوا قريبا من الزبایہ تقدم قصير اليها فبشرها وأغلبها كثرة ما حمل من الثياب
والطرائف وسألها أن تخرج وتنظر الى الابل وما عليها وكان قصير يكمن النهار ويسير
الليل وهو أول من فعل ذلك فخرجت الزبایہ فابصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ
في الأرض فقالت يا قصير *

ماللجمال مشيها وثيداً ؟ * أجنلا يحملن أم حديدا ؟

أم صرفانا باردا شديدا ؟ * أم الرجال جثما قعودا ؟ (١)

ودخلت الابل المدينة؛ فلما توسطتها انيخت ، وخرج الرجال من الغرائر ، ودل قصير عمرا
على باب النفق ، وصاحرا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق .
وأقبلت الزبایہ تريد الخروج من النفق . فلما أبصرت عمرا قائما على باب النفق فعرفته . (٢)
بالصورة التي عملها المصور . فصت سما كان في خاتمها . فقالت : « يدي لا يد عمرو ،
فذهبت مثلا . وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها ؛ وأصاب ما أصاب من المدينة (٣) . ثم عاد
إلى العراق *

(١) قوله ام الرجال جثما قعودا ؟ قالها قصير في نفسه لانها لم تكن تعلم ان الرجال في الغرائر (٢) لالزوم لقاء
فعرفته (٣) هذه المدينة تقع على الفرات من جانبه وهي على خط ٣٨ طولاً و ٣٥ عرضاً اي شرق صفيين وغربي
ديز الزور على مرحلة منها فاما التي في الجهة الجنوبية اي الشامية فتسمى حلية او صور الكفر وهي بسفح جبل
الحمة مبنية على طرز يشبه السفينة ولا تزال الحد الآن صالحة للسكنى ولم يذهب منها الا أبرابها ولكنها تبعد عن
الطريق فلا يعلم بها الا أهل تلك القرى المجاورين لها واما التي في الجهة الشمالية اي الجزيرة فتسمى زلبية وهذه لوقوعها
في ارض سهلة توجهت عليها الفرات فهدمتها ولكن انقاضها لا تزال موجودة واما النفق الذي يصل المدينتين فبعضهما
فقد ذهب ولم يبق الا آثار ذهبت بمدحكم العثمانيين لها من قبل السردار عمر باشا سنة ١٢٨٠ هجرية الادارة *

(٢٦٢ - ج ١ الكامل)

وصار الملك بعد جذيمة لابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو ابن الحرث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب فلم يزل ملكاً حتى مات^(١) وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل مائة

(١) والى هذه الواقعة أشار ابن دريد في مقصودته بقوله:

واماها سيف الحمام المنتضى واخترم الوضاح من دون التي
وقد سما عمرو الى اوتاره فاستنزل الزباء قسراً وهي من
وكذلك عدى بن زيد فقد فصل المادثة بقوله:

اودلت المنازل ام عفينا تقادم عهدا ام قد بلينا

الى أن قال:

الايايها المثرى المرجى دعا (بالبقة) الامراء يوما
فطاوع امرهم وعصا (قصيرا) ودست في صخيفتها اليه
فجاجاها وقد جمعت فيوجا فاردته ورغب النفس يردى
وحدثت (العصا) الانباء عنه وقددت الاديم لراهشيه
ومن حذر الملاوم والمخازى اطف لانفه الموسى (قصير)
فاهواه لما رنه فاضحى وصادفت امراء لم تخش منه
فلما ارتد منها ارتد صلبا اتها العيس تحمل ماديهاها
ودس لها على الأنفاق (عمراً) فجللها قديم الأثر عضباً
فاضحت من خزائنها كأن لم تكن (زباء) حاملة جنينا

وقال المخبل وهو ربيعة بن عوف السعدى:

يا عمرو انى قد هويت جماعكم بل كم رأيت الدهر زايل بينه
طابت به (الزباء) وقد جعلت لها حملت لها (عمراً) ولا بخشونة
حتى تفرعها بابيض صارم ولكل من يهوى الجماع فراق
من لا يزال بينه الاخلاق دوراً ومشربة لها أنفاق
من آل دومة رسالة معناق غضب يلوح كأنه مخراق

وثماني عشرة سنة منها أيام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة. وأيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وأشهر، وأيام ابنه سابور بن أردشير ثمان سنين وشهران * وكان منفرداً بملكه يغزو المغازي ولا يدين لملوك الطوائف إلى أن ملك أردشير بن بابك أهل فارس^(١) ولم يزل الملك في ولده إلى أن كان آخرهم النعمان بن المنذر إلى أيام ملوك كندة على ما ذكره ان شاء الله، وقيل في سبب مسير ولد نصر بن ربيعة إلى العراق غير ما تقدم. وهو رؤيا رآها ربيعة وسيرد ذكرها عند أمر الحبشة ان شاء الله تعالى *

﴿ ذكر طسم وجديس وكانوا أيام ملوك الطوائف ﴾

كان طسم بن لوذ بن أزر بن سام بن نوح وجديس بن عامر بن أزر بن سام بن عم، وكانت مساكنهم موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جوا وكانت من أخصب البلاد وأكثرها خيراً، وكان ملكهم أيام ملوك الطوائف عمليق، وكان ظالماً قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة الكثيرة القبح وان امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها وأراد أخذ ولد لها منها: فخاصمته إلى عمليق وولدت لها الملك حملته تسعاً ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتى اذا تمت أوصاله ودنا فضاله أراد أن يأخذه مني رها ويتركني بعده ورها، فقال زوجها: أيها الملك انها أعطيت مهرها كاملاً ولم أصب منها طائلاً إلا وليداً خاملاً فافعل ما كنت فاعلاً. فأمر الملك بالغلام فصار في غلبانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمناً وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة *

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا * فأنفذ حكماً في هزيلة ظالماً

لعمرى لقد حكمت لا متورعاً * ولا كنت فيمن يرم الحكم عالماً

ندمت ولم أندم وإني بعثرتي * وأصبح بعلي في الحكومة نادماً

فلما سمع عمليق قولها، أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى إلى زوجها حتى يفرعها، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذلاً، ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الشموس وهي عفيزة بنت عباد أخت الأسود، فلما أرادوا حملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله ومعها الفتيان، فلما دخلت عليه اقترعها وخلي سبيلها، فخرجت إلى قومها في دماها وقد شقت درعها من قبل ودبر والدم بين، وهي في أقبح منظر تقول *

(١) وحدث أردشير بن بابك الملكة الفارسية سنة ٢٣٠ هـ بالميلاد المسيحي *

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس ؟
يرضى بذا يا قوم بعـل حر؟ * أهدي وقد أعطى وثيق المهر؟
وقالت أيضا تحرض قومها *

أجمل ما يؤتى الى فتياتكم ؟ * وأنتم رجال فيكم عدد النمل؟
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة * جهارا وزفت في النساء الى بعـل؟
ولو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لانقر لذا الفعل
فوتوا راما أو أميتوا عدوكم * وذبوا^(١) لنار الحرب بالحطب الجزل
والافحلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الاذى * وللموت خير من مقام على الذل
وإن أنتم لم تفضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لاتعيب من الكحل
ودونكم طيب النساء فانما * خلقت لاثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا * ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فلما سمع أخوها الأسود قولها، وكان سيذا مطاعا قال لقومه: يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بملك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا، ولو امتنعنا لانتصفنا منه، فأطيعوني فيما أمركم فانه عز الدهر، وقد حمى جديس لما سمعوا من قولها، فقالوا نطيعك، ولكن القوم أكثر منا قال: فاني أصنع للملك طعاما وادعوه وأهله اليه، فاذا جاءوا يرفلون في الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم، فمألوا: افعل فصنع طعاما فأكثر وجعله بظاهر البلد، ودفن هو وقومه سيوفهم في الرمل، ودعا الملك وقومه. فجاءوا يرفلون في حللهم، فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم يأكلون أخذت جديس سيوفهم من الرمل، وقتلوهم، وقتلوا ملكهم، وقتلوا بعد ذلك السفلة * ثم إن بقية طسم قصدوا حسان بن تبع ملك اليمن. فاستنصروه. فسار الى اليمامة. فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم: ان لي أختا متزوجة في جديس يقال لها اليمامة تبصر الراكب من مسيرة ثلاث. وإني أخاف ان تنذر القوم بك. فمر أصحابك. فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه. فأمرهم حسان بذلك. فنظرت اليمامة. فأبصرتهم، فقالت لجديس: لقد سارت اليكم حمير قالوا: وما ترين؟ قالت أرى رجلا في شجرة

(١) لعله اودبوا من الديق *

منه كتف يتعرقها أو نعل يخصصها، وكان كذلك فكذبوها فصبحهم حسان فأبادهم. واني حسان باليامة فقفا عينها. فاذا فيها عروق سود. فقال: ما هذا؟ قالت: حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الأثمد، وكانت أول من اكتحل به، وبهذه اليامة سميت اليامة وقد أكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم *

ولما هلكت جديس هرب الأسود قاتل عمليق الى جيلي طيء، فأقام بهما وذلك قبل أن تنزلها طيء، وكانت طيء تنزل الجرف من اليمن، وهو الآن لمراد وهمدان، وكان يأتي الى طيء بعير أزمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم، ولم يعلموا من أين يأتي، ثم إنهم اتبعوه يسرون بسيره حتى هبط بهم على أجا وسلي جيلي طيء وهما بقرب فيد فأوا فيه النخل والمراعي الكثيرة، ورأوا الاسود بن عمار، فقتلوه، وأقامت طيء بالجليلين بعده فهم هناك الى الآن وهذا أول مخرجهم اليهما (١) *

(١) ولكنهما أصبح يطلق عليهما جبل حائل تسمية له باسم وادي يقع بينهما كما قاله الكافي مستدلاً بقول

امرئ القيس:

أبت اجاء ان تسلم العام ربها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
تبيت لبوني بالقرية امنا واسرحهما غيباً بأكناف حائل
بنو ثعلك جيرانها وحماتها وتمنع من رجال سعد ونائل

و يطلق عليه جبل شعراً أيضاً لأن هذا الفريق المهاجر من طيء صار يطلق عليه عشيرة شعراء وامراؤها عائلة الجرباء ينتمون للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ولهم بيزة في الأحكام تدل على صحة ذلك فان القاتل منهم لا يقتل ولا يجلى من أرضه ولا زالت لهالك الكامة الى سنة ١١٧٠ فهاجر من حائل نجد رئيسها فارس الجرباء الأكبر لاتفاقه مع الدولة العثمانية ونائبها سليمان الشاوى امير العبيد ولوقائع حربية اضطرته لذلك ثم جاء الى الجزيرة مع قليل من أتباعه وبسبب شيخ طيء الذى يقطن مع عشيرته اراضى نصيبين استطاع السكنى في الخابور ثم اجتمع عليه المهاجرون من شعرا حتى كثروا فحقدت عليهم عشيرة العبيد حسداً وارادت اخراجهم كما اخرجت قبلهم عشيرة الموالى التي كانت تحكم تلك الجهات فاشعلوا بلاسبب مشروع نار الحرب كانوا نتيجتها القلبة لشعراء فأخرجوا العبيد وأجروهم الى محل من جزيرة ابن عمر لا يزال يسمى جزيرة العبيد ثم احتلت شعراء الجرباء الجزيرة والوصل وما زالوا فيها وبلغ عددهم نحو مائة الف نسمة وهؤلاء لا غير الذين فى سواد العراق نانه يسمى شعراء طروقة وغير الذين بقوا في نجد: وهم شعراء عبيد فقد صار امرهم الى آل الرشيد وكان النزاع بينهم وبين آل السعود مستمرا والحرب سجل الى ان قتل محمد الرشيد سنة ١٣٣٨ هجرية فتم لآل السعود الاستيلاء على جميع نجد وتولى أمرها عبد العزيز ابن عبد الرحمن السعود وتسمى بالسلطان وصار يطلق الآن عليها سلطنة نجد الادارة *

﴿ ذكر أصحاب الكهف وكانوا أيام ملوك الطوائف ﴾

كان أصحاب الكهف أيام ملك اسمه دقيوس . ويقال دقيانوس ، وكانوا بمدينة للروم اسمها أفسوس ، وملكهم يعبد الأصنام ، وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقالة (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) والرقيم خبرهم كتب في لوح وجعل على باب الكهف الذي أووا إليه ، وقيل : كتبه بعض أهل زمانهم ، وجعله في البناء ، وفيه أسماؤهم ، وفي أيام من كانوا ، وسبب وصولهم إلى الكهف ، وقيل كتبه للملك الذي ظهر عليهم . وبنى الكنيسة عليهم ، وكانت عدتهم فيما ذكر ابن عباس سبعة وثامنهم كلبهم ، وقال : أنا من القليل الذين يعلونهم ، وقال ابن اسحق : كانوا ثمانية فعلى قوله يكون تاسعهم كلبهم ، وكانوا من الروم ، وكانوا يعبدون الأوثان ، فهداهم الله ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام ، وزعم بعضهم أنهم كانوا قبل المسيح ، وإن المسيح أعلم قومه بهم ، وأن الله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح ، والأول أصح . وكان سبب إيمانهم أنه بقاء حوارى من أصحاب عيسى إلى مدينتهم ، فأراد أن يدخلها ، فقيل له : إن على بابها صنما لا يدخلها أحد حتى يسجد له فلم يدخلها ، وأتى حماما قريبا من المدينة ، فكان يعمل فيه ، فرأى صاحب الحمام البركة ، وعلقه الفتية ، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام ، فغيره الحوارى فاستحيا ، ثم رجع مرة أخرى ، فغيره فنبه واتهره ، ودخل الحمام ومعه المرأة فماتا في الحمام ، فقيل للملك : إن الذى بالحمام قتلها ، فطلب فلم يوجد ، فقيل : من كان يصحبه ، فذكر الفتية : فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم فى زرع له ، فذكروا له أمرهم ، فسار معهم ، وتبعهم الكلب الذى له حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فقالوا : نبيت هنا حتى نصبح ، ثم نرى رأينا ، فدخلوه ، فرأوا عنده عين ماء وثمارا . فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء . فلما جنهم الليل ضرب الله على آذانهم ، ووكل بهم ملائكة يقبلونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الأرض أجسادهم ، وكانت الشمس تطلع عليهم . وسمع الملك دقيانوس خبرهم ، فخرج فى أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف ، وأمر أصحابه بالدخول إليهم وإخراجهم فكلما أراد رجل أن يدخل أربع : فعاد ، فقال بعضهم : أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم ؟ قال : بلى قال : فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ، ففعل ، فبقوا زمانا بعد زمان *

ثم ان راعيا أدركه المطر . فقال : لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمي فيه ، ففتحته فرد الله اليهم ارواحهم من الغد حين أصبحوا . فبعثوا أحدهم بورق ليشتري لهم طعاما واسمه تملیخا . فلما أتى باب المدينة رأى ما أنكره حتى دخل على رجل . فقال : بغني بهذه الدراهم طعاما . فقال : فمن أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحابي إلى أمس فلما أصبحنا أرسلوني لأشترى بهم طعاما ، فقال : هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلاني ، فرفعه إلى الملك ، و كان ملكا صالحا . فسأله عنها ، فأعاد عليه حالهم . فقال الملك وأين أصحابك ؟ قال انطلقوا معي ، فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم لئلا يسمعون أصواتكم فيخافوا ظنا منهم ان دقيانوس قد علم بهم فدخل عليهم ، وأخبرهم الخبر ، فسجدوا شكرا لله ، وسألوه أن يتوفاهم : فاستجاب لهم ، فضرب على آذنه و آذانهم ، وأراد الملك الدخول عليهم ، فكانوا كلما دخل عليهم رجل أربع فلم يقدرُوا أن يدخلوا عليهم ؛ فعاد عنهم ، فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها *

قال عكرمة : لما بعثهم الله كان الملك حينئذ مؤمنا ، و كان قد اختلف أهل مملكته في الروح والجسد وبعثهما ، فقال قائل : يبعث الله الروح دون الجسد ، وقال قائل : يبعثان جميعا فشق ذلك على الملك فلبس المسوح ، وسأل الله أن يبين له الحق ، فبعث الله أصحاب الكهف بكرة فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض : قد أغفلنا هذه الليلة عن العبادة . فقاموا إلى الماء و كان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والأشجار قد يبست ، فقال بعضهم لبعض : ان امرنا لعجب هذه العين غارت وهذه الأشجار يبست في ليلة واحدة ، والقي الله عليهم الجوع ، فقالوا : أيكم يذهب إلى المدينة ؟ (فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا) ، فدخل أحدهم يشتري الطعام ، فلما رأى السوق عرف طريقها ، وأنكر الوجوه ، ورأى الايمان ظاهرا بها . فأتى رجلا يشتري منه ، فانكر الدراهم ، فرفعه إلى الملك ، فقال الفتي : أليس ملككم فلان ؟ فقال الرجل : لا بل فلان ، فعجب لذلك ، فلما أحضر عند الملك أخبره بخبر أصحابه ، فجمع الملك الناس ، وقال لهم إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد ، وان الله قد بعث لكم آية ، هذا الرجل من قوم فلان يعني الملك الذي مضى ، فقال الفتي انطلقوا بي إلى أصحابي فركب الملك و الناس معه ، فلما انتهى إلى الكهف قال الفتي للملك : ذروني اسبقكم إلى أصحابي أعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم وأصواتكم فيظنوكم دقيانوس ، فقال : افعل فسبقهم

الى اصحابه ودخل على أصحابه فأخبرهم الخبر فعاموا حينئذ مقدار لبثهم في الكهف ،
وبكوا فرحاً ، ودعوا الله أن يميتهم ولا يراهم أحد من جاءهم ، فماتوا لساعتهم . فضرب
الله على آذانه وآذانهم معه *

فلما استبطوه دخلوا الى الفتية فاذا أجسادهم لا ينكرون منها شيئاً غير انها لا أرواح فيها
فقال الملك : هذه آية لكم ، ورأى الملك تابوتا من نحاس محتوماً بخاتم ففتحه ، فرأى فيه
لوحاً من رصاص مكتوباً فيه أسماء الفتية ، وأنهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم
ودينهم ، فدخلوا هذا الكهف ، فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم فليعلم من
يقرأ كتابنا : هذا شأنهم *

فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم هذه الآية للبعث ، ورفعوا أصواتهم

بالتحميد والتسبيح *

وقيل : أن الملك ومن معه دخلوا على الفتية ، فرأوهم أحياء مشرقة وجوههم وألوانهم
لم تبل ثيابهم ، وأخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس ، واعتنقهم الملك ، وقعدوا
معه يسبحون الله ويذكرونه ثم قالوا له : نستودعك الله ، ورجعوا إلى مضاجعهم كما كانوا
فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتا من الذهب ، فلما نام رآهم في منامه ، وقالوا : إننا لم نخلق
من الذهب إنما خلقنا من التراب واليه نصير ، فعمل لهم حينئذ توابيت من خشب ، فحجبهم
الله بالرعب ، وبني الملك على باب الكهف مسجداً ، وجعل لهم عيداً عظيماً ، وأسماء
الفتية مكسلينا ، وتمليخا ، ومرطوس ، ونيرويس ، وكسطومس ، ودينموس ، وريطوفس
وقالوس ، ومحسيلينا وهذه تسعة أسماء وهي أمم الروايات والله أعلم ، وكلهم قطمير ^(١) *

﴿ ذكر يونس بن متى ^(٢) ﴾

وكان أمره من الأحداث أيام ملوك الطوائف ، قيل : لم ينسب أحد من الأنبياء إلى
أمه إلا عيسى ابن مريم ويونس ابن متى وهي أمه . وكان من قرية من قرى الموصل يقال
لها نينوى ^(٣) وكان قومه يعبدون الأصنام ؛ فبعثه الله اليهم بالنهي عن عبادتها والأمر
بالتوحيد ، فأقام فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة يدعوهم ، فلم يؤمن غير رجلين ، فلما أيس من

(١) في الطبري مخالف لما هنا وهاك سرد اسمائهم : مكسلينا ، محسيلينا ، يملخا ، مرطوس ، كسطونس ،

بيرونس ، رسمونس ، بطونس ، قالوس (٢) ويسمى في العهد القديم اى التوراة يونان ابن امتاي وله سفر

خاص وهو عبارة عن أربعة اصحاحات نشتمل على ثمانية واربعين فقرة تبين دعوته الى اهل نينوى من الموصل ثم

وقوعه في البحر واستغلاله في اليقطين (٣) وهي الموصل القديمة راجع صفحة (١٤٤ و ٥) من هذا الجزء *

إيمانهم دعا عليهم: فقيل له: ما أسرع ما دعوت على عبادي؟ ارجع اليهم فادعهم أربعين يوماً فدعاهم سبعة وثلاثين يوماً فلم يجيبوه، فقال لهم: إن العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيام، وآية ذلك أن ألوانكم تتغير، فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم، فقالوا قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بيت فيكم فأمنوا من العذاب وان لم يبت فاعلموا أن العذاب يصحكم، فلما كانت ليلة الأربعاء أيقن يونس بنزول العذاب فخرج من بين أظهرهم، فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤسهم خرج عليهم غيم أسود هائل يدخن دخانا شديداً، ثم نزل إلى المدينة فأسودت منه سطوحهم، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فطلبوا يونس، فلم يجدوه، فألهمهم الله التوبة، فأخلصوا النية في ذلك، وقصدوا شيخاً، وقالوا له: قد نزل بنا ما ترى، فما نفعل؟ فقال: آمنوا بالله وتوبوا وقولوا: يا حيُّ يا قيوم، يا حيُّ حين لا حي، يا حيُّ محيي الموتى، يا حيُّ لا إله إلا أنت، فخرجوا من القرية إلى مكان رفيع في براز من الأرض وفرقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجوا إلى الله واستقالوه وردوا المظالم جميعاً حتى إن كان أحدهم ليقلع الحجر من بنائه فيرده إلى صاحبه، فكشف الله عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الأربعاء، وقيل: للنصف من شوال يوم الأربعاء، وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مار، فقال: ما فعل أهل القرية، فقال: تابوا إلى الله: فقبل منهم وأخر عنهم العذاب، فغضب يونس عند ذلك، فقال: والله لا أرجع كذاباً ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعدما غشيهم (الإقوم يونس)، ومضى مغاضباً إليه وكان فيه حدة وعجالة وقلّة صبر، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يكون مثله، فقال الله تعالى (ولا تكن كصاحب الحوت) ولما مضى ظن أن الله لا يقدر عليه أي يقضى عليه العقوبة. وقيل يضيق عليه الحبس، فسار حتى ركب في سفينة، فأصاب أهلها عاصف من الريح، وقيل: بل وقفت فلم تسرف قال من فيها هذا بخطيئة أحدكم، فقال يونس هذا بخطيئتي فألقوني في البحر، فأبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم، فساهم فكان من المدحضين فلم يلقوه، وفعّلوا ذلك ثلاثاً ولم يلقوه، فألقى نفسه في البحر وذلك تحت الليل، فالتقمه الحوت فأوحى الله إلى الحوت أن يأخذه ولا يخذل له لئلا يكسر له عظما، فأخذه وعاد إلى مسكنه من البحر، فلما انتهى إليه سمع يونس حسا فقال: في نفسه ما هذا؟ فأوحى الله إليه في بطن الحوت أن هذا تسييح دواب البحر فسيح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسيحه فقالوا: ربنا نسمع

(٢٧٢ - ج ١ الكامل)

صوتاً ضعيفاً بارض غريبة ، فقال : ذلك عبدى يونس عصاني فخبسته في بطن الحوت في البحر ، فقالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد له كل يوم عمل صالح ؟ فشفعوا له عند ذلك (فنادى في الظلمات) ظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة الليل (أن لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين) وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فانزل الله فيه (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) وذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (فنبذناه بالعراب وهو سقيم) ألقى على جانب البحر وهو كالصبي المنفوس ، ومكث في بطن الحوت أربعين يوماً ، وقيل : عشرين يوماً ، وقيل ثلاثة أيام ^(١) وقيل : سبعة أيام والله أعلم *

وأنت عليه شجرة من يقطين وهو القرع يتقطر اليه من اللبن ، وقيل : هيا الله له أروية وحشية ، فكانت ترضعه بكرة وعشية حتى رجعت اليه قوته ، وصار يمشى فرجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها قد يبست ، فحزن وبكى عليها ^(٢) فعاتبه الله وقيل له : أتبكي وتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف وزيادة أردت أن تهلكهم ؟ *

ثم ان الله أمره أن يأتي قومه فيخبرهم أن الله قد تاب عليهم ، فعمد اليهم فلقى راعياً فسأله عن قوم يونس ، فأخبره أنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم قال : فأخبرهم أنك قد لقيت يونس ، قال : لا أستطيع إلا بشاهد فسمى له عنزاً من غنمه ، والبقعة التي كانا فيها ، وشجرة هناك ، وقال : كل هذه تشهد لك ، فرجع الراعى الى قومه ، فأخبرهم أنه رأى يونس فهموا به ، فقال : لا تهجلوا حتى أصبح فلما أصبح غدا بهم الى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها فشهدت له ، وكذلك الشاة والشجرة ، وكان يونس قد اختفى هناك ، فلما شهدت الشاة قالت لهم إن أردتم نبي الله فهو بمكان كذا وكذا فاتوه ، فلما رأوه قبلوا يديه ورجليه ، وأدخلوه المدينة بعد امتناع ، فكث مع أهله وولده أربعين يوماً ، وخرج سائحاً ، وخرج الملك معه يصحبه وسلم الملك الى الراعى فاقام يدبر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك ، ثم ان يونس أتاهم بعد ذلك *

(١) وهو يقارب ما في آخر فقرة ١٧ من الاصحاح الأول من سفر يونان ونصها : فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال (٢) وهذا يوافق ما في آخر سفره ولكنه لم يذكره دال ثابت بقول الله تعالى : (وارسلناه الى مائة الف او يزيدون) - ١٤٧ سورة الصافات * بل ذكر في فقرة ١٠ من الاصحاح الرابع : فقال الرب انت شفقت على اليقطينة التي لم تتمب فيها ولا ربيتها التي بنت لينة كانت و بنت ليلة هلكت ١١ افلا اشفق انا على ينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها اكثر من اثنتي عشرة روبة من النار الذين لا يعرفون بينهم من شمالهم و بينهم كثيرة *

وقال ابن عباس وشهر بن حوشب: كانت رسالة يونس بعدما نبذها الحوت، وقالوا: كذلك أخبر الله تعالى في سورة الصافات فانه قال: (فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبثنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) وقال شهر: إن جبريل أتى يونس فقال له: انطلق الى أهل نينوى فأذرهم العذاب. فانه قد حضرهم قال: ألتمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك قال: ألتمس حذاء. قال: الأمر أعجل من ذلك. قال: فغضب وانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست قال: فساهموا فسهم فجاءت الحوت فنودي الحوت إنا لم نجعل يونس من رزقك إنما جعلناك له حرزا، فالتقمه الحوت. وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على ابلة ثم انطلق به على دجلة حتى ألقاه بنينوى *

﴿ وما كان من الأحداث أيام ملوك الطوائف ﴾

إرسال الله تعالى الرسل الثلاثة الى مدينة أنطاكية، وكانوا من الحواريين أصحاب المسيح أرسل أولا اثنين، وقد اختلف في أسمائهما، فقدا أنطاكية فرأيا عندها شيخا يزعى غما، وهو حبيب النجار فسلبا عليه، فقال: من أتما؟ قال: رسولا عيسى ندعوكم الى عبادة الله تعالى، قال: معك آية. قال: نعم نحن نشفى المرضى ونبرى. الأكمة والأبرص باذن الله. قال حبيب: ان لي ابنا مريضا منذ سنين، وأتي بهما منزله، فمسحا ابنه، فقام في الوقت صحيحا، ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى، وكان لهم ملك اسمه أنطيوخس يعبد الأصنام، فبلغ اليه خبرهما فدعاهما. فقال: من أتما؟ قالوا رسولا عيسى ندعوكم الى الله تعالى، قال: فما آيتكما، قالوا: نبرى، الأكمة والأبرص ونشفى المرضى باذن الله فقال: قوما حتى ننظر في أمركما. فقاما. فضربهما العامة، وقيل: إنهما قدما المدينة فبقيا مدة لا يصلان الى الملك، فخرج الملك يوما، فكبرا وذكرا الله. فغضب وحبسهما، وجلد كل واحد منهما مائة جلدة *

فلما كذبا وضربا بعث المسيح شمعون رأس الحواريين لينصرهما. فدخل البلد متكررا، وعاشر حاشية الملك: فرفعوا خبره الى الملك، فأحضره، ورضى عشرته، وأنس به، وأكرمه، فقال له يوما: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن، وضربتهما حين دعواك الى دينهما. فهل كليتهما؟ وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فان رأى الملك أن يحضرهما حتى نسمع كلامهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما؟ قالوا: الله الذي خلق كل شيء ولا شريك له؛ قال: فصفاه وأوجزا،

قالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال شمعون: فما آيتكما، قالا: ما تمنناه فامر الملك فجىء بسلام مطموس العينين موضعهما كاللحمة؛ فما زال يدعو ان ربهما حتى انشق موضع البصر وأخذتا بندقتين من الطين. فوضعاها في حدقتيه، فصارتا مقلتين يبصر بهما، فعجب الملك لذلك؛ فقال: ان قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنابه وبكما، قالا: ان إلهنا قادر على كل شيء. فقال الملك، ان ههنا ميتا منذ سبعة أيام، فلم ندفنه حتى يرجع أبوه وهو غائب، فأحضر الميت وقد تغيرت ريحته، فدعوا الله تعالى علانية، وشمعون يدعو سرا، فقام الميت؛ فقال لقومه: إني مت مشركا وأدخلت في أودية من النار، وأنا أحذركم ما أتم فيه، ثم قال، فتحت أبواب السماء فنظرت، فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، فقال الملك، ومن هم؟ فقال: هذا وأوما إلى شمعون وهذان وأشار إليهما، فعجب الملك فحينئذ دعا شمعون الملك إلى دينه، فأمن قومه، وكان الملك فيمن آمن وكفر آخرون *

وقيل: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، نبلغ ذلك حبيبا النجار، وهو على باب المدينة، فجاء يسعى اليهم فيذكرهم ويدعوهم إلى طاعة الله وطاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) وهو شمعون فأضاف الله تعالى الإرسال إلى نفسه، وإنما أرسلهم المسيح لأنه أرسلهم بأذن الله تعالى، فلما كذبهم أهل المدينة حبس الله عنهم المطر، فقال أهلها للرسل: (إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة، وقيل: لنقتلنكم) ولئمنكم منا عذاب أليم، فلما حضر حبيب وكان مؤمنا يكتم إيمانه، وكان يجمع كسبه كل يوم وينفق على عياله نصفه ويتصدق بنصفه، فقال: (يا قوم اتبعوا المرسلين)، فقال قومه: وأنت مخالف لربنا ومؤمن بالله هؤلاء. فقال: (ومالي لأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون؟) فلما قال ذلك قتلوه، فأوجب الله له الجنة؛ فذلك قوله تعالى (قيل: ادخل الجنة) قال: ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)، وأرسل الله عليهم صيحة فماتوا (١) *

(١) يوجد الآن بأقصى أنطاكية من جهة الشرق غار يسمى غار حبيب النجار وذلك لأن البلدة واقعة على سفح جبل اللكام المسمى الآن جبل حبيب النجار وهذا الغار مسكن طبيعي ويقولون: انه كان محل سكني حبيب النجار ومن هناك جاء للمدينة يسمى. وأما قبره فهو مع قبر الرسول الثالث المعزز اللاتين في وسط المدينة في الطرف الشرقي من جامع حبيب النجار الشهير وتشتهل عليه قبة الجامع الا ان مدخله من باب ملاصق للمسجد وينزل نحو عشرين درجة حتى يجد قبرين أحدهما مستقبل القبلة واظنه قبر حبيب النجار والثاني متوجه للشرق وهو قبر

﴿ وما كان من الأحداث شمسون ﴾

وكان من قرية من قرى الروم^(۱) قد آمن وكانوا يعبدون الأصنام؛ وكان على أميال من المدينة، وكان يغزوهم وحده، ويقاثلهم بلحى جمل، فكان إذا عطش انفجر له من الحجر الذى فيه ماء عذب، فيشرب منه، وكان قد أعطى قوة لا يوثقه حديد ولا غيره، وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم ولا يقدرون منه على شيء، فجعلوا لامرأته^(۲) جعلاً لتوثقه لهم؛ فأجابتهم إلى ذلك؛ فأعطوها حبلاً وثيقاً، فتركته حتى نام وشدت يديه؛ فاستيقظ وجذبه، فسقط الحبل من يديه، فأرسلت اليهم، فأعلمتهم، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد، فتركتها في يديه وعنقه وهو نائم، فاستيقظ وجذبه، فسقطت من عنقه ويديه فقال لها في المرتين: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: أريد أن أجرب قوتك وما رأيت مثلك في الدنيا فهل في الأرض شيء يغلبك قال: نعم شيء واحد فلم تزل تسأله عنه حتى قال لها ويحك لا يضبطنى إلا شعري^(۳). فلما نام أو ثقت يديه بشعر رأسه. وكان كثيراً. فأرسلت اليهم. فجاؤا فأخذوه. فجدعوا أنفه وأذنيه وفتقوا عينيه. وأقاموه للناس. وجاء الملك لينظر إليه. وكانت المدينة على أساطين. فدعا الله شمسون عليهم. فأمر أن يأخذ

الرسول الثالث، وسبب هذا الانخفاض على ما يقولون كثرة الزلازل التي تقع في أنطاكية وبقوارها في ضمن الجامع حجرة تسمى مدفن الاثنين والقبران متوجهاً للقبلة وعلى سطح الأرض. وان انطاكية واقعة بين جبل اللكام ونهر العاصي فاذا عبرت النهر من جسرها التاريخي — المبنى قبل الاسلام — تجداً أمامك في جهة الغرب بوة تسمى تل جبريل يقولون انه صاح باهل المدينة من هناك واصبحت البروة مقبرة للمسلمين وبعلاها قبر استاذ الاساندة المرحوم الحاج عبدالصمد الر واندزي المتوفى سنة ۱۳۰۴ هجرية وهو الناشر للمعلم في تلك الاطراف فان جميع من في انطاكية من العلماء الأجلاء الكثيرين هم تلامذة له رأساً وبالواسطة ولم يبق من تلاميذه الا رسالة في علم الكلام طبعت في حياته سنة ۱۳۰۳ تسمى البصائر. ولكن اثناء ثورة انطاكية سنة ۱۳۳۸ احتل الجيش الفرنسى تلك البقعة الطاهرة واتخذها معقلاً يصوب منه المدافع على انطاكية بشكل همجى ولا تزال الآثار موجودة في الجامع الكبير وجامع الشيخ على والجامع الجديد حيث تشوهت منارته الجميلة وجامع حبيب النجار والمدارس العديدة واثنا وجودهم هدموا المقابر التي هي عبارة عن حجرة على رأس الميت يكتب فيها اسمه وتاريخ وفاته وبعترك فرنسا ذلك المحل لعدم لزومه اصبح الناس يضعون لقبورهم اشارات تقريرية. الادارة (۱) شمسون هو ابن مزوح من صرعة ومن عشيرة الدانيين فهو اسرائيلي لارومى كافي الاصحاح الثالث عشر من سفر القضاة *

(۲) تقول التوراة ان المرأ: لم تكن زوجة له بل هي زانية اسمها دليلة من وادي سورق كافي الاصحاح السادس عشر من سفر القضاة (۳) الذي في الفقرة ۱۷ وما بعده من الاصحاح السادس عشر من سفر القضاة انها اذا حطقت شعر رأسه تفارقه قوته لانه نذر الله من بطن أمه *

عمودين من عمدة المدينة فيجذبهما ويرداليه بصره وما أصابوا من جسده وجذب العمودين فوقعت المدينة بالملك والناس وهلك من فيها هدماً، وكان شمسون أيام ملوك الطوائف (١) *

﴿ وما كان من الأحداث أيضاً جرجيس ﴾

قيل: كان بالموصل ملك يقال له دازانه. وكان جباراً عاتياً، وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين يكتن إيماناً مع أصحابه صالحين، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فاخذوا عنهم، وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة، وربما نقد ماله في الصدقة، ثم يعود يكتسب مثله؛ ولولا الصدقة لكان الفقراً أحب إليه من الغني، وكان يخاف بالشام أن يفتتن عن دينه فقصده الموصل ومعه هدية لملكها لئلا يجعل لأحد عليه سيلاً، فجاءه وحين قد جاءه أحضر عظام قومه وأوقد ناراً وأعد أصنافاً من العذاب وأمر بصنم له يقال له أفلون فنصب فمن لم يسجد له عذبه وألقى في النار *

فلما رأى جرجيس ما يصنع استعظمه، وحدث نفسه بجهاده، فعمد إلى المال الذي معه فقسمه في أهل ملته، وأقبل عليه وهو شديد الغضب، فقال له، اعلم أنك عبد ملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك شيئاً، وإن فوقك رباً هو الذي خلقك ورزقك، فاخذ في ذكر عظمة الله تعالى وعيب صنمه فأجابه الملك بأن يسأله من هو ومن أين هو؟ فقال جرجيس: أنا عبد الله وابن أمته من التراب خلقت وإليه أعود فدعاه الملك إلى عبادة صنمه، وقال له لو كان ربك ملك الملوك لرؤى عليك أثره كما ترى على من حولي من ملوك قومي فأجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده وقال له تعبد أفلون الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني من رب العالمين، أم تعبد الذي قامت بأمره السموات والأرض أم تعبد طرفلينا عظيم قومك من الناس عليه السلام، فإنه كان آدمياً يأكل ويشرب فأكرمه الله بأن جعله انسياً ملكياً أم تعبد عظيم قومك مخلصاً أيضاً؟ وما قال بولايتك عيسى عليه السلام وذكر من معجزاته وما خصه الله به من الكرامة، فقال له الملك: إنك أتيت بأشياء لا نعلمها ثم خيره بين العذاب والسجود للصنم فقال جرجيس إن كان صنمك هو الذي رفع السماء وعدد أشياء من قدرة الله عز وجل فقد أصبت ونصحت وإلا فاحسباً أيها الملعون *

(١) كان شمسون قبل طالوت وداود فهو قبل ملوك الطوائف بمئات السنين أي أنه سنة ١١٢٠ قبل ميلاد المسيح

فلما سمع الملك أمر بحبسه ومشط جسده بأمشاط الحديد حتى تقطع لحمه وعروقه ، وينضح بالخل والخردل فلم يمت ، فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحيت حتى صارت ناراً ثم سمر بها رأسه فسأل دماغه فحفظه الله تعالى؛ فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى جعله ناراً ، ثم أدخله فيه وأطبق عليه حتى برد فلما رأى ذلك لم يقتله دعاه ، وقال له ألم تجد ألم هذا العذاب ؟ قال : ان إلهي حمل عني عذابك وصبرني ليحتج عليك فأيقن الملك بالشر وخافه على نفسه وملكه ، فاجمع رأيه على أن يخله في السجن فقال الملائكة من قومه : انك ان تركته في السجن طليقا يكلم الناس ويميل بهم عليك ، ولكن يعذب بعذاب يمنع من الكلام ، فامر به فبطح في السجن على وجهه ، ثم أودى يده ورجليه أو تاد من حديد ، ثم أمر باسطوان من رخام حمله ثمانية عشر رجلا فوضع على ظهره فظل يومه ذلك تحت الحجر ، فلما أدركه الليل أرسل الله اليه ملكا وذلك أول ما أيد بالملائكة ، فأول ما جاءه الوحي قلع عنه الحجر ونزع الأوتاد وأطعمه وأسقاه وبشره وعزاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن فقال له : الحق بعدوك فجاهده فاني قد ابتليتك به سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات في كل ذلك أورد اليك روحك ، فاذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعر الملك إلا وقد وقف جرجيس على رأسه يدعو الى الله فقال له : أجر جيس ؟ قال نعم قال : من أخرجك من السجن ؟ قال : أخرجني من سلطانه فوق سلطانك فلي غيظا ودعا باصناف العذاب ومدوه بين خشبتين ووضعوا على رأسه سيفا ، ثم أشروه حتى سقط بين رجله وصار جزلتين ، ثم قطعوهما قطعاً وكان له سبعة أسد ضارية في جب ، فلقوا جسده اليها ، فلما رآته خضعت برؤسها وقامت على برائنها لاتالو أن تقيه الأذى الذي تحتها فظلت يوماً تحتها ميتا وكان أول ميتة ذاقها *

فلما أدركه الليل جمع الله جسده وسواه ورد فيه روحه وأخرجه من قعر الجب ، فلما أصبحوا أقبل جرجيس وهم في عيد لهم صنعوه فرحاً بموت جرجيس ، فلما نظروا اليه مقبلاً قالوا : ما أشبه هذا بجر جيس ، قال الملك هو هو ، قال جرجيس : أنا هو حقا بنس القوم أتم قتلتم ومثلتم فرد الله روعي الى هلموا الى عذاب هذا الرب العظيم الذي أراكم قدرته . فقالوا ساحر سحر أعينكم وأيديكم عنه فجمعوا من يبلادهم من السحرة فلما جاؤا قال الملك لكبيرهم : أعرض على من سحر ك ما يسرى به عني فدعا بثور فنفخ

في أذنيه فاذا هو ثوران ودعا يبذر فيبذر وحرث وزرع وحصد ودق وذرى وطحن
وخبز وأكل في ساعته ، فقال له الملك : هل تقدر أن تمسخه كلبا ؟ قال : ادع لي بقدر من
ماء فأتي به فنفت فيه الساحر ، ثم قال لجر جيس : اشربه فشربه جرجيس حتي أتى علي
آخره فقال له الساحر : ماذا تجد : قال : ما أجد إلا خيرا كنت عطشان فلفظ الله بي
فسقاني ، وأقبل الساحر علي الملك وقال : لو كنت تقاسي جبارا مثلك لغلبته إنما تقاسي
جبار السماء والأرض ، وكانت أتت جرجيس امرأة من الشام وهو في أشد العذاب ،
فقال له : انه لم يكن لي مال إلا ثور أعيش به من حرته فمات وجئتك لترحمي ، وتسال
الله أن يحيي ثوري ، فأعطاها عصا ، وقال : اذهبي الي ثورك فاضريه بهذه العصا . وقولي له .
احي باذن الله ، فأخذت العصا وأتت مصرع الثور فرأت روقه ^(١) وشعر ذنبه فجمعتها ،
ثم قرعتها بالعصا وقالت : ما أمرها به جرجيس ، فعاش ثورها وجاء الخبر بذلك فلما قال الساحر
ما قال قال رجل من أصحاب الملك ، وكان أعظمهم بعد الملك اسمعوا مني قالوا نعم ، قال : انكم
قد وضعت أمره على السحر وانه لم يعذب ولم يقتل ، فهل رأيتم ساحرا قط قدر على أن يدفع
عن نفسه الموت أه أحياميتا وذكر الثور وحيائه ؟ فقالوا له : ان كلامك كلام رجل قد أصغى
اليه . فقال : قد آمنت به وأشهد الله اني بريء مما تعبدون ، فقام اليه الملك وأصحابه
بالخناجر ، فقطعوا لسانه بالخناجر فلم يلبث أن مات . وقيل : أصابه الطاعون فأعجله قبل
ان يتكلم وكتموا شأنه : فكشفه جرجيس للناس ، فاتبعه أربعة آلاف وهو ميت ،
فقتلهم الملك بانواع العذاب حتي أفناهم ، وقال له رجل من عظام أصحاب الملك :
يا جرجيس انك زعمت ان إلهك يبدأ الخلق ثم يعيده . واني سائلك أمرا ان فعله إلهك
آمنت به وصدقتك وكفيتك قومي : هذا تحتنا أربعة عشر منبرا ومائة واقداح
وصحاف من خشب يابس ، وهو من أشجار شتي : فادع ربك أن يعيدها خضرا كما بدأها
يعرف كل عود بلونه وورقه وزهره وثمره ، قال جرجيس : قد سألت أمرا عزيزا علي
وعليك وانه على الله يسير ، ودعا الله فمأبر حوا حتى اخضرت وساخت ^(٢) عروقها وتشعبت
ونبت ورقها وزهرها حتي عرفوا كل عود باسمه ، فقال الذي سأله ، هذا ، أنا أتولي
عذابه فعمد الي نحاس فصنع منه صورة ثور مجوف ، ثم حشاها نبطا ورصاصا وبريتا
وزرنيخا ، وأدخل جرجيس في وسطها ، ثم أوقد تحت الصورة النار حتي التهبت وذاب

(١) تشية روق وهو القرن (٢) من بابي قال و باع وهو مثل الفرق في الماء و بمعنى خسف . مصباح *

كل شيء فيها واختلط ومات جرجيس في جوفها *
 فلما مات أرسل الله ريحا عاصفا ورعدا وبرقا وسحابا مظلما . وأظلم ما بين السماء
 والأرض وبقوا أياما متحيرين . فأرسل الله ميكائيل فاحتمل تلك الصورة . فلما أقلها
 ضرب بها الأرض ففزع من روعها كل من سمعها . وانكسرت . وخرج منها
 جرجيس حيا *

فلما وقف وكلهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والأرض قال له عظيم من
 عظمائهم : ادعو الله بأن يحي موتانا من هذه القبور . فأمر جرجيس بالقبور فنبشت
 وهي عظام رفات . ثم دعا فابرحوا حتى نظروا إلى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس
 نسوة وثلاث صبية وفيهم شيخ كبير ، فقال له جرجيس : متي مت ؟ فقال : في زمان كذا
 وكذا فاذا هو أربعمئة عام . فلما رأى ذلك الملك قال : لم يبق من عذا بكم شيء إلا وقد
 عذبتموه وأصحابه إلا الجوع والعطش فعذبوه به فعمدوا إلى بيت عجوز فقيرة . وكان لها
 ابن أعمى أبكم مقعد فحصره فيه فلا يصل إليه طعام ولا شراب . فلما جاع قال للعجوز :
 هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذي يحلف به مالنا عهد بالطعام من كذا وكذا
 وسأخرج فالتمس لك شيئا . فقال لها : هل تعبدن الله ؟ قالت لا : فدعاها فأمنت وانطلقت
 تطلب له شيئا وفي بيتها دعامة خشبة يابسة تحمل خشب البيت . فدعا الله فاخضرت تلك
 الدعامة . وأنتبت كل فاكهة تؤكل وتعرف . فظهر للدعامة فروع من فوق البيت تظله
 وما حوله . وعادت العجوز وهو يأكل رغدا . فلما رأت الذي في بيتها قالت : آمنت بالذي
 أطعمك في بيت الجوع ، فادع هذا الرب العظيم ان يشفي ابني قال : أدنيه مني فأدنته فبصق
 في عينه فأبصر ، فنفت في أذنيه . فسمع قالت له أطلق لسانه ورجليه قال لها أخريه فان
 له يوما عظيما . ورأى الملك الشجرة . فقال أرى شجرة ما كنت أعهدا قالوا تلك الشجرة
 نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع ، وقد شبع منها وأشبع العجوز ،
 وشفى لها ابنها . فأمر بالبيت فهدم ، وبالشجرة أن تقطع ، فلبسهموا بقطعها أيبسها الله
 وتركوها . وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأمر بعجل فاوقر اسطوانا . وجعل في أسفل
 العجل خناجر وشفارا ، ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس
 تحتها ، فانقطع ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعها فاحرقت حتى صارت رمادا . وبعث بالرماد مع

(٢٨٢ - ج ١ الكامل)

رجال فذروه في البحر فلم يبرحوا حتى سمعوا صوتا من السماء يابحر: إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده، فأرسل الرياح فجمعتها كما كان قبل أن يذروه والذين ذروه قيام لم يبرحوا *

وخرج جرجيس حيا مغبرا، فرجعوا ورجع معهم وأخبروا خبر الصوت والرياح، فقال له الملك: هل لك فيما هو خير لي ولك؟ ولولا أن يقال انك غلبتني لآمنت بك، ولكن اسجد لسنمي سجدة واحدة أو اذبح له شاة واحدة وأنا أفعل ما يسرك، فطمع جرجيس في اهلاك الصنم حين يراه وإيمان الملك عند ذلك، فقال له أفعل خديعة منه وادخلي على صنمك أسجد له وأذبح، ففرح الملك بذلك وقبل يده ورجليه وطلب منه أن يكون يومه وليته عنده، ففعل. فأخلى له الملك بيتا ودخله جرجيس، فلما جاء الليل قام يصلي ويقرأ الزبور، وكان حسن الصوت فلما سمعته امرأة الملك استجابته وآمنت به. وكتمت إيمانها *

فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها، وقيل للعجوز ان جرجيس قد افتن وطمع في الملك بعد الملك، فخرجت تحمل ابنا على عاتقها في أغراضها توبخ جرجيس، فلما دخل بيت الأصنام نظر فاذا العجوز وابنها أقرب الناس إليه، فدعا ابنا فأجابه وما تكلم قبل ذلك قط، ثم نزل عن عاتق أمه يمشى على قدميه سويين وما وطى الأرض قط، فلما وقف بين يدي جرجيس قال له: ادع لي هذه الأصنام وهي على منابر من ذهب واحد وسبعون صنما وهم يعبدون الشمس والقمر معها فدعاها فأقبلت تتدحرج إليه فلما انتهت إليه ركض برجله الأرض فحسف بها وبمنابرها؛ فقال له الملك يا جرجيس خدعتني وأهلكت أصنامي، فقال له: فعلت ذلك عمدا لتعتبر وتعلم أنها لو كانت آلهة لامتنت مني *

فلما قال هذا قالت امرأة الملك وأظهرت اسلامها وعددت عليهم أفعال جرجيس، وقالت: ما تنتظرون من هذا الرجل الادعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم. فقال الملك ما أسرع ما أضلك هذا الساحر * ثم أمر بها فعلقت على خشبة؛ ثم مشط لحما بمشاط الحديد، فلما آلمها العذاب قالت لجرجيس ادع الله أن يخفف عني الألم، فقال انظري فوقك فنظرت فضحكت، فقال لها الملك ما يضحكك؟ قالت أرى على رأسي ملكين معهما تاج من حلي الجنة ينتظرون خروج روعي ليزيناني به ويصعدان بها إلى الجنة *

فلما ماتت أقبل جرجیس علی الدعاء؛ وقال: اللهم اكرم متي بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء؛ وهذا آخر أيامي فأسألك أن تنزل بهؤلاء المنكرين من سطواتك وعقوباتك ما لا قبل لهم به، فأمطر الله عليهم النار فأحرقتهم. فلما احترقوا بحر ها عمدوا إليه فضربوه بالسيوف فقتلوه. وهي القتلة الرابعة. فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها رفعت من الأرض وجعل عاليها سافلها فلبثت زمانا يخرج من تحتها دخان متين. وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفاً وامرأة الملك^(۱) *

﴿ ذكر خالد بن سنان العبسي ﴾

ومن كان في الفترة خالد بن سنان العبسي، قيل: كان نبيا، وكان من معجزاته أن ناراً ظهرت بأرض العرب فاقتنوا بها وكادوا يتمجسون، فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقها، وهو يقول بددا بددا. كل هاد مؤد إلى الله الأعلى. لا دخلها وهي تظلي، ولا خرجن منها وثيابي تندي، ثم انها طفئت وهو في وسطها فلما حضرته الوفاة قال لأهله إذا دفنت فانه ستجيء عانة من حمير يقدمها عير أقر فيضرب قبري بحافره، فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني، فاني سأخبركم بجميع ما هو كائن، فلما مات ودفنوه رأوا ما قال، فأرادوا نبشه فكره ذلك بعضهم قالوا: نخاف ان نبشناه أن تسبنا العرب بأنا نبشنا ميتانا نتر كوه، فقيل: ان النبي ﷺ قال فيه ذلك نبي ضيعه قومه،^(۲) وأتت ابنته النبي ﷺ فأمنت به * كذا قيل: انه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ولا وجه له فان من أدركت ابنته النبي ﷺ يكون بعد اجتماع الملك لأردشير بن بابك بدهر طويل؛ ورجع إلى أخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ، ونقدم قبل ذكرهم عدد الملوك الأشغانية من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس ان شاء الله تعالى *

﴿ ذكر طبقات ملوك الفرس ﴾

الطبقة الأولى الفيشدازية ملوك الأرض بعد جيومرث أو شهنج؛ وملك فيشداذ أربعين سنة — ومعني فيشداذ أول حاكم — ملك بعده طهمورث بن نوجهان ثلاثين

(۱) ما ارى امر جرجيس — بالصورة التي يقولها — الاخرافة من الخرافات *

(۲) والى هذا يشيراً أبو العلاء المعري في قوله

وخالد بن سنان ليس ينقصه من قدره الكون في حي أضاعوه

سنة ، ثم ملك أخوه جمشيد سبعمائة وست عشرة سنة ، ثم ملك يوراسف بن أرونداسف ألف سنة ، ثم ملك أفريدون بن اثفيان خمسمائة سنة ، ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ، ثم ملك افراسياب التركي اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك زو بن تهادسف ثلاث سنين ، ثم ملك كرشاسب تسع سنين *

﴿ الطبقة الثانية الكيانية ﴾

ثم ملك كيقباز مائة وستا وعشرين سنة ، ثم ملك كيكاووس مائة وخمسين سنة ثم ملك كيخسرو ثمانين سنة ، ثم ملك كي هراسب مائة وعشرين سنة ، ثم ملك كي بشتاسب مائة وعشرين سنة ، ثم ملك كي بهمن مائة واثنتي عشرة سنة ؛ ثم ملك خماني جهر ازاد ثلاثين سنة ، ثم ملك أخوها دارا بن بهمن اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك ابنه دارا بن دارا أربع عشرة سنة وهو الذي أخذ الاسكندر الملك منه ، وكان ملك الاسكندر بعده أربع عشرة سنة *

﴿ الطبقة الثالثة الأشغانية ﴾

وهم الذين استولوا على العراق والجبالي ، وكان سائر ملوك الطوائف يعظموهم * فأول ملوك الأشغانيين أيام ملوك الطوائف أشك ملك اثنتين وخمسين سنة ، ثم ملك ابنه شابور بن أشك أربع وعشرين سنة ، ثم ملك ابنه جودرز بن شابور وهو الذي غزا بني إسرائيل بعد قتل يحيى بن زكريا خمسين سنة ، ثم ملك ابن أخيه ويجن بن بلاش إحدى وعشرين سنة ، ثم ملك جودرز بن ويجن تسع عشرة سنة ؛ ثم ملك أخوه نرسه ثلاثين سنة ، ثم ملك عمه هرمزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتي عشرة سنة ، ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة ، ثم ملك أخوه بلاش بن فيروز أربع وعشرين سنة ، ثم ملك ابنه أردوان بن بلاش خمسا وخمسين سنة * وقد ذكر بعضهم أنه ملك بعد هرمزان بن بلاش أردوان الأكبر اثنتي عشرة سنة ، وقيل في عدد ملوك الطوائف غير ذلك - والفرس تعترف باضطراب التاريخ عليهم في أيام ملوك الطوائف وملك يوراسف ، وملك افراسياب التركي - لانهم زال الملك عنهم ولم يمكن ضبطه *

﴿ الطبقة الرابعة الساسانية ﴾

فأولهم أردشير بن بابك *

﴿ ذكر أخبار أردشير بن بابك وملوك الفرس ﴾

قيل : لما مضى من لدن ملك الاسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتاب
الاول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة. وفي قول المجوس مائتان وست وستون، وثب أردشير
ابن بابك بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن
الملك ابن اسفنديار بن بشتاسب. وقيل في نسبه غير ذلك يريد الاخذ بثار الملك
دارا بن دارا ورد الملك الى أهله والى ما لم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك
الطوائف وجمعه لرئيس واحد * وذكروا أن مولده كان بقرية من قرى اصطخر يقال لها
طيروده من رستاق اصطخر وكان جده ساسان شجاعا مغرئ بالصيد، وتزوج امرأة من
نسل ملوك فارس يعرفون بالبدرنجين، وكان قيا على بيت نار باصطخر يقال له بيت
نارهد، فولدت له بابك فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه، ثم ولد له ابنه أردشير، وكان
ملك اصطخر يومئذ رجلا من البادرنجين يقال له جوزهر، وكان له خصي اسمه تيرى
قد صيره إرجندا دارا بمجرد فلما أتى لأردشير سبع سنين قدمه أبوه الى جوزهر، وسأله أن
يضمه الى تيرى ليكون ربياله وارجد ابعده في موضعه فاجابه وأرسله الى تيرى فقبله وتبناه؛
فلما هلك تيرى تقلد أردشير الأمر وحسن قيامه به، وأعله قوم من المنجمين صلاح
مولده، وأنه يملك فازداد في الخير، ورأى في منامه ملكا جلس عند رأسه، فقال له ان الله
يملكك البلاد فقويت نفسه قوة لم يعهد لها، وكان أول ما فعل أنه سار الى موضع من دارا
بمجرد يسمى خوبابان، فقتل ملكها واسمه قاسين، ثم سار الى موضع يقال له كوسن،
فقتل ملكها واسمه منوجهر، ثم الى موضع يقال له لزوز فقتل ملكها واسمه دارا،
وجعل في هذه المواضع قوما من قبله، وكتب الى أبيه بما كان منه، وأمره بالوثوب
بجوزهر وهو بالبيضاء، ففعل ذلك وقتل جوزهر وأخذ تاجه، وكتب الى أردوان
ملك الجبال وما يتصل بها يتضرع اليه ويسأله في تتويج ابنه سابور بتاج جوزهر، فمنعه
من ذلك وهدده فلم يحفل بابك بذلك وهلك في ثلاثة أيام فتوج سابور بن بابك بالتاج،
وملك مكان أبيه، وكتب الى أردشير يستدعيه فامتنع فغضب سابور وجمع جموعا
وسار بهم نحوه ليحاربه، وخرج من اصطخر وبها عدة من أصحابه واخوانه وأقاربه وفيهم
من هو أكبر سنا منه، فأخذوا التاج والسرير وسلموه الى أردشير فتوج؛ وافتتح أمره
بجد وقوة، وجعل له وزيرا، ورتب موبذمو بندان، وأحس من اخوته وقوم كانوا معه
بافتك به؛ فقتل جماعة كثيرة منهم، وعصى عليه أهل دارا بمجرد؛ فعاد إليهم فافتحها وقتل

جماعة من أهلها، ثم سار الى كرمان وبها ملك يقال له بلاش، فاقتتلا قتالا شديداً وقاتل أردشير بنفسه وأسر بلاش، فاستولى على المدينة، وجعل فيها ابناً له اسمه أردشير أيضاً. وكان في سواحل بحر فارس ملك اسمه اسيون يعظم، فسار اليه أردشير فقتله وقتل من معه واستخرج له أموالاً عظيمة وكتب إلى جماعة من الملوك: منهم مهرك صاحب ابرساس من أردشير خرة يدعوهم إلى الطاعة فلم يفعلوا، فسار اليهم فقتل مهرك. ثم سار إلى جور فأسسها وبني الجوسق المعروف بالطربال وبيت نار هناك *

فبينما هو كذلك اذورد عليه رسول اردوان بكتاب فجمع الناس فقرأه عليهم. فاذا فيه انك عدوت قدرك واجتلبت حتفك أيها الكردي من أذنك في التاج والبلاد؟ ومن أمرك ببناء المدينة؟ وأعلمه انه قد وجه اليه ملك الا هواز ليأتيه به في وثاق. فكتب اليه: ان الله حباني بالتاج وملكني البلاد وأنا أرجو أن يمكنني منك فأبعث برأسك الى بيت النار الذي أسسته وسار أردشير نحو اصطخر. وخلف وزيره ابرسام بأردشير خرة فلم يلبث الا قليلا حتى ورد عليه كتاب ابرسام بموافاة ملك الا هواز وعوده منكوباً. ثم سار الى أصبهان فلما كان، وقيل: ملكها وعاد الى فارس وتوجه الى محاربة نيروفر صاحب الا هواز، وسار الى أرتجان والى ميسان وطاسار، ثم الى سرق. فوقف على شاطىء دجيل. فظفر بالمدينة. وابتنى مدينة سوق الا هواز. وعاد الى فارس بالغنائم. ثم عاد من فارس الى الا هواز على طريق خرة وكازرون، وقتل ملك ميسان، وبني هناك كرخ ميسان وعاد الى فارس فأرسل الى اردوان يؤذنه بالحرب ويقول له: ليعين موضعاً للقتال، فكتب اليه اردوان اني أوافيك في صحراء هرمزجان لانسلاخ مهر ماه فوافاه أردشير قبل الوقت وخذق على نفسه واحتوى على الماء ووافاه اردوان وملك الأرمانين. وكانا يتحاربان على الملك فاصطلحا على أردشير وحاربا وهما متساندان يقاتله هذا يوماً وهذا يوماً فاذا كان يوم بابا ملك الأرمانين لم يقم له أردشير واذا كان يوم اردوان لم يقم لأردشير فصالح أردشير بابا ملك الأرمانين على أن يكف عنه ويفرغ أردشير لأردوان فلم يلبث ان قتله واستولى على ما كان له وأطاعه بابا وسمى أردشير شاهنشاه * ثم سار الى همدان فافتحها، والى الجبل وأذربيجان وأرمينية والموصل ففتحها عنوة، وسار الى السواد من الموصل فلما كان، وبني على شاطىء دجلة قبالة طيسفون وهي المدينة التي في شرق المدائن مدينة غربية وسماها به أردشير، وعاد من السواد الى اصطخر، وسار منها الى سجستان، ثم الى جرجان،

ثم الى نيسابور، ومرو، وبلخ، وخوارزم، وعاد الى فارس ونزل جور، فجاءه رسل ملك كوسان، وملك طوران؛ وملك مكران بالطاعة، ثم سار من جور الى البحرين. فاضطر ملكها الى أن رمى نفسه من حصنه فهلك، وعاد الى المدائن فتوج ابنه ساہور بتاجه في حياته، وبني ثمان مدن: منها مدينة الخط بالبحرين، ومدينة بهر سير مقابل المدائن، وكان اسمه به اردشير فعربت به سير و اردشير خرة هي مدينة فيروز اباد سماها عضد الدولة بن بويه كذلك وبني بكرمان مدينة اردشير أيضا فعربت بردشير. وبني بهمن اردشير على دجلة عند البصرة والبصريون يسمونها بهمن شير و فرات ميسان أيضا، وبني رامهرمز بخوزستان، وبني سوق الأهواز، وبالموصل بودر اردشير وهي حرة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا لترد له راية، ومدن المدن، وكور الكور، ورتب المراتب، وعمر البلاد، وكان ملكه من قتله اردوان الى أن هلك أربع عشرة سنة، وقيل: أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، ولما استولى اردشير على العراق كره كثير من تنوخ المقام في ملكته فخرج من كان منهم من قضاة الى الشام، وديان له أهل الحيرة والأنبار، وقد كانت الحيرة والأنبار بنتاز من يختصر فخرت الحيرة لتحول أهلها الى الأنبار وعمرت الأنبار خمسمائة سنة وخمسين سنة الى ان عمرت الحيرة زمن عمرو بن عدى، فعمرت خمسمائة وبضعا وثلاثين سنة الى ان وضعت الكوفة ونزلها أهل الاسلام *

﴿ذكر ملك ساہور بن اردشير بن بابک﴾

ولما هلك اردشير بن بابک قام بالملك بعده ابنه ساہور، وكان اردشير قد أسرف في قتل الأشكانية حتى أفنهم بسبب أليته التي آلاها جده ساسان بن اردشير بن بهمن فانه اقسم انه إن ملك يوما من الدهر لم يستبق من نسل أشك بن حرة أحدا، وأوجب ذلك على عقبه، فكان أول من ملك من عقبه اردشير فقتلهم جميعا نساءهم ورجالهم، غير أن جارية وجدها في دار الملكة فأعجبهت وكانت ابنة للملك المقتول، فسألها عن نسبها فذكرت انها خادم لبعض نساء الملك فسألها أ بكر أم ثيب؟ فأخبرته انها بكر فاتخذها لنفسه وواقعها فعلقته منه فلما أمنت منه بجلبها أخبرته أنها من ولد أشك ففر منها، ودعا هرجد بن أسام، وكان شيخا مسنا فأخبره الخبر، وقال له ليقتلها ليرقم جده، فأخذها الشيخ ليقتلها، فأخبرته انها حبلى، فأتي بالقوايل فشهدن بجلبها، فأودعها سريا من الأرض، ثم قطع مذا كيره ووضعها في حق وختم عليه، وحضر عند الملك، فقال: ما فعلت؟ فقال:

استودعتها بطن الأرض ودفع الحق اليه ، وسأله أن يختمه بخاتمه ، ويودعه بعض خزائنه ففعل ، ثم وضعت الجارية غلاما فكره الشيخ أن يسمى ابن الملك دونه وخاف أن يعلمه به وهو صغير ، فاخذله الطالع ؛ وسماه شاه بور ؛ ومعناه ابن الملك فيكون اسما وصفة وهو أول من تسمى بهذا الاسم . وبقي أردشير لا يولد له فدخل عليه الشيخ الذي عنده الصبي يوما ، فوجده محزونا ، فقال له ما يحزن الملك فقال ضربت بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتي ظفرت و صفالي ملك آبائي ، ثم أهلك وليس لي عقب فيه ، فقال له الشيخ سر ك الله أيها الملك وعمر ك لك عندي ولد طيب نفيس فادع لي بالحق الذي استودعتك أرك برهان ذلك فدعا أردشير بالحق وفتح ، فوجد فيه مذا كير الشيخ ، وكتابه فيه لما أخبرني ابنة أشك التي علقت من ملك الملوك حين أمر بقتلها ، لم أستحل اتلاف زرع الملك الطيب فأودعتها بطن الأرض كما أمر وتبرأنا اليه من أنفسنا لثلا يجد علينا سيلا ، فأمره أردشير أن يجعل مع سابور مائة غلام ، وقيل ألف غلام من أشباهه في الهيئة والقامة ، ثم يدخلهم عليه جميعا لا يفرق بينهم زي ، ففعل الشيخ ، فلما نظر اليهم أردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم ، ثم أعطوا صوألجة و كرة فلعبوا بالكرة وشو في الايوان فدخلت الكرة الايوان فهاب الغلمان أن يدخلوه ، وأقدم سابور من بينهم ، ودخل فاستدل باقدامه مع ما كان من قبوله له حين رآه أنه ابنه فقال له أردشير : ما اسمك قال : شاه بور ، فلما ثبت عنده انه ابنه شهر أمره وعقد له التاج من بعده ؛ و كان عاقلا بليغا فاضلا ، فلما ملك ووضع التاج على رأسه فرق الأموال على الناس من قرب ومن بعد وأحسن اليهم ، فبان فضل سيرته وفاق جميع الملوك . و بني مدينة نيسابور ، ومدينة سابور بفارس ، و بني فيروز سابور وهي الأنبار ، و بني جنديسابور ؛ وقيل : إنه حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ، ثم أتاه من ناحية خراسان ما احتاج الى مشاهدته فسار اليها وأحكم أمرها ، ثم عاد الى نصيبين فزعموا أن سورها تصدع وانفجرت منه فرجة دخل منها و قتل وسبي وغنم . وتجاوزها الى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة منها فالوقية ، و قدوقية ، وحاصر ملكا للروم بأنطاكية فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه فأسكنهم مدينة جنديسابور *

﴿ ذكر خبر مدينة الحضر ﴾

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها ملك يقال له

الساطرون^(۱) و كان من الجرامقة والعرب تسميه الضيزن وهو من قضاة، وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده وانه تطرق بعض السواد^(۲) اذ كان سابور بخراسان، فلما عاد سابور أخبر بما كان منه، فسار اليه وحاصره أربع سنين، وقيل: سنتين^(۳) لا يقدر على هدم حصنه ولا الوصول اليه، وكان للضيزن بنت تسمى النضيرة فخاضت؛ فأخرجت الى ربض المدينة، وكذلك كان يفعل بالنساء، وكانت من أجمل النساء، وكان سابور من أجمل الناس، فرأى كل واحد منهما صاحبه، فعاشقا فأرسلت اليه، ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم به سور المدينة؟ فقال: أحكمك وأرفعك على نسائي، فقالت: عليك بحمامة ورقاء مطوقة فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء، ثم أرسلها فانها تقع على سور المدينة فيخرب، وكان ذلك طلسم ذلك البلد ففعل، وتداعت المدينة، فدخلها عنوة، وقتل

(۱) وهو الذي يقول فيه أبودؤاد الايادي:

وأرى الموت قد تدلى من الحض* وعلى رب أهله الساطرون

وفلأيضافيه عدى بن زيد العبادى

وأخوال الحضر اذ بناه واذا دج* لمة نجبي اليه والخابور

شاده مرصراً وجلله كل* سافل لطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون وباد الم* ملك عنه فإبه مهجور

واراد بالخابور والخابور الفوقانى الذى هو فوق نصيبين غير الخابور التحتانى الذى منبعه رأس العين ويصب في

الفرات عند قرقيسية المشهورة الآن في البصرة شرق دير الزور بنحو عشرين ميلا اه الادارة

(۲) والى هذه يشير شاعرهم عمرو بن الة القضاعى بقوله:

لقيناهم بجمع من علاف وباخليل الصلادمة الذكور

فلاقت فارس منا نكالا وقتلنا هرايد شهر زور

ذلفنا للأعاجم من بييد بجمع كالجزيرة في السعير . الادارة

(۳) قوله «سنتين» هو الموافق لما في شعر الأعرابي بقوله:

ألم تر للحضر اذ أهله بنعمى وهل خالد من نم؟

اقام به شاهبور الجنو دحولين يضرب فيه القدم

فما زاده ربه قوة ومثل محاوره لم يقم

فلما رأى ربه فعله أتاه طروقا فلم ينتقم

وكان دعا قومه دعوة هلموا الى أمركم قدصرم

فوتوا كراما باسيافكم أرى الموت يجشمه من جشم . الادارة

(۲۹۲ - ج ۱ الكامل)

الضيزن وأصحابه ، فلم يبق منهم أحد يعرف اليوم، وأخرب المدينة^(١) واحتمل النضيرة فاعرس بها بعين التمر ، فلم تزل ليلتها تتضور ، فالتمس ما يؤذيها ، فاذا ورقة آس ملتزقة بعكته من عكن بطنها فقال لها : ما كان يغذوك به أبوك ؟ قالت بالزبد ، والمخ ، وشهد الأبقار من النحل ، وصفو الخمر فقال : وأبيك لانا أحدث عهدا وآثر لك من أهلك فامر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب غدائر ها بذنبه ثم استر كضها فقطعها قطعا^(٢) . وقد أكد الشعراء ذكر الضيزن في أشعارهم *

وفي أيام سابور ظهر ماني^(٣) الزنديق ، وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وهم الذين يسمون المانوية . وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما ، وقيل : احدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة أيام *

﴿ ذكر ملك ابنه هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ﴾

وكان يشبه في خلقه بأردشير غير لاحق به في تديره ، وكان من البطش والجرأة على أمر عظيم ، وكانت أمه من بنات مترك الملك الذي قتله أردشير وتبع نسله فقتلهم لان المنجمين أخبروه أنه يكون من نسله من يملك ، فهربت أمه الى البادية ، وأقامت عند بعض الرعاء ، وخرج سابور متصيدا فاشتد به العطش ، وارتفعت له الأخبية التي فيها أم هرمز ، فقصدتها وطلب الماء . فناولته المرأة فرأى منها جمالا فائقا . فلم يلبث أن حضر الرعاء فسألهم سابور عنها . فقال بعضهم : إنها ابنته فتزوجها . وسار بها الى منزله وكسيت ونظفت . فأرادها فامتعت عليه مدة . فلما طال عليه سألها عن سبب ذلك . فاخبرته أنها ابنة مترك . وأنها تفعل ذلك ابقاء عليه من أردشير . فعاهدها على ستر أمرها . ووطئها فولدت له هرمز فستر أمره حتى صار له سنون . فركب أردشير يوما الى منزل ابنه سابور

(١) ولا تزال خربة حتى الآن وقد رثاها عمرو بن العلاء الذي كان مع الضيزن بقوله :

لم يحزنك والأنباء تنمى بما لاقت سراة بني عبيد ؟
ومصرع ضيزن وبني أبيه واحلاس الكتائب من يزيد
أناهم بالفيل مجلات وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسي الحصن صخرا كأن ثفاله زبر الحديد

فمن هذا تعلم أن سابور هدم الحصن لأن الحمامة كانت سبب هدمه لان الشاعر ممن حضر الواقعة . اه الادارة

(٢) والى هذا يشير الشاعر :

اقفر الحصن من نضيرة فالمر باع منها فجانب التثرار

(٣) المانوية يقولون باله الخير واله الشر وكان ماني يريد أن يمزج المانوية بالمسيحية ويوجد من هذا المزيج ديناً جديداً

لشيء أراد ذكره له . فدخل منزله مفاجأة . فلما استقر خرج هرمز ويده صولجان . وهو يصيح في أثر الكرة *

فلما رآه أردشير أنكره . ووقف على المشابه التي فيه من حسن الوجه وعبالة الخلق وأمر غيرها . فاستدناه أردشير . وسأل عنه سابور فخرج مفكرا على سبيل الاقرار بالخطأ . وأخبر أباه أردشير الخبر فسر . وأخبره أنه قد تحقق الذي ذكره المنجمون في ولد مهربك . وان ذلك قدسلي ما كان في نفسه وأذبه *

فلما ملك سابور ولي هرمز خراسان . وسيره اليها فقهر الأعداء . واستقل بالأمر فوشى به الوشاة الى سابور . أنه على عزم أن يأخذ الملك منه ، وسمع هرمز بذلك ، فقيل : انه قطع يده وأرسلها الى أبيه فكتب اليه بما بلغه ، وأنه فعل ذلك إزالة للثمة لان رسمهم أنهم كانوا لا يملكون ذاهة فلما وصلت يده الى سابور تقطع أسفا ، وأرسل الى هرمز يعلمه ماناله لذلك ، وعقد له على الملك وملكه ، ولما ملك عدل في رعيتيه ، وكان صادقا وملك سبيل آباءه و كور كورة رامهرمز ، وكان ملكه سنة وعشرة أيام *

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور ﴾

وكان حليما متانيا حسن السيرة ، وقتل ماني الزنديق وسلخه وحشاجلده تباوعلق على باب من أبواب جنديسابور يسمى باب ماني ، وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وكان عامل سابور بن أردشير وابنه هرمز ، وبهرام بن هرمز بعد ملك عمرو بن عدى على ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن لعمر بن عدى ، يقال له امرؤ القيس الكندي وهو أول من تنصر من آل نصر ابن ربيعة وعمال الفرس ، وعاش مملكا في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة منها في زمن سابور بن أردشير ثلاثا وعشرين سنة وشهرا ، وفي زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام ، وفي زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي زمن بهرام : بهرام ابن هرمز ثمانى عشرة سنة *

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ﴾

وكان ملكه حسنا وكان عالما بالأمور ، فلما عقد له التاج وعدم بحسن السيرة ، واختلف في سني ملكه فقيل ثمانى عشرة سنة ، وقيل سبع عشرة سنة والله أعلم *

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هر مز بن سابور ﴾
 فلما عقد التاج على رأسه دعا العظماء فأحسن الرد، وكان قبل أن يفضى إليه الأمر
 مملكا على سجستان وكان ملكه أربع سنين *

﴿ ذكر ملك نرسی بن بهرام ﴾

وهو اخو بهرام الثالث، فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه الأشراف والعظماء
 فدعوا له فوعدهم خيرا، وسار فيهم بأعدل السيرة، وقال: لن نضيع شكر ما أنعم الله
 به علينا، وكان ملكه تسع سنين *

﴿ ذكر ملك هر مز بن نرسی بن بهرام بن هر مز ﴾

وكان الناس قد وجلوا منه لفظاظته، فأعلمهم أنه قد علم بما كانوا يخافون من شدة
 ولايته، وأن الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظه رقة ورأفة، وساسهم أرفق سياسة؛
 وكان حريصا على اتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل؛ ثم هلك ولا ولد له فشق
 ذلك على الناس، فسألوا عن نسائه فذكر لهم أن بعضهن حبلى، وقيل: إن هر مز كان
 أوصى بالملك لذلك الحمل، وولدت المرأة سابور ذا الأكتاف، وكان ملك هر مز ست
 سنين وخمسة أشهر، وقيل: سبع سنين وخمسة أشهر، وأسماء الملوك من سابور بن أردشير
 الى ههنا لم يحذف، منها شئ *

﴿ ذكر ملك ابنه سابور ذي الأكتاف ﴾

وهو سابور بن هر مز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هر مز بن سابور بن أردشير بن
 بابك، قيل ملك بوصية أبيه له، فاستبشر الناس بولادته وبثوا خبره في الآفاق، وتقلد
 الوزراء والكتاب ما كانوا يعملونه في ملك أبيه، وسمع الملوك أن ملك الفرس صغير
 في المهدي، فطمعت في مملكتهم الترك والعرب والروم، وكانت العرب أقرب الى بلاد
 فارس، فسار جمع عظيم منهم في البحر من عبد القيس والبحرين الى بلاد فارس وسواحل
 أردشير خرة، وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعاشهم، وأكثروا الفساد، وغلبت إباد
 على سواد العراق، وأكثروا الفساد فيهم، فكثروا حينئذ لا يغزوهم أحد من الفرس
 لصغر ملكهم؛ فلما ترعرع سابور، وكبر كان أول ما عرف من حسن فهمه أنه سمع في
 البحر ضوضاء وأصواتا، فسأل عن ذلك، فقيل: ان الناس يزدحمون في الجسر الذي على

دجلة مقبلين ومدبرين ، فامر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين فاستبشر الناس بذلك ، فلما بلغ ست عشرة سنة ، وقوى على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه فذكر لهم ما اختل من أمرهم وأنه يريد الذب عنهم ويشخص الى بعض الأعداء فدعاه الناس ، وسألوه أن يقيم بموضعه ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما يريد ، فابي واختار من عسكره ألف رجل فسألوه الازيداد فلم يفعل وسار بهم ونهاهم عن الإبقاء على أحد من العرب ، وقصد بلاد فارس فأوقع بالعرب وهم غارون فقتل وأسروا أكثر ، ثم قطع البحر الى الخط فقتل من بالبحرين لم يلتفت الى غنيمة ، وسار الى هجر وبهائاس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الأرض ، وأباد عبد القيس وقصد اليمامة ، وأكثر في أهلها القتل وغور مياه العرب ، وقصد بكراتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبي وغور مياههم ، وسار الى قرب المدينة ففعل كذلك ، وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتل الى أن هلك ، فسماه سابور ذا الأكتاف لهذا . وانتقلت إياد حينئذ الى الجزيرة وصارت تغير على السواد ، فجهز سابور اليهم الجيوش وكان لقيط الايادى معهم فكتب الى إياد *

سلام فى الصحيفة من لقيط * الى من بالجزيرة من إياد

بأن الليث كسرى قد أتاكم * فلا يشغلكم سوق النقاد

أنا كم منهم سبعون ألفا * يزجون الكتائب كالجراد

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم أيضا *

أبلغ إيادا واخلل فى سراتهم * انى أرى الرأى ان لم أعص قد نصعا

وهى قصيدة مشهورة من أجود ما قيل فى صفة الحرب^(١) فلم يحذروا وأوقع بهم

(١) منها فى التحريض على المقارعة والثبات فى الحرب قوله .

قوموا قياما على أمشاط أرجاكم ثم افزعوا كى ينال الأمن من فزعا

هيات ما زالت الأموال مذاهد لاهلها ان اصبوا مرة تبعا

ومنها فى انتخاب القائد وتدير الحرب قوله

وقلدوا أمركم لله دركم رجب الذراع بأمر الحرب مضطلما

لامترقا إن رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به جزعا

ما زال يحاب هذا الدهر اشطره يكون متبعا طورا ومتبعا

حتى استمرت على شذر صيرته مستحكم السن لاقحما ولا ضرا * الادارة

سابور وأبادهم قتلا إلا من لحق بأرض الروم فهذا فعله بالعرب *
وأما الروم فان سابور كان هادن ملكهم وهو قسطنطين، وهو أول من تنصر من
ملوك الروم، ونحن نذكر سبب تنصره عند الفراغ من ذكر سابور ان شاء الله . ومات
قسطنطين، وفرق ملكه بين ثلاثة بنين كانوا له فملكوا . وملك الروم عليهم رجلا من
أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس ، وكان على ملة الروم الأولى ، ويكنم ذلك
فلما ملك أظهر دينه ، وأعاد ملة الروم ، وأخرب البيع ، وقتل الأساقفة . ثم جمع جموعا
من الروم والخزر ، وسار نحو سابور ، واجتمعت العرب للانتقام من سابور . فاجتمع
في عسكر اليانوس منهم خلق كثير ، وعادت عيون سابور اليه ، فاختلفوا في الأخبار ،
فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحو الروم . فلما قرب من يوسانوس وهو على
مقدمة اليانوس اختفى : وأرسل بعض من معه إلى الروم ، فأخذوا وأقر بعضهم على
سابور : فأرسل يوسانوس اليه سرا يندره ، فارتحل سابور إلى عسكره وتحارب هو
والعرب والروم . فانهزم عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وماكنت الروم مدينة طيسفون
وهي المدائن الشرقية ، وملكوا أيضا أموال سابور وخزائنه : وكتب سابور إلى جنوده
وقواده يعلمهم ما لقي من الروم والعرب ويستحثهم على المسير اليه فاجتمعوا اليه وعاد
واستنقذ مدينة طيسفون ونزل اليانوس مدينة بهر سير ، واختلف الرسل بينهما فينا
اليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف راميته ، فقتله ، فسقط في أيدي الروم ويثسوا من
الخلاص من بلاد الفرس ، فطلبوا من يوسانوس أن يملك عليهم فلم يفعل وأبى إلا أن
يعودوا إلى النصرانية : فاخبروه أنهم على ملته : وانما كتموا ذلك خوفا من اليانوس
فملك عليهم ، وأرسل سابور إلى الروم يتهددهم ويطلب الذي ملك عليهم ليجتمع به ، فسار
اليه يوسانوس في ثمانين رجلا ، فلقاه سابور وتساجدا وطعما ، وقوى سابور أمر
يوسانوس بجهده ، وقال للروم : انكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها فاما أن تعطونا قيمة
ما أهلكتم واما ان تعوضونا نصيبين ، وكانت قديما للفرس فغلبت الروم عليها فدفعوها
اليهم وتحول أهلها عنها ، فحول اليها سابور اثني عشر ألف بيت من أهل اصطخر وأصبهان
وغيرها ، وعادت الروم إلى بلادها . وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير *

وقيل : ان سابور سار إلى حد الروم وأعلم أصحابه انه على قصد الروم مختفيا لمعرفة
أحوالهم وأخبار مدنها ، وسار اليهم فجال فيهم حيناً ، وبلغه أن قيصر أولم وجمع الناس

فحضر بزي سائل لينظر الى قيصر على الطعام . ففطن به وأخذ ، وأدرج في جلد ثور ، وسار قيصر بجنوده الى أرض فارس ومعه سابور على تلك الحال ، فقتل وأخرب حتى بلغ جنديسابور ، فتحصن أهلها وحاصرها ، فبينما هو يحاصرها اذ غفل الموكلون بحراسة سابور ، وكان بقربه قوم من سبي الأهواز ، فأمرهم أن يلقوا على القدر الذي عليه زيتا كان بقربهم ، ففعلوا ولان الجلد وانسل منه ، وسار إلى المدينة وأخبر حراسها فأدخلوه . فارتفعت أصوات أهلها . فاستيقظ الروم . وجمع سابور من بها وعبأهم وخرج إلى الروم سحر تلك الليلة فقتلهم ، واسرق قيصر وغنم أموالهن نساءه وأثقله بالحديد ، وأمره بعمارة ما أخرب ، وألزمه بنقل التراب من بلد الروم لينبى به ما هدم المنجنيق من جنديسابور ، وان يغرس الزيتون مكان النخل ، ثم قطع عقبه وبعث به الى الروم على حمار ، وقال : هذا جزاؤك ببغيتك علينا فأقام مدة : ثم غزا فقتل وسبي سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس سماها ايران شهر سابور ؛ وبني مدينة نيسابور بخراسان في قول ، وبالعراق بزرج سابور ، وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة ، وهالك في أيامه امرؤ القيس بن عمرو بن عدى عامله على العرب : فاستعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس فبقي في عمله بقية ملك سابور ، وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز وبعض أيام سابور بن سابور ، وكانت ولايته ثلاثين سنة *

وأما سبب تنصر قسطنطين فانه كان قد كبر سنه وساء خلقه وظهر به وضوح كبير فارادت الروم خلعه وترك ماله عليه فشاور نصحاءه ، فقالوا له لا طاقة لك بهم فقد أجمعوا على خلحك وانما تحتال عليهم بالدين ، وكانت النصرانية قد ظهرت وهي خفية ، وقالوا له : استمهلهم حتى تزور البيت المقدس فاذا زرته دخلت في دين النصرانية ، وحملت الناس عليه فانهم يعترفون فتقاتل من عصاك بمن أطاعك ، وما قاتل قوم على دين الانصروا ففعل ذلك فأطاعه عالم عظيم وخالفه خلق كثير ، وأقاموا على دين اليونانية فقاتلهم وظهر بهم فقتلهم ، فأحرق كتبهم وحكمتهم ، وبني القسطنطينية ونقل الناس اليها ، وكانت مائة دار ملكهم ، وبقي ملكه عليه ، وغلب على الشام وكان الاكاسرة قبل سابور ذي الاكتاف ينزلون طيسفون وهي المدينة الغربية من المدائن فلما نشأ سابور بنى الايوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه وصار هو دار الملك وهو باق إلى الآن ونحن في سنة خمس وعشرين وستمائة^(١) *

(١) ولا تزال منه بقية بالقرب من بغداد شرقيه بمحل يسمى (سلمان باك) — اي الطاهر — ويقولون ان

سلمان الفارسي دفن هناك وله مزار معروف ونحن الآن في سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وألف . الادارة *

﴿ ذكر ملك أردشير بن هرم بن نرسی بن بهرام بن سابور بن أردشير بن بابك أخى سابور ﴾
فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوى الرياسة، فقتل منهم خلقا كثيرا
نقله الناس بعد أربع سنين من ملكه *

﴿ ذكر ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف ﴾

فلما ملك بعد خلع عمه استبشر الناس بعود ملك أبيه إليه، وكتب إلى العمال بالعدل
والرفق بالرعية وأمر بذلك وزراءه وحاشيته، وأطاعه عمه المخلوع وأحبه رعيته، ثم إن
العظماء وأهل الشرف قطعوا أطناب خيمة كان فيها فسقطت عليه فقتله. وكان
ملكه خمس سنين *

﴿ ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذى الأكتاف ﴾

وكان يلقب كرمان شاه لأن أباه ملكه كرمان في حياته، فكتب إلى القواد كتابا
يحثهم على الطاعة، وكان محمودا في أموره، وبني بكرمان مدينة، وثار به ناس من الفتاك
فقتله أحدهم بنشابة، وكان ملكه، إحدى عشرة سنة *

﴿ ذكر ملك يزدجرد الأثيم بن بهرام بن سابور ذى الأكتاف ﴾

ومن أهل العلم من يقول: إن يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه بن سابور
لابنه، وكان فظا غليظا ذاع يوب كثيرة، يضع الشيء في غير مواضعه؛ كثير الرزينة
في الصغائر، واستعمل كل ما عنده في المواربة والدهاء والمخاتلة مع فطنة بجبات الشر
وعجب به، وكان علقا سيء الخلق لا يغفر الصغيرة من الزلات، ولا يقبل شفاعة أحد
من الناس، وإن كان قريبا منه، كثير التهمة ولا يأتمن أحدا على شيء ولم يكن يكافئ
أحدا على حسن البلاء، وإن هو أولى الخسيس من العرف استعظمه، وإذا بلغه أن
أحدا من أصحابه صابى أحدا من أهل صناعته نحاه عن خدمته، وكان فيه مع ذلك ذكاء
ذهن وحسن أدب، وقد مهر في صنوف من العلم، واستوزر نرسی حكيم زمانه، وكان
فاضلا قد كمل أدبه ولقبه هزار بيده فامل الناس أن يصلح نرسی منه، فكان ما أملاه بعيدا،
فلما استوى له الملك واشتدت شوكة هابته الأشراف والعظماء، وحمل على الضعفاء فأكثر
من سفك الدماء، فلما ابتليت الرعية به شكوا ما نزل بهم منه إلى الله تعالى وسألوه تعجيل
انقائهم منه فزعموا أنه كان بجزان فرأى ذات يوم في قصره فرسا غائرا لم ير مثله، فاخبر

به ، فامر أن يسرج ويلجم ويدخل عليه ، فلم يقدر أحد على ذلك فاعلم بذلك فخرج اليه بنفسه وألجمه بيده وأسرجه . فلما رفع ذنبه ليثفره^(١) رمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه ، وملاً الفرس فوجه جر يا ولم يعلم له خبر ، وكان ذلك من صنع الله ورأفته بهم ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوماً *

وأما العرب فقيل : إنه لما هلك عمرو بن امرئ القيس البدء^(٢) ابن عمرو بن عدى في عهد سابور استخلف سابور على عمله أوس بن قلام وهو من العماليق ، فملك خمس سنين وقتل في عهد بهرام بن سابور ، فاستخلف بعده في عمله امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس البدء فبقي خمسا وعشرين سنة ، وهلك أيام يزدجرد الأثيم فاستخلف بعده في عمله ابنه النعمان ، وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو صاحب الخورتق وسبب بنائه له ان يزدجرد الأثيم كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل برى صحيح ، فدل على ظاهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورتق مسكناله ، وأمره باخراجه الى بوادي العرب ، وكان الذي بني الخورتق رجلا اسمه سنهار ، فلما فرغ من بنائه تعجبوا منه فقال لو علمت أنكم توفوني أجرى لعملته يدور مع الشمس ، فقال : وانك لتقدر على ما هو أفضل منه ثم أمر به فالتقى من رأس الخورتق فهلك فضربت العرب بجزائه المثل وهو مذكور في أشعارها^(٣) وغزا النعمان هذا الشام مرارا ، وأكثر المصائب في أهلها ، وسي وغم ، وجعل معه ملك فارس كتيبتيين يقال لاحدهما دوس^(٤) وهي لتوخ ، وللأخرى الشهباء وهي لفارس ، فكان يغزو بهما الشام ومن لم يطعه من العرب *

ثم أنه جلس يوما في مجلسه من الخورتق ، فاشرف منه على النجف وما يليه من البساتين

(١) أي ليضع السير الذي في مؤخر السرج تحت ذنب الفرس اه (٢) في النسخ المطبوعة الكندي وهو خطأ

وصوابه البدء : اه : الادارة (٣) كقول أبي الطمجان القيني

جزاء سنهار جزاها وربها وباللات والعزى جزاء الكافر

وقول سايط بن سعد

جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنهار

وقول يزيد بن اياس النهشلي

جزى الله كما لا بأسوء فعله جزاء سنهار جزاء موفرا . الادارة

(٤) لعله دوسير معرفة من دوشير ومعناها اسدين كما في الاوقيانوس ترجمة القاموس التركية لأحمد عاصم العيني

(٢٠٣ - ج ١ الكامل)

والانهار في يوم من أيام الربيع ، فاعجبه ذلك ، فقال لوزيره : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ قال : لالو كان يدوم ، قال : فما الذي يدوم ، قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فبم ينال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله ، فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح ، وخرج هاربا لا يعلم به ، فاصبح الناس ، فلم يروه ، وكان ملكه الى أن تركه وساح تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر ، من ذلك في أيام يزيد جرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزيد جرد أربع عشرة سنة^(١) وأما علماء الفرس فانهم يقولون غير هذا وسيرد ذكره *

﴿ ذكر ملك بهرام بن يزيد جرد الاثيم ﴾

لما ولد يزيد جرد بهرام جور اختار لحضاته العرب ، فدعا بالمنذر بن النعمان ، واستحضنه بهرام وشرفه وكرمه وملكه على العرب . فسار به المنذر . واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة من بنات الاشراف منهن عربيتان وعجمية . فأرضعنه ثلاث سنين . فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤذنين . فعلموه الكتابة والرمي والفقهاء بطلب من بهرام بذلك . وأحضر حكما من حكماء الفرس ، فتعلم ووعى كل ما علمه بأدنى تعليم . فلما بلغ اثنتي عشرة سنة تعلم كل ما أفيد وفاق معلميه . فامرهم المنذر بالانصراف ، وأحضر معلمى الفروسية فأخذ عنهم كل ما ينبغي له ثم صرفهم ثم أمر فأحضرت خيل العرب للسباق ، فسبقها فرس أشقر للمنذر ، وأقبل باقى الخيل بداد ، فقرب المنذر الفرس بيده اليه ، فقبله ور كبه يوما للصيد ، فبصر بعانة حمر وحش فرمى عليها وقصدها ، واذا هو بأسد قد أخذ عير امنها ، فتناول ظهره بفيه ، فرماه بهرام بسهم ، فنفذ فى الاسد والعير ، ووصل الى الارض فساخ السهم الى ثلثه ، فرآه من معه فعجبوا منه ، ثم أقبل على الصيد والبهو والتلذذ فمات أبوه وهو عند المنذر ، فتعاهد العظماء وأهل الشرف على أن لا يملكوا أحدا من ذرية يزيد جرد لسوء سيرته ، فاجتمعت الكلمة على صرف الملك عن بهرام لنشوته فى العرب وتخلقه باخلاقهم ، ولأنه من ولد يزيد جرد ، وملكوا

(١) والى ذلك يشير عدى بن زيد العبادى .

وتفكر رب الخورنق اذا
سره حاله وكثرة ما
فارعوى قلبه فقال وما
ثم بمد الفلاح والملك والام
ثم اضحوا كأنهم ورق ج
رف يوما وللهدى تبصير
ملك والبحر معرض والسدير
طة حتى الى المات بصير
ة وارثهم هناك القبور
ف فآلوت به الصبا والذبور

رجلا من عقب أردشير بن بابك يقال له كسرى، فاتهى هلاك يزدجرد وتمليك كسرى الى بهرام، فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناس من أشراف العرب، وعرفهم إحسان والله اليهم، وشدته على الفرس، وأخبرهم الخبر، فقال المنذر: لا يهولنك ذلك حتى أطف الخيلة فيه. وجهز عشرة آلاف فارس؛ ووجههم مع ابنه النعمان الى طيسفون، وبهر سير مدينتي الملك، وأمره أن يعسكر قريباً منهما ويرسل ثلاثه اليهما، وأن يقاتل من قاتله ويغير على البلاد، ففعل ذلك، وأرسل عظماء فارس حوابي صاحب رسائل يزدجرد الى المنذر يعلمه أمر النعمان، فلما ورد حوابي؛ قال له الق الملك بهرام، فدخل عليه، فراه ما رأى منه، فأغفل عن السجود دهشا، فعرف بهرام ذلك، فكلمه ووعدته أحسن الوعد ورده الى المنذر، وقال له: أجبه؛ فقال له: ان الملك بهرام أرسل النعمان الى ناحيتكم حيث ملكه الله بعد أبيه، فلما سمع حوابي مقالة المنذر وتذكر ما رأى من بهرام علم ان جميع من تشاور في صرف الملك عن بهرام محجوج، فقال للمنذر: سر الى مدينة الملوك وتجمع إليك الأشراف والعظماء وتشاوروا في ذلك فلن تخالفوا ما تشير به، وسار المنذر بعد عود حوابي من عنده يوم في ثلاثين ألفاً من فرسان العرب الى مدينتي الملك بهرام فجمع الناس، وصعد بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر، وتكلم عظماء الفرس، فذكروا فظاظة يزدجرد أبي بهرام وسوء سيرته وكثرة قتله وخراب البلاد، وانهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده، فقال بهرام: لست أكذبكم، وما زلت زارياً عليه ذلك، ولم أزل أسأل الله أن يملكني لأصلح ما أفسد، ومع هذا فإذا أتى على ملكي سنة، ولم أف بما أعتبرت من الملك طائعا وأنا راض بأن تجعلوا التاج وزينة الملك بين أسدين ضارين، فمن تناولها كان الملك له، فأجابوه الى ذلك، ووضعوا التاج والزينة بين أسدين وحضر موبد موبدان فقال بهرام: لكسرى دونك التاج والزينة، فقال كسرى أنت أولى لأنك تطلب الملك بوراة وأنا فيه مغتصب، فحمل بهرام جرزا وتوجه نحو التاج فبدر اليه أحد الأسدين، فوثب بهرام فعلا ظهره، وعصر جنبي الأسد بفخذه، وجعل يضرب رأسه بالجرز^(۱) الذي معه، ثم وثب الاسد الآخر عليه، فقبض أذنيه بيده، ولم يزل يضرب رأسه برأس الاسد الآخر الذي تحته حتى دمغهما، ثم قتلها بالجرز الذي معه^(۲) وتناول بعد ذلك التاج والزينة، فكان اول من أطاعه كسرى، وقال جميع من حضر: قد أذعننا لك ورضينا بك ملكا، وان

(۱) هو عمود من حديد (۲) وهذه تضاف الى خرافات الفرس وغلوم في الاكاذيب والمبالغة. الادارة *

العظماء والوزراء والأشراف سألوا المنذر ليحكم بهرام في العفو عنهم، فسأل المنذر الملك بهرام ذلك فاجابه، وملك بهرام وهو ابن عشرين سنة، وأمر أن يلزم رعيته راحة ودعة، وجلس للناس يعددهم بالخير، ويأمرهم بتقوى الله، ولم يزل مدة ملكه يؤثر اللهو على ماسواه حتى طمع فيه من حوله من الملوك في بلاده، وكان أول من سبق إلى قصده خاقان ملك الترك، فانه غزاه في مائتي ألف وخمسين ألفاً من الترك، فعظم ذلك على الفرس، ودخل العظماء على بهرام وحذروه قهادى في لهوه، ثم تجهز وسار إلى أذر بيجان ليتنسك في بيت نارها ويتصيد بأمنيته في سبعة رهط من العظماء وثلاثمائة من ذوى الباس والنجدة واستخلف أخاه نرسی، فماشك الناس في انه هرب من عدوه، فاتفق رأى جمهورهم على الانقياد إلى خاقان وبذل الخراج له خوفاً على نفوسهم وبلادهم، فبلغ ذلك خاقان فأمن ناحيتهم، وسار بهرام من أذر بيجان إلى خاقان في تلك العدة، فثبت للقتال، وقتل خاقان بيده، وقتل جنده، وانهم من سلم من القتل، وأمعن بهرام في طلبهم يقتل ويأسرو ويغنم ويسبي، وعاد وجنده سالمون، وظفر بتاج خاقان وإكليبه، وغلب على طرف من بلاده واستعمل عليها مرزباناً، وأتاه رسل الترك خاضعين مطيعين، وجعلوا بينهم حداً لا يعدونه وأرسل إلى ما وراء النهر قائداً من قواده، فقتل وسبي وغنم * وعاد بهرام إلى العراق، وولى أخاه نرسی خراسان. وأمره أن ينزل مدينة بلخ * واتصل به أن بعض رؤساء الديلم جمع جمعاً كثيراً وأغار على الري وأعمالها فغنم وسبي وخرب البلاد، وقد عجز أصحابه في الثغر عن دفعه، وقد قرروا عليهم أتاوة يدفعونها إليه، فعظم ذلك عليه وسير مرزباناً إلى الري في عسكر كثيف، وأمره أن يضع على الديلى من يطعمه في البلاد، ويغريه بقصدها، ففعل ذلك فجمع الديلى جموعه وسار إلى الري، فأرسل المرزبان إلى بهرام جور يعلمه خبره فكتب إليه يأمره بالمسير نحو الديلى والمقام بموضع سماه له، ثم سار جريدة في نفر من خواصه، فأدرك عسكره بذلك المكان والديلى لا يعلم بوصوله وهو قد قوى طمعه لذلك، فعبى بهرام أصحابه وسار نحو الديلم، فلقبهم وباشق القتال بنفسه، فأخذ رئيسهم أسيراً. وانهم عسكره. فأمر بهرام بالنداء فيهم بالامان لمن عاد إليه، فعاد الديلم جميعهم، فأمنهم ولم يقتل منهم أحداً، وأحسن اليهم، وعادوا إلى أحسن طاعة، وأبقى على رئيسهم، وصار من خواصه * وقيل: كانت هذه الحادثة قبل حرب الترك والله أعلم *

ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سماها فيروز بهرام، فبنيت له هي ورستاقها، واستوزر نرسی فاعله انه ماض الى الهند متخفيا، فسار الى الهند وهو لا يعرفه أحد غير ان الهند يرون شجاعته وقتله السباع، ثم إن فيلا ظهر وقطع السبيل وقتل خلقا كثيرا فاستدل عليه، فسمع الملك خبره، فأرسل معه من يأتيه بخبره، فاتته بهرام والهندي معه الى الأجمة فصعد الهندي شجرة ومضى بهرام فاستخرج الفيل وخرج جوله صوت شديد. فلما قرب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب، ووقده بالنشاب وأخذ مشفره. ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه، فاحتز رأسه وأخرجه. وأعلم الهندي ملكهم بما رأى فآكرمه وأحسن اليه وسأله عن حاله. فذكر ان ملك فارس سخط عليه، فهرب الى جواره، وكان لهذا الملك عدو فقصدته. فاستسلم الملك وأراد أن يطبع ويبدل الخراج، فنهاه بهرام وأشار بمحاربتة. فلما التقوا قال لآساورة الهندي: احفظولي ظهري، ثم حمل عليهم. فجعل يضرب في أعراضهم ويرميهم بالنشاب حتى انهزموا. وغنم أصحاب بهرام ما كان في عسكر عدوه فاعطى بهرام الديلم ومكران، وأنكحه ابنته فامر بتلك البلاد فضمت الى مملكة الفرس وعاد بهرام مسرورا * وأغزى نرسی بلاد الروم في أربعين ألفا، وأمره أن يطلب ملك الروم بالآتاوة فسار الى القسطنطينية فهادنه ملك الروم فانصرف بكل ما أراد الى بهرام وقيل: انه لما فرغ من خاقان والروم سار بنفسه الى بلاد اليمن، ودخل بلاد السودان، فقتل مقاتلهم، وسبى منهم خلقا كثيرا وعاد الى مملكته. ثم إنه في آخر ملكه خرج الى الصيد فشد على عنز فامعن في طلبه فارتطم في جب، فغرق، فبلغ والدته ذلك فسارت الى ذلك الموضع، وأمرت باخراجه فنقلوا من الجب طينا كثيرا حتى صار آكاما عظاما ولم يقدروا عليه، وكان ملكه ثمانين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما، وقيل: ثلاثا وعشرين سنة هكذا ذكر أبو جعفر في اسم بهرام جور ان أباه أسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم، وذكر عند يزدجرد الاثيم انه سلم ابنه بهرام الى النعمان بن امرى، القيس ولا شك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذلك الا أنه لم ينسب كل قول الى قائله *

﴿ ذكر ملك ابنه یزدجرد بن بہرام جور ﴾

لما لبس التاج جلس للناس ووعدهم وذكر أباه ومناقبه، وأعلمهم أنهم ان فقدوا منه طول جلوسه لهم فان خلوته في مصالحهم وكيد أعدائهم، وانه قد استوزر نرسی صاحب أبيه وعدل في رعيته وقمع أعداءه وأحسن الى جنده. وكان له ابنان يقال لاحدهما

هرمز وللاخر فيروز وكان لهرمز سجستان فغلب على الملك بعد هلاك ابيه يزدجرد ،
فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة ، واستنجد ملكهم ؛ فأمده بعد أن دفع اليه الطالقان ،
فاقبل بهم فقتل أخاه بالرى و كانا من أم واحدة . وقيل : لم يقتله وإنما أسره وأخذ الملك
منه ، وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد فوجه اليهم نرسى في العدة التي أنفذه أبوه
فيها فبلغ ارات . وكان ملك يزدجرد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر ، وقيل تسع
عشرة سنة *

﴿ ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام بعد أن قتل أخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته ﴾
ولما ظفر فيروز بأخيه وملك أظهر العدل وأحسن السيرة وكان يتدين إلا أنه كان
ممدوداً مشؤوماً على رعيته ، وقحطت البلاد في زمانه سبع سنين متوالية : وغارت
الأنهار والقني . وقل ماء دجلة ، ومحلت الأشجار . وهاجت عامة الزروع في السهل
والجبل من بلاده . وماتت الطيور والوحوش وعلم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد ،
فكتب إلى جميع رعيته انه لاخراج عليهم ولاجزية ولامؤنة . وتقدم اليهم بأن كل من
عنده طعام مذخور يواسى به الناس ، وأن يكون حال الغني والفقير واحداً ، وأخبرهم أنه
ان بلغه أن إنساناً مات جوعاً بمدينة أو قرية عاقبهم ونكل بهم ، وساس الناس سياسة
لم يعطب أحد جوعاً ما خلا رجلاً واحداً من رستاق أردشير خرة ، وابتهل فيروز إلى الله
بالدعاء فأزال ذلك القحط ، وعادت بلاده إلى ما كانت عليه ، فلما حي الناس والبلاد
وأنخن في أعدائه سار مریدا حرب الهياطلة ، فلما سمع أخشنوار ملكهم خافه ، فقال
له بعض أصحابه : إقطع يدي ورجلي وألقني على الطريق وأحسن إلى عيالي لأحتال على
فيروز : ففعل ذلك ^(١) واجتاز به فيروز ، فسأله عن حاله ، فقال له : إني قلت لأخشنوار
لا طاقة لك بفيروز ففعل بي هذا . وإني أدلك على طريق لم يسلكها ملك وهي أقرب ،
فاغتر فيروز بذلك ، وتبعه فسار به وبعجده حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة حتى اذا علم
أنهم لا يقدرون على الخلاص أعلمهم حاله ، فقال أصحاب فيروز لفيروز : حذرناك
فلم تحذر فليس إلا التقدم على كل حال فتقدموا أمامهم فوصلوا إلى عدوهم وهم هلكتي
عطشى وقتل العطش منهم كثيراً فلما أشرفوا على تلك الحال صالحوا أخشنوار على أن يخلى

(١) هذا هو حب الامة والوطنية الحقيقية ولقد افتدى بقصير في عمله . فلعل المسلمين عامة والعرب منهم خاصة
يسلكون هذا المنهج النافع . الادارة *

سيلهم الى بلادهم على أن يحلف له فيروز أنه لا يغزو بلاده فاصطلحا ، و كتب فيروز كتاباً بالصلح و عاد ، فلما استقر في مملكته حملته الأنفة على معاودة أخشنوار فهناه و زراؤه عن نقض العهد ، فلم يقبل و سار نحوه ، فلما تقار بأمر أخشنوار فحضر خلف عسكره خندقاً عرضه عشرة أذرع و عمقه عشرون ذراعاً و غطاه بخشب ضعيف و تراب ، ثم عاد و رآه ، فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة فتبعه و لا يعلم عسكر فيروز بالخندق فسقط هو و أصحابه فيه : فهلكوا و عاد أخشنوار الى عسكر فيروز ، و أخذ كل ما فيه ، و أسر نساءه و موبدان موبذ ، ثم استخرج جثة فيروز و من سقط معه ، فجعلها في النواويس *

وقيل : ان فيروز لما انتهى الى الخندق الذي حفره أخشنوار و لم يكن مغطى عقد عليه قناطر ، و جعل عليها أعلاماً له و لأصحابه يقصدونها في عودهم ، و جاز الى القوم فلما التقى العسكران احتج عليه أخشنوار بالعهود التي بينهما و حذره عاقبة الغدر فلم يرجع فهناه أصحابه فلم ينته فضعت نياتهم في القتال ، فلما أبي إلا القتال رفع أخشنوار نسخة العهد على رمح ، و قال : اللهم خذ بما في هذا الكتاب و قلده بغيه فقاتله ، فانهم فيروز و عسكره فضلوا عن مواضع القناطر ، فسقطوا في الخندق ، فهلك فيروز و أكثر عسكره ، و غنم أخشنوار أموالهم و دوابهم و جميع مامعهم ، و غلب أخشنوار على عامة خراسان ، فسار اليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا ، و كان فيهم عظيماً و خرج كالمحتسب ، و قيل : بل كان فيروز استخلفه على ملكه لما سار ، و كان له سجستان ، فلقى صاحب الهياطة فاخرجه من خراسان ، و استعاد منه كل ما أخذ من عسكر فيروز مما هو في عسكره موجوداً من السبي و غيره ، و عاد الى بلاده ، فعظمته الفرس الى غاية لم يكن فوقه إلا الملك ، و كانت مملكة الهياطة طخارستان ، فكان فيروز قد أعطى ملكهم لما ساعده على حرب أخيه الطالقان ؛ و كان ملك فيروز ستاً و عشرين سنة و قيل إحدى و عشرين سنة *

﴿ ذكر الأحداث في العرب أيام يزدجرد و فيروز ﴾

كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير و غيرهم ، و كان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو بن حجر الكندي سيد كندة ، فلما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع اصطنع عمرو بن حجر و زوجته ابنة أخيه حسان ، و لم يطمع في التزوج الى ذلك البيت أحد من العرب ، فولدت الحرث بن عمرو و ملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب ، و إنما ملكوه لأن أولاد عمرو كانوا صغاراً ، و كان الجن قبل ذلك قد استهامت تبع بن حسان

وكان عبد كلال على دين النصرانية الأولى ويكتم ذلك ، ورجع تبع بن حسان من استهامته وهو أعلم الناس بما كان قبله . فملك اليمين ، وهابته حمير . فبعث ابن أخته الحرث ابن عمرو بن حجر في جيش الى الحيرة ، فسار الى النعمان بن امرئ القيس وهو ابن الشقيقة ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته ، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط . فذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون قاله بعضهم *

وقال ابن الكلبي : ملك بعد النعمان المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان أربعمائة سنة من ذلك في زمن بهرام جور ثمانى سنين ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثمانى عشرة سنة ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده الأسود بن المنذر عشرين سنة منها في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين ، وفي : من قباذ بن فيروز ست سنين وهكذا ذكر أبو جعفر ههنا ان الحرث بن عمرو قتل النعمان بن امرئ القيس وأخذ بلاده وانقرض ملك أهل بيته ، وذكروا فيما تقدم : ان المنذر بن النعمان أو النعمان على الاختلاف المذكور هو الذى جمع العساكر وملك بهرام جور على الفرس ، ثم ساق فيما بعد ملوك الحيرة من أولاد النعمان هذا الى آخرهم ولم يقطع ملكهم بالحرث بن عمرو *

وسبب هذا ان أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة فقال كل واحد ما نقل اليه من غير تحقيق . وقيل غير ذلك وسند كرهه في مقتل حجر بن عمرو والدا امرئ القيس في أيام العرب ان شاء الله والصحيح ان ملوك كندة عمرو والحرث كانوا ينجد على العرب وأما اللخميون ملوك الحيرة المناذرة فلم يزلوا عليها الى أن ملك قباذ الفرس وأزالهم واستعمل الحرث بن عمرو الكندي على الحيرة ، ثم أعاد أنوشروان الحيرة الى اللخمين على ما نذكره ان شاء الله تعالى *

﴿ ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد ﴾

ثم ملك بعد فيروز ابنه بلاش ، وجرى بينه وبين أخيه قباذ منازعة استظهر فيها قباذ وملك ، فلما ملك بلاش أكرم سوخرا وأحسن اليه لما كان منه ، ولم يزل حسن السيرة حريصا على العمارة ، وكان لا يبلغه أن يتاخر بوجلا أهله إلا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سد فاقتهم حتى لا يضطروا الى مفارقة أوطانهم ، وبني مدينة ساباط بقرب المدائن ، وكان ملكه أربع سنين *

﴿ ذکر ملک قباذ بن فیروز بن یزدجرد ﴾

وكان قباذ قبل أن يصير الملكُ اليه قد سار الى خاقان مستنصرا به على اخيه بلاش ،
 فرقى طريقه بحدود نيسابور ومع جماعه من أصحابه متكرين ؛ وفيهم زرمهر بن سوخر
 فتاقت نفسه الى النكاح . فشكا ذلك الى زرمهر ، وطلب منه امرأة ، فسار الى امرأة صاحب
 المنزل . و كان من الأسورة ، وكان له بنت حسناء . فخطبها منها وأطبعها وزوجها ،
 فزوجا فدخل بها قباذ من ليلته . فحملت بأنوشروان ، وأمر لها بجائزة سنوية وردها ،
 وسألها أمها عن قباذ وحاله ، فذكرت أنها لا تعرف من حاله شيئا غير أن سراويله
 منسوجة بالذهب ، فعلمت انه من أبناء الملوك ، ومضى قباذ الى خاقان واستنصره على أخيه
 فأقام عنده أربع سنين وهو يعده ؛ ثم أرسل معه جيشا فلما صار بالقرب من الناحية التي
 بها زوجته سأل عنها . فأحضرت ومعها أنوشروان ، وأعلمته أنه ابنه وورد الخبر اليه
 بذلك المكان أن أخاه بلاش قد هلك ؛ فتمن بالمولود ؛ وحمله وأمه على مراكب نساء
 الملوك ، واستوثق له الملك وخص سوخرا وشكر لولده خدمته وتولى سوخرا الأمر فقال
 الناس اليه وتهاونوا بقباذ فلم يحتمل ذلك ؛ فكتب الى سابور الداري وهو أصهبديار
 الجبل ؛ ويقال للبيت الذي هو منه مهر ان فاستقدمه ومع جنده ، فتقدم اليه فأعلمه عزمه
 على قتل سوخرا ؛ وأمره بكتمان ذلك ؛ فأتاه يوما سابور وسوخرا عند قباذ فالتقى في عنقه
 وهما^(۱) وأخذه وحبسه ، ثم خنقه قباذ ، وأرسله الى أهله ، وقدم عوضه سابور الداري ، وفي
 أيامه ظهر مزدك وابتدع ؛ ووافق زرادشت في بعض ما جاء به ، وزاد ونقص وزعم أنه يدعو
 الى شريعة ابراهيم الخليل حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى
 بين الناس في الأموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لا يكون لأحد على أحد
 فضل في شيء البتة فكثر أتباعه من السفلة والافتخام^(۲) فصاروا عشرات ألوف فكان
 مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الأموال والعبيد والاماء وغيرها
 من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ فقال يوما لقسيسه اني نويت
 امرأتك أم أنوشروان فأجابه الى ذلك فقام أنوشروان اليه ونزع خفيه بيده وقبل رجله

(۱) الوهق محرکه ويسكن جبل يرمى في انشوطه فتؤخذ به الدابة والانسان جمعه أوهاق اه قاموس

(۲) قال في لسان العرب ورجل أغمى لا يفصح شيئا وامرأة غتماء وقوم غتم وأغتم *

(۳۱۲ - ج ۱ الكامل)

وشفع إليه حتي لا يتعرض لأمه وله حكمه في سائر ملكه فتر كها وحرم ذباجة الحيوان وقال: يكفى في طعام الانسان ما تنبتة الأرض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن، فعظمت البلية به على الناس فصار الرجل لا يعرف ولده والولد لا يعرف أباه، فلما مضى عشرين من ملك قباذ اجتمع موبدان موبذ والعظماء وخلعوه وملكوا عليهم أخاه جامسب وقالوا له: إنك قد أثمت باتباعك مزدك وبما عمل أصحابه بالناس وليس ينجيك إلا إباحة نفسك ونسائك وأرادوه على أن يسلم نفسه اليهم ليدبحوه ويقربوه الى النار، فامتنع من ذلك فحبسوه وتركوه لا يصل إليه أحد، فخرج زرمهر بن سوخرا فقتل من المزدكية خلقا، وأعاد قباذا الى ملكه، وأزال أخاه جامسب ثم ان قباذا قتل بعد ذلك زرمهر* وقيل: لما حبس قباذ وتولى أخوه دخلت أخت لقباذ عليه كأنها تزوره، ثم لفته في بساط وحمله غلام: فلما خرج من السجن سأله السجنان عما معه فقالت: هو مرحل^(١) كنت أحيض فيه، فلم يمس البساط، فمضى الغلام بقباذ، وهرب قباذ فلحق بملك الهياطة يستجيشه فلما صار بايران شهر وهي نيسابور نزل برجل من أهلها له ابنة بكر حسنة جميلة فنكحها وهي أم كسرى أنوشروان، فكان نكاحه إياها في هذه السفرة لاني تلك في قول بعضهم، وعاد ومعه أنوشروان، فغلب أخاه جامسب على الملك، وكان ملك جامسب ست سنين *

وغزا قباذ بعد ذلك الروم. ففتح مدينة آمد، وبنى مدينة أرتجان ومدينة حلوان ومات، فملك ابنه كسرى أنوشروان بعده، فكان ملك قباذ مع سني أخيه جامسب ثلاثا وأربعين سنة، فتولى أنوشروان ما كان أبوه أمر له به، وفي أيامه خرجت الخزر فاغارت على بلاده، فبلغت الدينور^(٢) فوجه قباذ قائدا من عظماء قواده في اثني عشر الفا، فوطىء بلاد اران، وفتح ما بين النهر المعروف بالرس الى شروان، ثم إن قباذا لحق به فبنى باران مدينة السيلقان ومدينة البرذعة وهي مدينة الثغر كله وغيرهما. وبقى الخزر، ثم بنى سد اللان

(١) المرحل ضرب من برود اليمن سمي مرحلا لان عليه تصاوير رحل اهل لسان العرب ولكن هذا لا يوافق ما بعده وما قبله من أنه بساط ولعله رحال، قال في اللسان: الرحال الطنافس الخيرية، ومنه قول الاعشى ومصاب غادية كأن تجارها نشرت عليه برودها ورحالها. الادارة

(٢) دينور قال ابن السمعاني في الأنساب بكسر الدال المهملة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الدال والواو في آخرها راء بلدة من بلاد الجبل قرب قرمين، ونقل الهوريني في تعليقاته على القاموس ما يأتي: قوله والدينور بكسر الدال وفتح النون كذا ضبطه ابن خلكان، وضبطه السمعاني وغيره بفتح الدال وضم النون وفتحهما أيضا اهل الادارة

فيما بين أرض شروان وباب اللان، وبني على السد مدنا كثيرة خربت بعد بناء باب
الأبواب *

* ذكر حوادث العرب أيام قباذ *

لما ملك الحرث بن عمرو بن حجر الكندي العرب، وقتل النعمان بن المنذر بن
امرئ القيس كما ذكرناه بعث إليه قباذ أنه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد
وأحب لقاءك، وكان قباذ زديقا^(١) يظهر الخير ويكره الدماء ويدارى أعداءه، فخرج
إليه الحرث والتقى واصطلحا على أن لا يجوز الفرات أحد من العرب، فطمع الحرث
الكندي، فأمر أصحابه أن يقطعوا الفرات ويغيروا على السواد، فسمع قباذ فعلم أنه من
تحت يد الحرث، فاستدعاه فحضر، فقال له: ان لصوصاً من العرب صنعت كذا وكذا،
فقال: ما علمت ولا أستطيع ضبط العرب إلا بالمال والجنود، وطلب منه شيئاً من السواد
فأعطاه ستة طساسيج^(٢) وأرسل الحرث بن عمرو إلى تبع، وهو باليمن يطمعه في بلاد العجم
فبار تبع حتى نزل الحيرة، وأرسل ابن أخيه شمرا إذا الجناح إلى قباذ، فحاربه فهزمه
شمر حتى لحق بالري، ثم أدركه بها فقتله ثم وجه تبع شمراً إلى خراسان ووجه ابنه
حسان إلى السغد، وقال: أيكما سبق إلى الصين فهو عليها: وكان كل واحد منهما في جيش
عظيم يقال كانا في ستمائة ألف وأربعين ألفاً، وأرسل ابن أخيه يعفر إلى الروم؛ فزل
على القسطنطينية فأعطوه الطاعة والاتاة، ومضى إلى رومية فحاصرها، فأصاب من معه
طاعون، فوثب الروم عليهم فقتلوهم، ولم يفلت منهم أحد، وسار شمر ذو الجناح إلى
سمرقند، فحاصرها فلم يظفر بها، وسمع أن ملكها أحرق، وإن له ابنة وهي التي تقضى
الأمور، فأرسل إليها هدية عظيمة؛ وقال لها اتني إنما قدمت لأتزوج بك ومعى أربعة
آلاف تابوت مملوءة ذهباً وفضة أنا أدفعها إليك وأمضى إلى الصين؛ فان ملكك كنت
امرأتى وإن هلكت كان المال لك، فلما بلغت الرسالة قالت: قد أجبتك فليبعث المال
فأرسل أربعة آلاف تابوت في كل تابوت رجلان، ولسمرقند أربعة أبواب، ولكل
باب ألفا رجل، وجعل العلامة بينهم أن يضرب بالجرس، فلما دخلوا البلد صاح شمر

(١) هذه العبارة موجودة أيضاً بالحرف في تاريخ ابن خلكان فليت شعري ما معنى وصفه بالزديقة
وهو يكره الدماء؟ الآن تكون مداراته للأعداء بسبب ضعفه جعلت الفرس تصفه بذلك غيرة على أمته
لما غلبتهم العرب في زمانه. الإدارة (٢) جمع طسوج كسفود الناحية اه قاموس *

في الناس وضرب بالجرس ، فخرجوا ، وملكوا الأبواب ، ودخل المدينة فقتل أهلها ، وحوى ما فيها ، وسار الى الصين ؛ فهزم الترك . ودخل بلادهم ولقى حسان بن تبع قد سبقه اليها بثلاث سنين . فأقاما بها حتى ماتا . وكان مقامهما فيما قيل : احدى وعشرين سنة ، وقيل : عادا في طريقهما حتى قدما على تبع بالغنائم والسبي والجواهر ؛ ثم انصرفوا الى بلادهم ، ومات تبع باليمن فلم يخرج أحد من اليمن غازياً بعده ، وكان ملكه مائة واحدى وعشرين سنة ، وقيل : تهود *

قال ابن اسحق : كان تبع الآخر وهو تبان أسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على المدينة . وكان حين مر بها في بدايته لم يهيج أهلها ، وخلف عندهم ابنا له ، فقتل غيلة ، فقدمها عازماً على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك ورئيسهم عمرو بن الظلة أحد بني عمرو بن مبدول من بني النجار وخرجوا لقتاله . وكانوا يقاتلونه نهارة ويقرونه ليلاً ، فبينما هو على ذلك اذ جاء حبران من بني قريظة عالمان ، فقالا له : قد سمعنا ما تريد أن تفعل ، وانك ان أبيت الا ذلك حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال : ولم ذلك ؟ فقالا : انها مهاجر بني من قريش تكون داره . فانتهى عما كان يريد ، وأعجبه ما سمع منهما فاتبعهما على دينهما ، واسمهما كعب وأسد ، وكان تبع وقومه أصحاب أوثان ، وسار من المدينة إلى مكة ، وهي طريقه فكسا الكعبة الوصائل والملاء ، وكان أول من كساها ، وجعل لها باباً ومفتاحاً ، وخرج متوجهاً إلى اليمن ، فدعا قومه إلى اليهودية ، فأبوا عليه حتى حاكموه الى النار ، وكانت لهم نار تحكم بينهم فيما يزعمون تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فقال لقومه أنصفتم ، فخرج قومه بأوثانهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا عند مخرج النار ، فخرجت النار فغشيتهم وأكلت الأوثان وما قربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران تعرق جباههم لم يضرهما ، فأطبقت حمير على دينه ، وكان قدم على تبع قبل ذلك شافع بن كليب الصدفي وكان كاهناً ، فقال له تبع : هل تجد لقوم ملكا يوازي ملكي ؟ قال : لا الا لملك غسان قال : فهل تجد ملكا يزيد عليه ؟ قال أجده لبار مبرور ، ورائد بالقهور ، ووصف في الزبور ، وفضلت أمته في السفور ، يفرج الظلم بالنور ، أحمد النبي طوبى لأمته حين يحيى ، أحد بني لوى . ثم أحد بني قصي ، فنظر تبع في الزبور فاذا هو يجد صفة النبي ﷺ ، ثم ملك بعد تبع هذا وهو تبان أسعد

أبو كرب بن ملكي كرب ربيعة بن نصر اللخمي^(۱) فلما هلك ربيعة رجع الملك باليمن إلى حسان بن تیان أسعد، فلما ملك ربيعة رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهنا ولا ساجرا ولا عائفا إلا أحضره، وقال لهم: رأيت رؤيا هالتي فأخبروني بتأويلها، فقالوا: اقصصها علينا، فقال: ان أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها، فلما قال ذلك: قال له رجل منهم: ان كان الملك يريد ذلك فليبعث إلى سطيح وشق^(۲) فهما يخبرانك عما سألت، واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن غسان، وكان يقال له الذئبي نسبة إلى ذئب بن عدى * وشق بن مصعب بن يشكر بن أنمار فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق *

فلما قدم عليه سطيح سأله عن رؤياه وتأويلها، فقال: رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض بهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة، قال له الملك: ما أخطأت منها شيئا فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين من جيش، ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين إلى جرش، قال الملك: وأبيك ياسطيح ان هذا لغائظ موجه فتى يكون؟ أفى زماني أم بعده؟ قال: بل بعده بحين ستين سنة أو سبعين يمضين من السنين، قال هل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون بها أجمعون ويخرجون منها هاربين. قال الملك: ومن الذي يلي ذلك؟ قال: يليه إرم ذى وزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن، قال: فيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع قال بل ينقطع يقطعه نبي زكي، يأتيه الوحي من العلي وهو رجل من ولد غالب ابن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر، قال وهل للدهر من آخر؟ قال نعم: يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون، قال: أحق ما تخبرنا ياسطيح، قال نعم، والشفق والغسق والفلق إذا انشق ان ما نبأتك به لحق: ثم قدم عليه شق فقال: ياشق إني رأيت رؤيا هالتي، فأخبرني عنها وعن تأويلها وكتمة ما قال سطيح لينظر هل يتفقان أم يختلفان، قال نعم: رأيت جمجمة

(۱) لأعرف ان نعيم ملك اليمن وسيأتي المؤلف على نقض هذا القول وتكذيبه (۲) ملا أصحاب الأخبار والسير الدنيا كلاما بشأن شق وسطيح وينسبون اليهما تفسير كل حلم وتأويل كل رؤيا قدمت او حدثت فجعلوها قبل هبوط الحبشة إلى اليمن وجعلوها على عهد ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خلط فاضح وما أظنهما الا شخصين فرضيين كأبي الفتح الاسكندري وابي زيد السروجي *

خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة ، فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت شيئاً فماتوا ويلها ، قال أحلف بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان ، وليلكن ما بين أبين إلى نجران ، قال الملك وأبيك يا شق ان هذا لغائظ فمتى هو كائن ؟ قال : بعدك بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان ، ويذيقهم أشد الهوان ، وهو غلام ليس بدني ولا مزن ، يخرج من بيت ذى يزن ، قال فهل يدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال يوم تجزى فيه الولاية ويدعى من السماء بدعوات ، ويسمع منها الأحياء والأموات ، ويجتمع فيه الناس للبيقات *

فلما فرغ من مسألتها جهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، فمن بقية ربيعة ابن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ذلك الملك فلما هلك ربيعة بن نصر واجتمع ملك اليمن إلى حسان بن تبان بن أبي كرب بن ملكي كرب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار كان مما هيج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير أن حسان سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل *

فلما كان بالعراق كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه فكلّموا أخاه عمرأ في قتل حسان وتمليكها ، فأجابهم إلى ذلك إلا ما كان من ذى رعين الحميري فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فعمد ذورعين إلى صحيفة فكتب فيها

الامن يشتري سهرأبنوم * سعيد من يبت قريرعين

وأما حمير غدرت وخانت * فمعدرة الاله لذي رعين

ثم ختمها وأتى بها عمراً فقال ضع هذه عندك ففعل فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمر

يا عمرو لا تعجل على منيتي * فالملك تاخذه بغير حشود

فأبى إلا قتله فقتله بموضع رحبة مالك^(١) فكانت تسمى فرضة نعم فيما قيل *

(١) وهي واقعة على ضفة الفرات اليمنى على درجة ٣٩ ونصف طولاً شرقاً قرقيسية وقد بنيت مدينة تسمى الميادين تقع بين الفرات وبين الرحبة وأصبح يطلق على تلك الكورة عنوان الميادين وهي من أعمال متصرفية دير الزور والرحبة قلعة عظيمة تشبه قلعة حلب إلا أن معظم مدينة الميادين كانت بيوتها مبنية من الأحجار التي قلعوها من الرحبة لانه لا توجد سلطة تحفظ الآثار أو تحتفظ بها . اهـ الادارة

ثم عاد الى اليمن فمنع النوم منه فسأل الأطباء وغيرهم عما به وشكا اليهم السهر فقال له قاتل منهم ماقتل أحد أخاه أو ذارحم بغياً الامنع منه النوم فلما سمع ذلك قتل كل من أشار عليه بقتل أخيه حتى خلص الى ذى رعين فلما أراد قتله قال ان لي عندك براءة قالوماهي؟ قال أخرج الكتاب الذي استودعتك فأخرجه فاذا فيه البيتان فكف عن قتله ولم يلبث عمرو أن هلك ففرقت حمير عند ذلك *

قلت هذا الذي ذكره أبو جعفر من قتل قباز بالرى، وملك تبع البلاد من بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش وفساده أشهر من أن يذكر، فلولا أننا شرطنا أن لاترك ترجمة من تاريخه الاونا تي بمعناها من غير إخلال بشيء لكان الاعراض عنه أولى ووجه الغلط فيه أنه ذكر أن قبازاً قتل بالرى^(١) ولاخلاف بين أهل النقل من الفرس وغيرهم ان قبازمات حتف أنفه في زمان معلوم، وكان ملكه مدة معلومة كما ذكرناه قبل، ولم ينقل أحد أنه قتل الا في هذه الرواية، ولما مات ملك ابنه كسرى أنوشروان بعده وهذا أشهر من قفانك، ولو كان ملك الفرس انتقل بعد قباز الى حمير كيف كان يملك ابنه بعده؟ وتمكن في الملك حتى أطاعه ملوك الأمم، وحملت الروم اليه الخراج، ثم ذكر أيضاً أن تبعاً وجه ابنه حسان الى الصين، وشمراً الى سمرقند وابن أخيه الى الروم، وأنه ملك القسطنطينية، وسار الى رومية فحاصرها، فبليت شعري ماهو اليمن وحضر موت

(١) قال ابن خلدون في تاريخه ووطى أرض العراق في ملك الطوائف وعميل الطوائف يومئذ خرداد ابن سابور فلقى ملكاً من ملوك الطوائف اسمه قباز وليس قباز بن فيروز فانهزم قباز وملك أبو كرب العراق والشام والحجاز، وفي ذلك يقول تبع أبو كرب:

إذ حسينا جيانا من دماء ثم سرنا بها مسيراً بعيداً
واستبحنا بالخييل خيل قباز وابن اقليد جاء نامصفوداً
وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء منضدا وبروداً
وأقنابه من الشهر عشراً وجعلنا لبابه اقليداً
وقال أيضاً

لست بالتبع اليماني ان لم تركض الخيل في سواد العراق
او تؤدى ربيعة الخرج قسراً لم يقمها عوائق العواق : اه

فعلى هذا لا حاجة لهذا التحامل من المؤلف إذ لا مانع أن يفز وتبع العراق ويقتل قبازاً أحد ملوك الطوائف ولا شك أن اليمن هي أعظم في الحقيقة مما ينظر اليه المؤلف وان تحقيق ابن خلدون قد كشف النطاء واما انك أن المقتول ليس الملك الأعظم وان الغزوة كانت في سواد العراق لاني فارس كما تفيد الآيات . اه الادارة

حتى يكون بهما من الجنود وما يكون بعضهم في بلادهم لحفظها، وجيش مع تبع، وجيش مع حسان يسير بهم الى مثل الصين في كثرة عساكره ومقاتلته. وجيش مع ابن أخيه تبع يلقي به مثل كسرى ويهزمه، ويملك بلاده. ويحاصر به مثل سمرقند في كبرها وعظمتها وكثرة أهلها، وجيش مع يعفر يسير بهم الى ملك الروم ويملك القسطنطينية، والمسلمون مع كثرة ممالكهم واتساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ليأخذوا القسطنطينية أو ما يجاورها واليمن من أقل بلادهم عدداً وجنوداً فلم يقدرُوا على ذلك، فكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تبع؛ هذا مما تأباه العقول وتمجه الأسماع، ثم انه قال: ان ملك تبع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قباذ يعني أيام ابنه أنوشروان ولا خلاف أن مولد النبي ﷺ كان في زمن أنوشروان وكان ملكه سبعاً وأربعين سنة، ولا خلاف أيضاً ان الحبشة لما ملكت اليمن انقضت ملوك حمير منه وكان آخر ملوكهم ذانواس وكان ملك حمير قد اختل قبل ذى نواس وانقطع نظامه حتى طمعت الحبشة فيه وملكته، وكان ملكهم اليمن أيام قباذ، وكيف يمكن أن يكون ملك الحبشة الذي هو مقطوع به أيام قباذ ويكون تبع هو الذي ملك اليمن قد قتل قباذاً وملك بلاده قبل أن تملك الحبشة اليمن هذا مردود محال وقوعه، وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة، وقيل: أكثر من ذلك وكان انقراض ملكهم في آخر ملك أنوشروان، والخبر في ذلك مشهور، وحديث سيف ذى يزن في ذلك ظاهر ولم تزل اليمن بعد الحبشة في يد الفرس الى أن ملكه المسلمون فكيف يستقيم أن ينقضى ملك تبع الذي هو ملك بلاد فارس ومن بعده من ملوك حمير وملك الحبشة وهو سبعون سنة في ملك أنوشروان، وكان ملكه نيفا وأربعين سنة، وهذا أعجب أن مدة بعضها سبعون سنة تنقضى قبل مضي نيف وأربعين سنة. ولو فكر أبو جعفر في ذلك لاستحيا من نقله *

وأعجب من هذا أنه قال ثم ملك بعد تبع هذا ربيعة بن نصر اللخمي وهذا ربيعة هو جد عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة وكان ملك عمرو الحيرة بعد خاله جذيمة أيام ملوك الطوائف قبل ملك أردشير بن بابك بخمس وتسعين سنة وملك أيضاً أيام أردشير وبين أردشير وقباذ ما يقارب عشرين ملكاً، وكيف يكون جد عمرو وقد ملك بعد قباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل؟ ولو لم يترجم أبو جعفر على هذه الحادثة بقوله ذكر الحوادث أيام قباذ لكان يحتمل تأويله فيه ثم ما منع بذلك حتى قال بعد أن قص مسير تبع وقتل قباذ

وملك البلاد، واما ابن إسحق فانه قال: ان الذي سار الى المشرق من التبابعة هو تبع الأخير ويعني بقوله تبع الأخير انه آخر من سار الى المشرق وملك البلاد فان ابن اسحق وغيره يقولون: إن الذي ملك البلاد المشرقية لما توفي ملك بعده عدة تبابعة؛ ثم اختل أمرهم زمانا طويلا حتى طمعت الحبشة فيهم، وخرجت الى اليمن؛ فليت شعري اذا كان هذا تبع في أيام قباذ فلا شك أن تبعا الأخير الذي أخذ منه اليمن يكون في زمن بني أمية. ويكون ملك الحبشة اليمن بعد مدة من ملك بني العباس؛ ويكون أول الاسلام من ثلثمائة سنة من ملكهم أيضا بما بعدها حتى يستقيم هذا القول *

ثم انه قال: إن عمر بن طلحة الأنصاري خرج الى تبع وعمر هذا قيل: إنه أدرك النبي ﷺ شيخا كبيرا ومات عند مرجعه من غزوة بدر؛ ومن الدليل على بطلانه أيضا ان المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس مازالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم في حروبهم كنتم أقل الأمم وأذلها وأحقرها والعرب تقرّ لهم بذلك، فلو كان ملك تبع قريب العهد لقاتل العرب اننا بالأمس قتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم فسكوت العرب عن ذلك واقرارها للفرس دليل على بعد عهده أو عدمه على ان الفرس لا تقر بذلك لافي قديم الزمان ولا في حديثه، فانهم يزعمون ان ملكهم لم ينقطع من عهد جيومرث الذي هو آدم في قول بعضهم الى أن جاء الاسلام الا أيام ملوك الطوائف، وكان لملوك الفرس طرف من البلاد في ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعا كليا على ان أصحاب السير قد اختلفوا في تبع الذي سار وملك البلاد اختلافا كثيرا، فقيل شمر ابن افریقش، وقيل تبع أسعد وأنه بعث الى سمرقند شمرا ذا الجناح الى غير ذلك من الاختلافات التي لا طائل فيها؛ وهذا القدر كاف في كشف الخطأ فيه *

﴿ ذكر ملك لختيمة (١) ﴾

فلما هلك عمرو وتفرقت حمير وثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لختيمة تنوف ذو شناتر فملكهم في قول ابن اسحق، فقتل خيارهم؛ وعاث بيوت اهل المملكة منهم وكان امرأ فاسقا يزعمون انه كان يعمل عمل قوم لوط، فكان اذا سمع بغلام من أبناء الملوك أنه قد بلغ أرسل اليه فوقع عليه في مشربة لثلا يملك بعد ذلك،

(١) ذكره في القاموس في مادة شفت لختيمة بالتاء الفوقية، وفي مادة النخع لختيمة *

ثم يطلع الى حرسه وجنده قد أخذ سوا كما في فيه يعلمهم انه قد فرغ منه ، ثم
يخلى سبيله فيفضحه *

﴿ ذكر ملك ذى نواس وقصة أصحاب الأخدود ﴾

كان من أبناء الملوك ذرعة ذونواس بن تبان أسعد بن كرب ، و كان صغيرا حين
أصيب أخوه حسان ، فشب غلاما جميلا ذاهية فبعث اليه لختيعة ليفعل به ما كان يفعل
بغيره فأخذ سكيناً لطيفاً فجعله بين نعله وقدمه ثم انطلق اليه مع رسوله فلما خلا به في المشربة
قتله ذونواس بالسكين ثم احتز رأسه فجعله في كوة مشرته التي يطلع منها ثم أخذ سوا كه
فجعله في فيه ثم خرج فقالوا له : ذونواس رطب أم يياس ؟ فقال : سل بحماس^(١) استرطبان
ذونواس لا بأس فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال فاذا رأس لختيعة مقطوع فخرجت
حمير والحرس في أثر ذى نواس حتى أدر كوه فملكوه حيث أراحهم من لختيعة واجتمعوا
عليه و كان يهودياً وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم على استقامة لهم رئيس
يقال له عبد الله بن التامر و كان أصل النصرانية بنجران *

قال وهب بن منبه : ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون ، و كان رجلا
صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة ، و كان سائحاً لا يعرف بقرية إلا خرج منها
الى غيرها . و كان لا يأكل إلا من كسب يده ، و كان يعمل الطين ، و يعظم الأحدا
يعمل فيه شيئا ، و يخرج الى الصحراء يصلي جميع نهاره . فنزل قرية من قرى الشام يعمل
عمله ذلك مستخفياً ، فقطن به رجل اسمه صالح ، فأحبه حباً شديداً ، و كان يتبعه حيث
ذهب لا يفطن به فيميون حتى خرج مرة يوم الأحد الى الصحراء ، و اتبعه صالح و فيميون
لا يعلم فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً ، و قام فيميون يصلي : فينما هو يصلي إذا قبل
نحوه تنين^(٢) ، فلما رآه فيميون دعا عليه فمات و رآه صالح ولم يدر ما أصابه . فخاف على
فيميون ، فصاح يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه و أقبل على صلاته حتى أمسى
و عرف أن صالحاً عرفه ، فكلمه صالح و قال له : يعلم الله أنني ما أحببت شيئاً حبك قط و قد
أردت صحبتك حيثما كنت ، قال افعل ، فلزمه صالح ، و كان اذا ما جاءه العبد به ضر شفى
اذا دعا له ، و اذا دعى الى أحد به ضر لم يأته و كان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ،
فجعل ابنه في حجرة ألقى عليه ثوباً ، ثم قال لفيميون قد أردت أن تعمل في بيتي عملاً ،

(١) كذا في النسخ وفي الطبري نحماس بالخاء المعجمة (٢) اي حية عظيمة *

فانطلق اليه لاشارطك عليه ، فانطلق معه : فلما دخل الحجرة ألقى الرجل الثوب عن ابنه وطلب اليه أن يدعو له ، فدعا له فابصر ، وعرف فيميون أنه قد عرف بالقرية ، فخرج هو وصالح ، ومر بشجرة عظيمة بالشام : فناداه رجل : وقال ما زلت أنتظرك لا تبرح حتى تقوم على فاني ميت قال فمات فواراه فيميون وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب ؛ وأخذهما بعض العرب فباعوهما بنجران ، وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة تعاق عليها كل ثوب حسن وحلى جميل فعلقوا عليها يوماً ، فابتاع رجل من أشرفهم فيميون ، وابتاع رجل صالحاً فكان فيميون اذا قام من الليل يصلي في بيته استسرج له البيت حتى يصبح من غير مصباح فلما رأى سيده ذلك أعجبه ، فسأله عن دينه فأخبره ، وعاب دين سيده ؛ وقال له لو دعوت إلهي الذي أعبد لا هلك النخلة ، فقال : افعل فانك ان فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه ، فصلى فيميون ودعا الله تعالى ، فأرسل الله عليها ريحا فجففتها وألقها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على شريعة من دين عيسى ودخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض . فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران * وقال محمد بن كعب القرظي كان أهل نجران يعبدون الأوثان وكان في قرية من قراها ساحر كان أهل نجران يرسلون أولادهم اليه يعلمهم السحر . فلما نزلها فيميون وهو رجل كان يعبد الله على دين عيسى ابن مريم عليه السلام ؛ فاذا عرف في قرية خرج منها الى غيرها ، وكان مجاب الدعوة يبرىء المرضى وله كرامات ، فوصل نجران ، فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر ، فأرسل التامر ابنه عبد الله مع الغلمان الى الساحر فاجتاز بفيميون ، فرأى ما أعجبه من صلاته ، فجعل يجلس اليه ويستمع منه فأسلم معه ووحده الله تعالى وعبده ؛ وجعل يسأله عن الاسم الأعظم . وكان يعلمه فكتمه إياه وقال : لن تحمله ؛ والتامر يعتقد أن ابنه يختلف الى الساحر مع الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضنّ عليه بالاسم الأعظم عمد الى قداح فكتب عليها أسماء الله جميعها ثم ألقاها في النار واحداً واحداً حتى اذا ألقى القدح الذي عليه الاسم الأعظم وثب منها فلم تضره شيئاً فأخذه وعاد الى صاحبه فأخبره الخبر ، فقال له : أمسك على نفسك وما أظن أن تفعل ، فكان عبد الله لا يلقى أحداً اذا أتى نجران به ضر الا قال : يا عبد الله أمدخل في ديني حتى أدعوا الله فيعافيك بما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له عبد الله فيشفى حتى لم يبق أحد من

أهل نجران ممن به ضر إلا آتاء واتبعه ، ودعاه فعوفى ، فرفع شأنه الى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني لأمثلن بك ، فقال : لا تقدر على ذلك ، فجعل يرسله إلى الجبل الطويل فيلقى من رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس ، فأرسله الى مياه نجران وهي بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه ، قال عبد الله بن التامر : انك لا تقدر على قتلى حتى توحده الله وتؤمن كما آمنت فانك اذا فعلت قتلتني ، فوحد الله الملك ، ثم ضربه بعصا بيده فشججه شجرة غير كبيرة فقتله فهلك الملك مكانه ، واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر * قال : فسار اليهم ذو نواس بجنوده فجمعهم ، ثم دعاهم الى اليهودية ، وخيرهم بينها وبين القتل ، فاختروا القتل ، فخذلهم الأخدود ، فحرق بالنار وقتل بالسيف حتى قتل قريبا من عشرين ألفا ، وهم الذين أنزل الله فيهم (قتل أصحاب الأخدود) *

وقال ابن عباس : كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له : ذونواس ، واسمه يوسف ابن شرحبيل وكان قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة ، وكان له ساحر حاذق ، فلما كبر قال للملك : اني كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر ، فبعث اليه غلاما اسمه عبد الله ابن التامر ليعلمه ، فجعل يختلف الى الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة فقعد اليه الغلام فأعجبه أمره ، فكان اذا جاء الى المعلم يدخل الى الراهب فيقعد عنده فاذا جاء من عنده الى المعلم ضربه وقال له : ما الذي حبسك ؟ واذا انقلب الى أبيه دخل الى الراهب فيضربه أبوه ويقول : ما الذي أبطأ بك ؟ فشكا الغلام ذلك الى الراهب ، فقال له : اذا أتيت المعلم ، فقل حبسني أبي ، واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم ، وكان في ذلك البلد حية عظيمة قطعت طريق الناس ، فمر بها الغلام فرماها بحجر ، وقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها ، فلما رماها قتلها ، وأتى الراهب فاخبره ، فقال له الراهب ان لك لسانا وانك ستبتلى ، فان ابتليت فلا تدلن على ، وصار الغلام يبرىء الأكمة والأبرص ويشفي الناس : وكان للملك ابن عم أعمى ، فسمع بالغلام وقتل الحية : فقال : ادع الله أن يرد على بصري ، فقال الغلام : ان رد الله عليك بصرك تؤمن به؟ قال نعم ، قال : اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره ، فعاد بصره ، ثم دخل على الملك ، فلما رآه تعجب منه وسأله فلم يخبره وألح عليه ، فدلّه على الغلام ، فجىء به : فقال له : لقد بلغ من سحرك ما أرى ، فقال : أنا لا أشفي أحدا انما يشفي الله من يشاء فلم يزل يعذبه حتى دلّه على الراهب : فجىء به فقيل :

ارجع عن دينك ، فابي فامر به فوضع المنشار على رأسه فشق نصفين . ثم جرى بابين عم الملك فقال : ارجع عن دينك فابي فشقه قطعتين ، ثم قال للغلام : ارجع عن دينك فابي ، فدفعه الى نفر من أصحابه وقال : اذهبوا به الى جبل كذا فان رجع والا فاطر حوه من رأسه فذهبوا به الى الجبل فقال : اللهم اكنفيهم فرجف بهم الجبل وهلكوا ، ورجع الغلام الى الملك فسأله عن أصحابه فقال : كفانيهم الله فغاضه ذلك وأرسله في سفينة الى البحر ليلقوه فيه ، فذهبوا به فقال : اللهم اكنفيهم فغرقوا ونجا وجاء الى الملك ، فقال : اقتلوه بالسيف ، فضربوه فتبا عنه ، وفشا خبره في اليمن ، فاعظمه الناس وعلوا أنه على الحق فقال الغلام للملك : انك لن تقدر على قتل الا ان تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول : بسم الله رب الغلام ، ففعل ذلك فقتله ، فقال الناس : آمنا برب الغلام فقيل : للملك قد نزل بك ماتحذر ، فاغلق أبواب المدينة وخذأخودا وملاء ناراً وعرض الناس ، فمن رجع عن دينه تركه ، ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فاحرقه * وكانت امرأة مؤمنة ، وكان لها ثلاثة بنين أحدهم رضيع ، فقال لها : الملك ارجعني والاقتلتك أنت وأولادك ، فابت فالتقى ابنيها الكبيرين فأبت ، ثم أخذ الصغير ليلقيه فهمت بالرجوع ، قال لها الصغير : يا أمه لا ترجعي عن دينك لا بأس عليك ، فالتقاها وألقاها في أثره * وهذا الطفل أحد من تكلم صغيراً *

قيل : حفر رجل خربة بنجران في زمن عمر بن الخطاب فرأى عبد الله بن التامر واضعاً يده على ضربة في رأسه ، فاذا رفعت عنها يده جرت دماً واذا أرسلت يده ردها اليها وهو قاعد فكتب فيه الى عمر فامر بتركه على حاله *

﴿ ذكر ملك الحبشة اليمين ﴾

قيل : لما قتل ذونواس من قتل من أهل اليمن في الأخدود لأجل العود عن النصرانية أفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان حتى أعجز القوم فقدم على قيصر فاستنصره على ذى نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك عنا ولكن سأكتب الى النجاشي ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم ، فكتب قيصر الى ملك الحبشة يأمره بنصره : فارسل معه ملك الحبشة سبعين ألفاً وأمر عليهم رجلاً يقال له أرياط وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فساروا في البحر حتى نزلوا بساحل اليمن وجمع ذونواس جنوده فاجتمعوا ولم يكن حرب غير أنه ناوش شيئاً من قتال ، ثم انهزموا

ودخلها أرياط ، فلما رأى ذونواس منازل به وبقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق ، ووطىء أرياط اليمن فقتل ثلث رجالها ، وبعث الى النجاشي بثلاث سبائهم ، ثم أقام بها وأذل أهلها *
وقيل : إن الحبشة لما خرجوا الى المنذب من أرض اليمن كتب ذونواس الى أقيال اليمن يدعوهم الى الاجتماع على عدوهم فلم يجيبوه وقالوا يقاتل كل رجل عن بلاده فصنع مفاتيح وحملها على عدة من الابل ولقى الحبشة ، وقال : هذه مفاتيح خزائن الأموال باليمن فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية ، فأجابوه الى ذلك ، وساروا معه الى صنعاء ، فقال لكبيرهم : وجه أصحابك لقبض الخزائن ، ففترق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح ، وكتب الى الأقيال بقتل كل ثور أسود ، فقتلت الحبشة ولم ينج منهم إلا الشريد *

فلما سمع النجاشي جهز اليهم سبعين ألفاً مع أرياط والأشرم ، فملك البلاد وأقام بها سنين ، ونازعه أبرهة الأشرم وكان في جنده فمال اليه طائفة منهم وبقي أرياط في طائفة وسار أحدهما الى الآخر وأرسل أبرهة انك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها على بعض شيئاً فيهلكوا ، ولكن أبرز الى فأينا قهر صاحبه استولى على جنده فتبارزا فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت على رأسه فشرمت أنفه وعينه فسمى الأشرم وحمل غلاماً لأبرهة يقال له عتودة كان قد تركه كميناً من خلف أرياط على أرياط فقتله واستولى أبرهة على الجند والبلاد وقال لعتودة احتكم ، فقال : لا تدخل عروس على زوجها من اليمن حتى أصيبها قبله ، فاجابه الى ذلك فبقي يفعل بهم هذا الفعل حيناً ثم عدا عليه انسان من اليمن فقتله فسر أبرهة بقتله وقال : لو علمت أنه يحتكم هذا لم أحكمه *

ولما بلغ النجاشي قتل أرياط غضب غضباً شديداً ، وحلف لا يدع أبرهة حتى يبطأ أرضه ويجز ناصيته فبلغ ذلك أبرهة فأرسل الى النجاشي من تراب اليمن ، وجز ناصيته وأرسلها أيضاً وكتب اليه بالطاعة وارسال شعره وترابه ليرقسمه بوضع التراب تحت قدميه فرضى عنه وأقره على عمله *

فلما استقر باليمن بعث الى أبي مرة ذى يزن فأخذ زوجته ريحانة بنت ذى جدن ونكحها ، فولدت له مسروقا ، وكانت قد وادت لذى يزن ولدا اسمه معد يكرب — وهو سيف — فخرج ذونوزن من اليمن ، فقدم الحيرة على عمرو بن هند وسأله أن يكتب

له الى كسرى كتابا يعلمه محله وشرفه وحاجته ، فقال : إني أفد الى الملك كل سنة وهذا وقتها ، فأقام عنده حتي وفد معه ودخل الى كسرى معه ، فأكرمته وعظمه وذكرك حاجته وشكا ما يلقون من الحبشة : واستنصره عليهم ، وأطمعه في اليمن وكثرة مالها ، فقال له كسرى أنوشروان ، إني لاحب أن أسعفك بحاجتك ولكن المسالك اليها صعبة وسأنظر وأمر بانزاله فأقام عنده حتى هلك ، ونشأ ابنه معديكرب بن ذى يزن في حجرة أبرهة وهو يحسب أنه أبوه ، فسبه ابن لا أبرهة وسب أباه ، فسأل أمه عن أبيه فصدقته ، وأقام حتى مات أبرهة وابنه يكسوم . وسار عن اليمن ففعل ما نذره إن شاء الله *

✽ ذكر ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور

ابن يزدجرد الأثيم ✽

لما لبس التاج خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكروا ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم ، وأعلمهم أنه يصلح ذلك ، ثم أمر برؤس المزدكية فقتلوا ، وقسمت أموالهم في أهل الحاجة وكان سبب قتلهم ان قباذ كان كما ذكرنا قد اتبع مزدك على دينه مادعاه اليه وأطاعه في كل ما يأمره به من الزندقة وغيرها ذكرنا أيام قباذ ، وكان المنذر ابن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى ذلك فابي فدعا الحرث بن عمرو الكندي فاجابه فسدده له ملكه ، وطرده المنذر عن مملكته وكانت أم أنوشروان يوما بين يدي قباذ فدخل عليه مزدك فلما رأى أم أنوشروان قال لقباذ ادفعها الى لا قضى حاجتي منها فقال: دونكها فوثب اليه أنوشروان ولم يزل يسأله ويتضرع اليه أن يهب له أمه حتى قبل رجله فتركا فكان ذلك في نفسه فهلك قباذ على تلك الحالة . وملك أنوشروان فجلس للملك ولما بلغ المنذر هلاك قباذ أقبل الى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه واتباع مزدك فان أنوشروان كان منكر لهذا المذهب كارها له ثم ان أنوشروان أذن للناس أذنا عاما ودخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال: أنوشروان إني كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله عز وجل قد جمعهما الي فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت ان أملك وأستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وأن أقتل هذه الزنادقة فقال مزدك: أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم؟ فقال: وإنك ههنا يا ابن الزانية والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم ما بين جازر الى النهر وان والى المدائن في ضحوة واحدة

مائة ألف زنديق وصلبهم وسمى يومئذ أنوشروان وطلب أنوشروان الحرث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالأندلس فخرج هاربا في صحابته وماله وولده فمر بالنوبة فتبعه المنذر بالخيال من تغلب وإياد وبهراء فلحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجأته وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدموا بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الاميال في ديار بني مر بن العباديين بين دير بني هند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم

فأبوا بالنهاب وبالسبايا * وابنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بني حجر بن عمرو * يساقون العشيّة يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن في الدماء مرملينا
تظلّ الطير عا كفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

ولما قتل أنوشروان مزدك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس في أموالهم ورد الأموال إلى أهلها وأمر بكل مولود اختلفوا فيه أن يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف أبوه وأن يعطى نصيباً من ملك الرجل الذي يسند إليه اذا قبله الرجل ، وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ مهرها من الغالب ، ثم تخير المرأة بين الإقامة عنده وبين فراقه إلا أن يكون لها زوج فترد إليه وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قيمهم فأنكح بناتهم الأكفاء ، وجهازهن من بيت المال وأنكح نساءهم من الأشراف ، واستعان بأبنائهم في أعماله ، وعمر الجسور والقناطر ، وأصلح الخراب ، وتفقد الأساورة وأعطاهم ، وبنى في الطرق القصور والحصون وتخير الولاة والعامل والحكام ، واقتدى بسيرة أردشير وارب جمع بلاداً كانت مملكة الفرس منها السند وسندوست والرخج وزابلستان وطخارستان ، وأعظم القتل في النازور ، وأجلى بقيتهم عن بلاده ، واجتمع أبخز ، وبنجر ، وبلنجر ، واللان على قصد بلاده فقصدوا أرمينية للغارة على أهلها وكان الطريق سهلاً فأمهلهم كسرى حتى توغلوا في البلاد ، وأرسل اليهم جنوداً ، فقاتلوهم فأهلكوهم ما خلا عشرة آلاف رجل أسروا فأسكنوا أذربيجان ، وكان لكسرى أنوشروان ولد هو أكبر أولاده اسمه أنوشزاد فبلغه عنه انه زنديق فسيره إلى جنديسابور وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه وأدبه *

فینما هم عنده إذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم فوثب بمن عنده فقتلهم وأخرج أهل السجون فاستعان بهم، وجمع عنده جموعاً من الأشرار؛ فأرسل اليه نائب أبيه بالمدائن عسكرياً فحاصروه بجنديسابور، وأرسل الخبر إلى كسرى فكتب إليه يأمره بالجد في أمره وأخذ أسيراً فاشتد الحصار حينئذ عليه، ودخل العساكر المدينة عنوة فقتلوا بها خلقاً كثيراً، وأسروا أنوشزاد فبلغه خبر جده لأمه الداور الرازي فوثب بعامل سجستان وقاتله فهزمه العامل فالتجأ إلى مدينة الرنج وامتنع بها، ثم كتب إلى كسرى يعتذر ويسأله أن ينفذ إليه من يسلم له البلد ففعل وأمنه. وكان الملك فيروز قد بنى بناحية صول واللان بناءً يحصن به بلاده، وبني عليه ابنه قبادز يادة فلما ملك كسرى أنوشروان بنى في ناحية صول وجر جان بناءً كثيراً وحصوناً حصن بها بلاده جميعاً وان سيجيور^(۱) خاقان قصد بلاده، وكان أعظم الترك واستمال الخزر، وابتخر، وبلنجر فاطاعوه فأقبل في عدد كثير؛ وكتب إلى كسرى يطلب منه الاتاوة ويتهده ان لم يفعل فلم يجبه كسرى إلى شيء مما طلب لتحصينه بلاده، وان ثغر أرمينية قد حصنه، فصار يكتفى بالعدد اليسير، فقصد خاقان بلاده، فلم يقدر على شيء منها وعاد خائباً، وهذا خاقان هو الذي قتل وزير ملك الهياطلة وأخذ كثيراً من بلادهم *

﴿ ذكر ملك كسرى بلاد الروم ﴾

كان بين كسرى أنوشروان وبين غطيانوس ملك الروم هدنة فوق بين رجل من العرب كان ملكه غطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة، وبين رجل من لحم كان ملكه كسرى على عمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر ابن النعمان فتنة، فاغار خالد على ابن النعمان؛ فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أمواله، فكتب كسرى إلى غطيانوس يذكره ما بينهما من العهد والصلح، ويعلمه مالقي المنذر من خالد، وسأله أن يأمر خالداً برد ما غنم إلى المنذر ويدفع له دية من قتل من أصحابه، وينصفه من خالد وأنه ان لم يفعل انتقض الصلح، ووالى الكتب إلى غطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل به، فاستعد كسرى وغزا بلاد غطيانوس في بضعة وسبعين ألفاً، وكان طريقه على الجزيرة، فأخذ مدينة دارا، ومدينة الرها، وعبر إلى الشام؛ فملك منبج، وحلب، وأنطاكية، وكانت أفضل مدائن الشام - وفامية، وحمص، ومدنا كثيرة

(۱) في الطبری سنجبوا

متاخمة لهذه المدائن عنوة، واحتوى على ما فيها من الأموال والعروض. وسبى أهل مدينة أنطاكية، ونقلهم إلى أرض السواد، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة أنطاكية، وأسكنهم إياها وهي التي تسمى الرومية، وكورها خمسة طساسيج: طسوج النهروان الأعلى، وطسوج النهروان الأوسط، وطسوج النهروان الأسفل، وطسوج بادرايا، وطسوج باكسايا* وأجرى على السبي الذين نقلهم إليها من أنطاكية الأرزاق، وولى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الأهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين،*

وأما سائر مدن الشام ومصر فإن غطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه، وضمن له فدية بحملها إليه كل سنة على أن لا يغزو بلاده. فكانوا يحملونها كل عام وسار أنوشروان من الروم إلى الخزر، فقتل منهم وغنم وأخذ منهم بئار رعيتة، ثم قصد اليمن فقتل فيها وغنم، وعاد إلى المدائن. وقد ملك مادون هرقله وماينه وبين البحرين وعمان. وملك النعمان بن المنذر على الحيرة وأكرمه، وسار نحو الهياطلة لياخذ بئار جده فيروز، وكان أنوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك ودخل كسرى بلادهم، فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته، وتجاوز بلخ وما وراء النهر، وأنزل جنوده فرغانة، ثم عاد إلى المدائن، وغزا البرجان، ثم رجع وأرسل جنده إلى اليمن^(١) فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد، وكان ملكه ثمانيا وأربعين سنة، وقيل: سبعا وأربعين سنة* وكان مولد رسول الله ﷺ في آخر ملكه، وقيل: ولد عبد الله بن عبد المطلب أبورسول الله ﷺ لآربع وعشرين سنة مضت من ملك أنوشروان، وولد رسول الله ﷺ سنة اثنتين وأربعين من ملكه*

قال هشام بن الكلبي: ملك العرب من قبل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان سبع سنين، ثم ملك بعده النعمان بن الأسود أربع سنين، ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدى اللخمي ثلاث سنين، ثم ملك المنذر ابن امرئ القيس البدء^(٢) ولقب ذا القرنين لضفيرتين كانتا له، وأمه ماء السماء وهي ماوية ابنة عمرو بن جشم بن النمر بن قاسط تسعاً وأربعين سنة، ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر ست عشرة سنة* قال: ولثماني سنين وثمانية أشهر من ولايته ولد النبي ﷺ وذلك أيام

(١) لا يعلم للفرس غزوة في اليمن الاغزوتهم لاجراج الحبشان منها (٢) في الأصحاب الكندي وهو غلط صحح من الطبري*

آنوشروان عام الفیل * فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه الى سرنديب من بلاد الهند وهي أرض الجوهري قائدا من قواده في جند كثيف : فقاتل ملكها فقتله واستولى عليها وحمل الى كسرى منها أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى فجاءت اليها من بلاد الترك في ملك كسرى آنوشروان . فشق عليه ذلك ، وأحضر موبدان موبدو قال له : قد بلغنا تساقط هذه السباع الى بلادنا وقد تعاضمنا ذلك . فأخبرنا برأيك فيها ، فقال : سمعت فقهاءنا يقولون متى لم يغلب العدل الجور في البلاد بل جار أهلها غزاهم أعداؤهم وأتاهم ما يكرهون * فلم يلبث كسرى أن أتاه أن فتينا من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وعماله أن لا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل . ولا يعملوا في شيء منها الا به ، ففعلوا ما أمرهم ، فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب *

﴿ ذكر مافعلہ آنوشروان بآرمینیه واذر بیجان ﴾

كانت آرمینیه واذر بیجان بعضهما الروم وبعضها للخزر ، فبنى قباد سورا بما يلي بعض تلك الناحية فلما توفي وملك ابنه آنوشروان وقوى أمره وغزا فرغانة والبرجان وعاد . بني مدينة الشاران ، ومدينة مسقط ، ومدينة الباب والأبواب ، وانما سميت أبوابا لانها بنيت على طريق في الجبل * وأسكن المدن قوما ساهم السياسجين ، وبني غير هذه المدن ، وبني لكل باب قصرا من حجارة . وبني بأرض جرزان مدينة سعدييل وانزلها السغد وابناء فارس ، وبني باب اللان : وفتح جميع ما كان بأيدي الروم من آرمینیه ؛ وعمر مدينة أردبيل وعدة حصون ، وكتب الى ملك الترك يسأله المoadعة والاتفاق . ويخطب اليه ابنته ، ورغب في صهره ، وتزوج كل واحد بابنة الآخر فلما كسرى فانه أرسل الى خاقان ملك الآله بنتا كانت قد تبنتها بعض نسائه وذكر انها ابنته وارسل ملك الترك ابنته واجتمعا فأمر آنوشروان جماعة من ثقاته أن يكبسوا طرفا من عسكر الترك ويحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبحوا شكاه ملك الترك ذلك ، فانكر أن يكون له علم به . ثم أمر بمثل ذلك بعد ليال فضج التركي ، فرفق به آنوشروان فاعتذر اليه ، ثم أمر آنوشروان أن تلقى النار في ناحية من عسكره فيها أكواخ من حشيش * فلما أصبح شكاه الى التركي . وقال كافأني بالتهمة فخلف التركي انه لم يعلم بشيء من ذلك ، فقال آنوشروان له : ان جندنا قد كرهوا صلاحنا لانقطاع العطاء والغارات ولا آمن أن يحدثوا حدثا يفسد قلوبنا فنعود إلى العداوة والرأى ان تأذن لي في بناء سور يكون بيني وبينك نجعل عليه

أبو أبا فلا يدخل اليك الا من تريده ولا يدخل الينا الا من تريده ، فاجابه الى ذلك ، وبنى
 أنوشروان السور من البحر وألحقه برؤس الجبال وعمل عليه أبواب الحديد ، ووكّل
 به من يحرسه فقبل لملك الترك انه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلم تقدر له
 على حيلة * وملك أنوشروان ملوكا رتبهم على النواحي ، فمنهم صاحب السرير وفيلان
 شاه واللكز . ومسقط . وغيرها . ولم تزل أرمينية بأيدي الفرس حتى ظهر الاسلام فرفض
 كثير من السياسجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم . وجاء
 الاسلام وهي كذلك *

﴿ ذكر أمر الفيل ﴾

لما دام ملك أبرهة باليمن وتمكن به بنى القليس بصنعاء ، وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها
 بشيء من الأرض ، ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها ، ولست بمنته
 حتى أصرف اليها حاج العرب ، فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النساء من بنى
 فقيم فخرج حتى أتاها ففعد فيها وتغوط ، ثم لحق باهله ، فاخبر بذلك أبرهة * وقيل له إنه
 فعل رجل من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة غضب لما سمع انك تريد صرف
 الحجاج عنه ففعل هذا فغضب أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه ، وأمر الحبشة
 فتجهزت وخرج معه بالفيل واسمه محمود ، وقيل : كان معه ثلاثة عشر فيلا وهي تتبع
 محمودا وانما وحد الله سبحانه الفيل لأنه غني كبيرها محمودا * وقيل في عددهم غير ذلك
 فلما سار سمعت العرب به فاعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم ، فخرج عليه رجل من
 أشراف اليمن يقال له ذونفر وقاتله ، فهزم ذونفر وأخذ أسيرا فأراد قتله ثم تركه محبوسا
 عنده . ثم مضى على وجهه فخرج عليه نفيل بن حبيب الخثعمي فقاتله ، فانهزم نفيل وأخذ
 أسيرا ، فضمن لأبرهة أن يدلّه على الطريق فتركه وسار حتى اذا مر على الطائف بعثت
 معه ثقيف أبارغال يدلّه على الطريق حتى انزله بالمخمس ، فلما نزله مات أبارغال فرجعت
 العرب قبره فهو القبر الذي يرجم *

و بعث أبرهة الأسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها وأصاب فيها مائتي بعير
 لعبدالمطلب بن هاشم ثم أرسل أبرهة حناطة الحميري الى مكة ، فقال : سل عن سيدقريش
 وقل له : إني لم آت ل حربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم تمنعوا عنه فلا حاجة لي
 بقتالكم ، فلما بلغ عبدالمطلب ما أمره ، قال له : والله ما نريد حرب به هذا بيت الله وبيت

خليله إبراهيم ، فان يمنعه فهو يمنع بيته وحرمة ، وأن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع ، فقال له : انطلق معي إلى الملك فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذي نقر وكان له صديقا ، فدل عليه وهو في محبسه ، فقال له : هل عندك غناء فيما نزل بنا ، فقال : وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله ولكن أنيس سائس الفيل صديق لي فأوصيه بك وأعظم حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما تريد ويشفع لك عنده ان قدر قال حسبي ، فبعث ذو نقر إلى أنيس فحضره وأوصاه بعبد المطلب وأعلمه أنه سيد قريش فكلم أنيس أبرهة ؛ وقال : هذا سيد قريش يستأذن فأذن له ، وكان عبد المطلب رجلا عظيما جليلا وسيما ، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه ونزل عن سريره إليه وجلس معه على بساط ، وأجلسه إلى جنبه وقال لترجمانه قل له ما حاجتك ، فقال له الترجمان ذلك : فقال عبد المطلب : حاجتي أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في إبلك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، قال عبد المطلب : أنا رب الابل ولبيت رب يمنعه ، قال : ما كان ليمنع مني وأمر برد إبله ، فلما أخذها قلدها وجعلها هديا وبتها في الحرم لكي يصاب منها شيء فيغضب الله وانصرف عبد المطلب إلى قريش وأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج معه من مكة والتحرز في رؤس الجبال خوفا من معرفة الجيش ، ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

يارب لا أرجو لهم سواك * يارب فامنع منهم حماك

إن عدو البيت من عاداك * امنعهم أن يخرّبوا فناك

﴿ وقال أيضا ﴾

لاهم إن العبد يم * نع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليهم * ومحالم عدوا محالك

ولان فعلت فانه * أمرتم به فعالك

أنت الذي إن جاء با * غ نرتجيك له فذلك

ولوا ولم يحووا سوى * خزي وتهلكهم هنالك

لم أستمع يوما بار * جس منهم يبغوا قتالك

جروا جموعَ بلادهم * والفيلَ كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم * و كعبتنا فامر ما بدالك

ثم أرسل عبدالمطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة اذا دخل ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وعبي جيشه وهيا فيله وكان اسمه محمودا وأبرهة بجمع لهدم البيت والعود الى اليمن ، فلما وجهوا الفيل أقبل نضيل بن حبيب الخثعمي فسك بأذنه ، وقال ارجع محمود ارجع راشداً من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه فألقى الفيل نفسه الى الأرض واشتد نضيل فصعد الجبل فضربوا الفيل فأبى فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه الى الشام ففعل كذلك ، ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فسقط الى الأرض * وأرسل الله عليهم طيرا أبابيل من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة أحجار تحملها ، حجر في منقاره ، وحجران في رجله فقدقتهم بها وهي مثل الحص والعدس لا تصيب أحدا منهم إلا هلك ؛ وليس كلهم أصابت ، وأرسل الله سيلا ألقاهم في البحر ، وخرج من سلم مع أبرهة هاربا يتدرون الطريق الذي جاءوا منه ، ويسألون عن نضيل بن حبيب ليدهم على الطريق الى اليمن . فقال نضيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته *

ابن المضر والاله الطالب * والأشرع المغلوب غير الغالب

وقال أيضاً

ألا حيث عنا ياردينا * نعمنا كم مع الاصبح عينا
أتانا قابس منكم عشاء * فلم يقدر لقابسكم لدينا
ردينة لو رأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب مارأينا
إذا لعذرتي وحمدت رأبي * ولم تأسى لما قد فات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
و كل القوم يسأل عن نضيل * كأن على اللبشان دينا
نخرجوا يتساقطون بكل منهل وأصيب أبرهة في جسده فسقطت أعضاؤه عضوا
حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه * فلما هلك

ملك ابنه يكسوم بن أبرهة وبه كان يكنى * وذلت حمير واليمن له ، ونكحت الحبشة نساءهم ، وقتلوا رجالهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب *
ولما أهلك الله الحبشة ، وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم ، ونزل عبد المطلب من الغد اليهم لينظر ما يصنعون ، ومعه أبو مسعود الثقفي لم يسمعا حساً ، فدخل معسكرهم فرأيا القوم هلكت . فاحتفر عبد المطلب حفرتين ملاءهما ذهباً وجوهراته ولأبي مسعود ، ونادى في الناس فتراجعوا فاصابوا من فضلهما شيئاً كثيراً ، فبقي عبد المطلب في غنى من ذلك المال حتي مات ، وبعث الله السيل فالتقى الحبشة في البحر *

وقال كثير من أهل السير ان الحصبة والجدرى أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل و كذلك قالوا ان العشر والحرملة والشيخ لم تعرف بارض العرب إلا بعد الفيل *
وهذا مما لا ينبغي أن يعرج عليه فان هذه الأمراض والأشجار قبل الفيل مذ خلق الله العالم، ولما رد الله الحبشة عن الكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشا ، وقالوا أهل الله ، قاتل عنهم ، ثم مات يكسوم وملك بعده أخوه مسروق *

﴿ ذكر عود اليمن الى حمير وإخراج الحبشة عنه ﴾

لما هلك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن أبرهة وهو الذي قتله وهرز فلما اشتد البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن وكنيته أبو مرة، وقيل: كنية ذى يزن أبو مرة. عتي قدم على قيصر وتكبد كسرى لابطائه عن نصر أبيه ، فانه كان قصد كسرى أنوشروان لما أخذت زوجته يستنصره على الحبشة فوعده ، فاقام ذو يزن عنده فمات على بابه ، وكان ابنه سيف مع أمه في حجر أبرهة وهو يحسب أنه ابنه فسبه ولد لأبرهة وسب أباه فسأل أمه عن أبيه فاعلمته خبره بعد مراجعة بينهما فاقام حتي مات أبرهة وابنه يكسوم : ثم سار الى الروم فلم يجد عند ملكهم ما يحب لموافقته الحبشة في الدين فعاد الى كسرى فاعترضه يوماً وقد ركب فقال له ان لي عندك ميراثاً فدعابه كسرى لما نزل فقال له من أنت وما ميراثك؟ قال: أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصره ، فمات يبابك فملك العدة حق لي وميراث ، فرق كسرى له ، وقال له : بعدت بلادك عنا وقل خيرها والمسلك اليها وعرولست أغرر بجيشي ، وأمر له بمال : فخرج وجعل ينثر الدراهم فأتتهبها الناس ، فسمع كسرى فسأله ما حمله على ذلك؟ فقال : لم آتك للمال وإنما جئتك للرجال ، ولتمنعي من الذل والهوان ، وان جبال بلادنا ذهب وفضة ، فاعجب كسرى بقوله ، وقال : يظن

المسكين انه أعرف ببلاده مني، واستشار وزراءه في توجيه الجند معه، فقال له موبدان موبد: أيها الملك ان لهذا الغلام حقاً بنزوعه اليك وموت أبيه ببابك وما تقدم من عدته بالنصرة، وفي سجونك رجال ذوو نجدة وبأس، فلو ان الملك وجههم معه: فان أصابوا ظفراً كان للملك، وان هلكوا فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم، فقال كسرى: هذا الرأي، فامر بمن في السجون فاحضروا، فكانوا ثمانمائة، ففود عليهم قائداً من اساورته يقال له: وهرز * وقيل: بل كان من أهل السجون سخط عليه كسرى لحدث أحدثه فخبسه، وكان يقيد بالف أسوار، وأمر بحملهم في ثمان سفن، فركبوا البحر، ففرق سفينتان، وخرجوا بساحل حضرموت، ولحق ببن ذى يزن بشر كثير، وسار اليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب، وجعل وهرز البحر وراء ظهره، وأحرق السفن لئلا يطمع أصحابه في النجاة، وأحرق كل مامعهم من زاد وكسوة إلا ما أكلوا وما على أبدانهم، وقال لأصحابه: انما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الحبشة ان ظفروا بكم، وان نحن ظفروا بهم فسنأخذ أضعافه، فان كنتم تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك وان كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي حتى يخرج من ظهري، فانظروا ما حالكم إذا فعل رئيسكم هذا بنفسه، قالوا: بل نقاتل معك حتى نموت أو نظفر، وقال لسيف بن ذى يزن: ما عندك؟ قال ماشئت من رجل عربي وسيف عربي، ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً قال: أنصفت فجمع اليه سيف من استطاع من قومه فكان أول من لحقه السكاسك من كندة، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع اليه جنده فعبى وهرز أصحابه وأمرهم أن يوتروا قسيهم وقال إذا أمرتكم بالرمي: فارموا رشقا، وأقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه، وهو على فيل، وعلى رأسه تاج وبين، عينيه ياقوته حمراء مثل البيضة لا يرى دون الظفر شيئاً وكان وهرز كل بصره، فقال: أروني عظيمهم فقالوا: هذا صاحب الفيل، ثم ركب فرسا فقالوا: ركب فرسا، ثم انتقل الى بغلة فقالوا: ركب بغلة فقال وهرز: ذل وذل ملكه، وقال وهرز ارفعولي حاجبي و كانا قد سقطا على عينيه من الكبر فرفعوهما له بعصابة. ثم جعل نشابة في كبد قوسه، وقال: أشيروا إلى مسروق فاشاروا اليه، فقال لهم سأرميه فان رأيتم أصحابه وقوفالم يتحركوا فائبتوا حتى أوزنكم فاني قد أخطأت الرجل. وإن رأيتموهم قد استداروا ولا ذوابه فقد أصبته فاحملوا عليهم، ثم رماه فاصاب السهم بين

عنيه : ورمى أصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه ، فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته ، وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شيء ، وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يحصى ولا يحصى ، وقال وهرز كفوا عن العرب واقتلوا السودان ولا تبقوا منهم أحدا وهرب رجل من الأعراب يوما ليلة ثم التفت فرأى في جعبته نشابة فقال لا أمك الويل أبعد طول مسير وسار وهرز حتى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن وأرسل عماله في المخاليف ، وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك ، أرياط ، ثم أبرهة ، ثم ابنه يكسوم ، ثم مسروق بن أبرهة * وقيل كان ملكهم نحو اثنتين وثلاثين سنة * وقيل غير ذلك والأول أصح *

فلما ملك وهرز اليمن أرسل الى كسرى يعلمه بذلك ، وبعث اليه بأموال وكتب اليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذى يزن ، وبعضهم يقول معدي كرب بن سيف بن ذى يزن على اليمن وأرضها ، وفرض عليه كسرى جزية وخراجا معلوما في كل عام فملكه وهرز وانصرف الى كسرى ، وأقام سيف على اليمن ملكا يقتل الحبشة ويقرر بطون الحبالي عن الحمل ولم يترك منهم إلا القليل جعلهم خولا فاتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحرب فكث غير كثير ثم إنه خرج يوما والحبشة يسعون بين يديه بحرابهم فضر به بالحرب حتى قتله فكان ملكه خمس عشرة سنة ، ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل باليمن وأفسد فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم وهرز في أربعة آلاف فارس وأمره أن لا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من أسود ومن شرك فيه أسود قتله وأقبل حتى دخل اليمن ففعل ما أمره وكتب الى كسرى يخبره فأقره على ملك اليمن ؛ فكان يجيها لكسرى حتى هلك ، وأمر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهرز حتى هلك ثم أمر بعده كسرى التينجان ابن المرزبان ، ثم أمر بعده حر حرة بن التينجان بن المرزبان ثم ان كسرى ابرويز غضب عليه فاحضره من اليمن فلما قدم تلقاه رجل من عظماء الفرس فالتقى عليه سيفا كان لابي كسرى فأجاره كسرى بذلك من القتل وعزله عن اليمن وبعث باذان الى اليمن فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمدا ﷺ ، وقيل : ان أنوشروان استعمل بعد وهرز زرين وكان مسرفا اذا أراد ان يركب قتل قتيلًا . ثم سار بين أوصاله فمات أنوشروان وهو على اليمن فعزله ابنه هرمز وقد اختلفوا في ولاية اليمن للأكاسرة اختلافا كثيرا لم أر لذكره فائدة *

﴿ ذكر ما أحدثه قريش بعد الفيل ﴾

لما كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا لهم أهل الله وقطنه يحامى عنهم فاجتمعت قريش بينها وقالوا: نحن بنو إبراهيم عليه السلام وأهل الحرم وولاية البيت: وقاطنو مكة فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا ولا يعرف العرب لأحد مثل ما يعرف لنا، فهلوا فلتفق على ائتلاف اننا لانعظم شيئاً من الحل كما يعظم الحرم فاننا اذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا وبحرمانا، وقالوا: قد عظمت قريش من الحل مثل ما عظمت من الحرم فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ويرى سائر العرب أن يقفوا عليها وان يفيضوا منها، وقالوا: نحن أهل الحرم، فلا نعظم غيره ونحن الحمس، وأصل الحماسة الشدة انهم تشددوا في دينهم، وجعلوا لمن ولدوا واحدة من نساءهم من العرب ساكني الحل مثل ما لهم بولادتهم، ودخل معهم في ذلك كنانة وخزاعة وعامر لولادة لهم، ثم ابتدعوا فقالوا: لا ينبغي للحمس أن يعملوا الاقط ولا يسلوا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلوا إلا في بيوت الادم ما كانوا حرماً، وقالوا: ولا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل في الحرم اذا جاؤا حجاجاً أو عمراً، ولا يطوفوا بالبيت طوافهم اذا قدموا الا في ثياب الحمس، فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة، فان أنف أحد من عظمائهم أن يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه ألقاها اذا فرغ من الطواف ولا يمسه هو ولا أحد غيره، وكانوا يسمونها اللقي فدانت العرب لهم بذلك. فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم، ويتركون أزوادهم التي جاؤا بها من الحل، ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه - هذا في الرجال، وأما النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها الا درعها مفرجا ثم تطوف فيه وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ، فنسخه فافاض من عرفات: وطاف الحجاج بالثياب التي معهم من الحل: وأكلوا من طعام الحل في الحرم أيام الحج، وأنزل الله تعالى في ذلك (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) أراد بالناس العرب، أمر قريشاً أن يفيضوا من عرفات، وأنزل الله تعالى في اللباس والطعام الذي من الحل وتركهم إياه في الحرم (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا

واشربوا - إلى قوله - لقوم يعلمون *

﴿ ذكر حلف المطيبين والأحلاف ﴾

قد ذكرنا ما كان قصي أعطى ولده عبد الدار من الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة واللواء، ثم ان هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا بنى عبد مناف بن قصي رأوا أنهم أحق بذلك من بني عبد الدار لشرفهم عليه ولفضلهم في قومهم، وأرادوا أخذ ذلك منهم، ففرقت عند ذلك قریش كانت طائفة مع بني عبد مناف، وطائفة مع بني عبد الدار يرون أنه لا يجوز أن يؤخذ منهم ما كان قصي جعله لهم إذ كان أمر قصي فيهم شرعاً متبعاً معرفة منهم لفضله وتيمناً بأمره، وكان صاحب أمر بني عبد مناف بن قصي عبد شمس لأنه كان أكبرهم، وكان صاحب بني عبد الدار الذي قام في المنع عنهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فاجتمع بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف، واجتمع بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر من ذلك فلم يكونوا مع أحد الفريقين، وعقد كل طائفة بينهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بل بحر صوفة فأخرجت بنو عبد مناف بن قصي جفنة مملوءة طيباً، قيل: ان بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها في المسجد وغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاهدوا ومسحوا الكعبة بأيديهم تو كيداً على أنفسهم، فسموا بذلك المطيبين * وتعاهد بنو عبد الدار ومن معهم من القبائل عند الكعبة على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً، فسموا الأحلاف ثم تصافوا للقتال وأجمعوا على الحرب * فبينما هم على ذلك إذ تداعوا للصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار فاصطلحوا، ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجزوا عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الإسلام وهم على ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «ما كان من حلف في الجاهلية فان الإسلام لم يزد إلا شدة ولا حلف في الإسلام، فولى السقاية والرفادة هاشم ابن عبد مناف لان عبد شمس كان كثير الأسفار قليل المال كثير العيال، وكان هاشم موسراً جواداً، وكان ينبغي أن تذكر هذا قبل الفيل وما أحدثه قریش وانما أخرناه للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض *

﴿ ذكر مافعله كسرى في أمر الخراج والجند ﴾

كان ملوك الفرس يأخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى أنوشروان في خراجها من بعضها الثلث ومن بعضها الربع، وكذلك الخمس والسدس على قدر شربها وعمارتها، ومن الجزية شيئاً معلوماً فأمر الملك قباد بمسح الأرضين ليصح الخراج عليها فمات قبل الفراغ من ذلك * فلما ملك أنوشروان أمر باستتمام ذلك، ووضع الخراج على الخنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والأرز على كل نوع من هذه الأنواع شيئاً معلوماً، ويؤخذ في السنة في ثلاثة أنجم: وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب وكتب كسرى إلى القضاة في البلاد نسخة بالخراج ليمتنع العمال من الزيادة عليه، وأمر أن يوضع عن أصابت غلته جائحة بقدر جائحته، وألزموا الناس الجزية ما خلا العظماء وأهل البيوتات والجند والمهرابذة والكتاب ومن في خدمة الملك كل إنسان على قدره اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم، وأسقطها عمر عن لم يبلغ عشرين سنة أو جاوز خمسين سنة *

ثم إن كسرى ولي رجلاً من الكتاب من الكفاة والنبلاء اسمه بابك عرض جيشه، فطلب من كسرى التمكن من شغله إلى ذلك، فتقدم ببناء مصطبة موضع عرض الجيش وفرشها، ثم نادى أن يحضر الجند بسلاحهم وكراعهم للعرض فحضروا، فحيث لم ير معهم كسرى أمرهم بالانصراف فعل ذلك يومين، ثم أمر فنودي في اليوم الثالث أن لا يتخلف أحد ولا من أكرم بتاج فسمع كسرى فحضر وقد لبس التاج والسلاح؛ ثم أتى بابك ليعرض عليه فرأى سلاحه تاماً ما عدا وترين للقوس كان عادتهم أن يستظروا بهما فلم يرهما بابك معه فلم يجز على اسمه، وقال له: هلم كلياً يلزمك فذكر كسرى الوترين فتعلقهما، ثم نادى منادى بابك، وقال للكفي السيد سيد الحكاة أربعة آلاف درهم، وأجاز على اسمه، فلما قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر إليه من غلظته عليه، وذكر له أن أمره لا يتم إلا بما فعل. فقال كسرى: ما غلظ علينا أمر نريد به إصلاح دولتنا *

ومن كلام كسرى: الشكر والنعمة عدلان ككفتي الميزان أيهما رجح بصاحبه احتاج الأخف إلى أن يزداد فيه حتى يعادل صاحبه؛ فإذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلاً انقطع الحمد فكثير النعم يحتاج إلى كثير من الشكر؛ وكلما زيد في الشكر ازدادت النعم،

وجاوزته، ونظرت في الشكر فوجدت بعضه بالقول وبعضه بالفعل، ونظرت أحب الأعمال إلى الله فوجدته الشيء الذي أقام به السموات والأرض وأرسي به الجبال وأجرى به الأنهار وبرأ به البرية وهو الحق والعدل فلزمته، ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التي بها قوام الحياة للناس والدواب والطيروجميع الحيوانات* ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراً لأهل الدمار وأهل العمارة أجراً للمقاتلة فاما المقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم من ورائهم، فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم، فان العمارة والأمن والسلامة في النفس والمال لا يتم إلا بهم* ورأيت أن المقاتلة لا يتم لهم المقام والاكل والشرب وتشمير الأموال والأولاد إلا بأهل الخراج والعمارة، فاخذت للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأودهم، وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم ما يقوم بمؤنتهم وعمارتهم؛ ولم أجد من واحدة من الجانبين* ورأيت المقاتلة وأهل الخراج كالعينين المبصرتين واليدين المتساعدتين والرجلين على أيهما دخل الضرر تعدى إلى الأخرى* ونظرنا في سير آبائنا فلم نترك منها شيئاً يقترن بالثواب من الله والذكر الجميل بين الناس والمصلحة الشاملة للجند والرعية إلا اعتمدناه ولا فساداً إلا أعرضنا عنه، ولم يدعنا إلى حب ما لا خير فيه حب الآباء. ونظرت في سير أهل الهند والروم وأخذنا حمودها ولم تنازعنا أنفسنا إلى ما تميل إليه أهواؤنا، وكتبنا بذلك إلى جميع أصحابنا ونوابنا في سائر البلدان*

فانظر إلى هذا الكلام الذي يدل على زيادة العلم وتوفر العقل، والقدرة على منع النفس ومن كان هذا حاله استحق أن يضرب به المثل في العدل إلى أن تقوم الساعة* وكان لكسرى أولاد متأدبون فجعل الملك من بعده لابنه هرمز، وكان مولد رسول الله ﷺ عام الفيل، وذلك لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملكه، وفي هذا العام كان يوم ذي جبة وهو يوم من أيام العرب المذكورة*

﴿ ذكر مولد رسول الله ﷺ ﴾

قال قيس بن مخزوم وقيث بن اشيم وابن عباس وابن اسحق ان رسول الله ﷺ ولد عام الفيل* قال ابن الكلبي ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ لأربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى أنوشروان؛ وولد رسول الله ﷺ سنة اثنتين وأربعين من سلطانه، وأرسله الله تعالى لمضي اثنتين وعشرين من ملك كسرى أبرويز

ابن كسرى هرمز بن كسرى انو شروان ، وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك أبرويز *

قال ابن اسحق ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثني عشر ليلة (١) مضت من ربيع الأول ، وكان مولده بالدار التي تعرف بدار ابن يوسف * قيل : إن رسول الله ﷺ وهبها عقيل بن أبي طالب ، فلم تزل في يده حتى توفي ؛ فباعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج ، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف وادخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجه الخيزران ، فجعلته مسجدا يصلى فيه * وقيل : ولد لعشر خاون منه . وقيل : لثنتين خلنا منه *

قال ابن اسحق : إن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها أتيت في منامها لما حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع بالأرض قولى أعينه بالواحد * من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ، فلما وضعت أرسلت الى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فآته فانظر اليه ، فنظر اليه وحدثه بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه * وقال عثمان بن أبي العاص حدثني أمي أنها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمأشىء أنظر اليه من البيت الانور : واني لانظر النجوم لتدنو حتى أني لأقول لتقعن على *

وأول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوية مولاة أبي لهب بابن ابن له يقال له مسروح ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب . وأرضعت بعده أبا سلة ابن عبد الأسد المخزومي ، فكانت ثوية تأتي رسول الله ﷺ بمكة قبل ان يهاجر فيكرمها ، وتكرمها خديجة ، فأرسلت الى أبي لهب أن يبيعها اياها لتعتقها فأبى ، فلما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة أعتقها أبو لهب . فكان رسول الله ﷺ يبعث اليها بالصلاة الى أن بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر . فسأل عن ابنها مسروح فقيل : توفي قبلها . فسأل هل لها من قرابة ؟ فقيل لم يبق لها أحد *

(١) حقق المرحوم محمود باشا الفلكي بادلة علمية ان ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة التاسع من شهر ربيع الاول من السنة التي ولد فيها *

ثم أرضعت رسول الله ﷺ بعد ثوية حليلة بنت أبي ذؤيب واسمه عبد الله ابن الحرث بن شحنة من بني سعد بن بكر بن هوازن، واسم زوجها الذي أرضعته بلبنه الحرث بن عبد العزى، واسم اخوته من الرضاعة عبد الله وانيسة وجدامة وهي الشياء عرفت بذلك، وكانت الشياء تحضنه مع أمها حليلة. وقدمت حليلة على رسول الله ﷺ بعد أن تزوج خديجة فآكرها ووصلها، وتوفيت قبل فتح رسول الله ﷺ مكة. فلما فتح مكة قدمت عليها أخت لها، فسألها عنها فآخبرته بموتها، فذرفت عيناه، فسألها عن خلفت فآخبرته فسألته نحلة وحاجة فوصلها *

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: كانت حليلة السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرضعاء، وذلك في سنة شهباء لم تبق شيئا، قالت: فخرجت على أتان لنا قراء معنا شارف لنا والله ماتبض بقطرة، وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معي من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذوه، ولكننا نرجو الغيث والفرج فلقد أدمت^(۱) أتاني بالركب حتى شق عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ، فتأباه إذا قيل لها: انه يتيم وذلك انا انما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم فما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فما بقيت امرأة معي إلا أخذت رضيعا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق، قلت لصاحبي وكان معي إني لا كره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلا آخذنه، قال: افعل فاعسى أن الله يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت فأخذته، فلما أخذته ووضعته في حجرى أقبل عليه ثدياي مما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كان ابني ينام قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فاذا انها حافل فحلب منها، ثم شرب حتى روى، ثم سقاني فشربت حتى شبعنا، قالت: ثم خرجنا يقول لي صاحبي تعلين والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله لا رجو ذلك: قالت: ثم خرجنا فر كبت أتاني وحملته عليها فلم يلحقني شيء من حمرهم حتى ان صواحي ليقلن لي: يا ابنة ابي ذؤيب اربعي علينا أليست هذه أذنك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله هي، فيقلن: ان لها شأنا، ثم قدمنا منازلنا من بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما

(۱) كذا بالأصل وفي ابن جرير واذمت أتاني بالركب اي تهاونت به، كافي اللسان اه الادارة *

يحب انسان قطرة قولا يجدها في ضرع ، حتى ان كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة ابي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة من لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف البركة من الله والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وقصلته ، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفراً فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا لما كنا نرى من بر كته ، فكلمنا امه في تركه عندنا فأجابت ، قالت : فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر مر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه : ذلك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعا وشقا بطنه وهما يسوطانه ، قالت : نخر جنا نشد ، فوجدناه قائماً منتقعا وجهه ، قالت : فالتزمته أنا وأبوه ، وقلنا له : مالك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا به شيئاً لا أدري ماهو . قالت فرجعنا الى خباتنا ، وقال لي أبوه : والله لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك ، قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك يا ظئر به وقد كنت حريصة على مكثه عندك ؟ قالت : قلت قد بلغ الله بابني وقضيت الذي على وتخوفت عليه الأحداث فأديته اليك كما تحبين ، قالت : ماهذا بشأنك ؟ فأصدقيني ولم تدعني حتى أخبرتها ، قالت : فتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت نعم قالت : كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإن لابني لساناً أفلا أخبرك ! قلت : بلى قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا ايسر ، ثم وقع حين وضعته وأنه لو اضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة *

و كانت مدة رضاع رسول الله ﷺ سنتين ووردته حليلة إلى أمه وجده عبد المطلب ، وهو ابن خمس سنين في قول * وقال شداد بن أوس بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل شيخ من بني عامر وهو ملك قومه وسيدهم شيخ كبير متوكئاً على عصا فمثل قائماً وقال : يا ابن عبد المطلب إني أنبت أنك تزعم أنك رسول الله أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ألا وإني فئت بعظيم الا وقد كانت الأنبياء من بني إسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان وما لك وللنبوة ؟ وأن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك وبدو شأنك ؟ فأعجب النبي ﷺ بمسألته ، ثم قال : يا أخا بني عامر

اجلس فجلس فقال له النبي ﷺ ان حقيقة قولي وبدو شأني اني دعوة ابي ابراهيم،
 وبُشرى أخى عيسى، و كنت بكرأى، و حملتي كما ثقُل ما تحمل النساء، ثم رأت في منامها
 ان الذى فى بطنها نور، قالت: فجعلت اتبع بصرى النور وهو يسبق بصرى حتى أضاءت لى
 مشارق الارض ومغارها، ثم انها ولدتى فنشأت، فلما نشأت بغضت الى الأوثان
 والشعر، فكنت مسترضعا فى بني سعد بن بكر، فبينما أنا ذات يوم منتبذا من أهلى مع أتراب
 من الصبيان اذ أتانا ثلاثة رهط، معهم طست من ذهب مملوءة ثلجا، فاخذوني من بين أصحابى، فخرج
 أصحابى هربا حتى اتوه الى شفير الوادى، ثم أقبلوا على الرهط، فقالوا: ما أرى بكم الى هذا الغلام؟
 فانه ليس له أب وما يرد عليكم قتله؛ فلما رأى الصبيان الرهط لا يردون جوابا انطلقوا
 مسرعين الى الحى يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم، فأضجنى على
 الأرض إضجاعاً لطيفا؛ ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عاتى، فانا أنظر اليه
 لم أجد لذلك مساً، ثم أخرج أحشاء بطنى فغسلها بالثلج فأنعم غسلها، ثم أخرج قلبي فصدعه
 ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها قال بيده يمته منه كأنه يتناول شيئا، فاذا بخاتم فى يده
 من نور يحار الناظرون دونه نختم به قلبي فامتلاً نورا، وذلك نور النبوة والحكمة، ثم
 أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبي دهرا * ثم قال الثالث لصاحبه تنح فتحنى
 عنى، فامرته بيده ما بين مفرق صدرى الى منتهى عاتى، فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى،
 ثم أخذ يندى فأنهضني إنهاضاً لطيفا، ثم قال للأول الذى شق بطنى زنه بعشرة من أمته
 فوزنوني بهم فرجحهم، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنوني بهم فرجحهم، ثم قال زنه
 بألف من أمته فوزنوني بهم فرجحهم، فقال: دعوه فلو وزنته بأمتهم كلهم لرجح بهم، ثم
 ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عيني، ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدرى
 ما يراد بك من الخير لقر به عينك * قال: فينما نحن كذلك إذ أنا بالحى قد جاؤا بحذايرهم
 واذ ظئرى أمام الحى تهتف بأعلى صوتها وهى تقول: يا ضعيفاه قال: فانكبوا على يعنى
 الرهط، وقبلوا رأسى وما بين عيني، وقالوا: حبذا أنت من ضعيفه؛ ثم قالت ظئرى
 يا وحيداه فانكبوا على فضموني الى صدورهم وقبلوا ما بين عيني وقالوا حبذا أنت من
 وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك * ثم قالت ظئرى يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك
 فقتلت لضعفك فانكبوا على وضموني الى صدورهم، وقبلوا ما بين عيني، وقالوا حبذا

(٣٥٢ - ج ١ الكامل)

أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما يراد بك من الخير قال فوصلوا بي الى شفير الوادي فلما بصرت بي ظئري^(١) قالت يا بني ألا أراك حياً بعد؟ فجاءت حتى انكبت على وضممتني الى صدرها، فوالذي نفسي بيده إني لفى حجرها وقد ضممتني اليها. وان يدي في يد بعضهم فجعلت ألتفت اليهم: وظننت أن القوم يبصرونهم يقول بعض القوم ان هذا الغلام أصابه لم أو طائف من الجن انطلقوا به الى كاهننا حتى ينظر اليه ويداويه؛ فقلت ما هذا؟ ليس بي شيء مما يذكركم ان إرادتي سليمة وفؤادي صحيح ليس في قلبي^(٢)، فقال أبي من الرضاع ألا ترون كلامه صحيحاً؟ إني لا أرجو أن لا يكون بابني بأس فاتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن. فذهبوا بي اليه فلما قصوا عليه قصتي قال: اسكتوا حتى أسمع من الغلام. فانه أعلم بأمره منكم، فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره، فلما سمع قولي وثب إلي وضممني الى صدره، ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى إئن تركتموه فأدرك ليدلن دينكم، ويخلفن أمركم، وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط، فأنزعتني ظئري منه، وقالت: لانت أجن وأعتة من ابني هذا. فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتليه. ثم ردوني الى أهلي، فأصبحت مفزعاً مما فعل بي وأثر الشق مما بين صدري الى عاتق كانه الشراك فذلك حقيقة قولي وبدو شأني يا أخا بني عامر* فقال العامري: أشهد بالله الذي لا إله الا هو إن أمرك حق، فأنبئي بأشياء أسالك عنها قال: سل قال: أخبرني ما يزيد في العلم قال: التعلم قال: فما يدل على العلم؟ قال: النبي ﷺ السؤال قال: فأخبرني ماذا يزيد في الشيء؟ قال: التهادي. قال فأخبرني هل ينفع البر مع الفجور؟ قال: نعم التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن السيئات واذا ذكر العبد الله عند الرخاء أعانه عند البلاء، فقال العامري: فكيف ذلك؟ قال: ذلك بان الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي لأجمع لعبدي أمين، ولا أجمع له خوفين ان خافي في الدنيا أمنت يوم أجمع عبادي في حظيرة القدس فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق، وان هو أمني في الدنيا خافي يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه* قال: يا ابن عبد المطلب أخبرني الى م تدعو؟ قال: أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له. وأن تخلع الأنداد وتكفر باللات والعزى، وتقر بما جاء من عند الله من كتاب ورسول. وتصلي الصلوات الخمس بحقائقهن، وتصوم شهراً من السنة، وتؤدي زكاة مالك يطهرك الله تعالى بها، ويطيب لك مالك، وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيلاً، وتغتسل من الجنابة، وتؤمن

(١) اي مرضعتي (٢) بفتحات ثلاث اي داء اه قاموس *

بالموت والبعث بعد الموت وبالجنة والنار * قال: يا ابن عبدالمطلب فاذا فعلت ذلك فمالي؟ فقال النبي ﷺ: جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تركي، فقال: هل مع هذا من الدنيا شيء؟ فانه يعجبني الرطأة من العيش. قال النبي ﷺ: نعم النصر والتمكين في البلاد فأجاب وأتاب *

قال ابن إسحق: هلك عبد الله بن عبدالمطلب أبو رسول الله ﷺ؛ وأم رسول الله ﷺ أمية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به * قال هشام بن محمد: توفي عبد الله أبو رسول الله ﷺ بعد ما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون يوماً، وقال الواقدي: أثبت عندنا ان عبد الله بن عبدالمطلب أقبل من الشام في غير لقريش ونزل بالمدينة وهو مريض؛ فأقام حتى توفي. ودفن بدار النابغة الصخرى، قال ابن إسحق: وتوفيت أمه أمية وله ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة كانت قدمت به المدينة على أخواله من بني النجار تزيهه إياهم فماتت وهي راجعة، وقيل: إنها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله ومنها رسول الله ﷺ وأم أمين حاضنة رسول الله ﷺ؛ فلما عادت ماتت بالأبواء * وقيل: ان عبدالمطلب زار أخواله من بني النجار، وحمل معه أمية ورسول الله ﷺ، فلما رجع توفيت بمكة، ودفنت في شعب أبي ذر والأول أصح *

ولما سارت قريش الى أحد هموا باستخراجها من قبرها فقال بعضهم ان النساء عورة ور بما أصاب محمد من نسائككم فكفهم الله بهذا القول إكراماً لأم النبي ﷺ * قال ابن إسحق: وتوفي عبدالمطلب ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنين، وقيل: ابن عشر سنين. ولما مات عبدالمطلب صار رسول الله ﷺ في حجر عمه أبي طالب بوصية من عبدالمطلب اليه بذلك لما كان يرى من بره به وشفقته وحنوه عليه، فيصبح ولد أبي طالب غمضاً رمساً ويصبح رسول الله صقيلاً دهيناً *

﴿ ذكر قتل تميم بالمشقر ﴾

قال هشام أرسل وهرز بأموال وطرف من اليمن الى كسرى. فلما كانت ببلاد تميم دعا صعصعة ابن ناجية المجاشعي - جد الفرزدق الشاعر - بني تميم الى الوثوب عليها فأبوا فقال كاتي ببني بكر بن وائل وقد انتهبوا فاستعانوا بها على حربكم فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها وأخذ رجل من بني صليت يقال له النطف خر جافيه جوهر فكان يقال (أصاب كنزا النطف) فصار مثلاً، و صار أصحاب العير الى هوزة بن علي الحنفي باليامة

فكسأهم وحملهم وصار معهم حتى دخل على كسرى فاعجب به كسرى ودعا بعقد من
 در فعقد على رأسه فن ثم سمي هوذة ذالتاج. وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه
 وبينهم سلم؟ فقال: لا بيننا إلا الموت قال: قد أدركت ثارك، وأراد إرسال الجنود
 الى تميم فقبل له: ان ماءهم قليل وبلادهم بلاد سوء، وأشير عليه أن يرسل الى عامله بالبحرين
 وهو ازاد فيروز بن جشيش الذي سمته العرب المكعبر وانما سمي بذلك لأنه كان
 يقطع الأيدي والأرجل فأمره بقتل بني تميم ففعل، ووجه اليه رسولا. ودعا هوذة
 وجدده كرامة وصلة وأمره بالمسير مع رسوله فاقبل الى المكعبر أيام اللقاط، وكانت
 تميم تصير الى هجر للميرة واللقاط، فأمر المكعبر منادياً ينادى ليحضر من كان ههنا من
 بني تميم، فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام. فحضروا ودخلوا المشقر وهو حصن، فلما
 دخلوا قتل المكعبر رجالهم، واستبقى غلبانهم وقتل يومئذ قعنب الرياحي وكان فارس
 ير بوع، وجعل الغلبان في السفن وعبر بهم الى فارس. قال هبيرة بن حدير العدوي: رجع
 الينا بعد ما فتحت اصطخر عدة منهم، وشد رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب على
 سلسلة الباب فقطعها وخرج^(١) واستوهب هوذة من المكعبر مائة أسير منهم فاطلقهم^(٢) *

* حدير بضم الحاء المهملة وفتح الدال *

(١) اي وهو ينشد كما رواه ابن جرير *

تذكرت هندالات حين تذكر	تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل اهلها	مصاب الخريف بين زور ومزور
الأهل أتى قومي على النائي اتى	حميت ذماری يوم باب المشقر؟
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة	تفرج منها كل باب مضرب

المضرب الموثق اه الادارة *

(٢) وفي ذلك يقول الأعشى :

سائل تميما به ايام صفقتهم	لما أتوه اسارى كلهم ضرعا
وسط المشقر في غبراء مظلمة	لا يستطيعون بعد الضر منتفعا
فقال للملك اطلق منهم مائة	رسلا من القول غفوضا ومارفعا
ففك عن مائة منهم اسارهمو	واصبحوا كلهم من غله خلعا
بهم تقرب يوم الفصح ضاحية	يرجو الاله بما اسدى وما صنعا
فلايرون بنا كم نعمة سبقت	ان قال قائلها حقا بها وسما

﴿ ذ كرمك ابنه هرمز بن أنوشروان ﴾

وكانت أمه ابنة خاقان الأوك. لما ملك كسرى أنوشروان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة، فملك بعده هرمز، وكان هرمز بن كسرى أديباً ذانية في الاحسان الى الضعفاء والرحم على الأشراف فعادوه وأبغضوه، وكان في نفسه مثل ذلك، وكان عادلاً بلغ من عدله أنه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن فاجتاز بكر وم فاطلع أسوار من أساورته في كرم وأخذ منه عناقيد حصرم فلزمه حافظ الكروم وصرخ، فبلغ من خوف الأسوار من عقوبة كسرى هرمز أن دفع الى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب عوضاً من الحصرم فتركه، وقيل كان مظفراً منصوراً لا يمد يده الى شيء الا ناله، وكان داهياً رديء النية قد نزع الى اخواله الترك، وأنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل، ولم يكن له رأى إلا في تألف السفلة، وحبس كثيراً من العظماء وأسقطهم وخط مراتبهم، وحرّم الجنود ففسد عليه كثير ممن كان حوله وخرج عليه شايه ملك الترك في ثلاثمائة ألف مقاتل في سنة ست عشرة من ملكه فوصل هراة وباذ غيس وأرسل الى هرمز والفرس يأمرهم باصلاح الطرق ليجوز الى بلاد الروم. ووصل ملك الروم في ثمانين ألفاً الى الضواحي قاصداً له، ووصل ملك الخزر الى الباب والأبواب في جمع عظيم، فان جمعا من العرب شنوا الغارة على السواد، فارسل هرمز بهرام خشنش — ويعرف بجويين — في اثني عشر ألفاً من المقاتلة اختارهم من عسكره فسار مجداً، وواقع شايه ملك الترك فقتله برمية رماها، واستباح عسكره ثم وافاه برمودة بن شايه فهزمه أيضاً، وحصره في بعض الحصون حتى استسلم، فارسله الى هرمز أسيراً، وغنم ما في الحصن فكان عظيماً * ثم خاف بهرام ومن معه هرمز فخلعوه وساروا نحو المدائن وأظهروا أن ابنه أبرويز أصلح للملك منه وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز وكان غرض بهرام أن يستوحش هرمز من ابنه أبرويز ويستوحش ابنه منه فيختلفا فان ظفر أبرويز بابيه كان أمره على بهرام سهلاً. وإن ظفر أبوه نجاب بهرام والكلمة مختلفة فينال من هرمز غرضه وكان يحدث نفسه بالاستقلال بالملك فلما علم أبرويز ذلك خاف أباه فهرب الى أذربيجان، فاجتمع عليه عدة من المرازبة والأصبهين، ووثب العظماء بالمدائن وفيهم بندويه وبسطام خالا أبرويز فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه تخرجاً من قتله وبلغ أبرويز الخبر فأقبل من أذربيجان الى دار الملك، وكان ملك هرمز إحدى

عشرة سنة وتسعة أشهر، وقيل: اثنتي عشرة سنة ولم يسمل من ملوك الفرس غيره
لاقبله ولا بعده*

ومن محاسن السير ما حكى عنه أنه لما فرغ من بناء داره التي تشرف على دجلة مقابل
المدائن عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من الأطراف فاكلوا؛ ثم قال لهم هل رأيتم
في هذه الدار عيباً؟ فكلمهم قال لا عيب فيها فقام رجل وقال فيها ثلاثة عيوب فاحشة: أحدها
ان الناس يجعلون دورهم في الدنيا وأنت جعلت الدنيا في دارك فقد أفرطت في توسيع
صحنها وبيوتها، فتمكن الشمس في الصيف والسموم فيؤذي ذلك أهلاً ويكثر فيها
في الشتاء البرد. والثاني ان الملوك يتوصلون في البناء على الأتربة لتزول همومهم وأفكارهم
بالنظر الى المياه ويطرب الهواء وتضيء أبصارهم. وأنت قدرت دجلة وبنيتها في القفر،
والثالث أنك جعلت حجرة النساء مما يلي الشمال من مساكن الرجال وهو أدوم هبوباً فلا
يزال الهواء يحىء باصوات النساء وريح طيبهن وهذا ما تمنعه الغيرة والحمية، فقال هرمز:
أما سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر فيه البصر وشدة الحر والبرد يدفعان
بالخيش والملابس والنيران. وأما مجاورة الماء فكنت عند أبي وهو يشرف على دجلة
فغرقت سفينة تحته فاستغاث من بها اليه وأبي يتأسف عليهم ويصيح بالسفن التي تحت
داره ليلحقوهم فالى أن يلحقوهم غرق جميعهم، فجعلت في نفسي أنني لأجاور سلطاناً هو
أقوى مني، وأما عمل حجرة النساء في جهة الشمال فقصدنا به ان الشمال أرق هواءاً وأقل
وخامة والنساء يلازم البيوت فعمل لذلك، وأما الغيرة فان الرجال لا يخلون بالنساء
وكل من يدخل هذه الدار إنما هو مملوك وعبد لقيم وأما أنت فما أخرج هذا منك إلا بغض
لى فاخبرني عن سبيه. فقال الرجل: لى قرية ملك كنت أنفق حاصلها على عيالى فغلبني
المرزبان فاخذها منى، فقصدتك أتظلم منذ سنتين فلم أصل إليك، فقصدت وزيرك
وتظلمت اليه فلم ينصفني وأنا أؤدى خراج القرية حتى لا يزول اسمى عنها وهذا غاية
الظلم أن يكون غيرى يأخذ دخلها وأنا أؤدى خراجها، فسأل هرمز وزيره فصدقه، وقال:
خفت أعلك فيؤذني المرزبان فامر هرمز أن يؤخذ من المرزبان ضعف ما أخذ وأن
يستخدمه صاحب القرية في أى شغل شاء سنتين وعزل وزيره. وقال: في نفسه اذا كان
الوزير يراقب الظالم فالحرى أن غيره يراقبه، فامر باتخاذ صندوق، وكان يقفله ويختمه
بخاتم ويترك على باب داره، وفيه خرق يلقي فيه رقايع المتظلمين، وكان يفتحه كل أسبوع

و یکشف المظالم فأفکر وقال: أريد أعرّف ظلم الرعية ساعة فساعة ، فاتخذ سلسلة طرفها في مجلسه في السقف والطرف الآخر خارج الدار في روزنة وفيها جرس ، وكان المتظلم يحرك السلسلة فيحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته *

﴿ ذکر مملکت کسری ابروین بن هرمز ﴾

و كان من أشد ملوكم بطشا وأنفذهم رأيا وبلغ من البأس والنجدة ، وجمع الأموال ومساعدة الأقدار ما لم يبلغه ملك قبله ولذلك لقب ابروین ومعناه المظفر ، وكان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبین إلى أبيه أنه يريد الملك لنفسه ، فلما علم ذلك سار إلى أذربيجان سرا، وقيل : غير ذلك وقد تقدم ، فلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء . واجتمع من بالمداين على خلع أبيه ، فلما سمع ابروین بادر الوصول إلى المدائن قبل بهرام جوبین . فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ، ثم دخل إلى أبيه و كان قد سمل ، فاعلمه انه برى، مما فعل به ، وانما كان هربه للخوف منه فصدقه ، وسأله أن يرسل إليه كل يوم من يونسه وأن ينتقم من خلعه وسمل عينيه ؛ فاعتذر بقرب بهرام منه في العساكر ، وانه لا يقدر على أن ينتقم ممن فعل به ذلك إلا بعد الظفر ببهرام ، وسار بهرام إلى النهروان وسار ابروین إليه فالتقيا هناك ورأى ابروین من أصحابه فتورا في القتال ، فانهزم ودخل على أبيه وعرفه الحال فاستشاره فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم ، وجهاز ثانيا ، وسار في عدة يسيرة فيهم خالاه بندويه و بسطام و كردي أخو بهرام ، فلما خرجوا من المدائن خاف من معه أن بهرام يرد هرمز إلى الملك ويرسل إلى ملك الروم في ردهم فيردهم إليه فاستأذنوا ابروین في قتل أبيه هرمز فلم يحرجوا با فانصرف بندويه و بسطام وبعض من معهم إلى هرمز فقتلوه خنقا ، ثم رجعوا إلى ابروین وساروا مجدین الى أن جاوزوا الفرات ودخلوا ديرا يستر يحون فيه ، فلما دخلوا غشيتهم خيل بهرام جوبین ومقدمها رجل اسمه بهرام بن سیاوش ، فقال بندويه لابروین احتل لنفسك قال : ما عندي حيلة قال بندويه : أنا أبذل نفسي دونك وطلب منه بزة فلبسها وخرج ابروین ومن معه من الدير وتواروا بالجبل ، ووافى بهرام الدير ، فرأى بندويه فوق الدير عليه بزة ابروین فاعتقده هو وسأله أن ينظره إلى غد ليصير إليه سلما ففعل ، ثم ظهر من الغد على حيلته فحمله إلى بهرام جوبین ، فحبسه ودخل بهرام جوبین دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج ، فانصرفت الوجوه عنه لكن الناس أطاعوه خوفا وواطأ بهرام بن سیاوش بندويه على

الفتك بيهرام جو بين فعلم بهرام جو بين بذلك ، فقتل بهرام وأفلت بندويه فلحق باذريجان وسار إبرويز إلى أنطاكية وأرسل أصحابه إلى الملك فوعده النصره ، وتزوج إبرويز ابنة الملك موريق واسمها مريم ، وجهاز معه العساكر الكثيرة فبلغت عدتهم سبعين ألفاً فيهم رجل يعد بالف مقاتل ، فرتبهم إبرويز وسار بهم إلى أذربيجان ، فوافاه بندويه وغيره من المقدمين والأساورة في أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان وسار إلى المدائن ، وخرج بهرام جو بين نحوه فجرى بينهما حرب شديدة ، فقتل فيها الفارس الرومي الذي يعد بالف فارس ، ثم انهزم بهرام جو بين وسار إلى الترك ، وسار إبرويز من المعركة ، ودخل المدائن وفرق الأموال في الروم . فبلغت جملتها عشرين ألف ألف فأعادهم إلى بلادهم ، وأقام بهرام جو بين عند الترك مكرماً ، فأرسل إبرويز إلى زوجة الملك وأجزل لها الهدية من الجواهر وغيرها وطلب منها قتل بهرام ، فوضعت عليه من قتله فاشتد قتله على ملك الترك ؛ ثم علم أن زوجته قتله فطلقها * ثم إن إبرويز قتل بندويه ، وأراد قتل بسطام فهرب منه إلى طبرستان لحصانها فوضع إبرويز عليه فقتله *

وأما الروم فانهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك إبرويز وقتلوه وملكوا عليهم بطريقاً اسمه فوقاس فاباد ذرية موريق سوى ابن له هرب إلى كسرى إبرويز ، فأرسل معه العساكر وتوجه وملكه على الروم وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده وأساورته : أما أحدهم فكان يقال له بوران وجهه في جيش منها إلى الشام فدخلها حتى انتهى إلى البيت المقدس ، فأخذ خشبة الصليب التي تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام صلب عليها ، فأرسلها إلى كسرى إبرويز ، وأما القائد الثاني فكان يقال له شاهين فسيره في جيش آخر إلى مصر فافتتحها ، وأرسل مفاتيح الإسكندرية إلى إبرويز ، وأما القائد الثالث وهو أعظمهم فكان يقال له فرخان وتدعى مرتبته شهريراز ، وجعل مرجع القائدين الأولين إليه ، وكانت والدته منجبة لا تلد إلا نجياً فاحضرها إبرويز ، وقال لها إني أريد أن أوجه جيشاً إلى الروم أستعمل عليه بعض بنيك فأشير علي أيهم أستعمل ؟ فقالت : أما فلان فاروغ من ثعلب وأحذر من صقر ، وأما فرخان فهو أنفذ من سنان ، وأما شهريراز فهو أحلم من كدي ، فقال قد استعملت الحلیم فولاه أمر الجيش . فسار إلى الروم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع أشجارهم ، وسار في بلادهم

الى القسطنطينية حتى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرب فلم يخضع لابن موريق أحد ولا أطاعه غير أن الروم قتلوا فوقاس لفساده وملكوا عليهم بعده هرقل وهو الذي أخذ المسلمون الشام منه فلما رأى هرقل ما أهم الروم من النهب والقتل والبلاء تضرع الى الله تعالى ودعا فرأى في منامه رجلاً كث اللحية رفيع المجلس عليه بزة حسنة فدخل عليهما داخل فلقى ذلك الرجل من مجلسه ، وقال لهرقل : إني قد أسلمته في يدك فاستيقظ فلم يقص رؤياه ؛ فرأى في الليلة الثانية ذلك الرجل جالساً في مجلسه وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة فألقاها في عنق ذلك الرجل . وسلمه الى هرقل ، وقال قد دفعت اليك كسرى برمته ، فاغزه ، فانك مدال عليهم ، وبالغ أمنيته في أعدائك فقص حينئذ هذه الرؤيا على عظماء الروم ، فأشاروا عليه أن يغزوه ، فاستعد هرقل . واستخلف ابنه على القسطنطينية . وسلك غير الطريق الذي عليه شهريراز . وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية ، وقصد الجزيرة فنزل نصيبين فأرسل اليه كسرى جنداً وأمرهم بالمقام بالموصل ، وأرسل الى شهريراز يستحثه على القدوم عليه ليتضافرا على قتال هرقل . وقيل في مسيره غير هذا وهو أن شهريراز سار الى بلاد الروم فوطىء الشام حتى وصل الى أذرعان ، ولقى جيوش الروم بها فهزمها وظهر بها وسبي وغنم وعظم شأنه ثم إن فرخان أخا شهريراز شرب الخمر يوماً وقال لقد رأيت في المنام كأنى جالس على سرير كسرى فباغ الخبر كسرى فكتب الى أخيه شهريراز يأمره بقتله ، فعاوده وأعلمه شجاعته ونكايته في العدو فعاد كسرى وكتب اليه بقتله فراجعته فكتب اليه الثالثة فلم يفعل فكتب كسرى بعزل شهريراز وولاية فرخان العسكر فأطاع شهريراز ، فلما جلس على سرير الامارة التى اليه القاصد بولايته كتاباً صغيراً من كسرى يأمر بقتل شهريراز ، فعزم على قتله . فقال له شهريراز : أمهلنى حتى أكتب وصيتي فامهله ، فاحضر درجا وأخرج منه كتب كسرى الثلاثة وأطلعه عليها ، وقال : أنا راجعت فيك ثلاث مرات ولم أقتلك وأنت تقتلنى في مرة واحدة ، فاعتذر أخوه اليه ، وأعادته الى الامارة واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى ، فأرسل شهريراز الى هرقل : ان لى اليك حاجة لا يبلغها البريد ولا تسعها الصحف ، فلقى في خمسين رومياً ، فاني ألقاك في خمسين فارسياً ، فأقبل قيصر في جيوشه جميعها ، ووضع عيونهم تأتيه بخبر شهريراز ، وخاف أن يكون مكيدة فأتته عيونهم ، فاخبروه انه في خمسين فارسياً ، فحضر عنده في مثلها واجتمعوا وبينهم اترجمان .

(٣٦٢ - ٣٦٣ - ١ الكامل)

فقال له : أنا وأخي خربا بلادك وفعلنا ما علمت . وقد حسدنا كسرى وأراد قتلنا ، وقد خلعناه ، ونحن نقاتل معك ففرح هرقل بذلك واتفقا عليه وقتلا الترجمان لتلا يفشى سرهما ، وسار هرقل في جيشه إلى نصيبين * وبلغ كسرى ابرويز الخبر ، فارسل لمحاربة هرقل قائدا من قواده اسمه راهزار في اثني عشر ألفا ، وأمره أن يقيم بفينوى من أرض الموصل على دجلة يمنع هرقل من أن يجوزها . وأقام هو بدسكرة الملك فارسل راهزار العيون . فاخبروه ان هرقل في سبعين ألف مقاتل . فارسل الى كسرى يعرفه ذلك وانه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير ، فلم يعذره وأمره بقتاله ، فاطاع وعي جنده ، وسار هرقل نحو جنود كسرى وقطع دجلة من غير الموضع الذي فيه راهزار ، فقصدته راهزار ولقيه فاقتتلوا فقتل راهزار وستة آلاف من أصحابه ، وانهمز الباكون . وبلغ الخبر ابرويز وهو بدسكرة الملك . فهاله ذلك وعاد إلى المدائن وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل ، وكتب إلى قواد الجند الذين انهزموا يتهددهم بالعقوبة فأوجههم إلى الخلاف عليه على ما نذره ان شاء الله * وسار هرقل حتى قارب المدائن ، ثم عاد إلى بلاده *

وكان سبب عوده أن كسرى لما عجز عن هرقل أعمل الحيلة فكتب كتابا إلى شهريراز يشكره ويثني عليه ، و يقول له أحسنت في فعل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد والآن فقد أوغل وأمكن من نفسه ، فتجىء أنت من خلفه وأنا من بين يديه . و يكون اجتماعنا عليه يوم كذا فلا يفلت منهم أحد ، ثم جعل الكتاب في عكاز أنبوس ، وأحضر راهبا في دير عند المدائن ، وقال له : لى اليك حاجة ، فقال الراهب : الملك أكبر من أن يكون له إلى حاجة ولكنني عبده . قال : ان الروم قد نزلوا قريانا وقد حفظوا الطرق عنا ولى الى أصحابي الذين بالشام حاجة . وأنت نصراني إذا جرت على الروم لا ينكرونك ، وقد كتبت كتابا وهو في هذه العكازة فتوصئه إلى شهريراز وأعطاه مائتي دينار ، فأخذ الكتاب وفتح وقرأه ثم أعاده وسار . ذلها صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رق قلبه ، وقال : أنا شر الناس ان أهلكت النصرانية فاقبل الى سرادق الملك وأنهى حاله ، وأوصل الكتاب اليه فقرأه ، ثم أحضر أصحابه رجلا قد أخذوه من طريق الشام قد واطاه كسرى ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهريراز الى كسرى يقول : إنى ما زلت أخادع ملك الروم . نتي اطمأن الى ، وجاز الى البلاد كما أمرتني فيعرفني الملك في أى يوم يكون لقاءه حتى أهجم أنا عليه من ورائه والملك من بين يديه فلا يسلم هو ولا

اصحابه وأمره أن يتعمد طريقاً يؤخذ فيها ، فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثاني تحقق الخبر فعاد شبه المنهزم مبادراً الى بلاده ووصل خبر عودة ملك الروم الى شهريراز فاراد أن يستدرك ما فرط منه فعارض الروم ، فقتل منهم قتلاً ذريعاً ، وكتب الى كسرى إني عملت الحيلة على الروم حتى صاروا في العراق وأنفذت رؤسهم شيئاً كثيراً ، وفي هذه الحادثة أنزل الله تعالى (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) يعني بأدنى الأرض أذرعاً وهي أدنى أرض الروم الى العرب و كانت الروم قد هزمت بها في بعض حروبها *

و كان النبي ﷺ والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أولاً بالروم لأن الروم أهل كتاب ، وفرح الكفار لأن المجوس أميون مثلهم فلما نزلت هذه الآيات رهن أبو بكر الصديق أبي بن خلف على أن الظفر يكون للروم الى تسع سنين والرهن مائة بعير ، فغلبه أبو بكر ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراماً ، فلما ظفرت الروم أتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية *

﴿ ذكر مارأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله ﷺ ﴾

فمن ذلك ان كسرى ابرويزسكر دجلة العوراء وأنفق عليها من الأموال ما لا يحصى كثرة ، وكان طاق مجلسه قد بنى بنياناً لم يمثله ، وكان عنده ثلثمائة وستون رجلاً من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم ، وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب بعث به باذان من اليمن ، وكان كسرى اذا أحزنه أمر جمعهم ، فقال : انظروا في هذا الأمر ما هو ؟ فلما بعث الله محمداً ﷺ أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه من غير ثقل وانخرقت دجلة العوراء * فلما رأى ذلك أحزنه ، وقال : انفصم طاق ملكي وانخرقت دجلة العوراء « شاه بشكست » يقول : « الملك انكسر » *

ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه وفيهم السائب ، فقال لهم : انظروا في هذا الأمر فنظروا في أمره فأخذت عليهم أقطار السماء وأظلمت الأرض فلم يمض لهم ماراموه ، و بات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض ينظر ، فرأى برقاً من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق ، فلما أصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء . فقال فيما يعتاف : ان صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الأرض كما فضل ما أخصبت على ملك *

فلما خلا الكهان والمنجمون والسحار بعضهم الى بعض ورأوا ما أصابهم ورأى السائب ما رأى قال بعضهم لبعض: والله ما حال بينكم وبين عليكم إلا مرجاء من السماء، وأنه لنبي بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره، ولئن نعيم لكسرى ملكه ليقتلنكم، فاتفقوا على أن يكتموه الأمر، وقالوا له قد نظرنا فوجدنا أن وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النحوس فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها فزال كل ما وضع عليها، وأنا نحسب لك حسابا تضع عليه بنيانك فلا يزول فحسبوا وأمروه بالبناء فبني دجلة العوراء في ثمانية أشهر فانفق عليه أموالا جلية حتى فرغ فقال لهم: أجلس على سورها؟ قالوا: نعم فجلس في أساورته فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته فلم يخرج إلا بآخر رمق*

فلما أخرجوه جمع كهانه وسحاره ومنجميه فقتل منهم قريبا من مائة: وقال: قربتكم وأجريت عليكم الارزاق ثم أنتم تلعبون بي فقالوا: أيها الملك أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ثم حسبوا له وبناه، وفرغ منه، وأمروه بالجلوس عليه فخاف فركب فرسا، وسار على البناء فبينما هو يسير انتسفته دجلة فلم يدرك إلا بآخر رمق فدعاهم وقال: لا تقتلنكم أجمعين أو لتصدقوني فصدقوه الأمر، فقال: ويحكم هلا بينتم لي فارى فيه رأيي قالوا: منعنا الخوف فتركهم ولها عن دجلة حين غلبته، وكان ذلك سبب البطائح ولم تكن قبل ذلك، وكانت الأرض كلها عامرة*

فلما كانت سنة ست من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى فزاد الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم ير قبلها ولا بعدها مثلها. فانبتت البثوق وانتسفت ما كان بناه كسرى واجتهد أن يسكرها فغلبه الماء كما بينا، ومال الى موضع البطائح فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج، ثم دخلت العرب أرض الفرس وشغلتهن عن عملها بالحروب واتسع الخرق*

فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق آخر فلم يسدها مضارة للدهاقين لأنه اتهمهم بمالاة ابن الأشعث فعظم الخطب فيها، وعجز الناس عن عملها فبقيت على ذلك الى الآن، وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: بعث الله الى كسرى ملكا وهو في بيت إيوانه الذي لا يدخل عليه فيه فلم يرعه إلا هو قائما على رأسه في يده عصا بالهاجرة في ساعته التي يقلب فيها، فقال: يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا. فقال بهل بهل وانصرف عنه فدعا

بحراسه و حجابہ فتغیظ علیہم ، وقال : من أدخل هذا الرجل ، فقالوا : ما دخل علينا أحد ولا رأيناه حتى إذا كان العام المقبل أتاه في تلك الساعة وقال له أتسلم أو أكسر العصا؟ فقال بهل بهل وتغیظ علی حجابہ و حراسہ فلما كان العام الثالث أتاه فقال له أتسلم أو أكسر العصا؟ فقال بهل بهل فكسر العصائم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعث ابنه والفرس حتى قتلوه *

وقال الحسن البصرى قال أصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله ما حجة الله على كسرى فيك؟ قال بعث اليه ملكا فأخرج يده اليه من جدار بيته تلالاً نوراً فلما رآها فرزع فقال له: لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك قال سأنظر *

﴿ ذكر وقعة ذی قار و سببها ﴾

ذکروا عن النبي ﷺ أنه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى، هذا أول يوم اتصفت العرب فيه من العجم وبنى نصر و الحفظ ذلك منه و كان يوم الوقعة * قال هشام بن محمد كان عدی بن زید التیمی^(۱) وأخوه عمار وهو أبي وعمرو وهو سمي يكونون مع الأ كاسرة ولهم اليهم انقطاع، وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدی بن زید ، و كان له غير النعمان أحد عشر ولدا وكانوا يسمون الا شهاب لجمالهم * فلما مات المنذر بن المنذر وخلف اولاده أراد كسرى بن هرمزان يملك على العرب من يختاره ، فاحضر عدی بن زید وسأله عن اولاد المنذر ، فقال : هم رجال فامرهم باحضارهم ، فكتب عدی فاحضرهم وأنزلهم ؛ وكان يفضل اخوة النعمان عليه ويريهم انه لا يرجو النعمان ويخلو بواحد واحد ، ويقول له : اذا سالك الملك أتكفوتني العرب؟ فقولوا : نكفيكم إلا النعمان ، وقال للنعمان : اذا سالك الملك عن إختوتك فقل له : إذا عجزت عن إختوتي فانا عن غيرهم أعجز ، وكان من بني مرينا رجل يقال له عدی بن أوس بن مرينا ، وكان داهياً شاعرا ، وكان يقول للأسود بن المنذر قد عرفت اني أرجوك وعيني اليك ، وإني أريد أن تخالف عدی بن زید ، فانه والله لا ينصح لك أبدا ؛ فلم يلتفت الى قوله *

فلما أمر كسرى عدی بن زید أن يحضرهم أحضرهم رجلا رجلا ، وسألهم كسرى

(۱) ويقال له العبادى وانما نسبة المصنف الى تميم لانه منهم كما في الاغانى اه الاداره *

أتكفونني العرب؟ فقالوا: نعم إلا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً دميماً
احمر أبرش قصيراً، فقال له: أتكفيني اخوتك والعرب؟ قال: نعم وان عجزت عن
اخوتي فانا عن غيرهم أعجز فلكه وكساه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم، فقال
عدى بن مرينا للأسود دونك فقد خالفت الرأي، ثم صنع عدى بن زيد طعاماً ودعا
عدى بن مرينا إليه، وقال: إني عرفت ان صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك
من صاحبي النعمان فلا تلني على شيء كنت على مثله واني أحب ان لا تحقد علي وان
نصبي من هذا الأمر ليس باوفر من نصيبك، وحلف لابن مرينا أن لا يهجوهُ ولا يبغيه
غائلة أبداً، فقام ابن مرينا وحلف انه لا يزال يهجوهُ ويبغيه الغوائل، وسار النعمان حتى
نزل الحيرة، وقال ابن مرينا للأسود: اذا فاتك الملك فلا تعجز ان تطلب بشارك من عدى -
فان معدا لا ينام مكرها وأمرتك بمعصيته فخالفتني وأريد أن لا يأتيتك من مالك شيء إلا
عرضته علي ففعل، وكان ابن مرينا كثير المال، وكان لا يخلى النعمان يوماً من هدية
وطرفة فصار من أكرم الناس عليه، وكان اذا ذكر عدى بن زيد وصفه، وقال: الا
انه فيه مكر وخديعة واستمال أصحاب النعمان، فقالوا اليه ووضعهم^(١) على أن قالوا للنعمان:
ان عدى بن زيد يقول انك عامله ولم يزلوا بالنعمان حتى أضغنوه عليه، فأرسل الى عدى
يستزيره فاستاذن عدى كسرى في ذلك فاذن له، فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسه، ومنع
من الدخول عليه فجعل عدى يقول الشعر^(٢) وهو في السجن * وبلغ النعمان قوله فندم

(١) كذا في الاصول وله اها وحلمهم (٢) واول ما قال هذه القصيدة كافي الاغانى

ليت شعري عن الهمام ويأتيتك بنجر الانباء عطف السؤال
ابن عنا إخطارنا المال والانفس اذ ناهدوا ليوم المحال
ونضالى في جنبك الناس يرمون وارمى وكنا غير آلى
فاصيب الذى تريد بلا غش وأربى عليهم وأوالى
ليت أنى اخذت حتى بكسنى ولم ألق ميتة الاقتال
محلوا محلهم لصرعتنا العا م فقد اوقعوا الرحا بالثقال

وهي قصيدة طويلة، وقال ايضا

ارقت لمكفهرات فيه بوارق يرتقين رؤس شيب

الى أن قال بعد أن ذكر نعمته على النعمان ومؤازرته له

الامن مبلغ النعمان غنى وقد تهدي النصيحة بالمغيب
أحظى كان سلسلة وقيدا وغلا والبيان لدى الطيب

على حبسه إياه وخاف منه اذا أطلقه، فكتب عدى الى أخيه ابى أبياتا يعلمه بحاله فلما قرأ آياته وكتابه كسرى فيه فكتب الى النعمان وأرسل رجلا في اطلاق عدى وتقدم أخو عدى الى الرسول بالدخول إلى عدى قبل النعمان ففعل ودخل على عدى وأعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدى: لا يخرج من عندى وأعطى الكتاب حتى أرسله فانك ان خرجت من عندى قتلتى فلم يفعل ودخل أعداء عدى على النعمان فاعلموه الحال وخوفوه من اطلاقه، فإرسلهم اليه فخنقوه، ثم دفنوه * وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب * فقال نعم وكرامة وبعث اليه باربعة آلاف مثقال وجارية وقال: اذا أصبحت ادخل اليه فخذها فلما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس: انه مات منذ أيام فرجع الى النعمان وأخبره أنه رآه بالامس ولم يره اليوم فقال: كذبت وزاده رشوة واستوثق منه أن لا يخبر كسرى إلا أنه مات قبل وصوله الى النعمان: قال: وندم النعمان على قتله واجترأ أعداء عدى على النعمان وهاهم هية شديدة، فخرج النعمان في بعض صيده، فرأى ابناً لعدى يقال له زيد فكلمه، وفرح به فرحاً شديداً واعتذر اليه من أمر أبيه، وسيره الى كسرى ووصفه له وطلب اليه أن يجعله مكان أبيه، ففعل كسرى وكان يلى ما يكتب الى العرب خاصة، وسأله كسرى عن النعمان فاحسن الثناء عليه. وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه، وكان يكثر الدخول على كسرى، وكان للموك الأعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم وكانوا يعيشون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب، فقال له زيد بن عدى: إني أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال: فتكتب فيهن قال: أيها الملك ان شر شيء في العرب وفي النعمان أنهم يتكرمون بأنفسهم عن العجم فأنا أكره أن يتعنثن وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك. فابعثني

اتاك باتى قذطال حدى	ولم تسأم بمسجون حريب
ويتى مقسفر الانساء	ارامل قد هلكن من النجيب
يادرن الدموع على عدى	كشن خانه خرز الرب
يحاذرن الوشاة على عدى	وما اقترفوا عليه من الذنوب
ذن اخطات أوأوهمت اصرا	فقد يهم المصافى بالحبيب
وان اظلم فقد عاقبتمونى	وان اظلم فذلك من نصيبى
وان اهلك تجد فقدى وتمخذل	اذا التقت العوالى فى الحروب

الادارة

وابعث معي رجلا يفقه العربية . فبعث معهما رجلا جلدا فخرجا حتى بلغا الحيرة ، ودخلا على النعمان ، قال له زيد ان الملك احتاج الى نساء لاهله وولده وأراد كرامتك فبعث اليك قال : وما هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صفتين قد جئنا بها وكانت الصفة ان المنذر أهدي أنوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحرث بن أبي شمر الغساني ، وكتب يصفها : أنها معتدلة الخناق ، نقيه اللون والثغر ، بيضاء ، وطفاء . قراء ، دجاء ، حوراء ، عينا . قنواء ، شماء ، شمراء ، زجاء ، برجاء ، أسيلة الخد . شبيهة القدر . جثيلة الشعر . بعيدة مهوى القوط ، عطاء ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مشاشة المنكب والعضد . حسنة المعصم . لطيفة الكف ، سبطة البنان ، لطيفة طي البطن ، خمصة الخصر ، غرثي الوشاح ، رداح القبل^(١) ، راية الكفل ، لفاء الفخذين ، ريا الروادف ، ضخمة المنكبين . عظيمة الركبة ، مفعمة الساق ، مشبعة الخنخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي ، مكسال الضحى ، بضعة المتجرد . سموع للسيد ، ليست بخلساء ولا سفعاء ، ذليلة الأنف ، عزيزة النفر ، لم تفد في بؤس ، حنينة ، رزينة . زكية ، كريمة الخال ، تفتخر بنسب أيها دون فصيلتها ، و بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب فرأيها رأى أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة ؛ صناع الكفين ، قطيعة اللسان ، زهرة الصرت ، تزين البيت وتشين العدو ، ان أردتها اشتيت ، وان تركتها انتهت ، تحملى عيناها ، وتحمى وجنتها^(٢) وتدبب شفتها وتبادرك الوثب * فقبلها كسرى وأمر بإثبات هذه الصفة فبقيت الى أيام كسرى بن هرمز ، فقرأ ز يدهذه الصفة على النعمان فشق ذلك عليه ، وقال لزيد والرسول يسمع : ما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم ، فقال الرسول : لزيد ما العين قال البقر^(٣) وأنزلها يومين و كتب الى كسرى : ان الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد : اعذرني عنده *

فلما عاد الى كسرى قال لزيد أين ما كنت أخبرني قال : قد قلت للملك وعرفته بخلم بنسائهم على غيرهم ، وان ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم . وسل هذا الرسول عن الذي قال : فاني أكرم الملك عن ذلك ، فسأل الرسول فقال انه قال ما في بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ف عرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه وقال : رب عبد قد

(١) هو بنتحتين جمعه اقبال ما استقبلك من مشرف (٢) هذه عبارة ابن جرير وهي الصواب لانها الاصل ، والذي في النسخ خذاها . الادارة (٣) الذي في الأغاني (كاوان) جمع كاو وكاوفي الفارسية البقرة كما في الانجيزة

أراد ما هو أشد من هذا فصار أمره إلى التباب * وبلغ هذا الكلام النعمان وسكت كسرى على ذلك أشهر والنعمان يستعد حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيه. فحين وصل الكتاب أخذ سلاحه وما قوى عليه، ثم لحق بجبلي طيء. وكان متزوجاً إليهم. وطلب منهم أن ينصروه فأبوا عليه خوفاً من كسرى، فأقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل في ذي قار في بني شيبان سراً فلقى هاني بن مسعود بن عمرو الشيباني وكان سيداً منيعاً والبيت من ربيعة في آل ذي الجدين، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين، وكان كسرى قد أطعمه الأبله فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك وعلم أن هانئاً يمنع مما يمنع منه أهله فأودعه أهله وماله وفيه أربعمائة درع، وقيل: ثمانمائة درع وتوجه النعمان إلى كسرى فلقى زيد بن عدى على قنطرة سبابط فقال: أنج نعيم، فقال: أنت يا زيد فعلت هذا؟ أما والله إن انفلت لأفعلن بك ما فعلت بابيك، فقال: زيد امض نعيم فقد والله وضعت لك أخية لا يقطعها المهر الأرن * فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فعيده وبعث به إلى خانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه. قال والناس يظنون أنه مات بسبابط بيت الأعتى وهو يقول *

فذاك وما ينجي من الموت ربه * بسبابط حتى مات وهو محرزق^(١)

وكان موته قبل الإسلام^(٢) * فلما مات استعمل كسرى إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان، وكان كسرى اجتاز به لما سار إلى ملك الروم، فأهدى له هدية فشكر ذلك وأرسل إليه فبعث كسرى بان يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه، فبعث إياس إلى هاني بن مسعود الشيباني يأمره بإرسال ما استودعه النعمان، فأبى هاني أن يسلم ما عنده، فلما أبى هاني غضب كسرى وعنده النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى أمهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النار فتأخذهم كيف شئت، فصبر كسرى حتى جاؤا نحو ذي قار،

(١) أي محبوب (٢) ورثاه زهير بن أبي سلمى بقوله:

الم تر للنعمان كان بنجوة من الشرلوان امراً كان باقياً؟
فلم أر مخذولاً له مثل ملكه أقل صديقاً أو خيلاً موافياً
خلالاً أن حياً من راحة حافظوا وكانوا أناساً يتقون المخازيا
فقال لهم خيراً واثني عليهم وودعهم توديعاً ان لا تلاقيا

(٣٧٢ - ج ١ الكامل)

فارس اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدة من ثلاث: إما أن يعطوا بأيديهم، وإما أن يتركوا ديارهم، وإما أن يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي، فأشار بالحرب فأذنوا الملك بالحرب، فأرسل كسرى إياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش، ومعه مرازبة الفرس والهامرز النسوي وغيره من العرب تغلب وأباد، وقيس بن مسعود بن قيس بن ذى الجدين وكان على طف سفوان فأرسل الفيول — وكان قد بعث النبي ﷺ — فقسم هانيء بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس من بني شيان قال هانيء بن مسعود^(١) يامعشر بكر لا طاقة لكم في قتال كسرى فأركنوا إلى الفلاة فسارع الناس إلى ذلك، فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال يا هانيء أردت نجاتنا فالتقتنا في الهلكة، ورد الناس وقطع ورضن الهوادج وهي الحزم للرحال فسمى مقطع الوضن، وضرب على نفسه قبة، وأقسم أن لا يفر حتى تفر القبة فرجع الناس^(٢) واستقوا ماء لنصف شهر فأتتهم العجم فقاتلهم بالجنود، فانهزمت العجم خوفاً من العطش إلى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وأبليت يومئذ بلاء حسنا اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدت عجلاً تقاتل وامرأة منهم تقول*

ان يظفروا^(٣) يحرزوا فينا الغرل * إليها فداء لكم بني عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم^(٤) ومالت العجم إلى بطحاء ذى قار خوفاً من العطش، فأرسلت

(١) في بعض الروايات ان هانيء بن مسعود لم يكن موجودا والذي تولى ذلك قبيصة بن هانيء بن مسعود
(٢) وانشدهم رجلاً يحمسهم فيه ثم قال ايضا

ياقوم طيبوا في القتال نفسا اجدر بيوم ان تفلوا الفرسا الادارة

(٣) في بعض الروايات (ان تدبروا يصبغوا فينا القلف) وهو المستقيم اللفظ والمعنى على ان المصراع الثاني لا يلتئم مع الاول (٤) نقل ابن عسدر به في العقد الفريد قال قال ابو عبيدة سئل ابو عمرو بن العلاء وتنافر اليه عجلي ويشكري فزعم العجلي انه لم يشهد يوم ذى قار غير شيباني وعجلي وقال يشكري بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم فقال ابو عمرو تدفصل بينكما التغابي حيث يقول

ولقد رأيت أخاك عمرا مرة يقضى وضيغيه بذات العجرم
في غمرة الموت التي لا تشكى غمراتها الابطال غير تغمغم
وكأنما اقسدهم واكفهم سرب تساقط في خليج مغمم
لما سمعت دعاء مرة قد علا وأقى ربيعة في المعجاج الاقم
ومعلم يمشون تحت لوائهم والموت تحت لواء آل معلم
لا يصرفون عن الوغى بوجوههم في كل سابقة كاون العظام

إیادالی بکر، و كانوا مع الفرس، وقالوا لهم: ان شتمت هر بنا الليلة وان شتمت اقنا ونفرنا
حين تلاقون الناس فقال بل تقيمون وتنهزمون اذا التقينا. وقال زيد بن حسان السكوني
وكان حليفا لبني شيبان اطيعوني واكنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا وحرّض بعضهم بعضا،
وقالت ابنة القرين الشيبانية *

إيها بني شيبان صفا بعد صف * ان تهزموا يصبغوا فينا القلف

فقطع سبعمائة من بني شيبان أيدي اقبيتهم من منا كبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف
بجاللهم. وبارزا لها مرز فبرز اليه برد بن حارثة اليشكري فقتله برد، ثم حملت ميسرة
بكر وميمتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم إياس بن قبيصة الطائي،
وولت إیاد منهزمة كما وعدتهم فانهم مت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب
وغنيمة، وقال الشعراء في وقعة ذی قار فاكثروا^(۱) *

ودعت بنو أم الرقاع فاقبلوا عند اللقاء بكل شاك معلم
وسمعت يشكر تدعى بحبيب تحت المجاجة وهي تقطر بالدم
يمشون في حلق الحديد كما مشت اسدالعرين بيوم نحس مظلم
والجمع من ذهل كأن رهاءهم جرب الجمال يقودها ابنا قشتم
والخيل من تحت العجاج عوابسا وعلى مناسجها سحائب من دم

فتراه أثبت لك اشتراك بني بكر ومنهم يشكر فدعوى العجلى غير صحيحة وأعشى بكر له قصيدة خاصة يفتخر
بها سندكرها في آخر بحث الوقعة بل حكى ابن عبدربه أن أسارى من بني رياح بن ربوع من تميم نحو مائتين
كانوا في بكر فلما صارت الحرب اخذتهم الغيرة وخشوا ان يملك الفرس العرب فقالوا خلوا عنا نقاتل معكم فانما
نذب عن انفسنا فقالوا اننا نخاف ان لاتناصحونا قالوا فدعونا نعلم حتى تر وامكاننا وغناءنا وذلك قول جرير

منافوارس ذى نهب وذى نجب والمعلمون صباحا يوم ذى قار . الادارة

(۱) نختار من ذلك قول اعشى بكر لأنه فصل الوقعة حتى كأن القارىء حاضر وذلك لتأثره منها في حالتى
الاصطدام والغلبة وهي نم الوثيقة :

اما تميم فقد ذاتت عدوانا وقيس عيلان مس الخزى والأسف
وجند كسرى غداة الحنوص بجهنم منا غطار يفترجوا الموت وانصرفوا
لقوا مللمة شهباء يقدمها للموت لا عاجز فيها ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة موفق حازم في أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم مثل الأسنه لامليل ولا كشف
بيض الوجوه غداة الروع تحسبهم جنان عين عليها البيض والزغف
لما رأونا كشفنا عن جناحنا ليعلموا أننا بكر فينصرفوا

﴿ ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند ﴾

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة الى هلاك عمرو بن هند ، فلما هلك عمرو ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك أيام أنوشروان ثمانية أشهر ، وفي أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة أشهر ، ثم ولي بعد قابوس السهراب * ثم ملك بعده المنذر بن النعمان أربع سنين * ثم ولي بعده النعمان بن المنذر ابو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك في زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمان ابنه أبرويز أربع عشرة سنة ، وأربعة أشهر * ثم ولي إياس بن قيصة الطائي ومعه النخير خان ، في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بعث النبي ﷺ * ثم ولي أزاد به بن مایان الهمداني سبع عشرة سنة من ذلك في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمان شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر * وفي زمان أردشير ابن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمان ران دخت ابنة كسرى شهرا * ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذي تسميه العرب المغرور الذي قتل بالبحرين يوم

قالوا البقية والهندي يحصدهم
لوان كل معد كان شاركنا
لما امالوا الى الشباب أيديهم
إذا عطفنا عليهم عطفة صبرت
بطارق وبنى ملك مرازية
من كل مرجانة في البحر احرزها
كأنما الآل في حافات جمعهم
مافي الحدود صدود عن سيوفهم
ولا بقية الا السيف فانكشفوا
في يوم ذي قار ما اخطاهم الشرف
ملنا بيض لئلا الهام تختطف
حتى تولت وكاد القوم يتتصف
من الاعاجم في آذانها الشنف
تبارها ووقاها طينها الصدف
والبيض برق بدافي عارض يكف
ولا عن الطمن في اللبات منحرف

وان يكن الأعشى مدح بني بكر قومه ، ولكن الحرب كانت تدور على بني شيبان ورئيس الحرب منهم هانيء كما في العقد الفريد وحنظلة صاحب الرأي ، وقد أكثر الشعراء في مدحهم ، منهم بكير أصم بن الحارث اذيين عدد الفرس الحار بين في قوله

ان كنت ساقية المدامة اهلبا
وأبا ربيعة كلها ومحلها
ضربوا بني الأحرار يوم لقوم
عربا ثلاثة آلف وكتيبة
شد ابن قيس شدة ذهبت له
عمرو وما عمرو بقحم داله
فاسق على كرم بني رهام
سبقا بناية امجد الأيام
بالشرفي على مقيل الهام
الفين أعجم من بني القدام
ذكر آله في معرق وشام
فيها ولا عمرو ولا بفلام

الادارة

جواثا ، و كانت ولايته الى أن قدم عليه خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر ، وكان آخر من بقى من آل نصر وانقرض ملكهم مع انقراض ملك فارس * فجميع ملوك آل نصر فيماز عم هشام عشرون ملكا ملكوا خمسمائة سنة واثنين وعشرين سنة وثمانية أشهر *

﴿ ذکر المروزان وولایتہ الیمن من قبل ہرمز ﴾

قال هشام استعمل كسرى هرمز المروزان بعد عزل زرین عن الیمن ، وأقام بالیمن حتی ولد له فيها ، ثم ان أهل جبل يقال له المضایع منعه الخراج . فقصدهم فرأى جبلهم لا يقدر عليه لخصائته وله طريق واحد يحميه رجل واحد ، وكان يحاذي ذلك الجبل جبل آخر وقد قارب هذا الجبل فاجرى فرسه فعبه به ذلك المضيق : فلما رآته حمير قالوا : هذا شيطان وملك حصنهم وأدوا الخراج وأرسل الى كسرى يعلمه فاستدعاه اليه فاستخلف ابنه خرخره على الیمن وسار اليه فمات في الطريق وعزل كسرى خرخره عن الیمن وولى باذان وهو آخر من قدم الیمن من ولادة العجم *

﴿ ذکر قتل كسرى ابرويز ﴾

كان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ومساعدة الأقدار ، وشربه على أموال الناس ففسدت قلوبهم . وقيل : كانت له اثنا عشر ألف امرأة ، وقيل : ثلاثة الاف امرأة يطؤونهن وألوف جوار ، وكان له خمسون ألف دابة . وكان أرغب الناس في الجوهر والأواني وغير ذلك ، وقيل : إنه أمر أن يحصى ما جبي من خراج بلاده في سنة ثمان عشرة من ملكه ، فكان من الورق مائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ، وأنه احتقر الناس وأمر رجلا اسمه زاذان بقتل كل مقيد في سجونهم فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً فلم يقدم زاذان على قتلهم فصاروا أعداء له ، وكان أمر بقتل المهزمين من الروم فصاروا أيضاً أعداء له ، واستعمل رجلا على استخلاص بواقي الخراج ففسد الناس فظلمهم ففسدت نياتهم . ومضى ناس من العظماء الى بابل فأحضروا ولده شيرويه بن ابرويز ؛ فان كسرى كان قد ترك أولاده بها ، ومنعهم من التصرف ، وجعل عندهم من يودبهم فوصل الى بهر شير فدخلها ليلا فأخرج من كان في سجونها ، واجتمع اليه أيضاً الذين كان كسرى أمر بقتلهم فنادوا بآباز شاهنشاه ، وساروا حين أصبحوا الى درجة كسرى ، فهرب حرسه ؛ وخرج كسرى الى بستان قريب من قصره هارباً

فاخذ أسيرا وملكوا ابنه فازسل الى ابيه يقرعه بما كان منه ثم قتلته الفرس ، وساعدهم ابنه : و كان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ، ولمضى اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة الى المدينة * قيل : وكان لكسرى ابرويز ثمانية عشر ولداً ، وكان أكبرهم شهر يارو كانت شيرين قد تبنته ، فقال المنجمون لكسرى إنه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب الملك على يديه وعلامته نقص في بعض بدنه فمنع ولده عن النساء لذلك حتى شكا شهر يار الى شيرين الشبق ، فأرسلت اليه جارية كانت تحجمها وكانت تظن أنها لاتلد فلما وطئها علقت بيزدجرد فكتمته خمس سنين ، ثم انها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر ، فقالت : أيسرك أن ترى لبعض بنيك ولداً ؟ قال نعم فأنته بيزدجرد فأحبه وقر به فينما هو يلعب ذات يوم ذكر ما قيل فأمر به فجرد من ثيابه ، فرأى النقص في أحدور كيه فأراد قتله فمنعته شيرين ، وقالت : ان كان الأمر في الملك قد حضر فلا مرد له ، فأمرت به فحمل الى سجستان ، وقيل : بل تركته في السواد في قرية يقال لها خمانية * ولما قتل كسرى ابرويز بن هر مز ملك ابنه شيرويه *

﴿ ذكر ملك سري شيرويه بن ابرويز بن هر مز بن أنوشروان ﴾

لما ملك شيرويه بن ابرويز وأمه مريم ابنة موريق ملك الروم واسمه قباد دخل عليه العظماء والأشراف . فقالوا لا يستقيم أن يكون لنا ملكان ، فاما أن تقتل كسرى ونحن عبيدك ، وإما أن نخلعك ونطيعه ، فانكسر شيرويه من هذه المقالة ، ونقل أباه من دار الملك الى موضع آخر حبسه فيه ، ثم جمع العظماء وقال : قد رأينا الارسال الى كسرى بما كان من إساءته ونوقفه على أشياء منها ، فأرسل اليه رجلاً يقال له أسباد خشنس كان يلي تدبير المملكة . وقال له قل لايينا الملك عن رسالتنا : ان سوء أعمالك فعل بك ماترى : منها جرأتك على أهلك وسملك عينيه وقتاك أياه ، ومنها سوء صنيعك الينا معشر أبناءك في منعنا من مجالسة الناس وكل مالنا فيه دعة . ومنها إساءتك الى من خلدت في السجون ، ومنها إساءتك الى النساء تأخذهن لنفسك وتركك العطف عليهن ومعهن ممن يعاشرهن ويرزقن منه الولد . ومنها ما أتيت الى رعيتك عامة من العنف والغلظة والفظاظة ، ومنها جمع الأموال في شدة وعنف من أربابها ، ومنها تجميرك الجنود في ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهليهم ، ومنها غدرك بموريق ملك الروم مع إحسانه اليك

وحسن بلائه عندك وتزويجه إياك بابنته ومنعك إياه خشبة الصليب التي لم يكن بك ولا باهل بلادك إليها حاجة، فان كان لك حجة تذكرها فافعل وإن لم يكن لك حجة فتب إلى الله تعالى حتى يأمر فيك بأمره *

قال : فجاء الرسول إلى كسرى ابرو یز فادی إليه الرسالة فقال ابرو یز قل عنی لشیرویه القصیر العمر : لا ینبغی لأحد أن یتوب من أجل الصغیر من الذنب الا بعد أن یتیقنه فضلا عن عظیمه ما ذکرته وکثرت منا ولو کنا کما تقول لم یکن لك أیها الجاهل أن تنشر عنا مثل هذا العظیم الذی یوجب علینا القتل لما یلزمک فی ذلك من العیوب فان قضاه أهل ملک ینفون ولد المستوجب للقتل من أیه ، وینفونه من مضاماة الأخیار ومجالستهم فضلا عن أن یملك مع أنه قد بلغ منا بحمد الله من اصلاحنا أنفسنا وأبناءنا ورعیتنا ما لیس فی شیء منه تقصیر ونحن نشرح الحال فیما لزمنا من الذنوب لتزداد علما بجهلك ، فمن جوانبنا ان الأشرار أغروا کسری هرمز والدنا بنا حتى اتهمنا فرأینا من سوء رأیه فینا ما یخوفنا منه ، فاعتزلنا بابه إلى أذربيجان . وقد استفاض ذلك ، فلما انتهک منه ما انتهک شخصنا إلى بابه فهجم المنافق بهرام علینا فأجلانا عن المملكة ، فسرنا إلى الروم ، وعدنا إلى ملکنا واستحکم أمرنا : فبدأنا بأخذ الثار من قتل أبانا أو شرك فی دمه * وأما ما ذكرت فی أبنائنا فانا وکلنا بکم من یکفکم عن الانتشار فیما لا یعنیکم ، فتأذى بکم الرعية والبلاد وکنا أقنناکم النفقات الواسعة وجميع ما تحتاجون إلیه ، وأما أنت خاصة فان المنجمین قضوا فی مولدک انک مثرب علینا ، وأن یدکون ذلك بسبیک ، وان ملک الهند کتب الیک کتابا وأهدی لك هدیة فقرأنا الکتاب ، فاذا هو یشرك بالملک بعد ثمان وثلاثین سنة من ملکنا ، وقد ختمنا علی الکتاب وعلی مولدک وهما عند شیرین فان أحببت ان تقرأهما فافعل فلم یمنعنا ذلك عن برك والاحسان الیک فضلا عن قتلك * وأما ما ذكرت عنم خلدناه فی السجون فجوانبنا اننا لم نحبس إلا من وجب علیه القتل أو قطع بعض الأطراف وقد کان المولکون بهم والوزراء یأمروننا بقتل من وجب قتله قبل أن یحتالوا لأنفسهم فکنا بحبنا الاستبقاء وکراهتنا لسفک الدماء نتانی بهم ونکل أمرهم إلى الله تعالى ، فان أخرجتهم من محبسهم عصیت ربک ولتجدن غب ذلك * وأما قولک إنا جمعنا الأموال وأنواع الجواهر والأمتعة باعنف جمع وأشد الحاح ، فاعلم أیها الجاهل انه انما یقیم الملک بعد الله تعالى الأموال والجنود وخاصة ملک فارس الذی قد اکتفنه

الاعداء، ولا يقدر على كفهم وردعهم عما يريدونه إلا بالجنود والأسلحة والعدد، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمال، وقد كان أسلافنا جمعوا الأموال والسلاح وغير ذلك فاغار المناق بهرام ومن معه على ذلك إلا اليسير، فلما ارتجعنا ملكنا وأذعن لنا الرعية بالطاعة أرسلنا إلى نواحي بلادنا أصحابين وقامر وسانيين^(١) فكفروا الأعداء وأغاروا على بلادهم، ووصل إلينا غنائم بلادهم من أصناف الأموال والأمتعة مالا يعلمه إلا الله تعالى، وقد بلغنا أنك هممت بتفريق هذه الأموال على رأى الأشرار المستوجبين للقتل ونحن نعلمك أن هذه الأموال لم تجتمع إلا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس، فلا تفعل ذلك فإنها كلف ملكك وبلادك وقوة على عدوك * فلما انصرف أسبأ خشنش إلى شيرويه قص عليه جواب أبيه، ثم إن عظماء الفرس عادوا إلى شيرويه فقالوا إما أن تأمر بقتل أهلك وإما أن نطيعه ونخلعك، فأمر بقتله على كره منه، وانتدب لقتله رجالاً ممن وترهم كسرى ابرويز، وكان الذى باشر قتله شاب يقال له: مهر هرمز بن مرد انشاه من ناحية نيمروز، فلما قتل شق شيرويه ثيابه، وبكى ولطم وجهه، وحملت جنازته وتبعها العظماء وأشرف الناس *

فلما دفن أمر شيرويه بقتل مهر هرمز قاتل أبيه، وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة، ثم إن شيرويه قتل إخوته فهلك منهم سبعة عشر أخا ذوى شجاعة وأدب بمشورة وزيره فيروز، وابتلى شيرويه بالأمراض، ولم يلتذ بشئ من الدنيا، وكان هلاكه بدسكرة الملك وجزع بعد قتل إخوته جزعا شديدا، ويقال: إنه لما كان اليوم الثاني من قتل إخوته دخلت عليه بوران وازر ميدخت اختاه فاغلظتاه، وقالت: حملك الحرص على الملك الذى لا يتم لك على قتل أهلك وإخوتك، فلما سمع ذلك بكى بكاء شديدا ورمى التاج عن رأسه ولم يزل مهموما مدنفا، ويقال: إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته، وفشا الطاعون فى أيامه. فهلك من الفرس أكثرهم، ثم هلك هو، وكان ملكه ثمانية أشهر *

* ذكر ملك أردشير *

وكان عمره سبع سنين، فلما توفى شيرويه ملك الفرس عليهم ابنه أردشير وحضنه رجل يقال له بهادر جسنس^(٢) مرتبته رياسة أصحاب المائة، فاحسن سياسة الملك، فبلغ من أحكامه ذلك ما لم يحس معه بجداته سن أردشير. وكان شهر يراز بشغر الروم فى جند ضمهم إليه كسرى ابرويز. وكان قد صلح له بعده ما فعل بالروم مما ذكرناه، وكان ينفذ

(١) كذا بالاصول: وفى الطبرى ذؤوسباين (٢) فى الطبرى بها ذر جسنس

له الخلع والهدايا، و كان ابرويز وشيرويه يكتابانه ويستشيرانه، فلما لم يشاوره عظماء
الفرس في تمليك اردشير اتخذ ذلك ذريعة إلى التعنت، و بسط يده في القتل، وجعله سببا
للطمع في الملك احتقارا لاردشير لصغر سنه، فاقبل بجنده نحو المدائن فتحول اردشير
ويهادر جنس ومن بقي من نسل الملك الى مدينة طيسفون، فحاصرهم شهريراز ونصب
عليهم المجانيق فلم يظفر بشيء فاتاها من قبل المكيدة، فلم يزل يخدع رئيس الحرس واصهبد
نيمروذ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها، وقتل جماعة من الرؤساء وأخذ أموالهم،
وقتل بعض أصحابه اردشير في إيوان خسرو شاه قباد بأمر شهريراز، و كان ملكه سنة
وستة أشهر *

﴿ ذكر ملك شهريراز ﴾

ولم يكن من بيت الملك، لما قتل اردشير جلس شهريراز واسمه فرخان على تخت
المملكة، فحين جلس ضرب عليه بطنه فاشتد ذلك ثم عوفي، وتعاهد ثلاثة إخوة من أهل
اصطخر على قتله غضبا لقتل اردشير وكانوا في حرسه، و كان الحرس يقفون سباطين
اذا ركب الملك عليهم السلاح وبأيديهم السيوف والرماح، فاذا حاذى الملك بعضهم
وضع جبهته على ترسه فوق الترس كهيئة السجود فركب شهريراز يوما، فوقف الأخوة
الثلاثة بعضهم قريب من بعض، فلما حاذاهم طعنوه فسقط ميتا فشدوا في رجله حبلا
وجروه وساعدتهم بعض العظماء، وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا اردشير، و كان جميع
ملكه أربعين يوما *

﴿ ذكر ملك بوران ابنة ابرويز بن هرمز بن أنوشروان ﴾

لما قتل شهريراز ملكت الفرس بوران لأنهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلا
يملكونه فلما ملكت أحسنت السيرة في رعيته وعدلت فيهم فاصلحت القناطر ووضعت
ما بقى من الخراج وردت خشبة الصليب على ملك الروم، و كانت مملكتها سنة وأربعة
أشهر * ثم ملك بعدها رجل يقال له خشنشبنده^(١) من بني عم ابرويز الأبعدين، و كان ملكه
أقل من شهر وقتله الجند لأنهم أنكروا سيرته *

﴿ ذكر ملك ارز میدخت^(٢) ابنة ابرويز ﴾

لما قتل خشنشبنده ملكت الفرس ارز میدخت ابنة ابرويز و كانت من أجمل النساء

(١) في الطبري جشننده (٢) في الطبري آرز میدخت

(٣٨٢ - ج ١ الكامل)

وكان عظيم الفرس يومئذ فرخهر من اصبهدخر اسان فارسل اليها يختطبها فقالت :
ان التزوج للملكة غير جائز و غرضك قضاء حاجتك مني فصر الى وقت كذا ففعل
وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح في رحبة دار
المملكة فلما أصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذي قاتل المسلمين بالقادسية
خليفة أبيه بخراسان فسار في عسكر حتى نزل بالمداين وسمل عيني أرز ميدخت وقتلها.
وقيل بل سمت، وكان ملكها ستة أشهر. قيل ثم أتى رجل يقال له كسرى بن مهر جنس
من عقب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز، فملكه العظماء ولبس التاج وقتل بعد
أيام، وقيل: ان الذي ملك بعد أرز ميدخت خرزاد خسرو من ولد أبرويز وأمه كردية
أخت بسطام. قيل وجد بحصن الحجارة بقرب نصيبين فكث أياما يسيرة ثم خلعه
وقتلوه وكان ملكه ستة أشهر * وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مهر جنس انه لما قتل
طلب عظماء الفرس من له نسب بيت المملكة ولو من النساء فاتوا برجل كان يسكن
ميسان يقال له فيروز بن مهران جنس ويسمى أيضاً جنسنده أمه صهار بخت ابنة
بز دانزان بن أنوشروان فملكوه وكان ضخم الرأس فلما توج قال: ما أضيق هذا التاج
فتطيروا من كلامه فقتلوه في الحال، وقيل: كان قتله بعد أيام *

﴿ ذكر ملك يز دجرد بن شهر يار بن ابرويز ﴾

ثم ان الفرس اضطرب أمرهم ودخل المسلمون بلادهم فطلبوا أحداً من بيت
المملكة ليملكوه ويقاتلوا بين يديه ويحفظوا بلادهم فظفروا بيز دجرد بن شهر يار بن ابرويز
باصطخر فاخذوه وساروا به الى المدائن، فملكوه واستقر في الملك غير ان ملكه كان
كالخيال عند ملك أهل بيته. وكان الوزراء والعظماء يدبرون ملكه لحدائثه،
وضعف أمر مملكة فارس، واجترأ عليهم الأعداء وتطرقوا بلادهم، وغزت العرب بلاده
بعد ان مضى من ملكه سنتان، وكان عمره كله الى أن قتل ثمانيا وعشرين سنة، وبقي من أخباره
مانذ كره ان شاء الله تعالى في موضعه من فتوح المسلمين * هذا آخر ملوك الفرس ونذكر
بعده التواريخ الاسلامية على سبيل الهجرة ونقدم قبل ذلك الأيام المشهورة للعرب
في الجاهلية ثم ناتي بعدها بالحوادث الاسلامية ان شاء الله تعالى *

﴿ ذكر أيام العرب في الجاهلية ﴾

لم يذكر ابو جعفر من أيامها غير يوم ذي قار، وجذيمة الأبرش، والزباء، وطسم، وجديس

وما ذکر ذلك إلا حيث انهم ملوك، فاغفل ماسوی ذلك، ونحن نذكر الأيام المشهوره والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد، ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لأنه يكثر ويخرج عن الحصر فنقول وبالله التوفيق *

﴿ ذکر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين ﴾

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي أحد من اجتمعت عليه قضاة، وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه، وعاش مائتين وخمسين سنة أوقع فيها مائتي وقعة، وقيل: عاش اربعمائة وخمسين سنة. وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقية، وكان سبب غزاته غطفان: ان بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صداء وهي قبيلة بن مذحج، فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهلهم وأموالهم، فقاتلوهم عن حريمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم، فعزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها، فلما رأوا ذلك قالوا: والله لتتخذن حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عانده فبنوا حرماً ووليه بنو مرة بن عوف * فلما بلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب قال: والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حي. ولا أخلى غطفان تتخذ حرماً أبداً، فنادى في قومه فاجتمعوا اليه، فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم، وقال: ان أعظم مآثرة يدخرها هو وقومه أن يمنعوه من ذلك. فأجابوه فغزا بهم غطفان وقاتلهم ابرح قتالاً وأشدّه. وظفر بهم زهير وأصاب حاجته منهم، وأخذ فارساً منهم في حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم، ثم من على غطفان ورد النساء وأخذ الأموال، وقال زهير في ذلك *

فلم تصبر لنا غطفان لما * تلاقينا وأحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعت * الى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديونا فاطلبوها * وأوتارا ودونكم اللقاء
فانا حيث لا يخفى عليكم * ليوث حين يحتضر اللواء
فقد أضحى لحي بنى جناب * فضاء الأرض والماء الرواء
نفينا نخوة الأعداء عنا * بارماح أسنتها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا * لقينا مثل ما لقيت صداء
غداة تضرعوا لبني بغيض * وصدق الطعن للنوكي شفاء

وأما حربه مع بكر وتغلب ابني وائل، فكان سببها أن أبرهة حين طلع الى نجد اتاه زهير فآرمه وفضله على من أتاه من العرب؛ ثم أمره على بكر وتغلب ابني وائل فوليهم حتى أصابتهم سنة فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج، فأقام بهم زهير في الحرب، ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم فكادت مواشيهم تهلك * فلما رأى ذلك ابن زبابة أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وكان فاتكا أتى زهيراً وهو نائم فاعتمد التيمى بالسيف على بطن زهير فمرفها حتى خرج من ظهره مارقا بين الصفاق، وسلمت امعاؤه ومافى بطنه، وظن التيمى انه قد قتله، وعلم زهير أنه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجيز عليه فسكت، فانصرف التيمى الى قومه. فاعلمهم أنه قتل زهيراً فسرهم ذلك ولم يكن مع زهير إلا نفر من قومه، فأمرهم أن يظهروا أنه ميت وان يستأذنوا بكرًا وتغلب في دفنه، فاذا أذتوا دفنوا ثيابا ملفوفة وساروا به مجدين الى قومهم، ففعلوا ذلك، فازنت لهم بكر وتغلب في دفنه، فحفروا وعمقوا ودفنوا ثيابا ملفوفة لم يشك من رآها ان فيها ميتا، ثم ساروا مجدين الى قومهم، فجمع لهم زهير الجموع وبلغهم الخبر، فقال ابن زبابة

طعنة ما طعنت في غبش اللي * ل زهيراً وقد توافى الخصوم

حين يحمى له المواسم بكر * أين بكر وأين منها الحلوم؟

خاتنى السيف اذ طعنت زهيراً * وهو سيف مفضل مشؤم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن، وغزا بكرًا وتغلب وكانوا علموا به فقاتلهم قتالا شديدا انهزمت به بكر، وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضا، وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة، وأخذت الأموال وكثرت القتلى في بني تغلب، وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم، فقال زهير في ذلك من قصيدة:

اين اين الفرار من حذر المو * ت اذ يتقون بالأسلاب؟

اذا سرنا مهلهلا وأخاه * وابن عمرو في القيد وابن شهاب

وسينا من تغلب كل بيضا * ر قود الضحى ود الرضاب

حين يدعو مهلهلا بالبكر * ها أهذى حفيظة الأحساب

ويحكم ويحكم أبيع حاكم * يابني تغلب أنا ابن رضاب

وهم هاربون في كل فج * كشر يد النعام فوق الروابي

واستدارت رحي المنايا عليهم * بليوث من عامر وجناب

فہم بین ہارب لیس یالو * و قیل معفر فی التراب
 فضل العزنا حین نسو * مثل فضل السماء فوق السحاب
 وأما حربہ مع بنی القین بن جسر فكان سببها ان أختا لزہیر كانت متزوجة فیہم،
 فجاء رسولها الی زہیر ومعہ صرة فیہارمل و صرة فیہا شوك قتاد، فقال زہیر: إنها تخبرکم
 انه یأتیکم عدو کثیر ذو شوكة شديدة فاحتملوا: فقال الجلاح بن عوف السحمی:
 لا نحتمل لقول امرأة، فظعن زہیر وأقام الجلاح و صبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح،
 وذهبوا بأموالهم وماله، ومضى زہیر، فاجتمع مع عشیرته من بنی جناب، وبلغ الجيش
 خبره فقصدوه فقاتلهم وصبر لهم، فهزمهم، وقتل رئیسهم فانصرفوا عنه خائبین، ولما طال
 عمر زہیر وکبر سنه استخلف ابن أخیه عبد الله بن علیم فقال زہیر یوما: ألا ان الحی
 ظعن، فقال عبد الله: ألا ان الحی مقیم، فقال زہیر: من هذا المخالف علی؟ فقالوا: ابن أخیک
 عبد الله بن علیم، فقال: أعدی الناس للبرء ابن أخیه، ثم شرب الخمر صرفا حتی مات *
 ومن شرب الخمر صرفا حتی مات عمرو بن کثوم التغلبي، وأبو عامر ملاعب الأسنه العامری *

﴿ ذکر یوم البردان ﴾

فكان من حدیثه ان زیاد بن الهبولة ملك الشام و كان من سلیح بن حوا ان بن عمران
 ابن الحاف بن قضاة أغار علی حجر بن عمرو بن معاویة بن الحرث الکندی ملك عرب
 بنجد ونواحي العراق — وهو یلقب آكل المرار — و كان حجر قد أغار فی كندة
 وریعة علی البحرین، فبلغ زیادا خبرهم فسار الی أهل حجر وریعة وأموالهم وهم
 خلوف ورجالهم فی غزاتهم المذکورة فأخذ الحریم والأموال وسبي منهم هند بنت ظالم
 ابن وهب بن الحرث بن معاویة وسمع حجر و كندة وریعة بغارة زیاد فعادوا عن
 غزوهم فی طلب ابن الهبولة ومع حجر أشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شیبان،
 و عمرو بن أبی ربيعة بن ذهل بن شیبان، وغیرهما فأدرکوا عمرا بالبردان دون عین أباغ
 وقد أمن الطلب، فنزل حجر فی سفح جبل ونزلت بكر وتغلب و كندة مع حجر دون
 الجبل بالصحصحان علی ماء یقال له: حفیر. فتعجل عوف بن محلم و عمرو بن أبی ربيعة
 ابن ذهل بن شیبان وقالوا لحجر: انا متعجلان الی زیاد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب
 منافسار الیه، و كان بینہ وبين عوف إخاء فدخل علیه، وقال له: یا خیر الفتیان اردد علی
 امرأتی أمامة فردها علیہ وهی حامل فولدت له بنتا أراد عوف أن یثدها فاستوهبها منه

عمرو بن أبي ربيعة وقال: لعلها تلد أناسا فسميت أم أناس، فتزوجها الحرث بن عمرو ابن حجر آكل المرار فولدت عمرا ويعرف بابن أم أناس *

ثم ان عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد ياخير الفتيان اردد علي ما أخذت من ابلي فردها عليه وفيها فخلها فنازع الفحل الى الابل فصرعه عمرو، فقال له زياد: يا عمرو لو صرعتم يابني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أتم أتم، فقال له عمرو: لقد أعطيت قليلا وسميت جليلا وجررت على نفسك و يلا طويلا ولتجدن منه ولا والله لا تبرح حتي أروى سناني من دمك، ثم ركض فرسه حتي صار الى حجر فلم يوضح له الخبر، فارسل سدوس بن شيبان بن ذهل و صليح بن عبدغنم يتجسسان له الخبر ويعلمان علم العسكر، فخرجا حتي هجما على عسكره ليلا وقد قسم الغنيمة، و جىء بالشمع فاطعم الناس تمرأ وسمنا. فلما أكل الناس نادى من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر، فجاء سدوس و صليح بحطب. وأخذوا قدرتين من تمر، وجلسا قريبا من قبه ثم انصرف صليح الى حجر، فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر، وأما سدوس فقال: لا أبرح حتي آتية بأمر جلي؛ وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون و هند امرأة حجر خلف زياد، فقالت لزياد: إن هذا التمر أهدى الى حجر من هجر والسمن من دومة الجندل، ثم تفرق أصحاب زياد عنه فضرب سدوس يده الى جليس له، وقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكره الرجل، فقالت: أنا فلان بن فلان ودنا سدوس من قبه زياد بحيث يسمع كلامه؛ ودنا زياد من امرأة حجر فقبلها وداعبها، وقال لها: ماظنك الآن بحجر؟ فقالت: ما هو ظن ولكنه يقين انه والله ان يدع طلبك حتى تعانين القصور الحمر يعني قصور الشام و كآني به في فوارس من بني شيبان يذمرهم و يذمرونه، وهو شديد الكلب تزبد شفتاه كأنه بعير أكل مرارا فالنجاء فالنجاء. فان وراءك طالبا حديثا، وجمعاً كشيفا، وكيدامتينا، وراياصليا. فرفع يده فلطمها، ثم قال لها: ماقلت هذا إلا من عجبك به وحبك له فقالت: والله ما أبغضت أحدا بغضى له؛ ولا رأيت رجلا أحزم منه نائما ومستيقظا ان كان لتنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظ. وكان اذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عسا من لبن، فبينا هو ذات ليلة نائم وانا قريب منه أنظر اليه إذ أقبل أسود سألخ الى رأسه فنحى رأسه فقال الى يده فقبضها فقال الى رجله فقبضها فقال الى العس فشر به ثم بجه، فقلت: يستيقظ فيشر به فيموت فاستريح منه فانتبه من نومه فقال: علي بالاناء فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق، فقال: أين ذهب

الأسود . فقلت : ما رأيتہ فقال : كذبت والله وذلك كله يسمعه سدوس فسار حتى أتى حجرا فلما دخل عليه قال *

أتاك المرجفون بأمر غيب * على دهش وجئتك باليقين

فمن يك قد أتاك بأمر لبس * فقد آتى بأمر مستبين

ثم قص عليه ما سمع فجعل حجر يعبت بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا ولا يشعر أنه يأكله من شدة الغضب ، فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار فسمى يومئذ آكل المرار ، والمرار نبت شديد المرارة لا تأكله دابة إلا قتلها ، ثم أمر حجر فنودي في الناس وركب ، وسار إلى زياد فاقتلوا قتالا شديدا ، فانهزم زياد وأهل الشام ، وقتلوا قتلا ذريعا ، واستنقذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي ، وعرف سدوس زيادا فحمل عليه فاعتقه وصرعه وأخذه أسيرا فلما راه عمر وبن أبي ربيعة حسده فطعن زيادا فقتله فغضب سدوس ، وقال : قتلت أسيرى وديته دية ملك فتحا كما إلى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك ، وأعانهم من ماله . وأخذ حجر زوجته هنداً فبطها في فرسين ثم ركضهما حتى قطعاهما ، ويقال بل أحرقها ، وقال فيها *

ان من غره النساء بشيء * بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين والحديث ومر * كل شيء أجن منها الضمير

كل أنثى وإن بدى لك منها * آية الحب حبها خيتور

ثم عاد إلى الحيرة (قلت) هكذا قال بعض العلماء ان زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجراً وهذا غير صحيح لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين والبلاد للروم ومنهم أخذت غسان هذه البلاد وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالاً لملوك الفرس على البر والعرب ، ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال . وقولهم ملك الشام غير صحيح ، وزيد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام أقدم من حجراً كل المرار بزمان طويل لأن حجراً هو جد الحرث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباز أبي أنوشروان ، وبين ملك قباز والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة ، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة ، وقيل : خمسمائة سنة ، وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وست عشرة سنة ، وكانوا بعد سليح ولم يكن زياد آخر ملوك سليح قننيد المدة زيادة أخرى

وهذا تفاوت كثير فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه؟
 وحيث أطبقت رواية العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها، وأصلح ما قيل فيه: ان
 زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام
 حتى يستقيم هذا القول والله أعلم* وقولهم أيضاً ان حجراً عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضاً
 لان ملوك الحيرة من ولد عدى بن نصر اللخمي لم ينقطع ملكهم لها الا أيام قباذ فانه استعمل
 الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل، فلما ولي أنوشروان عزل الحرث
 وأعاد اللخمين، ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا تعصباً والله أعلم*
 ان أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح بل قال هو غالب بن هبولة ملك
 من ملوك غسان ولم يذكر عوده الى الحيرة فزال هذا الوهم* (وسليح) بفتح السين المهملة
 وكسر اللام وآخره حاء مهملة*

* ذ رمقتل حجر أبي امرئ القيس والحروب الحادثة بمقتله الى أن مات امرؤ القيس*
 نذكر أولاً سبب ملكهم العرب بنجد ونسوق الحادثة الى قتله وما يتصل به فنقول:
 كان سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الامر^(١) وأكل القوي الضعيف؛
 فنظر العقلاء في أمرهم فرأوا أن يملكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي؛
 فنهاهم العرب، وعلّموا أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم لانه يطيعه قوم ويخالفه
 آخرون. فساروا الى بعض تبابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا
 منه أن يملك عليهم ملكاً، فملك عليهم حجر بن عمرو و آكل المرار فقدم عليهم ونزل بطن
 عاقل، وأغار بيكر فانتزع عامة ما كان بأيدي اللخمين من أرض بكر، وبقى كذلك
 الى أن مات فدفن بطن عاقل، فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار وهو المقصور
 ملكاً بعد أبيه. وانما قيل له: المقصور لانه قصر على ملك أبيه، وكان أخوه معاوية وهو
 الجون على اليمامة، فلما مات عمرو وملك بعده ابنه الحرث، وكان شديد الملك بعيد الصوت*
 فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج في أيامه مزدك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناه،
 فاجابه قباذ الى ذلك، وكان المنذر بن ماء السماء عاملاً للاكاسرة على الحيرة ونواحيها،
 فدعاه قباذ الى الدخول معه فامتنع، فدعا الحرث بن عمرو الى ذلك فأجابه فاستعمله على
 الحيرة، وطر المنذر عن مملكته، وقيل: في تمليكه غير ذلك، وقد ذكرناه أيام قباذ فبقوا

(١) لا يخفى ما في هذه العبارة من القلق

كذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بعد أبيه ، فقتل مزدك وأصحابه ، وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى ولاية الحيرة ، وطلب الحرث بن عمرو و كان بالأنبار وبها منزله فهرب بأولاده وماله وهجانه ، وتبعه المنذر بالخييل من تغلب واياذ وبهراء فلاحق بأرض كلب فنجا وانهبوا ماله وهجانه ، وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابنا الحرث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم في ديار بني مرينا ، وفيهم يقول عمرو بن كلثوم :

فابوا بالنهاب والسبايا * وابنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوك من بني حجر بن عمرو * يساقون العشيّة يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنزع الحواجب والعيونا

وأقام الحرث بديار كلب فتزعم كلب انهم قتلوه ، وعلماء كندة تزعم انه خرج يتصيد فتبع تيساً من الظباء فأعجزه فأقسم أن لا يأكل شيئاً إلا من كبده فطلبته الخيل فأتى به بعد ثلاثة وقد كاد يهلك جوعاً فشوى له بطنه فأكل فلذة من كبده حارة فمات *

ولما كان الحرث بالحيرة أتاه أشراف عدة قبائل من نزار ، فقالوا : انا في طاعتك وقد وقع بيننا من الشر بالقتل ماتعلم ونخاف الفناء فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض ، ففرق أولاده في قبائل العرب فملك ابنه حجر اعلى بني أسد بن خزيمة وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل وهو الذي قتل يوم الكلاب على بكر بن وائل بأسرها وعلى غيرها ، وملك ابنه معد يكرب — وهو غلفاء وانما قيل له غلفاء لانه كان يغلف رأسه بالطيب — على قيس عيلان وطوائف غيرهم . وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر بن قاسط وبنو سعد بن زيد مناة من تميم ، فبقى حجر في بني أسد وله عليهم جائزة واناوة كل سنة لما يحتاج اليه فبقى كذلك دهراً ، ثم بعث اليهم من يجبي ذلك منهم وكانوا بتهامة وطردها ورسله وضر بوهم ، فبلغ ذلك حجراً ففسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة فاتاهم فأخذ سرواتهم وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا ،

(٣٩٢ - ج ١ الكامل)

واباح الاموال، وسيرهم الى تهامة. وحبس منهم جماعة من اشرافهم منهم عبيد بن الابرص الشاعر، فقال شعرا يستعطفه لهم فرق لهم وأرسل من يردهم فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الاسدي، فقال لهم: من الملك الصليب. الغلاب غير المغلب. في الابل كأنها الرب رب. هذا دمه يتثعب. وهو غدا أول من يستلب. قالوا: ومن هر؟ قال: لولا بجيش نفس خاشية لا خبر تكلم أنه حجر ضاحية فركبوا كل صعب وذلول حتي بلغوا الى عسكر حجر فجموا عليه في قتله فقتلوه، ووطعنه علباء بن الحرث الكاهلي فقتله وكان حجر قتل أباه فلما قتل قالت بنو أسد يامعشر كنانة وقيس أتم اخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم فشدوا على هجانه فانتهبوها، بلقوه في ريطة بيضاء وألقوه على الطريق فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه، وأجار عمرو بن مسعود عياله *

وقيل إن حجرا لما رأى اجتماع بني اسد عليه خافهم فاستجار عويمر بن شجنة احد بني عطار بن كعب بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله، وقال لبني أسد: ان كان هذا شأنكم فاني مرتحل عنكم ومخليكم وشانكم فودعوه على ذلك وسار عنهم وأقام في قومه مدة: ثم جمع لهم جمعا عظيما وأقبل اليهم مدلا بمن معه فآمرت بنو أسد وقالوا والله لن قهركم ليحكمنا عليكم حكم الصبي فما خير العيش حينئذ فموتوا كراما فاجتمعوا وساروا الى حجر فلقوه فاقتلوا قتالا شديدا، وكان صاحب أمرهم علباء بن الحرث، فحمل على حجر فطعنه فقتله. وانهزمت كندة ومن معهم، وأسر بنو أسد من أهل بيت حجر وغنموا حتى ملؤا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جواريه ونساءه وماء معهم، فاقتسموه بينهم وقيل: ان حجرا أخذ أسيرا في المعركة وجعل في قبة فوثب عليه ابن أخت علباء فضربه بحديدة كانت معه لأن حجرا كان قتل أباه، فلما جرحه لم يقض عليه، فأوصى حجر ودفع كتابه الى رجل، وقال له: انطلق الى ابني نافع، وكان أكبر أولاده فان بكى وجزع فاتركه واستقرهم واحدا واحدا حتى تاتي امرأ القيس وكان أصغرهم. فأيهم لم يجزع فادفع اليه خيل وسلاحى ووصيتي، وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته الى ابنه نافع. فوضع التراب على رأسه، ثم أتاهم كلهم ففعلوا مثله حتى أتى امرأ القيس. فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالزرد. فقال: قتل حجر فلم يلتفت الى قوله وأمسك نديمه، فقال له امرؤ القيس: اضرب فاضرب حتى

اذا فرغ قل: ما كنت لأفسد دستك، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره. فقال له: الخمر والنساء على حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأطلق مائة، و كان حجر قد طرد امرأ القيس لقوله الشعر وكان يأنف منه * وكانت أم امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة ابن الحرث أخت كليب بن وائل، وكان يسير في أحياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيد فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمون^(١) من أرض اليمن فلما سمع الخبر قال *

تطاول الليل علينا دَمون * دَمون إنا معشر يمانون * وإنا لقومنا محبوبون

ثم قال: ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا الاصحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر، فذهبت مثلا: ثم ارتحل حتى نزل بيكر وتغلب فسأهم النصر على بني أسد فأجابوه فبعث العيون الى بني أسد فذروا به فلجؤا الى بني كنانة وعيون امرىء القيس معهم فقال لهم علباء بن الحرث اعلوا ان عيون امرىء القيس قد عادوا اليه بنجر كم، وإنكم عند بني كنانة فارحلوا بليل، ولا تعلموا بني كنانة فارتحلوا وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم حتى انتهى الى بني كنانة وهو يظنهم بني أسد فوضع السلاح فيهم وقال يا ثارات الملك يا ثارات الهام، فقيل له: أبيت اللعن لسنا لك بثار نحن بنو كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فان القوم قد ساروا بالأمس، فتبع بني أسد فقاتوه ليلتهم فقال في ذلك

ألا يالھف هند اثر قوم * هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدم بني أيهم * وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركته صفر الوطاب

يعنى بني أيهم كنانة فان أسدا و كنانة ابني خزيمة هما أخوان، وقوله ولو أدركته صفر الوطاب قيل كانوا قتلوه واستاقوا إليه فصفرت وطابه من اللبن أى خلت، وقيل: كانوا قتلوه فخلا جلده وهو وطابه من دمه بقتله، فسار امرؤ القيس في آثار بني أسد فأدر كههم ظهرا وقد تقطعت خيله وهلكوا عطشا وبنو أسد نازلون على الماء فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا: قد أصبت ثارك، فقال لا والله، فقالوا: بلى ولكنك رجل مشؤم وكرهوا قتلهم بني كنانة فانصرفوا عنه، ومضى الى ازد شنومة يستنصرهم فأبوا أن ينصروه؛ وقالوا

(١) يوجد بهذا الاسم بلدان احدها قرب تريم بمحضر موت وليست مرادة هنا والاخرى في بلاد كندة وهى

التي يقصدها امرؤ القيس، وقال صاحب القاموس وكتنور موضع

إخواننا وجيراننا فصار عنهم ونزل بقبيل يدعى مرثد الخير بن ذى جدن الحميري وكان بينهما قرابة فاستنصره على بنى أسد، فأمدته بخمسمائة رجل من حمير، ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس، وملك بعده رجل من حمير يقال له قرمل فزود امرأ القيس، ثم سير معه ذلك الجيش وتبعه شذاذ من العرب واستأجر غيرهم من قبائل اليمن، فصار بهم إلى بنى أسد وظفر بهم *

ثم إن المنذر طلب امرأ القيس ورجل في طلبه ووجه الجيوش إليه فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم فنجوا في جماعة من أهلهم ونزل، بالحرث بن شهاب، اليربوعي وهو أبو عتيبة بن الحرث؛ فأرسل إليه المنذر يتوعد بالقتال إن لم يسلمهم إليه فسلمهم، ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحرث وابنته هند ابنة امرئ القيس وأدراعه وسلاحه وماله؛ فخرج ونزل على سعد بن الضباب الأيادي سيد قومه. فاجاره ومدحه امرؤ القيس، ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم الطائي فأقام عنده واتخذوا بلا هناك، فعدا قوم من جديلة يقال لهم: بنو زيد عليها فاخذوها فاعطاه بنو نهران معزى يحلبها فقال *

إذا لم تكس إبل فمعزى * كأن قرون جلتها العصي^(١)

الآيات ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين، فأراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله فعلم امرؤ القيس بذلك، فانتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر، فاستجاره فاجاره ف وقعت بين عامر بن جوين والثعلبي حرب، وكانت أمور كبيرة، فلما رأى امرؤ القيس أن الحرب قد وقعت بين طيء بسببه خرج من عندهم، فقصد السموأل ابن عادياء اليهودي^(٢) فاكرمه وأنزله، فأقام عنده امرؤ القيس ماشاء الله؛ ثم طلب منه أن يكتب له إلى الحرث بن أبي شمر الغساني ليوصله إلى قيصر ففعل ذلك، وسار إلى الحرث وأودع أهله وأدراعه عند السموأل، فلما وصل إلى قيصر أكرمه، فبلغ ذلك بنى أسد فأرسلوا رجلاً منهم يقال له الطماح كان امرؤ القيس قتل أخاه، فوصل الأسدى وقد

(١) تمامه : إذا ما قام حالها ارتت كأن القوم صبحهم نعى

فتملاً يدتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وورى

(٢) يدكر أن امرأ القيس قصد قبل ذلك عمرو بن درماء فاجاره، وإلى هذا يشير صاحب اللزوميات بقوله :

ويصبح الصقر في الدرء معتقداً رأى امرئ القيس في عمرو بن درماء

سير قيصر مع امرئ القيس جيشا كثيرا فيهم جماعة من أبناء الملوك ، فلما سار امرؤ القيس قال الطماح لقيصر : ان امرأ القيس غوى عاهر ، وقد ذكر انه كان يرسل ابنتك ويواصلها وقال فيها أشعرا أشهرها بها في العرب ، فبعث اليه قيصر بحلة وشى منسوجة بالذهب مسمومة ، وكتب اليه اني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها واكتب الي بخبرك من منزل منزل ، فلبسها امرؤ القيس وسر بذلك فاسرع فيه السم وسقط جلده ، فلذلك سمي ذا القروح ، فقال امرؤ القيس في ذلك *

لقد طمخ الطماح من نحو أرضه * ليلبسنى مما يلبس أبوسا^(١)

فلو أنها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما وصل الى موضع من بلاد الروم يقال له أنقرة احتضرها ، فقال : رب خطبة مسخفها وطعنة مشعجها وجفنة مستحيره حلت بارض أنقره ، ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجانب عسيب وهو جبل فقال *

أجارتنا ان الخطوب تنوب * وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة فقبره هناك * ولما مات امرؤ القيس سار الحرث بن أبي شمر الغساني الى السموأل بن عادياء ، وطالبه باذراع امرئ القيس وكانت مائة درع وبما له عنده فلم يعطه فاخذ الحرث ابناً للسموأل ، فقال : اما أن تسلم الأذراع واما قتلت ابنك فأبى السموأل أن يسلم اليه شيئا فقتل ابنه فقال السموأل في ذلك *

وفيت باذرع الكندي إني * اذا ماذم أقوام وفيت

وأوصى عاديأ يوما بأن لا * تهدم ياسموأل ما بنيت

بنى لي عاديأ حصنا حصينا * وماء كلها شئت استقيت^(٢)

وقد ذكر الأعرابي هذه الحادثة فقال *

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * في جحفل كسواد الليل جرار

اذ سامه خطي خسف فقال له * قل ماتشاء فاني سامع حار

فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر فما فيها حظ المختار

(١) ويروى * ليلبسنى من ردائه ما تبسا * (٢) يوجد بتيما بثران عظيمتان يقال لاحداها هداج والآخرى وداج احداها بظاهر نباء والآخرى داخلها ويقول عبد الحميد بك سعيدانه رأى تسعا وتسعين ساذة على الداخلة *

فشك غير طويل ثم قال له : * اقتل اسيرك اني مانع جارى
وهي أكثر من هذا (١) *

* يوم خزاز *

وكان من حديثه : أن ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مضر وريعة وقضاة ، فوفد عليه وفد من وجره بنى معد . منهم سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة * وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان * وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة ابن عامر الضحيان * وجشم بن ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان ، فلقبهم رجل من بهراء يقال له عبيد بن قراد ، وكان في الأسارى وكان شاعراً فسألهم أن يدخلوه في عدة من يسألون فيه ، فكلّموا الملك فيه وفي الأسارى فوهبهم لهم ، فقال عبيد بن قراد البهراوى :

نفسى القداء لعوف الفعال * وعوف ولا بن هلال جشم
تداركني بعد ما قد هوي * مت مستمسكاً بعراقي (٢) الوزم
ولولا سدوس وقد شممت * بي الحرب زلت بنعلى القدم
وناديت بهراء كى يسمعوا * وليس بأذانبهم من صمم
ومن قبلها عصمت قاسط * معدا اذا ما عزيز أزم

(١) وسبب القصيدة كافي الاغانى ان الاعشى هجارجلا من بنى كلب فاسره وهو لا يعرفه ونزل بشرح ابن السموأل واحسن ضيافته ومر بالاسرى فنادى الاعشى شريحاً بهذه القصيدة واولها *

شريح لا تسلىنى اليوم اذ علقت جبالك اليوم بعد القيد اظفارى
قد سرت ما بين ابقاء الى عدن وطال في المعجم تكرارى وتسيارى
فكان اكرمهم عهدا واوتقهم عقدا أبوك بمرف غير انكار
كالغيث ما استمطروه جاد وابله وفي الشدائد كالتسأمس الضارى

كن كالسموأل الايات الثلاثة وبعدها

وسوف يمقنيه ان ظفرت به رب كريم وبيض ذات اطهار
لا سرهن لدينا ذاهب هدرا وحافظات اذا استودعن اسرار
فاختار ادراعه كى لا يسببها ولم يكن عنده فيها مختار

فاستوهب شريح الاعشى من الكلبى فاعطاه اليه وكفنه بالمقام لا كرامه فطلب نجية ليذهب الى أهله ومضى من ساعته فلما علم به الكلبى طلبه ليكرمه فقال قدمضى فرسل في طلبه فلم ياحقه . الاذارة *

(٢) جمع عرقوة وانما هاعرقتان في الدلو

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة ، وقال للباقيين اتوني برؤساء قومكم لاخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي وإلا قتلت أصحابكم ، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فبعث كليب وائل إلى ربيعة فجمعهم واجتمعت معده عليه وهو أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد على ما نذكره في مقتل كليب فلما اجتمعوا عليه سار بهم ، وجعل على مقدمته السفاح التغلبي وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ابن تغلب وأمرهم أن يوقدوا على خزاز ناراً ليهدوا بها ، وخزاز جبل بطخفة ما بين البصرة إلى مكة وهو قريب من سالع وهو جبل أيضاً ، وقال له : ان غشيك العدو فاقود نارين ، فبلغ مذحجا اجتمع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجمعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم ، فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة ، ووصلت مذحج إلى خزاز ليلاً فرجع السفاح نارين فلما رأى كليب النارين أقبل اليهم بالجمع فصبحهم ، فالتقوا بخزاز فاقتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل فانهمزمت مذحج وانفضت جمعها ، فقال السفاح في ذلك :

وليلة بت أوقد في خزاز * هديت كتاباً متحيرات

ضلن من السهاد وكن لولا * سهاد القوم أحسب هاديات

وقال الفرزدق يخاطب جريراً ويهجوهُ :

لولا فوارس تغلب ابنة وائل * دخل العدو عليك كل مكان

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا * نارين أشرفنا على النيران

وقيل : انه لم يعلم أحد من كان الرئيس يوم خزاز لأن عمرو بن كلثوم وهو ابن

ابنة كليب يقول :

ونحن غداة أوقد في خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا

فلو كان جده الرئيس لذكره ولم يفتخر بأنه رفد ، ثم جعل من شهد خزازا

متساندين فقال

فكنا الأيمنين اذا التقينا * وكان الأيسرين بنواً بينا

فصالوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا

فقالوا له : استأثرت على اخوتك يعني مضر ، ولما ذكر جده في القصيدة قال :

ومنا قبله الساعي كليب * فأى المجد الا قد ولينا ؟

فلم يدع به الرياسة يوم خزاز، وهي أشرف ما كان يفتخره به (١) * حبيب * بضم
الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء أخرى موحدة *

* ذكر مقتل كليب والأيام بين بكر وتغلب *

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب بن أفضى
ابن دعوى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب، واسمه
وائل بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب،
وانما لقب كليبا لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب، فاذا مرّ بروضه أو موضع
يعجبه ضربه ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوى، فلا يسمع عواءه أحد
الاتجنبه ولم يقربه و كان يقال له كليب وائل، ثم اختصروا فقالوا كليب فغلب عليه،
وكان لواء ربيعة بن نزار للأكبر فالأكبر من ولده، فكان اللواء في عنزة بن أسد بن
ربيعة و كان ستمهم انهم يوفرون لحاهم ويقصون شواربهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا
من يخالفهم ويريد حربهم، ثم تحول اللواء في عبد القيس بن أفضى بن دعوى بن جديلة
ابن أسد بن ربيعة بن نزار و كانت ستمهم اذا شتموا لطموا من شتمهم، واذا لطموا
من لطمهم، ثم تحول اللواء في النمر بن قاسط بن هنب، و كان لهم غير سنة من تقدمهم، ثم
تحول اللواء الى بكر بن وائل فساؤا غيرهم في فرخ طائر كانوا يوثقون الفرخ بقارعة
الطريق فاذا علم بمكانه لم يسلك، أحد ذلك الطريق و يسلك من يريد الذهاب والمجيء عن
يمينه ويساره، ثم تحول اللواء الى تغلب فوليه وائل بن ربيعة، و كانت سنته ما ذكرناه
من جرو الكلب، ولم تجتمع معد الاعلى ثلاثة نفر: وهم عامر بن الظرب بن عمرو بن
بكر بن يشكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان * وهو الناس ابن
مضر - بالنون - وهو أخو الياس بن مضر، و كان قائد معد حين تمذحجت مذحج
وسارت الى تهامة وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن * والثاني ربيعة بن الحرث
ابن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب و كان قائد معد يوم السلان

(١) ولكن مهلا قد افتخر بالآسة كما يفيد قوله من قصيدته التي أوردها صاحب جمهرة اشعار العرب

في المنتقيات وهو

الى رئيس النار والمرجى * لعقدة الشدور تنق الفتوق * من عرفت يوم خزازله * عليا معد عند جيد نوثوق
و وصف الحرب فيها وسنوردها في مرأى كليب فيثبت لك خلاف دعوى المؤلف. الادارة *

بین أهل الیمامة والیمن * والثالث وائل بن ربیعہ وکان قائداً معدیوم خزاز ففرض جموع الیمن وهزمهم ، وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته وبقي زمانا من الدهر ، ثم دخله زهو شديد وبنی علی قومه حتی بلغ من بغیه انه کان یحمی مواقع السحاب فلا یرعی حماه ، وکان یقول وحش أرض کذا فی جوارى فلا یصاد ولا یورد أحد مع إبله ، ولا یوقد ناراً مع ناره ، ولا یمر أحد بین بیوته ولا یحتبی فی مجلسه ، وکانت بنو چشم وبنو شبیان اخلاطاً فی دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة ، وتزوج کلب جلیلة بنت مرة بن شبیان بن ثعلبة وهی أخت جساس بن مرة ، وحمی کلب أرضاً من العالیة فی أول الربیع ، ومان لا یقر بها الا محارب ، ثم إن رجلاً یقال له سعد بن شمس بن طوق الجرمنی نزل بالبسوس بنت منقذ التمیمیة خالة جساس بن مرة وکان للجرمنی ناقة اسمها سراب ترعی مع نوق جساس وهی التي ضربت العرب بها المثل ، فقالت : أشام من سراب ، وأشام من البسوس ، فخرج کلب یوماً یتعهد الابل ومراعیها فأتاها وتردد فیها ؛ وکانت ابله وابل جساس مختلطة فنظر کلب الی سراب فانکرها ، فقال له جساس وهو معه هذه ناقة جارنا الجرمنی ، فقال لا تعد هذه الناقة الی هذا الحمی ، فقال جساس لا ترعی إلی مرعی إلا وهذه معها ، فقال کلب لئن عادت لأضعن سهمی فی ضرعها فقال جساس لئن وضعت سهمک فی ضرعها لأضعن سنان رمحی فی لبنتک ثم تفرقا ، وقال کلب لامرأته أترین أن فی العرب رجلاً مانعاً منی جاره قالت لا أعليه إلا جساساً فحدثها الحدیث ، وکان بعد ذلك اذا أراد الخروج الی الحمی منعتة وناشدته الله أن لا یقطع رحمه ، وکانت تنهی أباها جساساً أن یرح إبله : ثم ان کلباً خرج الی الحمی وجعل یتصفح الابل فرأى ناقة الجرمنی فرمی ضرعها فأنفذه فولت ولها عجیب حتی برکت بفناء صاحبها ، فلما رأى ما بها صرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت الیه ، فلما رأت ما بناتته وضعت یدها علی رأسها ، ثم صاحت واذلاه وجساس یراها ویسمع ، فخرج الیها ، فقال لها اسکتی ولا تراعی وسکن الجرمنی ، وقال لها إنی سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة سأقتل غلالاً وکان غلال فحل إبل کلب لم یر فی زمانه مثله ، وانما أراد جساس بمقالته کلباً ، وکان لکلب عین یرسم ما یقولون فأعاد الکلام علی کلب ، فقال لقد اقتصر من یمینه علی غلال ولم یزل جساس یطلب غرة کلب ، فخرج کلب یوماً آمناً ، فلما بعد عن البیوت

(٤٠٢ - ج ١ الكامل)

رکب جساس فرسه وأخذ رمحہ وأدرك کلیا فوقف کلب ، فقال له جساس یا کلب
الرمح وراءک . فقال ان كنت صادقاً فأقبل الی من أمامی ولم يلتفت الیه فطعنه فارداه
عن فرسه ، فقال یا جساس ؛ أغثنی بشربة من ماء فلم یأته بشيء ، وقضى کلب نجه ، فأمر
جساس رجلا كان معه اسمه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شیبان ، فجعل علیه أحجارا
لثلاثاً کله السباع ، وفي ذلك يقول مهلهل بن ربیعة أخو کلب*

قتیل ما قتل المرء عمرو * وجساس بن مرة ذی صریم
أصاب فؤاده بأصم لدن * فلم یعطف هناك علی حمیم
فان غدا وبعد غد لرهن * لأمر ما یقام له عظیم
جسیما ما بکیت به کلیا * اذا ذکر الفعال من الجسیم
ساشرب کأسها صرفاً وأسقی * بکأس غیر منطقة ملیم^(۱)

(۱) وانشد قصیدته الی أوردھا صاحب الجمهرة فی ضمن المتقیات وهی :

حلت ركب البني من وائل	فی رهط جساس ثقال السوق
يا أيها الجاني على قومه	مالم يكن كان له بالخلق
جناية لم يدر ما كنهها	جان ولم يضح لها بالمطبق
كقاذف يوما بأجرامه	فی هوة ليس لها من طريق
ان ركوب البحر مالم يكن	ذا مصدر من تهلكات الفريق
ليس لمن لم يعد في بفيه	عداية تخريق ریح خريق
كن تعدى بفيه قومه	طار الی رب اللواء الخفوق
الى رئيس الناس والمرتجى	لمعدة الشد ورتق الفتوق
من عرفت يوم خزاز له	عليا معد عند جيد الوثوق
اذ أقبلت حمير في جمعها	ومذبح كالعارض المستحيق
وجع همدان لهم لجة	وراية تهوى هوى الانوق
فقلد الأمر بنو هاجر	منهم رئيسا كالحسام العتيق
مضطلما بالأمر يسموله	فی يوم لا يستاغ حلق بريق
ذاك وقد عن لهم عارض	كجنح ليل في سماء البروق
تلمع لمع الطير راياته	على أوادى لج بحر عميق
فاحتسل اوزارهم ازره	برأى محمود عليهم شفيق
وقد علتهم هفوة هبوة	ذات هياج كاهيب الحريق
فانفرجت عن وجه مسفرا	منبلجا مثل انبلج الشروق

ولما قتل جساس كلبيا انصرف على فرسه يركضه ، وقد بدت ركبته فلما نظر ابوه مرة الى ذلك قال لقد اتاكم جساس بداهية ما رأيت قط بادي الركبتيين الى اليوم ، فلما وقف على آية قال مالك يا جساس ، قال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا ، قال : ومن طعنت ؟ لا أمك الشكل قال : قتلت كلبيا قال : أفعلت ؟ قال نعم . قال : بئس والله ماجئت به قومك فقال جساس :

تاهب عنك أهبة ذى امتناع * فان الأمر جل عن التلاحي
فاني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
فلما سمع أبوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لأمته اياه فقال يحبيه :
فان تك قد جنيت على حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
جمعت بها يدك على كلب * فلا وكل ولا رث السلاح

فذاك لا يرفى به مثله
قل لبني ذهل يردونه
فقد ترويتم وما ذقم
ابلع بنى شيبان عنا فقد
لا يرقا الدهر لها عاتك
ستحمل الراكب منها على
اي امرئ خرجتم ثوبه
سعيد سادات اذا ضمهم
لم يك كالسيد في قومه
تفرج الظلماء عن وجهه
ان نحن لم نأثر به فاشحدوا
ذبجا كذب الشاة لاتقى
غدا تساقى فاعلموا بيننا
من كل مغوار الضحى بهمة
سعاليا تحمل من ثغاب
ليس اخوكم تاركا وتره

أوردنا هذه القصيدة على طولها — كما وعدنا — لان فيها صراحة ان راسة يوم وقعة خز كانت لـكـلب وان أنكرها المؤلف وفيها شروط الصلح وهو احياء كلب و اخبار القوم انه لا يترك ثاره وتبين منزلة كلب وانه ملك تدين له العرب بذلك . الادارة

سأل بس ثوبها وانود عني * بها عار المذلة والفضاح
ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فاجابوه وجلوا الأسنه ، وشحنوا السيوف وقوموا
الرماح وتهيؤوا للرحلة الى جماعة قومهم . وكان همام بن مرة أخو جساس ، ومهلل أخو
كليب في ذلك الوقت يشربان ، فبعث جساس الى همام جارية لهم تخبره الخبر ، فانتبت
اليهما وأشارت الى همام ، فقام اليها فأخبرته ، فقال له مهلل : ما قالت لك الجارية ؟
وكان بينهما عهد ان لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً ، فذكر له ما قالت الجارية وأحب
أن يعلمه ذلك في مداعبة وهزل ، فقال له مهلل : أست أخيك أضيق من ذلك ، فاقبلا
على شربهما ، فقال له مهلل : اشرب فاليوم خمر وغدا امر ، فشرب همام وهو حذر خائف
فلما سكر مهلل عاد همام الى أهله ، فساروا من ساعتهم الى جماعة قومهم ، وظهر أمر
كليب فذهبوا اليه فدفنوه ، فلما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه وخرجت الأبيكار
وذات الخدور العواتق اليه ، وقمن للباتم فقال النساء لأخت كليب أخرجي جليلة
أخت جساس عنان قيامها فيه شماته وعار علينا ، وكانت امرأة كليب كما ذكرنا ، فقالت
لها أخت كليب : اخرجي عن ما تمنا فانت أخت قاتلنا وشقيقة واترنا ، فخرجت تجر
عطافها فلقيا أبوها مرة ، فقال لها : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت ثكل العدد . وحزن الأبد
وفقد خليل . و قتل أخ عن قليل ، وبين هذين غرس الأحقاد . وتفتت الأكباد ، فقال
لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات ؟ فقالت : أمانة مخدوع ورب الكعبة
أبدن تدع لك تغلب دم ربها ؟ ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب : رحلة المعتدى
وفراق الشامت ويل غد الآل مرة من الكرة بعد الكرة ، فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف
تشمتم الحرة بهتك سترها وترقب وترها ؟ أسعد الله أختي ألا قالت نفرة الحياء وخوف
الأعداء ثم أنشأت تقول :

يا ابنة الأقوم إن شئت فلا * تعجلي باللوم حتى تسالي
فاذا ما أنت تبينت الذي * يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا * حسرتا فيما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وجدى به * قاطع ظهري ومدن أجلى
لو بعين فقتت عين سوى * أختها فانفقات لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما * تحمل الأم أذى ما تفتلى (١)
يا قتيلا قوض الدهر به * سقف بيتي جميعا من عل
هدم البيت الذي استحدثته * واثني في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كذب * رمية المصمى به المستأصل
يانسائي دونكن اليوم قد * خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظي * من ورأني ولظي مستقبل
ليس من يبكي ليوميه كمن * انما يبكي ليوم مقبل
يشتهي المدرك بالثار وفي * دركي ثأري ثكل المشكل
لته كان دما فاحتلبوا * دررامنه دمي من أكل
إنني قاتلة مقتولة * ولعل الله أن يرتاح لي

واما مهلهل واسمه عدى، وقيل، امرؤ القيس وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي، وإنما لقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر، وقصد القصائد، وأول من كذب في شعره فإنه لما صحالم يرعه إلا النساء يصرخن ألا إن كليباً قتل، فقال وهو أول شعر قيل في هذه الحادثة

كنا نغار على العواتق أن ترى * بالأمس خارجة عن الأوطان (٢)
نفرجن حين توى كليب حسرا * مستيقنات بعده بهوان
قري الكواعب كالظباء عواطلا * إذحان مصرعه من الأ كفان (٣)
يخمشن من آدم الوجوه حواسرا * من بعده ويعدن بالأزمان
متسلبات نكدهن وقد وري * أجوافهن بحرقة ورواني
ويقلن من للستضيف اذا دعا * أم من لخصب عوالي المران؟
أم لا تساربا لجزور اذا غدا * ريح يقطع معقد الاشطان
ام من لاسباق الديات وجمعها * ولفادحات نواب الحدثان؟
كان الذخيرة للزمان فقد أتى * فقدانه وأخل ركن مكاني
يا لهف نفسي من زمان فاجع * ألقى على بكلكل وجران

(١) تفتلى أى تفتطم فلا الصبي والمهرفلوا وفلا، عزله عن الرضاع أو فطمه كأفلاه وافتلاه (٢) هذا الشعر غث ساقط يدرك صاحب الذوق الفرق بين ما قبله وبينه مشتمل على ضرورات لالتليق بعربي مطبوع (٣) تركيب سخيف

بمصيبة لا تستقال جليلة * غلبت عزاء القوم والنسوان
هدت حصونا كن قبل ملاوذا * لذوى الكهول معاً وللشبان
أضحت وأضحى سورها من بعده * متهدم الأركان والبنان
فابكين سيد قومه واندبته * شدت عليه قباطى الأ كفان
وابكين للأيتام لما أقحطوا * وابكين عند تخاذل الجيران
وابكين مصرع جده متزماً * بدمائه فلذاك ما أبكاني
فلا تركزن به قبائل تغلب * قتلى بكل قرارة ومكان
قتلى تعاورها النسور أكفها * ينهشها وحواجل الغربان
ثم انطلق الى المكان الذى قتل فيه كليب فرأى دمه وأتى قبره فوقف عليه ثم قال
ان تحت التراب حزماً وعزماً * وخصيماً ألد ذا معلاق
حية فى الوجار أربد لا يذ * فجع منه السليم نفث الراقى (١)

ثم جز شعره وقصر ثوبه . وهجر النساء . وترك الغزل ، وحرّم القمار والشراب ، وجمع
إليه قومه ، وأرسل رجلاً منهم الى بني شيبان فاتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى
قومه ، فقالوا له ، إنكم أيتيم عظيم بقتلكم كليباً بناقة . وقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ،
وأنا نعرض عليك خلا لا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع : أما ان تحي لنا كليباً ، أو
تدفع إلينا قاتله جساساً فنقتله به أو همأما فانه كف له ، أو تمكنا من نفسك فان نيك
وفاء لدمه . فقال لهم : أما إحيائي كليباً فليست قادراً عليه ، وأما دفعي جساساً إليكم فانه
غلام طعن على عجل وركب فرسه فلا أدري أى بلاد قصد ، وأما همأما فانه
أب عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجزيرة غيره وأما أنا فما
هو الا أن تجول الخيل جولة فاكون أول قتيل فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندي
خصلتان : أما احدهما فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم ، وأما
الأخرى فاني أدفع إليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر ، فغضب القوم ، وقالوا قد
أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا الابن من دم كليب ، ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة
زوجة كليب بأبيها وقومها ، واعتزلت قبائل بكر الحرب وكرهوا مساعدة بني شيبان
على القتال وأعظموا قتل كليب فتحولت لجيم ويشكر ، وكف الحرث بن عباد عن

(١) هذا هو الشعر الفحل لما تقدم ولعل الأول منقول

فصرهم ومعه أهل بيته ، وقال مهلهل عدة قصائد يرثي كليباً منها : (١)

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها إذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أي فتى عز ومكرمة تحت السقائف إذ يعلوك سافياً؟
نعي النعاة كليباً لي فقلت لهم مالت بنا الأرض أوزالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته ما كل آلائه يا قوم أحصيا
القائد الخيل تردى في أعتها رهوا إذا الخيل لجت في تعاديا
من خيل تغلب ماتلقى أستها إلا وقد خضبوها من أعاديا
يهز هزون من الخطى مدججة صما أنابيبها زرقا عواليها
ليت السماء على من تحتها وقعت وانشقت الأرض فانبجابت بمن فيها
لا أصلح الله منا من يصلح الحكم ما لاحت الشمس في أعلى مجاريها
فالتقوا أول قتال كان بينهم في قول يوم عنيزة وهي عند فليج و كانا على السواء. فقال
مهلهل :

كانا غدوة وبنى أيننا بجنب عنيزة رحيا مدير

(١) ومنها
أهاج قذاة عيني الأذكار هدوء آف الدموع لها انهمار
وصار الليل مشتملاً علينا كأن الليل ليس له نهار
وبت أراقب الجوزاء حتى تقارب في أوائل انحدار
وأبكي والنجوم مطلمبات كأن لم تحوها عني البحار
أصرف مقلتي في إثر قزم تباينت البلاد بهم فغاروا
وسرته إليه من بلدى حيثنا وطار النوم وامتنع القرار
على من لو نعت وكان حيا لقاد الخيل يحجبها الغبار
أجيني يا كليب خلاك ذم لقد فجمت بفارسها تزار
سقاك الفيت انك كنت غيثا ويسرا حين يلتمس اليسار
سألت الحى أين دفنتموه؟ فقالوا لي باقصى الحى دار
وحادت ناقى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفضار
خذ المهد الأكد على عمرى بتركي كل ماحوت الديار
ولست بنخالع درعى وسيفى الى ان يخلع الليل النهار

وهذه القصيدة من غرر المراثيات وقد أثبت قوة ارادته وصدق قوله حتى أنه لم يخلع درعه — على ما يقولون —
أربعين سنة . الإدارة

ولولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقررع بالذكور^(١)
 فتفرقوا ثم بقوا زمانا، ثم انهم التقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيان نازلة عليه،
 ويروى انها أول وقعة كانت بينهم، وكان رئيس تغلب مهلهل، ورئيس شيان الحرث
 ابن مرة، وكانت الدائرة لبني تغلب، وكانت الشوكة في بني شيان واستحرق القتال فيهم
 إلا انه لم يقتل ذلك اليوم أحد من بني مرة*
 ثم التقوا بالذئاب وهي أعظم وقعة كانت لهم، فظفرت بنو تغلب، وقتلت بكر امقتلة
 عظيمة، وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيان، وهو جد الحوفزان
 وجد معن بن زائدة، وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيان، وقتل من بني ذهل بن ثعلبة
 عمرو بن سدوس بن شيان بن ذهل وغيرهم من رؤساء بكر*
 ثم التقوا يوم واردات فاقتلوا قتالا شديدا فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل في بكر
 فقتل همام بن مرة بن ذهل بن شيان أخو جساس لأبيه وأمه، فمر مهلهل فلما رآه قتيلا
 قال: والله ماقتل بعد كليب أعز على منك وتالله لا تجتمع بكر بعد كما على خير أبدا،
 وقيل: انما قتل يوم القصبيات، وقيل يوم قضة قتله ناشرة، وكان همام قد التقطه ورباه
 وسماه ناشرة، وكان عنده فلما شب علم أنه تغلبي فلما كان هذا اليوم جعل همام يقاتل
 فاذا عطش جاء الى قرية له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله، ولحق بقومه تغلب: وكاد
 جساس يؤخذ فسلم، فقال مهلهل:

(١) هذان البيتان من قصيدة طويلة اوردتها أبو علي القالي في أماليه وقد اشتملت على معظم الحروب فهي
 خير تاريخ لتلك الحروب، أولها:

أليتنا بذي حسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى

فان يك بالذئاب طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذئاب أى زير

بيوم الشعثمين لقرعينا وكيف لقاء من تحت القبور

وانى قد تركت بواردات بجيرا فى دم مثل العبير

ينوء بصدرة والرمح فيه ويحلجه خذب كالبعير

هتكت به بيوت بنى عباد وبعض القتل أشقى للصدور

وهمام بن مرة قد تركنا عليه الشعثمين من النسور

قتيل ماقتيل المرء عمرو وجساس بن مرة ذوضير

تركنا الخيل عا كفة عليهم كأن الخيل تدحض فى غدير

الى ان يقول

الى ان قال

وهذا يدل على أن هذه من آخر قصائده لان فيها ذكر قتل بجير وجساس وبهؤلاء انتهت الحرب. الادارة

لو أن خيلي أدركتك وجدتهم مثل الليوث بسترغب عرين
(ويقول فيها)

ولاوردن الخيل بطن أراكه * ولاقضين بفعل ذاك ديوني
ولاقتن ججاجحامن بكرم * ولابكين بها جفون عيون
حتى تظل الحاملات مخافة * من وقعنا يقذفن كل جنين

وقيل في ترتيب الأيام: غير ما ذكرنا وسند كره ان شاء الله تعالى * وكان أبو نورية التغلبي وغيره طلائع قومه، وكان جساس وغيره طلائع قومهم والتقى بعض الليالي جساس وأبو نورية، فقال له أبو نورية اختر إما الصراع، أو الطعان، أو المسايقة. فاختار جساس الصراع فاصطرعا وأبطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان وقد كاد جساس يصرعه، ففرّ قوا بينهما، وجعلت تغلب تطلب جساساً أشد الطلب، فقال له أبوه مرة الحق بأخوالك بالشام، فامتنع فالح عليه أبوه فسيره سرّاً في خمسة نفر وبلغ الخبر إلى مهلهل، فندب أباً نورية ومعه ثلاثون رجلاً من شجعان أصحابه فساروا مجدين فأدر كوا جساساً فقاتلهم، فقتل أبو نورية وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين، وجرح جساس جرحاً شديداً مات منه وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً فعاد كل واحد من السلمين إلى أصحابه، فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال إنما يحزنني ان كان لم يقتل منهم أحداً، فقيل له إنه قتل بيده أباً نورية رئيس القوم، وقتل معه خمسة عشر رجلاً ما شركه منا أحد في قتلهم وقتلنا نحن الباقين، فقال: ذلك مما يسكن قلبي عن جساس *

وقيل: ان جساساً آخر من قتل في حرب بكر وتغلب، وكان سبب قتله أن أخته جليلة كانت تحت كليب وائل، فلما قتل كليب عادت إلى أبيها وهي حامل ووقعت الحرب، وكان من الفريقين ما كان، ثم عادوا إلى الموادعة بعد ما كادت الفتان تتفاني، فولدت أخت جساس غلاماً فسمته هجرساً، ورباه جساس، وكان لا يعرف أباً غيره فزوجه ابنته، فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام، فقال له البكري: ما أنت بمتته حتى نلحقك بأبيك فأمسك عنه، ودخل إلى أمه كثيراً حزينا فأخبرها الخبر، فلما نام إلى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما أنكرته، فقصت على أبيها جساس قصته، فقال:

(٤١٢ - ج ١ الكامل)

ثائر ورب الكعبة ، وبات على مثل الرضف حتى أصبح ، فأحضر الهجرس ، فقال له :
 إنما أنت ولدي وأنت منى بالمكان الذى تعلم وزوجتك ابنتي ، وقد كانت الحرب فى
 أيك زماناً طويلاً وقد اضطلحنا وتحاجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس
 من الصلح ، وأن تنطلق معى حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا ، فقال الهجرس : أنا فاعل
 فحملة جساس على فرس فر كبه ولبس لامته ، وقال : مثلى لا يأتى أهله بغير سلاحه فخرجنا
 حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس القصة وأعلمهم أن الهجرس يدخل فى
 الذى دخل فيه جماعتهم وقد حضر ليعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد
 أخذ الهجرس برسط رمح ثم قال . وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغرارىه لا
 يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ، ثم طعن جساساً فقتله ، ولحق بقومه وكان آخر
 قبيل فى بكر والأول أكثر *

ونرجع الى سياقة الحديث ؛ فلما قتل جساس أرسل أبوه مرة الى مهلهل انك قد أدركت
 ثارك وقتلت جساساً فكف عن الحرب ودع اللجاج والاسراف وأصلح ذات البين
 فهو أصلح للحين وأنكأ لعدوهم فلم يجب الى ذلك ، وكان الحرث بن عباد قد اعتزل
 الحرب فلم يشهدا ، فلما قتل جساس وهام ابنا مرة حمل ابنه بجيرا وهو ابن عمرو بن
 عباد أخى الحرث بن عباد ، فلما حملة على الناقة كتب معه الى مهلهل إنك قد أسرفت فى
 القتل وأدركت ثارك سوى ما قتلت من بكر ، وقد أرسلت ابني إليك فاما قتله بأخيك
 وأصلحت بين الحين ، وإما أطلقته وأصلحت ذات البين ، فقدمضى من الحين فى هذه
 الحروب من كان بقاؤه خيراً لنا ولكم ، فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله ، وقال : بؤ
 بشسع نعل كليب^(١) ، فلما سمع أبوه بقتله ظن أنه قد قتله بأخيه ليصالح بين الحين ، فقال :
 نعم القتل قتيلاً أصلح من ابني وائل ، فقيل : انه قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب عند
 ذلك الحرث بن عباد وقال *

قرباً مربوط النعامه منى لفتحت حرب وائل عن حيال
 قرباً مربوط النعامه منى شاب رأسى وأنكرتني رجالى
 لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرّها اليوم صالى
 فأتوه بفرسه النعامه ولم يكن فى زمانها مثلها فركبها ، وولى أمر بكر وشهد حربهم ،
 وكان أول يوم شهدته يوم قضة وهو يوم تحلاق اللعم ، وإنما قيل له تحلاق اللعم : لان

(١) أى اقتل بدل شسع النعل الذى هو السير الذى يدخل بين الاصبعين *

بكرًا حلقوا رؤسهم ليعرف بعضهم بعضاً إلا جحدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة
قالهم : أنا قصير فلا تشينوني وأنا أشترى لبيتي منكم بأول فارس يطلع عليكم فطلع ابن
 عناق فشد عليه فقتله ؛ وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول * :

ردوا على الخيل ان أمت ان لم أقاتلهم فجزوا لمتي

وقاتل يومئذ الحرث بن عباد قتلاً شديداً ، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة ، وفيه يقول طرفة * :

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللعم

يوم تبدى البيض عن أسوقها وتلف الخيل أفواج النعم

وفي هذا اليوم أسر الحرث بن عباد مهلهلاً واسمه عدى وهو لا يعرفه ، فقال له :
 دلني على عدى وأنا أخلى عنك ، فقال له المهلهل : عليك عهد الله بذلك إن دللتك عليه
 قال : نعم قال : فانا عدى فجز ناصيته وتركه وقال في ذلك * :

لهف نفسي على عدى ولم أء * رف عديا اذا مكنتني اليدان

و كانت الأيام التي اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام يوم عنيزة تكافوا
 فيه وتناصفوا ، ثم اليوم الثاني يوم واردات كان لتغلب على بكر ، ثم اليوم الثالث الحنو
 كان لبكر على تغلب ، ثم اليوم الرابع يوم القصيبات أصيب بكر حتى ظنوا أنهم لن
 يستقبلوا ، ثم اليوم الخامس يوم قضة وهو يوم التحاق ؛ وشهده الحرث بن عباد ، ثم كان
 بعد ذلك أيام دون هذه منها يوم النقية ^(١) ويوم الفصيل لبكر على تغلب ، ثم لم يكن
 بينهما مزاحفة انما كان مغاورات ودامت الحرب بينهما أربعين سنة * :

ثم ان مهلهلاً قال لقومه قد رأيت أن تبقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد
 أتت على حربكم أربعون سنة وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم ، فلو مرت هذه
 السنون في رفاية عيش لكنت تمل من طولها ، فكيف وقد في الحيان ، وثكلت
 الأمهات ، و يتم الأولاد ، ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي ، ودموع لا ترقأ . واجساد
 لا تدفن ، وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم غدا بمودتهم
 ومواصلتهم ، وتعطف الأرحام حتى تتواسوا في قتال القتل ^(٢) فكان كما قال * ثم قال

(١) بنتح ثم الكسر وياه مشددة من قرى البحر بن لبني عامر بن عبد القيس ذ كذلك ياقوت الحموي
 في معجم البلدان . الادارة (٢) في قتال القتل لا معنى له ولو كانت (في قبائل النمل) لكان اللفظ صحيحاً والمعنى
 مستقياً

مهلهل أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب^(٢) واخاف أن أحلکم على الاستئصال وأنا سائر إلى اليمن وفارقهم وسار إلى اليمن ونزل في جنب وهي حى من مذحج فخطبوا إليه ابنته فمنعهم فاجروه على تزويجها وساقوا إليه صداقها جلودا من آدم فقال في ذلك :

أعزز على تغلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جشم
انكحها فقدما الأراقم في جنب و كان الحباء من آدم
لو بأبا زين^(١) جاء يخطبها ضرج ما انف خاطب بدم

الأراقم بطن من جشم بن تغلب يعني حيث فقدت الأراقم وهم عشيرتها تزوجها رجل من جنب بأدم، ثم ان مهلهلا عاد إلى ديار قومه . فأخذ عمرو بن مالك بن ضبيعة البكرى أسيرا بنوا حى هجر فأحسن إيساره . فر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر ، وكان صديقا لمهلهل فأهدى إليه وهو أسير زقا من خمر . فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكرا . وشربوا عند مهلهل في بيته الذى أفرد له عمرو ولما أخذ فيهم الشراب تغني مهلهل بما كان يقوله من الشعر و ينوح به على أخيه كليب ، فسمع منه عمرو ذلك ، فقال انه لريان والله لا يشرب عندي ماء حتى يرد زيب وهو فحل كان له لا يرد إلا خمسا في حمارة القيظ ، نطلب بنو مالك زيبا وهم حراس على أن لا يهلك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشا ، وقيل : ان ابنة خال مهلهل وهي ابنة المجلل التغلبي كانت امرأة عمرو وأرادت أن تأتي مهلهلا وهو أسير فقال يذكرها *

طفلة ما ابنة المجلل بيضا * لعوب لذينة في العناق

فاذهبي ما إليك غير بعيد * لا يوثاقى العناق من في الوثاق

ضربت صدرها إلى وقالت: * يا عديا لقد وقتك الأواقى

وهي أبيات ذوات عدد فنقل شعره إلى عمرو بن مالك فخلف عمرو أن لا يسقيه الماء حتى يرد زيب ، فسأله الناس أن يورد زيبا قبل وروده ، ففعل وأورده وسقاه حتى يتحلل من يمينه ، ثم انه سقى مهلهلا من ماء هناك هو أو خم المياها مات مهلهل ﴿عباد﴾ بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها *

(١) هما جبلان في البادية ايضرا وسود فالابيض ابني اسدوا الاسود لفرازة . لسان العرب (٢) كيف يمكنه ان ينظر إليه وقدمات قبل ذلك ؟ اه الا أن يريد العشيرة كلها لمؤازرتهم جساسا عدم قاتلين . الادارة *

﴿ ذکر الحرب بين الحرث الأعرج و بنی تغلب ﴾

قال أبو عبيدة: ان بكرأ و تغلب ابني وائل اجتمعت للمندر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم و كان الذي أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام، فغزا بهم المنذر بنی آكل المرار، وجعل على بنی بكر و تغلب ابنه عمرو بن هند، وقال اغز أخوالك فغزاهم، فاقتلوا فانهزم بنو آكل المرار وأسروا و جاؤا بهم الى المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب على المنذر و لحقت بالشام و نحن نذكر سبب ذلك في أخبار شيبان ان شاء الله *

و عادت الحرب بينهم و بين بكر فخرج ملك غسان بالشام وهو الحرث بن أبي شمر الغساني، فر بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي، فلقبه، فقال له: ما منع قومك ان يتلقوني؟ فقال: لم يعلموا بمرورك فقال: لئن رجعت لأغزوهم غزوة تركهم ايقاظا لقدومي، فقال عمرو: ما استيقظ قوم قط الا نبل رأيهم و عزت جماعتهم فلا توقظن نائمهم، فقال كأنك تتوعدني بهم أما والله لتعلنن اذا نالت^(١) غطاريف غسان الخيل في دياركم ان ايقاظ قومك سينامون نومة لاحلم فيها تجتث أصولهم و تنفي فلهم الى اليبس الجدد، و النازح الثمد، ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه و جمع قومه و قال:

ألا فاعلم أبيت اللعن أنا * أبيت اللعن نأبي ماتريد

تعلم ان محملنا ثقيل * وان دبار كبتنا^(٢) شديد

وإننا ليس حي من معد * يقاومنا اذا لبس الحديد

فلما عاد الحرث الأعرج غزا بنی تغلب فاقتلوا و اشتد القتال بينهم، ثم انهزم الحرث و بنو غسان و قتل أخو الحرث في عدد كثير. فقال عمرو بن كلثوم:

هلا عطفت على أخيك اذا دعا * بالشكل و يل أيبك يا ابن أبي شمر

ففق الذي جشمت نفسك و اعترف * فيها أخاك و عامر بن أبي حجر

﴿ يوم عين أباغ ﴾

وهو بين المنذر بن ماء السماء و بين الحرث بن الأعرج أبي شمر جبلة، و قيل أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحرث بن حجر بن النعمان بن الحرث الايهم بن الحرث بن مارية الغساني، و قيل: في نسبه غير هذا. و قيل: هو أزدي تغلب على غسان، و الاول أكثر و أصح، وهو الذي طلب أدرع امرى، القيس من السموأل بن عاديا، و قتل ابنه، و قيل: غيره و الله أعلم *

(١) هذه الكلمة ليس لها موق و لو وضع بدلها (اجالت) لكان المعنى مستقيماً (٢) دبار الشئ، آخره

و عاقبه و الكبة بفتح الكاف الدفعة في القتال و في الاغانى « زناد كبتنا » . الادارة

وسبب ذلك ان المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة في معبد كلها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار، وأرسل الى الحرث الأعرج بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو، مز يقيا بن عامر الغساني ملك العرب بالشام إما أن تعطيني الفدية فأصرف عنك بجنودى، وإما أن تأذن بحرب، فأرسل اليه الحرث انظرنا ننظر في أمرنا فجمع عساكره وسار نحو المنذر، وأرسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودى وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدى ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنى أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعهد المنذر الى رجل من شجعان أصحابه فامرهم أن يخرج فيقف بين الصفيين ويظهر أنه ابن المنذر فلما خرج أخرج اليه الحرث ابنه أبا كرب فلما رآه رجع الى أبيه، وقال: ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال يابني اجزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقاتله فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر وعاد، فامر الحرث ابنا له آخر بقتاله والطلب بثار أخيه، فخرج اليه فلما واقفه رجع الى أبيه؛ وقال ياأبت هذا والله عبد المنذر، فقال: يابني ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشدت عليه فقتله. فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفى، وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر، فقال: أيها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام، وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر باخراجه فلاحق بعسكر الحرث فاخبره، فقال له: سل حاجتك فقال له حلتك وخلتك. فلما كان الغد عي الحرث أصحابه وحرصهم، وكان فى أر بعين ألفاً، واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديداً؛ فقتل المنذر وهزمت جيوشه فامر الحرث بابنيه القتيلىن فحملا على بعير بمنزلة العدلين، وجعل المنذر فوقهما فردا وقال بالعلاوة دون العدلين فذهبت مثلاً، وسار الى الحيرة فانهبها وأحرقها ودفن ابنه بها وبني الغريين عليهما فى قول بعضهم، وفى ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبابى: *

كم تركنا بالعين عين أباغ * من ملوك وسوقة أكفاء

أمطرتهم سحائب الموت تبرى * إن فى الموت راحة الأشقياء

ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء

✽ يوم مرج حليلة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء ✽

لما قتل المنذر بن ماء السماء على ما تقدم ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الأسود فلما

استقر وثبت قدمه جمع عساكره، وسار الى الحرث الا عرج طالبا بثار أبيه عنده، وبعث اليه اني قد أعددت لك الكهول على الفحول، فأجابه الحرث قد أعددت لك المرد على الجرد، فسار المنذر حتى نزل بمرج حلیمه، فتركه من به من غسان للاسود وإنما سمي مرج حلیمه بحلیمة ابنة الحرث الغساني، وسند ذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم *

ثم ان الحرث سار فنزل بالمرج أيضا، فأمر اهل القرى التي في المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه في الجفان، وتركوه في العسكر فكان الرجل يقاتل فاذا أراد الطعام جاء الى تلك الجفان فأكل منها فأقامت الحرب بين الاسود والحرث أياما ينتصف بعضهم من بعض، فلما رأى الحرث ذلك قعد في قصره، ودعا ابنته هنداً وأمرها فأتخذت طيباً كثيراً في الجفان وطابت به أصحابه، ثم نادى يفتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هند، فقال لبيد بن عمرو الغساني لا يابى يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة، ولست أرضى فرسى فاعطني فرسك الزيتية فاعطاه فرسه، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على الاسود فضر به ضربة فلقاه عن فرسه وانهم أصحابه في كل وجه ونزل فاحتر رأسه وأقبل به الى الحرث وهو على قصره ينظر اليهم، فلقى الرأس بين يديه، فقال له الحرث شأنك بابنة عمك فقدز وجتكها، فقال: بل أنصرف فاوامى أصحابي بنفسى فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخا الاسود قد رجع اليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته، فتقدم لبيد فقاتل فقتل ولم يقتل في هذه الحروب بعد تلك الهزيمة غيره، وانهم لحتم هزيمة ثانية وقتلوا في كل وجه وانصرفت غسان بأحسن ظفر، وذكر أن الغبار في هذا اليوم اشتد وكثر حتى ستر الشمس وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر لان الاسود سار بعرب العراق أجمع، وسار الحرث بعرب الشام أجمع وهذا اليوم من اشهر أيام العرب، وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال *

يوم وادى حلیمه وازدلفنا * بالعناجيج^(١) والرماح الظماء

اذشحنأ كفنأ من رفاق * ر ق من وقعها سنا السحناء^(٢)

(١) العناجيج جراد الخيل والابل (٢) السحناء لينة البشرة والنعمة والهيئة واللون ويكون المعنى ازوقع

هذه السيوف غير النعمة على الأعداء او غير هياتهم ولونهم *

وأنت هذ بالخلق الى من * كان ذا نجدة وفضل غنا.
 ونصبنا الجفان في ساحة المر * ج فلنا الى جفان ملاء
 وقيل في قتله: غير ما تقدم ونحن نذكره، قال بعض العلماء: وكان سبيه أن الحرث بن
 ابي شمر جبلة بن الحرث الأعرج الغساني خطب الى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته،
 وقصد انقطاع الحرب بين لحم وغسان، فزوجه المنذر ابنته هنداً، وكانت لا تريد الرجال
 فصنعت بجلدها شبيهاً بالبرص، وقالت لآيها أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسان،
 فدم على تزويجها فأمسكها، ثم ان الحرث أرسل يطلبها فمنعها أبوها واعتل عليه، ثم
 ان المنذر خرج غازياً فبعث الحرث بن أبي شمر جيشاً الى الحيرة فاتهبها وأحرقها،
 فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر، فسار يريد غسان، وبلغ الخبر الحرث
 فجمع أصحابه وقومه فسار بهم فتوافقوا بعين أباغ فاصطفوا للقتال فاقتلوا واشتد الأمر
 بين الطائفتين فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحرث وفيها ابنه فقتلوه. وانهمزمت
 الميسرة، وحملت ميمنة الحرث على ميسرة المنذر فانهمزمت من بها وقتل مقدمها فروة بن
 مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وحملت غسان من القلب على المنذر
 فقتلوه، وانهمزمت أصحابه في كل وجه فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير منهم من بني
 تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير، منهم شأس بن عبدة فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر^(١)
 على الحرث يطلب اليه أن يطلق أخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها *

طحابك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب
 تكلفني ليلي وقد شط أهلها * وعادت عواد بيننا وخطوب
 يقول فيها. فان تسألوني بالنساء فأنني * بصير بأدواء النساء طبيب
 اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب
 يردن ثراء المال حيث وجدنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب
 وخالد من غسان أهل حفاظها * وهند وناس ما صنعت يشيب^(٢)
 تخشخش أبدان الحديد عليهم * كما خشخشست بين الحصاد جنوب

(١) هو المشهور بملقمة الفحل لانه غلب امرأ القيس على زوجه وذ ك صاحب الاغاني انه انشده هذه
 القصيدة بحضور النابغة الذبياني وحسان بن ثابت. الادارة (٢) كذا في الاصول والذي في ديوانه: *
 وقاتل من غسان اهل حفاظها وهن و فاس جالوت وشيب

فلم ينج إلا شطبة بلجامها * وإلا طمر كالكناة نجيب
والأكمى ذو حفاظ كانه * بما ابتل من حد الطبات خضيب
وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نذاك ذنوب
فلا تحرمنى نائلا عن جناية * فاني امرؤ وسط القباب غريب

فلما بلغ الى قوله فحق لشأس من نذاك ذنوب: قال الملك اى والله وأذنبه ثم أطلق
شأساً وقال: له ان شئت الحباء وإن شئت أسراء قومك . وقال لجلسائه: ان اختار الحباء
على قومه فلا خير فيه؛ فقال: أيها الملك ما كنت لأختار على قومي شيئاً ، فاطلقه الأسرى
من تميم وكساه وحباه، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زاداً كثيراً فلما بلغوا
بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس . وقالوا: أنت كنت السبب فى إطلاقنا فاستعن بهذا على
دهرك. فحصل له مال كثير من إبل وكسوة وغير ذلك * (عبدة) * بفتح العين والياء الموحدة *
وقيل فى قتله انه جمع عسكرياً ضحماً وسار حتى نزل الشام وسار ملك الشام - وهو عند
الأكثر - الحرث بن أبي شمر، فنزل مرج حليلة وهو ينسب الى حليلة بنت الملك ونزل
الملك اللخمى فى مرج الصفر؛ فسير الحرث فارسين طليعة أحدهما فارس خصاف
وكانت فرسه تجرى على ثلاث فلا تلحق، فساراً حتى خالط القوم وقرباً من الملك
وأمامه شمعة فقتلها حاملها ففرع القوم: فاضطربوا بأسياهم فقتل بعضهم بعضاً حتى
أصبحوا وأتاهم رسل الحرث ملك غسان يبذل الصلح والاتاة، وقال إني باعث رؤس
القبائل لتقرير الحال، وندب أصحابه فانتدب له مائة غلام؛ وقيل: ثمانون غلاماً فالبسهم
السلاح وأمر ابنته حليلة أن تطيبهم وتلبسهم ففعلت فلما مر بها لييد بن عمرو فارس
الزيتية قبلها فأتت أباهاً باكية، فقال: هو أسد القوم ولئن سلم لأنكجنه إياك وأمره على
القوم وساروا فلما قاربوا العسكر العراقى جمع الملك رؤس أصحابه وجاءت الغسانيون
وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس فلما تاموا عند الملك أبدوا السلاح
فقتلوا من وجدوا وقتل لييد بن عمرو ملك العراقيين وأحيط بالغسانيين فقتلوا إلا لييد
ابن عمرو فان فرسه لم تبرح فاستوى عليها وعاد فاخبر الملك، فقال له قد أنكحتك ابنتي
حليلة . فقال لا يتحدث الناس انى فل مائة، ثم عاد الى القوم فقاتل فقتل، وتفقده أهل
العراق أشرافهم وإذا بهم قد قتلوا فضعفت نفوسهم لذلك وزحمت اليهم غسان فانهمزوا *

(٤٢٢ - ج ١ الكامل)

قلت قد اختلف النسابون وأهل السير في مدة الأيام وتقديم بعضها على بعض: واختلفوا أيضا في المقتول فيها، فمنهم من يقول: ان يوم حليلة هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم أباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر، ومنهم من يقول بضد ذلك، ومنهم من يجعل اليومين واحدا فيقول: لم يقتل إلا المنذر بن ماء السماء، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة، وقيل: ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما فالصحيح ان المقتول هو المنذر ابن ماء السماء لاشك فيه وأما ابنه ففيه خلاف كثير والأصح انه لم يقتل، ومن أثبت قتله اختلفوا في سببه على ما ذكرناه وانما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة لان كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء فتي تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة ان كل سبب منها حادث مستقل: وقد أهملناه فأتينا بهما جميعاً لذلك ونبها عليه *

﴿ ذكر قتل مضط الحجارة ﴾

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة، وكان يلقب مضط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته، وأمه هند بنت الحرث بن عمرو المقصور بن آكل المرار وهي عممة امرئ القيس بن حجر بن الحرث، وكان سبب قتله انه قال يوم ما لجلسائه: هل تعلمون أن أحدا من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي؟ قالوا ما نعرفه الا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي، فان أمه ليلي بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل، وزوجها كلثوم وابنها عمرو، فسكت مضط الحجارة على ما في نفسه. وبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره ان تزور أمه ليلي أم نفسه هند بنت الحرث، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب، ومعه أمه ليلي، فنزل على شاطئ الفرات، وبلغ عمه وبن هند قدومه، فامر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاما، ثم دعا الناس اليه، ف قرب اليهم الطعام على باب السرادق. وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق، ولأمه هند قبة في جانب السرادق وليلي أم عمرو بن كلثوم معها في القبة، وقد قال مضط الحجارة لأمه: اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحن خدمك عنك فاذا دنا الطرف فاستخدمى ليلي ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء، ففعلت هند ما أمرها به ابنها فلما استدعى الطرف فقالت^(١) هند ليلي ناوليني ذلك الطبق قالت: لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها

(١) الاحسن أن تسقط الفاء

فألحت عليها فقالت ليلي : واذلاه يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه ، وثار بن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فاخذنه ، ثم ضرب به رأس مضط الحجارة فقتله وخرج فنأدى : يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة فقال أفنون التغلبي :

لعمر ك ما عمرو بن هند وقد دعا * لتخدم ليلي أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا * وأمسك من ندمانه بالخنق^(۱)

* يوم الكلاب الأول *

قال ابن الكلبي أول من اشتد ملكه من كندة جبر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندي ، فلما هلك ملك بعد أبيه عمر ومثل ملك أبيه فسمى المقصور لانه قصر على ملك أبيه ، فزوج عمرو أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني ؛ فولدت له الحرث فملك بعد أر بعين سنة ، وقيل : ستين سنة فخرج يتصيد فرأى عانة وهي حمر الوحش فشد عليها فانفرد منها حمار فتبعه وأقسم ان لا يأكل شيئا قبل كبده وهو بمسحلان ، فطلبتة

(۱) وعمرو بن كلثوم معلقته عبارة عن هذه الواقعة التي أولها :

ألاهي بصحنك فاصبحينا	ولاتبقي خمور الاندرينا	
اباهند فلا تعجل علينا	وأنظرنا نخبرك اليقينا	الى أن يقول
بانا نورد الرايات بيضا	ونصدرهن حمر اقدروينا	
وان الضغن بمد الضغن يفشو	عليك ويخرج الداء الدفينا	
وايام لنا غر طوال	عصينا الملك فيا ان ندينا	
وسيد معشر قد توجوه	بتاج المزيمى المحجريننا	
تركنا الخيل عاكفة عليه	مقلدة اعنتها صفونا	
باي مشيئة عمرو بن هند !	ترى انا نكون الأردلينا	الى أن قال
باي مشيئة عمرو بن هند	تعابح بنا الوشاة وزدرينا	
تهددنا وتوعدنا رويدا	متى كنا لأمك مقتوينا	

المقتوى الذي يخدم بتوة *

وان فقاتنا يا عمرو وأعيت على الأعداء قبلك ان تلينا

ولعل المؤلف لم يزد كرها لشهرتها البالغة مبلغ التواتر فذكر لنا ما يخفى على العامة كقول أفنون بخلاف المعلقة فانها معلومة للخاصة والعامة . الادارة *

الخيل ثلاثة أيام حتى ادركته فأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع فشوى على النار واطعم من كبده وهي حارة فمات ، وكان الحرث فرق بينه في قبائل معد فجعل حجرا في بني أسد وكنانة وهو أكبر ولده ، وجعل شرحبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبنى أسيد بن عمرو بن تميم والرباب ، وجعل سلمة وهو أصغرهم في بني تغلب والنر بن قاسط وبنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وجعل ابنه معد يكرب ويعرف بغلفاء في قيس عيلان وقد تقدم هذا في قتل حجر أبي امرئ القيس ، وإنما أعدناه هنا للحاجة إليه *

فلما هلك الحرث تشتت أمر أولاده وتفرقت كلمتهم ، ومشى بينهم الرجال وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجوع وزحف إليه بالجيوش فسار شرحبيل فيمن معه من الجيوش ، فنزل الكلاب وهو ماء بين البصرة والكوفة ، وأقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضاً وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب فاقبلوا إلى الكلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير فاقتلوا قتالا شديداً وثبت بعضهم لبعض ، فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا ، وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب ، وصبرت تغلب ونادى منادى شرحبيل من أتاني برأس سلمة فله مائة من الابل ونادى منادى سلمة من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الابل ، فاشتد القتال حينئذ كل يطلب أن يظفر لعله يصل إلى قتل أحد الرجلين ليأخذ مائة من الابل ، فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة ومضى شرحبيل منهزماً فبعه ذو السنينه التغلبي فالتفت إليه شرحبيل فضر به على ركبته فأطن رجله ، وكان ذو السنينه أخا أبي حنش لأمه ، فقال لأخيه : قتلى الرجل وهلك ذو السنينه . فقال أبو حنش لشرحبيل : قتلى الله ان لم أقتلك وحمل عليه فادركه ، فقال يا أبا حنش اللب اللب يعني الدية . فقال قدهرقت لبنا كثيراً ، فقال يا أبا حنش أملكاً بسوقة ؟ ، فقال : ان أخي ملكي فطعنه فإلقاه عن فرسه ونزل إليه فاخذ رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له فاتاه به وألقاه بين يديه فقال سلمة لو كنت ألقته ارفق من هذا ، وعرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه فهرب أبو حنش منه فقال سلمة :

ألا أبلغ أبا حنش رسولا * فمالك لا تجيء إلى الثواب ؟

لتعلم (١) أن خير الناس طرا * قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاسيس الرباب (٢)
فاجابه أبو حنش فقال :

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو * جباء أريك يوم ضييعات
وكانت غدرة شنعاء تهفو * تقلدها أبوك إلى الممات (٣)

و كان سبب يوم ضييعات ان ابناً للحرث كان مسترضعاً في تميم وبكر ولدغته حية
فأتها فاخذ خمسين رجلاً من تميم وخمسين رجلاً من بكر فقتلهم به ، ولما قتل شرحبيل
قام بنو زيد مناة بن تميم دون أهله وعياله فمنعوا ، وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم
بقومهم ومأمهم ، ولما بلغ خبر قتله أخاه معد يكره وهو غلفاء قال يرثيه :

ان جنبي عن الفراش لناي * كتجاني الاسر (٤) فوق الظراب (٥)
من حديث نبي الى فماتر * قأعيني ولا أسيع شرابي
مرة كالذئاف أكتمها الناس على حرمة (٦) كالشهاب
من شرحبيل اذ تعاوره الأار * ما ح من بعد لنة وشباب
يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تد * عوتما وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتي * يبلغ الرحب أو تبرز ثيابي
أحسننت وائل وعادتها الاحسان بالحبو (٧) يوم ضرب الرقاب
يوم فرت بنو تميم وولت * خيلهم يتقين بالأذئاب

(١) الذي في الصحاح تعلم بمعنى اعلم فيكون اسم فعل ولكنه نسبة الى عمرو بن معدى كرب . الادارة
(٢) وقال الأخطل :

أبا غسان انك لم تنهي ولكن قد اهنت بني شهاب

ترقوا في النخيل وانسونا وماء سراتكم يوم الكلاب

وكان عمه عبد بنوث بن دوس ثاني من ورد ماء الكلاب على فرسه الحرون ، و بهذين البيتين استدل ابن
عبدربه على أن بكرًا كانت مع شرحبيل . الادارة (٣) ولهما بيت ثالث أورده معلق الاغانى وهو :

تتابع سبعة كانوا لام كاخراج السفاج الحاورات

(٤) الاسر — بتشديد الراء — نقل صاحب اللسان عن المحكم انه داء في سرة البعير اذا يرك تجافى فيقال
بعير اسر وناقه سراء وأورد مثله عن أبي عمرو وابن الأعرابي واستشهد بالبيت نفسه . الادارة (٥) الظراب جمع
ظرب ككتف ماتأمن الحجارة وحد طرفه أو الجبل المنبسط أو الصغير (٦) الملة بنتج الميم وتشديد اللام الجمر
(٧) ليست بالباء وانما هي بالنون الموحدة من فوق قل في القاموس الحنو بالكسر والفتح كل ما فيه اعوجاج

وهي طويلة (١) ثم ان تغلب أخر جو أسلمة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل وانضم اليهم ولحقت تغلب بالمنذر بن امرى القيس اللخمي ﴿الكلاب﴾ بضم الكاف، أسيد بن عمرو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت، وذو السنية بضم السين المهملة تصغير سن، والرباب بكسر الراء وتخفيف الباء الأولى الموحدة *

﴿ يوم أواراة الأول ﴾

وهو يوم كان بين المنذر بن امرى القيس وبين بكر بن وائل وكان سيده أن تغلب لما أخرجت سلمة بن الحرث عنها التجأ الى بكر بن وائل كما ذكرناه آنفاً فلما صار عند بكر أذعنت له وحثدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفربهم فليذبهمم على قلة جبل أواراة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم في جموعه فالتقوا بأواراة فاقتلوا قتالا شديدا وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر، وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي فامر المنذر بقتله فقتل؛ وقتل في المعركة بشر كثير، وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة فامر بهم فذبحوا على جبل أواراة فجعل الدم يحمدهم: فقيل له: أبيت اللعن لو ذبحت كل بكرى على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض، وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً الى المنذر فكلمه في سبي بكر بن وائل فأطلقهن المنذر فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسى الى المنذر في بكر *

ومنا الذي اعطاه بالجمع ربه * على فاقة وللملوك هباتها

سبايا بني شيبان يوم أواراة * على النار اذ تجلى به فتياتها

من البدن كمظم الحجاج واللحم والضلع والحنى ومن غيره كالقف والحقف وهذا هو المراد هنا وهذا البيت لم يورده صاحب الأغاني ضمن الأبيات

(١) ذكر بعد ذلك صاحب الأغاني أربعة أبيات وهي :

وبحكم يابني اسيدانى وبحكم ربكم ورب الرباب

أين ممطيكم الجزيل وحاييكم على الفقر بالثين الباب

فارس يضرب الكتبية بالسيف على نحره كنضج المذاب

فارس يطمع الكماة جرى نخته قارح كاون الغراب

وامل صاحب الأغاني لم تقع له كما وقعت للمصنف حتى نسبها الى العاقل.. الادارة

﴿يوم أوارة الثاني﴾

كان عمرو بن المنذر اللخمي قد ترك ابنه اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التيمي فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرمى ضرعها فشد عليه ر بهاسو يدأحد بنى عبدات ابن دارم التيمي فقتله ، وهرب فلحق بمكة فحالف قريشا ، وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومع زرارة فأخفق ، فلما كان حيال جبلي طيء ، قال له زرارة أي ملك اذا غزا لم يرجع ولم يصب فل على طيء ، فانك بجيهاها فال اليهم فاسروقتل وغنم فكانت في صدور طيء ، على زرارة ، فلما قتل سويد أسعد وزرارة يومئذ عند عمرو فقال له عمرو بن ملقط الطائي يحرض عمرا على زرارة *

من مبلغ عمراً بان المرء لم يخلق صباره
ها ان عجزه أمه * بالسفح أسفل من أواره
فاقتل زرارة لا أرى * في القوم أوفى من زرارته

فقال عمرو يا زرارة ما تقول قال كذب قد علمت عداوتهم فيك قال صدقت فلما جن الليل سار زرارة مجدا الى قومه ولم يلبث ان مرض فلما حضرته الوفاة قال لابنه يا حاجب ضم اليك غلتي في بني نهشل ، وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو عليك بعمرو بن ملقط . فانه حرض على الملك ، فقال له يا عمه لقد أسندت إلى أبعدها شقة وأشدّها شوكة ، فلما مات زرارة تها عمرو بن عمرو في جمع وغزا طيئا فأصاب الطريفيين طريف بن مالك وطريف بن عمرو وقتل الملاقط . فقال علقمة بن عبدة في ذلك *

ونحن جلبنا من ضرية خيلنا * نجنبها حد الأكام قطا
أصبنا الطريف والطريف بن مالك * وكان شفاء الواصبين الملاقطا

فلما بلغ عمرو بن المنذر وفاة زرارة غزا بني دارم . وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فسار يطلبهم حتى بلغ أوارة وقد أندروا به فتفرقوا فأقام مكانه ؛ وبث سراياه فيهم فأتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوه في غاراتهم فقتلهم ، فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه ، فاخذه ليقته ليم مائة ثم قال : ان الشقي وافد البراجم ، فذهبت مثلا . وقيل : انه نذر أن يحرقهم فلذلك سمى محرقا فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلا واجتاز رجل من البراجم فشم قنار اللحم ؛ فظن ان الملك يتخذ طعاما فقصدته فقال : من أنت ؟ فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم ، فقال : ان الشقي وافد البراجم ، ثم أمر به فقذف في النار

فقال جرير للفرزدق *

أين الذين بنار عمرو أحرقوا * أم أين أسعد فيكم المسترضع
وصارت تميم بعد ذلك يعيرون بحب الأكل لطمع البرجمي في الأكل، فقال بعضهم: *
إذا مامات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجىء بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر * أو الشئ الملقف في البجاد^(١)
تراه ينقب البطحاء حولاً * ليأكل رأس لقمان بن عاد
قيل دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية: ما الشئ
الملقف في البجاد يا أبا بحر؟ قال السخينة يا أمير المؤمنين، والسخينة^(٢) طعام تعير به
قريش كما كانت تعير تميم بالملقف في البجاد قال فلم يرمتهما حان أوقر منهما *
* ذكر قتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحارث بن ظالم المري

وذكر يوم الرحر حان *

كان زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس
العبيسي وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء سيد قيس عيلان قنز وج
اليه ملك الحيرة وهو النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر لشرفه وسؤدده، فارسل
النعمان إلى زهير يستزيه بعض أولاده فارسل ابنه شاساً، وكان أصغر ولده فاكرمه
وحباه فلما انصرف إلى أبيه كساه حللاً وأعطاه مالا طيباً، فخرج شاس يريد قومه فبلغ
ماء من مياه غني بن أعصر، فقتله رباح بن الأشل الغنوي وأخذ ما كان معه، وهو لا
يعرفه، وقيل لزهير: إن شاساً أقبل من عند الملك وكان آخر العهد به بماء من
مياه غني، فسار زهير إلى ديار غني وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة فاجتمعوا عنده فسألهم
عن ابنه فحلفوا أنهم لم يعلموا خبره، قال لكني أعلمه، فقال له أبو عامر فما الذي يرضيك
منا؟ قال واحدة من ثلاث: إما تحيون ولدي وإما تسلون إلى غنيا حتى أقتلهم بولدي،
وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم فقالوا ما جعلت لنا في هذه مخرجا أما إحياء ولدك
فلا يقدر عليه إلا الله، وأما تسليم غني إليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار، وأما
الحرب بيننا فوالله أننا لنحب رضاك ونكره سخطك، ولكن إن شئت الدية وإن شئت
تطلب قاتل ابنك فنسله إليك أو تهب دمه فإنه لا يضيع في القرابة والجوار، فقال: ما أفعل

(١) البجاد ككتاب كساء مخطط (٢) السخينة طعام رقيق يتخذ من دقيق

الا ما ذكرت . فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدى زهير على أخواله من غني^(١) قال: والله ما رأينا كالذي تعدى رجل على قومه ، فقال له زهير: فهل لك ان تكون طلبتي عندك وأترك غنيا؟ قال نعم فانصرف زهير وهو يقول:

فلولا كلاب قد أخذت قرينتي * برد غني أعبدنا ومواليا
ولكن حتمهم عصبة عامرية * يهزون في الأرض القصار العواليا
مساير في الهيجا مصاليت في الوغى^(٢) * أخوهم عزيز لا يخاف الأعدايا
يقيمون في دار الحفاظ تكرما * اذا ما فنى^(٣) القوم أضحت خواليا

ثم انه أرسل امرأة وأمرها ان تكتم نسبها ، وأعطها لحم جزور سمينة وسيرها الى غني لتبيع اللحم بطيب وتسال عن حال ولده ، فانطلقت المرأة الى غني وفعلت ما أمرها ، فاتت الى امرأة رباح بن الأشل وقالت لها قد زوجت بنتا لي وأبغى الطيب بهذا اللحم فأعطتها طيباً وحدثها بقتل زوجها شأسا فعادت المرأة الى زهير ، وأخبرته فجمع خيله ، وجعل يغير على غني حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ؛ ووقعت الحرب بين بني عبس وبني عامر ، وعظم الشر *

ثم ان زهير اخرج في بيته^(٤) وأهل بيته في الشهر الحرام الى عكاظ فالتقى هو وخالد بن جعفر بن كلاب ، فقال له خالد لقد طال شرنا منك يا زهير ، فقال زهير: أما والله ما دامت لي قوة أدرك بها ثارا فلا انصرام له ، وكانت هوازن توثي زهير بن جذيمة الأتاة كل سنة بعكاظ ، وهو يسومها الخسف وفي نفسها منه غيظ وحق ، ثم عاد خالد وزهير الى قومهما ، فسبق خالد الى بلاد هوازن فجمع اليه قومه وندبهم الى قتال زهير ، فأجابوه وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهير او هم على طريقه وسار زهير حتى نزل على أطراف بلاد هوازن ، فقال له ابنه قيس: انج بنا من هذه الأرض فانا قريب من عدونا فقال له يا عاجز وما الذي تخوفني به من هوازن وتتنى شرها؟ فانا أعلم الناس بها ، فقال ابنه دع عنك اللجاج وأطعني وسر بنا فاني خائف عاديتهم ، وكانت تماضر بنت الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير وقد أصاب بعض اخوتها دما فلحق ببني عامر وكان فيهم ، فارسله خالد عينا ليأتيه بخبر زهير فخرج حتى أتاهم في مهز لهم ، فعلم قيس بن زهير حاله وأراد هو وأبوه ان يوثقوه

(١) على وزن على حتى من غطفان (٢) المساعير جمع مسعر وهو موقد النار والمصاليت الماضون والهيجاء

والوغى الحرب (٣) بضم فكسر جمع فناء (٤) وفي نسخة بيته ولعلها قرينته . الادارة

(٤٣٢ - ج ١ الكامل)

ويأخذوه معهم الى أن يخرجوا من أرض هوازن، فنعت أخته فأخذوا عليه العهد أن لا يخبر بهم وأطلقوه، فسار الى خالد ووقف الى شجرة يخبرها الخبر، فركب خالد ومن معه الى زهير وهو غير بعيد منهم فاقتلوا قتالا شديدا، والتقى خالد وزهير فاقتلا طويلا ثم تعانقا فسقطا على الأرض، وشد ورقاء بن زهير على خالد وضربه بسيفه فلم يصنع شيئا لأنه قد ظاهر بين درعين، وحمل جندح بن البكاء وهو ابن امرأة خالد على زهير فقتله، وهو وخالد يعتركان، فثار خالد عنه، وعادت هوازن الى منازلها، وحمل بنو زهير أباهم الى بلادهم، فقال ورقاء بن زهير في ذلك:

رأيت زهيرا تحت كلكل^(١) خالد فاقبلت أسعى كالعجول^(٢) أبادر
الى بطلين يعتران^(٣) كلاهما يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم أضرب خالددا ويمنعه مني الحديد المظاهر^(٤)
فياليت اتي قبل أيام خالد وقبل زهير لم تلدني تما ضر
لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني فماذا الذي ردت^(٥) عليك البشائر
فلا يدعني قومي صريحا بحرة لان كنت مقتولا ويسلم عامر
فطر خالد ان كنت تسطيع طيرة ولا تقعا إلا وقلبك حاذر
أتك المنايا إن بقيت بضربة تفارق منها العيش والموت حاضر
وقال خالد يمن علي هوازن بقتله زهيرا:

أبلغ هوازن كيف تكفر بعدما اعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقلت ربهم زهيرا بعدما جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلت مهر نساءهم ودياتهم عقل^(٦) الملوك هجائنا وبكارا

وكان زهير سيد غطفان، فلم خالد ان غطفان ستطلبه بسيدها، فسار الى النعمان بن امرئ القيس بالحيرة، فاستجاره فاجاره فضرب له قبة، وجمع بنو زهير لهوازن، فقال الحرث بن ظالم المرى أ كفوئي حرب هوازن فانا أ كفيكم خالد بن جعفر، وسار الحرث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يا كلان تمرا، فاقبل النعمان

(١) الكلكل المصدر (٢) هي الشكلى من النساء وغيرهن (٣) اي يضطر بان قال في القاموس المتر اشتداد
الرمح وغيره واضطرابه واهتزازه (٤) هو الذي لبس درعا فوق درع (٥) نفعتك به (٦) الدية اي جمعت ذلك

يسأله فحسده خالد ، فقال النعمان: أبيت اللعن هذا رجل لي عنده يد عظيمة قتلت زهيرا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها ، فقال الحرث سأجزيك على يدك عندي وجعل الحرث يتناول التمر لياً كله فيقع من بين أصابعه من الغضب فقال عروة لأخيه خالد: ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكا ، فقال خالد وما يخوفي منه؟ فوالله لورآني نأتما ما أيقظني ، ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتهما فشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه ، فاما أظلم الليل انطلق الحرث الى خالد فقطع شرح القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك . ثم أيقظ خالد ، فلما استيقظ ، قال أتعرفني؟ قال أنت الحرث قال خذ جزء يدك عندي وضربه بسيفه المعلوب فقتله ، ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار ، وخرج عروة من القبة يستغيث وأتى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر فبث الرجال في طلب الحرث ، قال الحرث: فلما سرت قليلا خفت أن أكون لم أقتله ، فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه ، فضرته بالسيف حتى تيقنت انه مقتول وعدت فلحقت بقومي ، فقال عبدالله بن جعدة الكلبي:

يا حار لو نبهته لوجدته * لاطائشا رعشا ولا معزالا^(١)
شقت عليه الجعفرية جيها * جزعا وما تبكي هناك ضلالا
فانعوا أبا بحر بكل مجرب * حران يحسب في القناة هلالا
فليقتلن بخالد سرواتكم * وليجعلن لظالم تمثالا

فاجابه الحرث:

تالله قد نبهته فوجدته * رخواالدين مواكلا عسقالا
فعلوته بالسيف أضرب رأسه * حتى أضل بساحه السر بالالا^(٢)

فجعل النعمان يطلبه ليقته بجاره وهو ازن تطلبه ليقته بسيدها خالد^(٣) فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، فأجاره على النعمان وهو ازن فلما علم النعمان ذلك جهز جيشا الى بني دارم عليهم بن الحس التغلي ، وكان يطلب الحرث بدم أبيه لأنه كان قتله ، ثم ان الأحوص بن جعفر أخا خالد جمع بني عامر

(١) المعزال الراعي المنفرد والنازل ناحية من السفر ومن لارمح معه والأخير انسب للمني (٢) المعني ان سرباله ضل في سلحه لكثرة ذلك منه (٣) لم يكن خالد بن جعفر من هوازن ولكنه من بني عامر الا اذا كان يريد أنه بتمته زهيرا صار سيد هوازن لانه اعتمهم منه وان لم يكونوا قومه

وسار بهم، فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بني دارم وساروا، فلما صاروا بادني مياه
 بني دارم رأوا امرأة تجني الكمأة ومعها جمل لها فاخذها رجل من غنى وتركا عنده، فلما
 كان الليل نام فقامت الى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بني دارم، وقصدت سيدهم زرارة
 ابن عدس فاخبرته الخبر، وقالت اخذني أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم قال
 فصفهم لي قالت: رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقة صغير العينين وعن أمره
 يصدرون، قال: ذاك الأحوص وهو سيد القوم، قالت: ورأيت رجلا قليل المنطق اذا
 تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الابل لفحلها احسن الناس وجها ومعه ابنان له يلزامانه
 قال ذاك مالك بن جعفر و ابنه عامر و طفيل، قالت: ورأيت رجلا جسيما كأن لحيته
 محمرة معصفرة قال ذاك عوف بن الأحوص، قالت: ورأيت رجلا هلقاما^(١) جسيما
 قال ذاك ربيعة بن عبدالله بن أبي بكر بن كلاب، قالت: ورأيت رجلا أسوداً خنس قصيرا
 قال ذاك ربيعة بن قرط بن عبدالله بن أبي بكر، قالت: ورأيت رجلا أقرن الحاجين
 كثير شعر السبلة يسيل لعابه على لحيته اذا تكلم: قال ذاك جندح بن البكاء، قالت
 ورأيت رجلا صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرسأله معه جفير^(٢) لا يفارق يده قال
 ذاك ربيعة بن عقيل بن كعب، قالت: ورأيت رجلا معه ابنان أصهبان اذا أقبلا رماها
 الناس بابصارهم فاذا أدبرا كانا كذلك قال ذاك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل
 و ابنه يزيد و زرعة، قالت: ورأيت رجلا لا يقول كلمة الا وهى أحد من شفرة قال ذاك
 عبد الله بن جعدة بن كعب، وأمرها زرارة فدخلت بيتها وأرسل زرارة الى الرعاء
 يامرهم باحضار الابل ففعلوا وأمرهم فحملوا الابل والاثقال وساروا نحو بلاد بغيض
 و فرق الرسل في بني مالك بن حنظلة فأتوه فأخبرهم الخبر وأمرهم فوجهوا أثقالهم الى
 بلاد بغيض و باتوا معدين، وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنوى حال الظعينة وهر بها
 فسقط في أيديهم واجتمعوا يريدون^(٣) الرأي فقال بعضهم كأي الظعينة قد أتت قومها
 فأخبرتهم الخبر فحذروا وأرسلوا أهلهم وأموالهم الى بلاد بغيض و باتوا معدين لكم في
 السلاح، فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم فانهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا
 ونصرف فركبوا يطلبون ظعن بني دارم، فلما أبطأ القوم عن زرارة قال لقومه ان القوم
 قد توجهوا الى ظعنكم وأموالكم فسيروا اليهم فساروا مجدين فلحقوهم قبل أن يصلوا الى
 الظعن والنعم فاقتلوا قتالا شديدا فقتلت بنو مالك بن حنظلة بن الحس التغلي رئيس جيش

(١) الهلقام الضخم الطويل (٢) الجفير كما مبرجبة من جلود لا خشب فيها (٣) لعله يدبرون *

النعمان، وأسرت بنو عامر معبد بن زرارة وصبر بنودارم حتى انتصف النهار، وأقبل قيس بن زهير فيمن معه من ناحية أخرى، فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وعادوا إلى بلادهم ومعبداً سير مع بني عامر فبقي معهم حتى مات^(١) وفي تلك الأيام أيضاً مات زرارة بن عدس* وقيل في استجارة الحرث بن تميم غير ذلك، وهو ان النعمان طلب شيئاً يعيظ به الحرث بعد قتل خالد وهربه، فقيل له: كان قصد الحيرة ونزل على عياض بن وهب التميمي وهو صديق له، فبعث إليه النعمان فاخذ إبلا له فركب الحرث وأتى الحيرة متخفياً واستنقذ ماله من الرعاة وردده عليه، وطلب شيئاً يعيظ به النعمان، فرأى ابنه غضبان فضرب رأسه بالسيف فقتله، وبلغ النعمان الخبر فبعث في طلبه فلم يدركه فقال الحرث في ذلك:

أخصى حماريات يكدم نجمة * أتوكل جاراتي وجارك سالم؟

فان تك أذوادا أصبت ونسوة * فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

علوت بذى الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه إلا الأكارم

فتكت به كما فتكت بخالد * وكان سلاحى تحتويه الجماجم

بدأت بتلك واثنت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم

حسبت أبا قابوس انك مخفري * ولما تذق ثكلا وأنفك راغم

كذا قال بعضهم: وقيل: ان المقتول كان شرحبيل بن الأسود بن المنذر، وكان الأسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن أبي حارثة المري ترضعه زوجته، فمن هناك كان لسنان مال كثير، وكان ابنه هرم يعطى منه، فجاء الحرث متخفياً فاستعار سرج سنان، ولا يعلم سنان، ثم أتى امرأة سنان، فقال: يقول بعلك: ابعتي بشرحبيل بن الملك مع الحرث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفر به وهذا سرجه علامة فزنته ودفعته إليه، فاخذه وقتله وهرب، فغزا الأسود بني ذبيان وبني أسد بشط أربل، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبي واستأصل الأموال، وأقسم ليقتلن الحرث فسار الحرث متخفياً إلى الحيرة ليفتك بالأسود، فبينما هو في منزله إذ سمع صارخة تقول أنا في جوار الحرث بن ظالم

(١) ولذلك يقول عامر بن الطفيل:

قضينا الحزن من عبس وكانت منية معبدينا هزالا

أى لانه مات من الجوع والعطش فقيل ان بنى عامر منعوه ذلك لما اراد فداءه وطلبوا فيه الف نانة دية ملك فدفع له اقبط مائتين فرفضوا، وقيل انه امتنع هر عن الأكل والشرب فيكون قدوة للمسجونين الذين يضر بون عن الطعام والشراب في عصرنا الحاضر وما اكثرهم ولا سيما السياسيين. الادارة *

و عرف حالها ، و كان الأسود قد أخذ لها صرمة من الابل ؛ فقال لها انطلقى غدا الى مكان كذا و أتاه الحرث فلما وردت ابل النعمان أخذ مالها فسلمه اليها و فيها ناقة تسمى اللقاع ، فقال الحرث فى ذلك *

اذا سمعت حنة اللقاع * فادعى ابا ليلى فنعم الداعى

يمشى بعضب صارم قطاع * يفرى به مجامع الصداع

ثم أقبل يطلب مجير فلم يجره أحد من الناس ، و قالوا : من يجيرك على هوازن و النعمان و قد قتلت ولده فأتى زرارة بن عدس و ضمرة بن ضمرة فاجاراه على جميع الناس ، ثم ان عمرو بن الاطنابة الخزرجى لما بلغه قتل خالد بن جعفر : و كان صديقاله قال والله لو وجدته يقظان ما أقدم عليه و لوددت أنى لقيته ، و بلغ الحرث قوله و قال : والله لآتينه فى رحله ، و لا ألقاه الا و معه سلاحه فبلغ ذلك ابن الاطنابة فقال : أياتا منها *

أبلغ الحرث بن ظالم المو * عد و الناذر الندور عليا

إنما تقتل النيام و لا تقتل يقظان ذا سلاح كيا

فبلغ الحرث شعره فسار الى المدينة و سأل عن منزل ابن الاطنابة فلما دنا منه نادى يا ابن الاطنابة أغثنى فأتاه عمرو فقال من أنت قال رجل من بنى فلان خرجت أريد بنى فلان فعرض لى قوم قريبا منك فأخذوا ما كان معى ذار كى معى حتى نستنقذه فركب معه و ايس سلاحه و مضى معه فلما أبعد عن منزله عطف عليه و قال أنا هم أنت ام يقظان؟ فقال يقظان فقال : أنا أبو ليلى و سيفى المعلوب فالقى ابن الاطنابة سيفه ، و قيل : رحمه و قال : قد أعجبتنى فامهلنى حتى آخذ سيفى فقال : خذه قال : أخاف أن تعجبنى عن أخذه قال : لك ذمة ظالم لا أعجلك عن أخذه قال فوذمة الاطنابة لا آخذه فانصرف الحرث و هو يقول أياتا منها *

بلغتنا مقالة المرء عمرو فالتقينا و كان ذاك بديا

فهمنا بقتله إذ برزنا و وجدناه ذا سلاح كيا

غير ما نائم يروع بالفتك ولكن مقلدا مشرفيا

فمنا عليه بعد علو بوفاء و كنت قدما و فيا

ثم ان الحرث لما علم ان النعمان قد جد فى طلبه و هوازن لا تقعد عن الطلب بثار خالد خرج متنكرا الى الشام و استجار بيزيد بن عمرو فاكرمه و أجاره و كان ليزيد

ناقة حمأة في عنقها مدية وزناد وملح ليمتحن بذلك رعيته فوحمت زوجة الحرث واشتهت شحماً ولحماً فاخذ الحرث الناقة فادخلها شعباً فذببحها وحمل الى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه ، وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادي فارسل الملك الى كاهن فسأله عنها ، فذكر له ان الحرث نحرها فارسل امرأه بطيب تشتري من لحمها من امرأة الحرث فادركها الحرث وقد اشترت اللحم فقتلها ودفنها في البيت فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها من نحر الناقة واذا كرهت أن تفتش بيته فتأمر الرجل بالرحيل فاذا رحل فتشت بيته ففعل ذلك ؛ فلما رحل الحرث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة وأحس الحرث بالشر فعاد الى الكاهن فقتله فاخذ الحرث وأحضر عند الملك فامر بقتله فقال إنك قد أجرني فلا تغدر بي فقال إن غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بي مرارا فقتله^(١) *

﴿ أيام داحس والغبراء وهي بين عبس وذبيان ﴾

وكان سبب ذلك ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر والأخذ بثار أبيه فاتي أحيحة بن الجلاح يشتري منه درعا موصوفة ، فقال له: لا أبيعها ولولا أن تدمني بنوعامر لو هبتها منك ولكن اشترها بابن لبون ففعل ذلك وأخذ الدرع وتسمى ذات الحواشي ووهبه أحيحة أيضا ادراعا وعاد الى قومه وقد فرغ من جهازه فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي فدعاه الى مساعدته على الأخذ بثاره فأجابه الى ذلك فلما أراد فراقه نظر الربيع الى عينه^(٢) . فقال ما في حقيبتك قال متاع عجيب لو أبصرته لراعك وأناخ راحلته ، فاخرج الدرع من الحقيبة فابصرها الربيع فاعجبته ولبسها فكانت في طوله ، فمنعها من قيس ولم يعطه اياها وترددت الرسل بينهما في ذلك ، ولج قيس في طلبها ولج الربيع في منعها ، فلما طالت الأيام على ذلك سير قيس أهله الى مكة وأقام ينتظر غرة الربيع ، ثم ان الربيع سبه إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلاء ، وأمر أهله فظعنوا وركب فرسه وسار إلى المنزل ، فبلغ الخبر قيسا فسار في أهله وإخوته فعارض ظعائن الربيع

(١) وكان الذي تولى قتله ابن الحسن التغلبي بأمر يزيد لأنه كان قد قتل والده الحسن واخذ سيف الحارث

فأتى به عكاظا في الأشهر الحرم واره قيس بن زهير فضر به قيس فقتله ورثي الحارث بن ظالم بقوله

وما قصرت من حاضر دون سرها ابر وأوفى منك حار بن ظالم

اعز واحي عند جار وذمة واضرب في كلب من النقع قتم

الكاب الغم وسوء الحال. الادارة (٢) هي زيبيل من آدم وما يجعل فيه اثياب ، ومن الرجل موضع سره . قاموس

واخذ زمام أمه فاطمة بنت الخرشب وزمام زوجته ، فقالت فاطمة أم الربيع ماتريد يا قيس ؟ قال أذهب بكن الى مكة فأبيعكن بها بسبب درعي قالت وهي في ضماني وخل عنا ففعل فلما جاءت الى ابنها قالت له في معنى الدرع ، فحلف انه لا يرد الدرع . فارسلت الى قيس أعلنته بما قال الربيع فاغار على نعم الربيع ، فاستاق منها أربع مائة بعير . وسار بها الى مكة فباعها ، واشترى بها خيلا ، وتبعه الربيع فلم يلحقه ، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء (١) *

وقيل : ان داحسا كان من خيل بني يربوع ، وان أباه كان أخذ فرسا لرجل من بني ضبة يقال له أنيف بن جبلة ، وكان الفرس يسمى السبط وكانت أم داحس لليربوعى ، فطلب الليربوعى من الضبي أن ينزى فرسه على حجره فلم يفعل . فلما كان الليل عمد الليربوعى الى فرس الضبي . فاخذه فانزاه على فرسه . فاستيقظ الضبي فلم يرفسه فنادى في قومه فأجابوه وقد تعلق باليربوعى فاخبرهم الخبر ، فغضبت ضبة من ذلك ، فقال لهم لا تعجلوا دونكم نطفة فرسكم نخذوها فقال القوم قد أنصف ، فسطاع عليها رجل من القوم فدى يده في رحمها ، فاخذ ما فيها فلم تزد الفرس الا لقاحا ، فتجت مهران فسمى داحسا بهذا السبب . فكان عند الليربوعى ابنان له . وأغار قيس بن زهير على بني يربوع فذهب وسبي ، وراى الغلامين أحدهما على داحس ، والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما فرجع وفي السبي أم الغلامين واختان لهما وقد وقع داحس والغبراء في قلبه ، وكان ذلك قبل أن يقع بينه وبين الربيع ما وقع ، ثم جاء وفد بني يربوع في فداء الأسرى والسبي فاطلق الجميع إلا أم الغلامين واختيهما ، وقال : إن أتاني الغلامان بالمهر والفرس الغبراء وإلا فلا ، فامتنع الغلامان من ذلك . فقال شيخ من بني يربوع كان أسيرا عند قيس أياتا وبعث بها الى الغلامين وهي :

ان مهران فدا الرباب وحملا * وسعاد الخير مهراناس
ادفعوا داحسا بهن سراعا * انها من فعالها الأكياس

(١) وفي ذلك يقول قيس بن زهير *

الم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشى تشرى بادراع واسياف حداد
وكنت اذا بليت بخمصم سوء دلقت له بداهية الفؤاد

وأراد بالقرشى عبد الله بن جدعان التيمي لان المبادلة كانت معه . الادارة

دونها والذي يحج له الناس * سبايا يعن بالافراس
ان قيسا يرى الجواد من الخيل حياة في متلف الانفاس
يشترى الطرف بالجراجرة (١) الجلة يعطى عفوا بغير مكاس
فلما انتهت الايات الى بنى يربوع قادوا الفرسين الى قيس واخذوا النساء، وقيل: ان
قيسا أنزى داحسا على فرس له فجاءت بمهرة فساها الغبراء، ثم ان قيسا أقام بمكة فكان
أهلها يفاخرونه، وكان فخورا، فقال لهم: نحوا كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ماشئتكم،
فقال له عبد الله بن جدعان: اذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبم نفاخرك؟
فلما قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم وسر ذلك قريشا لأنهم قد كانوا كرهوا
مفاخرته، فقال لآخوته ارحلوا بنا من عندهم أولا والا تفاقم الشر بيننا وبينهم، والحقوا
ببني بدر فانهم أ كفاؤنا في الحسب وبنو عمنا في النسب وأشراف قومنا في الكرم
ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم، فلحق قيس وآخوته ببني بدر، وقال في
مسيره اليهم:

أسير الى بنى بدر بأمر * هم فيه علينا بالخيار
فان قبلوا الجوار فخير قوم * وان كرهوا الجوار فغير عار
أتينا الحرث الخير بن كعب * بنجران وأى لجا بجار
فجاورنا الذين اذا أتاهم * غريب حل في سعة القرار
فيا من فيهم ويكون منهم * بمنزلة الشعار من الدثار
وان نفرد بحرب بنى أينا * بلا جار فان الله جارى

ثم نزل ببني بدر، ونزل بحذيفة فأجاره هو وأخوه حمل بن بدر، وأقام فيهم وكان
معه أفراس له وآخوته لم يكن في العرب مثلها، وكان حذيفة يغدر ويروح الى قيس
فينظر الى خيله فيحسده عليها، ويكتم ذلك في نفسه وأقام قيس فيهم زمانا يكرمونه
وآخوته فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم وبعث اليهم بهذه الايات:

ألا أبلغ بنى بدر رسولا على ما كان من شأنا ووتر (٢)
بأني لم أزل لكم صديقا أدافع عن فزارة كل أمر

(١) جمع جرار وهو من الابل الكثير الصوت (٢) أى منى عداوة وانتقام*

سالم سلمكم وأرد عنكم
وكان أبي ابن عمكم زياد
فالجأتم أبا الغدرات قيسا
فحسبي من حذيفة ضم قيس
فأما ترجعوا أرجع إليكم
وانتابوا فقد أوسعت عذري

فلم يسيروا عن جوار قيس فغضب الربيع وغضبت عيس لغضبه ، ثم ان حذيفة
كره قيساً وأراد اخراجه عنهم فلم يجد حجة وعزم قيس على العمرة فقال لأصحابه اني
قد عزمتم على العمرة فايا كم ان تلابسوا حذيفة بشيء واحتملوا كل ما يكون منه حتى
أرجع فاني قد عرفت الشر في وجهه وليس يقدر على حاجته منكم الا أن تراهنوه على
الخيل وكان ذارأي لا يخطيء فيما يريد وسار الى مكة ثم ان قتي من عيس يقال له ورد
ابن مالك أتى حذيفة فجلس اليه فقال له ورد لو اتخذت من خيل قيس فحلا يكون أصلا
لخيلك ، فقال حذيفة خيلي خير من خيل قيس ولجا في ذلك الى ان تراهنا على فرسين من
خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة والرهن عشة أذاه اد وسارورد فقدم على قيس بمكة
فاعله الحال ، فقال له أراك قد أوقعتني في بني بدر ووقعت معي وحذيفة ظلوم لا تطيب
نفسه بحق ونحن لانقر له بضميم ، ورجع قيس من العمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة
وسأله أن يفك الرهن فلم يفعل فسأله جماعة فزاره وعيس فلم يجب الى ذلك . وقال ان أقرت قيس
ن السبق لي والافلا : فقال أبو جعدة الفزاري :

آل بدر دعوا الرهان فانا قد ملنا اللجاج عند الرهان
ودعوا المرء في فزاره جارا ان ماغاب عنكم كالعيان
ليت شعري عن هاشم وحصين وابن عوف وحات وسانان
حين ياتيهم لجاجك قيسا وأي صاح أبيت أم نشوان

وسال حذيفة اخوته وسادات أصحابه في ترك الرهان ولج فيه . وقال قيس : علام
تراهني ؟ قال : على فرسيك داحس والغبراء وفرسي الخطار والحنفاء : وقيل : كان الرهن
على فرسي داحس والغبراء ، قال قيس : داحس اسرع ، وقال حذيفة : الغبراء اسرع ، وقال
لقيس : اريد أن اعلمك ان بصري بالخيل أثقب من بصرك والأول أصح ؛ فقال له قيس :
نفس في الغاية وارفع في السبق . فقال حذيفة الغاية من أبي الى ذات الاصاد وهو قدر

مائة وعشرين غلوة والسبق مائة بعير وضمروا الخيل فلما فرغوا قادوا الخيل الى الغاية ، وحشدوا ولبسوا السلاح : وتركوا السبق على يد عقال بن مروان بن الحكم القيسي ، وأعدوا الامناء على ارسال الخيل ؛ وأقام حذيفة رجلا من بني أسد في الطريق وامره أن يلقي داحساً في وادي ذات الاصاد ان مر به سابقاً فيرمى به إلى أسفل الوادي ، فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقا بينا والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة على رأس الغاية في جميع قورمهما فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدى فلطم وجهه فلقاه في الماء فكاد يفرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل ، وأما ركب الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد ابطأ وعاد إلى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة ثم سقطت الحنفاء وبقى الغبراء والخطار فكانا إذا أحزنا سبق الخطار وإذا أسهلا سبقت الغبراء فلما قربا من الناس وهما في وعت من الأرض تقدم الخطار ، فقال حذيفة سبقتك يا قيس ، فقال: رويدك يعلون الجرد: فذهبت مثلاً فلما استوت بهما الأرض قال حذيفة: خدع والله صاحبنا ، فقال قيس: ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين: فذهبت مثلاً، ثم ان الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء له أيضاً ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله فاخبر الغلام قيساً بما صنع بفرسه ، فانكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلماً ، وقال : جاء فرساي متتابعتين ، ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا الى القوم الذين حبسوا داحساً واختافوا ؛ وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسرهم ذلك ؛ وقال لأصحابه : هلك والله قيس و كأي به ان لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار أما والله لئن فعل مالنا من ضمه من بد ، ثم ان الأسدى ندم على حبس داحس ، فجاء إلى قيس واعترف بما صنع فسيبه حذيفة ، ثم ان بني بدر قصروا بقيس واخوته و آذوهم بالكلام فعاتبهم قيس فلم يزدادوا إلا بغياً عليه وبذاء له ؛ ثم ان قيساً وحذيفة تناكرا في السبق حتى هما بالمؤاخذة فمزجهما الناس ، وظهر لهم بغى حذيفة وظلمه (١) ولج في

(١) وفي ذلك يقول قيس بن زهير *

وما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الأصاد
هوا فخروا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادى

فمن هنا يستدل على ان الرهن كان مع حمل بن بدر اخي حذيفة وهذا الذي اختاره ابن عبد ربه وهو المعقول لان حذيفة باعتباره رئيس القبيلة لا يقدم على العمل رأساً وانما جعل أخاه حملاً واسطة ونصره ظلماً كما هي العادة . الادارة *

طلب السبق فارسل ابنه ندبة الى قيس يطالبه به ، فلما أبلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه الى أبيه ، ونادى قيس يا بني عبس الرحيل فرحلوا كلهم ، ولما أتت الفرس حذيفة علم أن ولده قتل فصاح في الناس وركب فيمن معه وأتى منازل بني عبس فرآها خالية ، ورأى ابنه قتيلا فنزل اليه وقبل بين عينيه ودفنوه ؛ وكان مالك بن زهير آخر قيس متزوجا في فزارة وهو نازل فيهم فارسل اليه قيس انى قد قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت فالحق بنا وإلا قتلت ، فقال انما ذنب قيس عليه ولم يرحل فارسل قيس إلى الربيع بن زياد يطلب منه العود اليه والمقام معه اذ هم عشيرة وأهل فلم يجبه ولم يمنعه وكان مفكرا في ذلك ، ثم ان بني بدر قتلوا مالك بن زهير اخا قيس ، وكان نازلا فيهم فبلغ مقتله بنى عبس والربيع بن زياد فاشتد ذلك عليهم ، وأرسل الربيع إلى قيس عينا يأتيه بخبره فسمعه يقول :

أينجو بنو بدر بمقتل مالك * ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به * من الدهر ان يوم ألم فظيع
فقل لربيع يحتذى فعل شيخه * وما للناس الا حافظ ومضيع
والا فالى في البلاد إقامة * وأمر بنى بدر على جميع

فرجع الرجل الى الربيع فأخبره فبكى الربيع على مالك وقال :

منع الرقاد فما أغمض ساعة * جزعاً من الخبر العظيم السارى
أبعد مقتل مالك لمضيعة * برجو النساء عواقب الأظفار
من كان محزوناً بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * ويقمن قبل تبلج الأسحار
يضر بن حـ وجوههن على فتي * ضخم الدسيعة غير ما خوار
قد كن يكنن الوجوه تسترا * فالיום حين برزن للنظار

وهي طويلة فسمعها قيس فركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يصلح سلاحه فنزل اليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمصاب مالك ولقى القوم بعضهم بعضا فنزلوا فقال قيس للربيع انه لم يهرب منك من لجأ اليك ولم يستغن عنك من استعان بك وقد كان لك شـ يومى فليكن لي خير يوميك وانما أنا بقومى وقومى بك وقد أصاب القوم مالكا ولست أهم بسوء لاني ان حاربت بنى بدر نصرتهم بنو ذبيان وان حاربت بنى

خذلتني بنو عبس إلا أن تجمعهم عليّ وأنا والقوم في الدماء سواء قتلت ابنهم وقتلوا أخي
فان نصرتني طمعت فيهم وان خذلتني طمعوا فيّ، فقال الربيع يا قيس انه لا ينفعني
أن أرى لك من الفضل مالا أراه لي ولا ينفعك أن ترى لي مالا أراه لك وقد مال عليّ قتل
مالك وأنت ظالم ومظلوم، ظلوك في جوادك، وظلمتهم في دمائهم وقتلوا أخاك بابنهم
فان يبؤ الدم بالدم فعسى أن تلقح الحرب أقم معك وأحب الأمرين اليّ مسالمتهم ونخلو
بحرب هوازن، وبعث قيس الي أهله وأصحابه فجاءوا ونزلوا مع الربيع، وأنشدهم عنتره
ابن شداد مرثيته في مالك :

فله عينان رأى مثل مالك عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها وليتهما لم يجمعا لرهان
وليتهما ماتا جميعا بيادة وأخطاهما قيس فلا يريان
لقد جلبا جلبا لمصرع مالك وكان كريما ماجدا لهجان
وكان اذا ما كان يوم كريمة فقد علموا أي وهو قتيان
و كنا لدى الهيجاء نحى نساءنا ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى ان كنت بعدك باقيا وأمكنني دهري وطول زمان
فاقسم حقا لو بقيت لنظرة لقرت بها العينان حين تراني

و بلغ حذيفة ان الربيع وقيسا اتفقا فشق ذلك عليه واستعد للبلاء، وقيل: ان بلاد عبس
كانت قد أجذبت فانتجع أهلها بلاد فزارة وأخذ الربيع جوارا من حذيفة وأقام عندهم
فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة لي ذمتي ثلاثة أيام، فقال حذيفة ذلك لك فانتقل الربيع
من بني فزارة، فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه بنس الرأي رأيت قتلت مالكا
وخليت سبيل الربيع والله ليضرمها عليك نارا فر كبا في طلب الربيع فقاتهم فعلم انه قد
أضمر الشر^(١) واتفق الربيع وقيس، وجمع حذيفة قومه وتعاقدوا على عبس، وجمع

(١) وفي ذلك يقول الربيع بن زياد

فإن تك حربكم امست عوانا فاني لم أكن ممن جناها
ولكن مولد سودة ارثوها وحشوانا زها لمن اصطلها
فاني غير خاذلكم ولكن ساسعي الآن اذ بلغت مداها

والأشعار تبدل على صحة هذه الرواية وان فزارة لولم تقتل مالكا وطلبت الربيع لما خذلهم ولكن ساعدتم

على عدوه قيس وان كان ابن عمه . الادارة *

الربيع وقيس قومهما واستعدوا للحرب . فاغارت فزارة على بني عبس فاصابوا نعاما ورجالا ، فحميت عبس واجتمعت للغارة فنذرت بهم فزارة فخرجوا اليهم فالتقوا على ماء يقال له العذق وهي أول وقعة كانت بينهم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل عوف بن يزيد قتله جندب بن خلف العبسي وانهزمت فزارة وقتلوا قتلا ذريعا وأسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر . وكان حرّ بن الحرث العبسي قد نذر ان قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف وله سيف قاطع يسمى الأصرم فاراد ضربه بالسيف لما أسروا فاء بنذره ، فارسل الربيع الى امرأته فغيبت سيفه ونمّوه عن قتله وحذروه عاقبة ذلك فابي الاضربه فوضعوا عليه الرجال فضربه فلم يصنع السيف شيئا وبقي حذيفة أسيرا فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان يهدروا دم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير ، ويعقلوا عوف ابن بدر ، ويعطوا حذيفة عن ضربته التي ضرب به حرّ مائتين من الابل وأن يجعلوها عشارا كلها وأربعة اعبد ، واهدر حذيفة دماء من قتل من فزارة في الوقعة وأطلق من الاسر ، فلما رجع الى قومه ندم على ذلك ، وساءت مقالته في بني عبس وركب قيس بن زهير وعمارة بن زياد ، فمضيا الى حذيفة وتحدثا معه ، فاجابهما الى الاتفاق ، وان يرد عليهما الابل التي أخذ منهما ، وكانت توالت عنده فبينما هم في ذلك اذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المري ، فقبح رأى حذيفة في الصلح ، وقال ان كنت لا بد فاعلا فاعطهم ابلا عجافا مكان ابلهم واحبس اولادها فوافق ذلك رأى حذيفة ، فأبي قيس وعمارة ذلك وقيل : إن الابل التي طلبوها منه هي ابل كان قد أخذها سبعا من قيس ، وقيل أيضا : ان مالك بن زهير قتل بعد هذه الوقعة المذكورة . قال حميد بن بدر في ذلك :

قتلنا بعوف مالكا وهو ثارنا * ومن يتدع شيئا سوى الحق يظلم

وجعل سنان يحث حذيفة على الحرب فتيسروا لها ثم ان الأنصار بلغهم ما عزموا عليه فاتفق جماعة من رؤسائهم وهم عمرو بن الأطنابة ، ومالك بن عجلان ، وأحيحة ابن الجلاح ، وقيس بن الخطيم وغيرهم : وساروا ليصلحوا بينهم ، فوصلوا اليهم وترددوا في الاتفاق . فلم يجب حذيفة إلى ذلك وظهر لهم بغيه ، فحذروه عاقبته ، وعادوا عنه ، وأغار حذيفة على عبس ، وأغار على فزارة وتفاقم الشر . وأرسل حذيفة أخاه حملا فأغار وأسر ريان بن الاسلع بن سفيان وشده وثاقا ، وحمله الى حذيفة فاطلقه ليرهنه ابنه وجير ابن أخيه عمرو بن الاسلع ففعل ريان ذلك ، ثم سار قيس الى فزارة فلقى منهم

جمعافيهام مالك بن بدر ، فقتله قيس وانهزم فزارة ، فاخذ حينئذ حذيفة ولدى ريان فقتلها وهما يستغيثان يا ابتاه حتى ماتا ، وأما ابن أخيه فمنعه أخواله *
ولما قتل مالك والغلامان : اشتدت الحرب بين الفريقين وأكثرها في فزارة ومن معها ، ففى بعض الأيام التقوا واقتلوا قتالا شديدا دامت الحرب بينهم الى آخر النهار ، وأبصر ريان بن الاسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله وانهزمت فزارة وذيان ، وادرك الحرث بن بدر فقتل ، ورجعت عبس سالمة لم يصب منها أحد فلما قتل زيد والحرث ، جمع حذيفة جميع بني ذيان . وبعث الى أشجع وأسد بن خزيمة فجمعهم ، فبلغ ذلك بني عبس فضموا أطرافهم ، وأشار قيس بن زهير بالسبق إلى ماء العقيقة ففعلوا ذلك وسار حذيفة في جموعه إلى عبس ، ومشى السفراء بينهم ، فحلف حذيفة انه لا يصلح حتى يشرب من ماء العقيقة فارسل اليه قيس منه في سقاء ، وقال لا أترك حذيفة يخذعنى واصطلحوا على أن تعطى بنو عبس حذيفة ديات من قتل له ، ووضعوا الرهائن عنده إلى أن يجمعوا الديات وهى عشر : وكانت الرهائن ابنا لقيس بن زهير وابنا للربيع بن زياد فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان والآخر عند رجل من بكر بن وائل أعمى ، فعير بعض الناس حذيفة بقبول الدية فحضره وأخوه حمل عند قطبة بن سنان والبكرى . وقال ادفعا لينا الغلامين لنكسوهما ونسرحهما الى أهلها ، فاما قطبة فدفع اليهما الغلام الذى عنده وهو ابن قيس ، وأما البكرى فامتنع من تسليم من عنده فلما أخذ ابن قيس عادا فلقيا في الطريق ابنا لعمارة بن زياد العبسى وابن عم له فاخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس * فلما بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات ، فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح ، ثم خرج قيس في جماعة فلقوا ابنا لحذيفة ومعه فوارس من ذيان فقتلوه ، فجمع حذيفة وسار الى عبس وهم على ماء يقال له عراعر فاقتلوا فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة ، وجد حذيفة في الحرب وكرها أخوه حمل وزدم على ما كان ، وقال لا أخيه في الصلح فلم يجب الى ذلك ، وجمع الجموع من أسد وذيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس ، فاجتمعت عبس وتشاوروا في امرهم ، فقال لهم قيس بن زهير انه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، وليس لبني بدر إلا دماؤكم والزيادة عليكم ، وأما من سواهم فلا يريدون غير الأموال والغنيمة والرأى أننا نترك الأموال بمكانها وترك معنا فارسين على داحس وعلى فرس آخر جواد ، ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال ،

فاذا جاء القوم الى الأموال سار اليها الفارسان ، فأعلمانا وصولهم ، فان القوم يشتغلون بالنهب وحيارة الأموال ، وان نهاهم ذروا الرأي عن ذلك ، فان العامة تخالفهم وتنتقض تعييتهم . ويشغل كل إنسان بحفظ ما غنم . ويلقون أسلحتهم على ظهور الابل ويأمنون ، فنعود نحن اليهم عند وصول الفارسين فنذكرهم : وهم على حال تفرق وتشتت فلا يكون لأحد منهم همة إلا نفسه : ففعلوا ذلك . وجاء حذيفة ومن معه فاشتغلوا بالنهب فنهاهم حذيفة وغيره فلم يقبلوا منه ، وكانوا على الحال التي وصف قيس وعادت بنو عبس ، وقد تفرقت أسد وغيرهم ، وبقي بنو فزارة في آخر الناس ، فحملوا عليهم من جوانبهم ، فقتل مالك بن سبيع التغلبي سيد غطفان . وانهمزمت فزارة وحذيفة معهم ، وانفرد في خمسة فوارس وجدته في الهرب ، وبلغ خبره بني عبس فتبعه قيس بن زهير والريبع بن زياد وقر وواش بن عمرو بن الأسلع وريان بن الأسلع الذي قتل حذيفة ابنيه وتبعوا أثرهم في الليل ، وقال قيس : كأتى بالقوم وقد وردوا جفر الهبابة ونزلوا فيه فساروا ليلتهم كلها حتى أدر كوهم مع طلوع الشمس في جفر الهبابة في الماء وقد أرسلوا خيولهم فاخذوا بجمعها فحال قيس واصحابه بينهم وبينها وكان مع حذيفة في الجفراخوه حمل بن بدر وابنه حصن بن حذيفة وغيرهم فهجم عليهم قيس والريبع ومن معهما (١) وهم ينادون ليكم ليكم يعني أنهم يحيون نداء الصبيان لماقتلوا ينادون يا أبتاه فقال لهم قيس يا بني بسر كيف رأيتم عاقبة البغي فناشدوهم الله والرحم فلم يقبلوا منهم ودار قر وواش ابن عمرو حتى وقف خلف ظهر حذيفة فضربه فدق صلبه ، وكان قر وواش قد رباه حذيفة حتى كبر عنده في بيته ، وقتلوا حملا أخاه وقطعوا رأسيهما (٢) واستبقوا حصن

(١) وكان أول من وصل الهبابة من عبس شداد بن معاوية العبدي ابو عنزة وهو فارس جروة فرسه التي يخاطبها بقوله

ومن يك سائلا عنى فانى وجروة كالشجاعت الوريد
اقوتها بقوتى ان شتونا والحقها ودائى فى الجليد

وهو الذى حال بين القوم وبين خيولهم كما ذكره ابن عبد ربه وغيره ، والمصنف اثبت هذا الفعل لقيس واصحابه باعتباره سبب الحرب كما علمت . الادارة (٢) بل مثلوا بحذيفة حيث قطعوا مذا كبره وجعلوها فيه وجعلوا لسانه فى استه ولذلك يقول القائل

فان قتيلا بالهبابة فى استه صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤها تهتد كم عن ضلالكم وتعرف اذما مض منها الخوامم

ابن حذيفة لصباه، وكان عدد من قتل في هذه الواقعة من فزارة واسد وغطفان ما يزيد على أربعمئة قتيل. وقتل من عبس ما يزيد على عشرين قتيلاً. وكانت فزارة تسمى هذه الواقعة البوار، وقال قيس بن زهير:

أقام على الهبأة خير ميت وأكرمه حذيفة لايريم
لقد فجعت به قيس جميعاً موالى القوم والقوم الصميم
وعم به لمقتله بعيد وخص به لمقتله حميم
وهي طويلة، وقال أيضاً:

ألم تر أن خير الناس أمسى على جفر الهبأة لايريم
فلولا ظله ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيم

وأكثروا القول في يوم الهبأة * ثم ان عبسا ندمت على ما فعلت يوم الهبأة، لام بعضهم بعضاً فاجتمعت فزارة الى سنان بن أبي حارثة المري، وشكوا اليه ما نزل بهم فاعظمه وذم عبسا وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثار بني بدر وفزارة وبث رسله، فاجتمع من العرب خلق كثير لا يحصون ونهى أصحابه عن التعرض الى الأموال والغنيمة وأمرهم بالصبر وساروا الى بني عبس فلما بلغهم مسيرهم اليهم قال قيس: الراى انا لانلقاهم فاننا قدوترناهم فهم يطالبوننا بالدحول والطوائل^(١) وقد رأوا ما نالهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمال فهم لا يتعرضون اليه الآن، والذي ينبغي أن نفعله انا نرسل الطعائن والأموال الى بني عامر، فان الدم لنا قبلهم فهم لا يتعرضون لكم ويبقى أولو القوة والجلد على ظهور الخيل ونماطلهم القتال فان أبوا إلا القتال كنا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا وقتلناهم وصبرنا لهم، فان ظفرنا فهو الذى نريد. وان كانت الأخرى كنا قد احترزنا ولحقنا بأموالنا ونحن على حامية، ففعلوا ذلك وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بني عبس على ذات الجراجر فاقتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلك واقترقوا *

فلما كان الغد عادوا الى اللقاء فاقتلوا أشد من اليوم الأول، وظهرت في هذه الأيام شجاعة عنتر بن شداد، فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لاموا سنان بن ابي

(١) الذحول جمع ذحل هو الثأر، والطوائل واحدها طائلة وهو الوتر: يقال فلان يطلب بني فلان بطائلة أى بوتر كأن له فيهم ثأراً فهو يطلبه بدم قتيله اه لسان

(٢٤٥ - ج ١ الكامل)

حارثة على منعه حذيفة عن الصلح ، وتطيروا منه ، وأشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم فلم يفعل ، وأراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث فلما رأى فتور أصحابه وركونهم الى السلم رحل عائدا فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس الى بني شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدة فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لأخذ أموالهم فرحلوا عنهم فتبعهم جمع من شيبان فلقيتهم بنو عبس واقتتلوا فانهزمت شيبان وسارت عبس الى هجر ليحالفوا ملكهم وهو معاوية بن الحرث الكندي فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلا فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدين وسار معاوية مجدا في أثرهم فتاه بهم الدليل على عمد لثلايدر كوا عبسا الا وهم قد لحقهم ودوا بهم النصب فأدر كوهم بالفروق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم معاوية وأهل هجر وتبعتهم عبس ، فأخذت من أموالهم وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا سائرين فنزلوا بماء يقال له عرعر عليه حتى من كلب فركبوا ليقاتلوا بني عبس ، فبرز الربيع وطلب رئيسهم فبرز اليه واسمه مسعود بن مصاد فاقتلوا حتى سقطا الى الأرض وأراد مسعود قتل الربيع فانحسرت البيضة عن رقبة فرماه رجل من بني عبس بسهم فقتله فثار به الربيع فقطع رأسه وحملت عبس على كلب والرأس على رمح فانهزمت كلب وغنمت عبس أموالهم وذراريهم ، فساروا الى اليمامة فحالفوا أهلها من بني حنيفة وأقاموا ثلاث سنين فلم يحسنوا جوارهم وضيقوا عليهم فساروا عنهم وقد تفرق كثير منهم وقتل منهم وهلكت دوابهم ، ووترهم العرب فراسلتهم بنو ضبة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم ففعلوا وجاوروهم *

فلما انقضى الامر بين ضبة وتميم تغيرت ضبة لعبس وأرادوا اقتطاعهم ، فخاربتهم عبس فظفرت وغنمت من أموال ضبة ، وسارت الى بني عامر وحالفوا الأحوص بن جعفر بن كلاب فسر بهم ليقوى بهم على حرب بني تميم لانه كان بلغه أن لقيط بن زرارة يريد غزو بني عامر والأخذ بثأر أخيه معبد ، فاقامت عبس عند بني عامر فقصدتهم تميم وكانت وقعة شعب جيلة وسند كره ان شاء الله *

ثم ان ذبيان غزوا بني عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس فاقتتلوا فهزمت عامر ، وأسر قرواش بن هني العبسي ولم يعرف ، فلما قدموا به الحى عرفته امرأة منهم فلما عرفوه سلموه الى حصن بن حذيفة فقتله ، ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب ، فبغت تيم عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وتكاثرت عليهم تيم ، فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة ورحلت عبس وقد ملوا الحرب ، وقلت الرجال والأموال وهلكت المواشي ، فقال لهم

قیس : ماترون قالوا: نرجع الى اخواننا من ذبیان فالموت معهم خیر من البقاء مع غیرهم ، فساروا حتی قدموا علی الحرث بن عوف بن أبی حارثة المری، وقیل علی هرم بن سنان ابن أبی حارثة لیلاً وکان عند حصن بن حذیفة بن بدر فلما عاد وراهم رحب بهم ، وقال من القوم؟ قالوا إخوانك بنو عبس وذكروا حاجتهم فقال: نعم وكرامة أعلم حصن ابن حذیفة فعاد الیه ، وقال طرقت فی حاجة قال أعطيتها قال بنو عبس وجدت وفودهم فی منزلی قال حصن صالحوا قومكم أما أنا فلا أدی ولا أتدی قد قتل آبائی وعمومتی عشرین من عبس . فعاد الی عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم الیه فلما رآهم قال قیس والرعیع بن زیاد: نحن ركبنا الموت قال: بل ركبنا السلم ان تكونوا اختلتم الی قومكم ، فقد اختل قومكم الیکم ، ثم خرج معهم حتی أتوا سنانا ، فقال له قم بامر عشیرتك وأصلح بینهم فانی سأعینك ففعل ذلك وتم الصلح بینهم وعادت عبس *

وقیل: ان قیس بن زهیر لم یسر مع عبس الی ذبیان وقال لا ترانی غطفانیة أبدا وقد قتلت أباها أو زوجها أو ولدها أو ابن عمها ، ولكنی سأتوب الی ربی فتتصروا ساحتی فی الأرض حتی انتهى الی عمان ، فترهب بها زمانا ، فلقیه حوج بن مالک العبدی فعرفه فقتله ، وقال لا رحمتی الله ان رحمتک ، وقیل : ان قیساً تزوج فی النمیر بن قاسط لما عادت عبس الی ذبیان وولده له ولد اسمه فضالة ، فقدم علی النبی ﷺ وعقد له علی من معه من قومه وکانوا تسعة وهو عاشرهم * انقضى حرب داحس والغبراء والحمد لله *

* یوم شعب جبلة *

کان لقیط بن زرارة قد عزم علی غزو بنی عامر بن صعصعة للاخذ بثار أخیه معبد ابن زرارة وقد ذکرنا موته عندهم أسیراً فبینما هو یتجهز أتاه الخبر بحلف بنی عبس وبنی عامر ، فلم یطمع فی القوم وأرسل الی کل من کان بینهم وبنی عبس ذحل یسأله الحلف والتظافر علی غزو عبس وعامر ، فاجتمعت الیه أسدو غطفان وعمرو بن الجون ومعاویة بن الجون ، واستوثقوا واستکثروا وساروا ، فعقد معاویة بن الجون الالویة ، فکان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاویة بن الجون ، وعقد لعمر وبن تمیم مع حاجب بن زرارة ؛ وعقد للرباب مع حسان بن همام ، وعقد للجماعة من بطون تمیم مع عمرو بن عدس ، وعقد لحنظلة بأسرها مع لقیط بن زرارة ، وکان مع لقیط ابنته دختنوس وکان یغزو بها معه ویرجع الی رأیها وساروا فی جمع عظیم لا یشکون فی قتل عبس وعامر وادراك ثارهم ،

فلقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي وكان شريفاً، فقال مامعك أن تسير معنا في غزاتنا، قال: أنا مشغول في طلب إيل لي قال: لا بل تريد أن تنذر بنا القوم ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم فخلف له، ثم سار عنه وهو مغضب، فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود، ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فآخذها معاوية بن قشير فأتى بها الأحوص ابن جعفر وأخبره أن رجلاً ألقاها وهم يسقون فقال الأحوص لقيس بن زهير العبيسي ماترى في هذا الأمر؟ قال: هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد أخذ عليه عهد على أن لا يكلمكم فاخبركم ان أعداءكم قد غزواكم عدداً التراب وان شوكتهم شديدة: وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم، وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان بن اليمن معهم وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة، وأما الأحجار فهي عشر ليال يأتكم القوم إليها قد أنذرتكم فكونوا أحراراً فاصبروا كما يصبر الأحرار الكرام *

قال الأحوص فانا فاعلون وآخذون برأيك فانه لم تنزل بك شدة إلا رأيت المخرج منها قال فاذا قد رجعت إلى رأيي فأدخلوا نعمكم شعب جبلة ثم أظموا هذه الأيام ولا توردوها الماء، فاذا جاء القوم أخرجوا عليهم الأبل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا، فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أتم في آثارها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما أشار به وعاد كرب بن صفوان فلقي لقيطاً، فقال له أنذرت القوم فأعاد الحلف له انه لم يكلم أحداً منهم نخلي عنه؛ فقالت دختوس ابنة لقيط لأبيها: ردني إلى أهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرتهم لا محالة فاستحمقها وساء كلامها وردتها وسار حتى نزل على فم الشعب بعساكر جرارة كثيرة الصواهل وليس لهم هم إلا الماء فقصدوه، فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الأبل ففعلوا ذلك فخرجت الأبل مذاعير عطاشا وهم في أعراضها وأدبارها فخبطت تميما ومن معها وقطعتهم وكانوا في الشعب وأبرزتهم إلى الصحراء على غير تعبئة وشغلوا عن الاجتماع إلى الويتهم، وحملت عليهم عبس وعامر فاقتلوا قتلاً شديداً وكثرت القتلى في تميم وكان أول من قتل من رؤسائهم عمرو بن الجون وأسر معاوية بن الجون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختوس بنت لقيط، وأسر حاجب بن زرارة، وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه. فاجتمع إليه نفر يسير فتحرز برأيه فوق جرف، ثم حمل فقتل فيهم ورجع وصاح

انا لقيط وحمل ثاية قتل وجرح وعاد فكثرت جمعه فانحط الجرف بفرسه ، وحمل عليه
عنزة فطعنه طعنة قصم بها صلبه ، وضربه قيس بالسيف فالقاه متشحطاً في دمه، فذكر
ابنته دختوس فقال *

يا ليت شعري عنك دختوس * اذا أتاها الخبر المرموس
أتخلق القرون أم تميم * لابل تميم انها عروس

ثم ماتت وتمت الهزيمة على تميم و غطفان، ثم فدوا حاجبا بخمسمائة من الابل وفدوا عمر بن
عمر و بمائتين من الابل وعاد من سلم الى أهله، وقالت دختوس ترثي أباها قصائد منها

عثر الأغر بخير خندف كهلهما وشبابها
وأضرها العدو لها وأفكها لرقابها
وقربها ونجيبها في المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو ك وزين يوم خطابها
وأتمها نسبا اذا رجعت الى أنسابها
فرعى عمودا للعشيرة رافعا لنصابها
ويعولها ويحوطها ويذب عن أحسابها
ويطأ مواطن للعد و وكان لا يمشى بها
فعل المدل من الأسو دلحنيها وتبابها
كالكوكب الدرى في سماء لا يخفى بها
عبث الأغر به وكل منية لكتابها
فرت بنو أسد فرا * رالطير عن اربابها
وهوازن أصحابهم * كالفار في أذنانها

وذكر محمد بن اسحاق في يوم جيلة غير ما ذكرنا قال: كان سبيه ان بني خندف كان
لهم على قيس أكل تأكله القعدد من خندف، فكان ينتقل فيهم حتى انتهى الى تميم، ثم
من تميم الى بني عمرو بن تميم وهم أقل بطنا منهم وأذله، فأبت قيس ان تعطى الأكل
وامتنعت منه، فجمعت تميم وحالفت غيرها من العرب وساروا الى قيس، فذكر القصة
نحو ما تقدم، وخالف في البعض فلا حاجة الى ذكره، وفي هذا اليوم ولد عامر بن
الطفيل العامري *

وقد قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين وكان زرارة ابن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حابس وغيرهم مجوساً وان لقيطاً تزوج ابنته دختوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وانه قتل وهي تحته فقال في ذلك :

* ياليت شعري عنك دختوس * الأبيات والاول أصح والله أعلم *

* يوم ذات نكيف *

كان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ما كان من قصى حين أخرجهم من مكة مع من أخرج من خزاعة حين قسمها رباعا وخططا بين قريش، فلما كانوا على عهد عبد المطلب هموا باخراج قريش من الحرم وأن يقاتلوهم حتى يغلبوهم عليه، وعدت بنو بكر على نعم لبني الهون بن خزيمه فاطر دوها، ثم جمعوا جموعهم وجمعت قريش جموعهم واستعدت، وعقد عبد المطلب للحلف بين قريش والاحابيش وهم بنو الحرث بن عبد مناة وبنو الهون بن خزيمه بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة، فلقوا بنى بكر ومن انضم اليهم، وعلى الناس عبد المطلب فاقتلوا بذات نكيف فانهم بنو بكر وقتلوا قتلاً ذريعاً فلم يعودوا لحرب قريش قال ابن شعبة الفهرى :

فله عينا من رأى من عصابة * غوت غى بكر يوم ذات نكيف
اناخوا الى أبنائنا ونسائنا * فكانوا لنا ضيفا بشر مضيف

فقتل يومئذ عبد بن السفاح القارى من القارة قتادة بن قيس أخا بلعاء بن قيس، واسم بلعاء مساحق، ويومئذ قيل: قد أنصف القارة من رامها، والقارة من ولد الهون بن خزيمه وهو من ولد عضل بن الديش قال رجل منهم :

دعونا قارة لاتنفرونا * فنجفل مثل أجنال الظليم

وقيل بهذا البيت سمو قارة وكان يقال للقارة رماة الحدق *

* ذكر الفجار الأول والثاني *

أما الفجار الأول فلم يكن فيه كثير أمر ليدكر، وانما ذكرناه لثلا يرى ذكر الفجار الثاني وما كان فيه من الأمور العظيمة فيظن ان الأول مثله، وقد أهملناه فلهداذ ذكرناه، قال ابن اسحق: كان الفجار الأول بين قريش ومن معهم كنانة كلها وبين قيس عيلان * وسببه ان رجلا من كنانة كان عليه دين لرجل من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فأعدم الكناني فوافى النصرى سوق عكاظ بقرد، وقال: من يبيغني مثل هذا بما لى على

فلان الكنانی؟ فعل ذلك تعبيراً للكنانی وقومه فمر به رجل من كنانة فضرب الفرد بالسيف فقتله أنفة بما قال النصرى، فصرخ النصرى في قيس وصرخ الكنانی في كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال، ثم اصطلحوا *

وقيل: كان سبه ان فتية من قریش قعدوا إلى امرأة من بني عامر وهي وضيئة عليها برقع، فقالوا لها اسفري لنظر الی وجهك فلم تفعل؛ فقام غلام منهم، فشق^(۱) ذیل درعها الی ظهرها ولم تشعر، فلما قامت انكشفت دبرها فضحكوا، وقالوا امنعتينا النظر الی وجهك فقد نظرنا إلى دبرك، فصاحت المرأة یابني عامر فضحكت، فأتاها الناس واشتجروا حتى كاد يكون قتال، ثم رأوا أن الأمر یسير فاصطلحوا *

وقيل: بل قعد رجل من بني غنار یقال له أبو معشر بن مکرز، و كان غازیا منيعا فی نفسه، و كان بسوق عكاظ فمد رجله ثم قال:

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا فی عينه لا یطرف

ومن یكونوا قومه یغترف^(۲) * كأنه لجة بحر مسرف

أنا والله أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فلیضربها بالسيف، فقام رجل من قيس یقال له أحمربن مازن، فضربها بالسيف فخدشها خدشاً غیر كثير فاختم الناس، ثم اصطلحوا (بنو نصر) بالنون *

وأما الفجار الثاني و كان بعد الفيل بعشرين سنة و بعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة، ولم یكن فی أيام العرب أشهر منه ولا أعظم، و انما سمي الفجار لما استحل الحیان كنانة و قيس فيه من المحارم، و كان قبله یوم جبلة وهو مذکور من أيام العرب و الفجار أعظم منه، و كان سبه ان البراض بن قيس بن رافع الكنانی ثم الضمری؛ و كان رجلاً فاتكاً خلیعاً قدخله قومه لكثرة شره، و كان یضرب المثل بفتكه، فیقال: أفتك من البراض قال بعضهم:

والفتی من تعرفته اللیالی * فهو فیها كالحیة النضناض

كل یوم له بصرف اللیالی * فتكة مثل فتكة البراض

خرج حتى قدم علی النعمان بن المنذر، و كان النعمان یبعث كل عام بلطیمة للتجارة الی عكاظ تباع له هناك، و كان عكاظ وذو المجاز و مجنة أسواقاً یجتمع بها العرب كل عام اذا حضر الموسم فیؤمن بعضهم بعضاً حتى تنقضى أيامها، و كانت مجنة بالظهران،

(۱) لا معنى للشق والصحيح فشك ذیل درعها أي جمعه الی ما فوقه بشوكة (۲) أي یسود

وكانت عكاظ بين نخلة والطائف . وكان ذوالمجاز بالجانب الأيسر اذا وقفت على الموقف ، فقال النعمان وعنده البراض وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال - وانما قيل له ذلك لكثرة رحلته الى الملوك - : من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أبيت اللعن أنا أجيزها على كنانة ، فقال النعمان انما أريد من يجيزها على كنانة وقيس ، فقال عروة أكلب خليع يجيزها لك - أبيت اللعن - أنا أجيزها على أهل الشيخ والقيصوم من أهل تهامة وأهل نجد ، فقال البراض - وغضب - وعلى كنانة تجيزها يا عروة قال عروة وعلى الناس كلهم ، فدفع النعمان اللطيمة الى عروة الرحال ، وأمره بالمسير بها وخرج البراض يتبع أثره ، وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتى اذا كان عروة بين ظهري قومه بواد يقال له تيمن بنواحي فدك أدركه البراض بن قيس ، فاخرج قداحه يستقسم بها في قتل عروة فمربه عروة فقال مات صنع يابراض ؟ فقال استقسم في قتلك أيؤذن لي أم لا ؟ فقال عروة استك أضيق من ذلك فوثب اليه البراض بالسيف فقتله فلما رآه الذين يقومون على العير والأحمال قتيلا انهزموا فاستاق البراض العير وسار على وجهه الى خيبر وتبعه رجلان من قيس ليأخذهما ، أحدهما غنوي ، والآخر غطفاني ، اسم الغنوي أسد بن جوين . واسم الغطفاني مساور بن مالك ، فلقبهما البراض بخيبر أول الناس ، فقال لهما من الرجلان ؟ ، قالا من قيس قدمنا لنقتل البراض ، فانز لهما وعقل راحلتيهما ، ثم قال أيكما أجرا عليه وأجود سيفا ؟ ، قال الغطفاني أنا فأخذه ومشى معه ليدله بزعمه على البراض ، فقال للغنوي احفظ راحلتيكما ففعل ، وانطلق البراض بالغطفاني حتى أخرجه الى خربة في جانب خيبر خارجا من البيوت ، فقال للغطفاني هو في هذه الخربة اليها ياوي فامهني حتى انظر أهو فيها فوقف ودخل البراض ، ثم خرج ؛ فقال هو فيها وهونائم ، فأرني سيفك حتى انظر اليه أضارب هو أم لا فاعطاه سيفه فضربه به حتى قتله ثم أخفى السيف وعاد الى الغنوي فقال له لم أر رجلا أجبن من صاحبك تركته في البيت الذي فيه البراض وهو نائم فلم يقدم عليه . فقال انظر لي من يحفظ الراحتين حتى أمضى اليه فاقتله ، فقال : دعهما وهما على ثم انطلقا الى الخربة فقتله وسار بالعيير الى مكة فلقى رجلا من بني أسد بن خزيمه فقال له البراض : هل لك الى أن اجعل لك جعلاً على ان تنطلق الى حرب بن أمية وقومي فانهم قومي وقومك ، لان أسد بن خزيمه من خندف أيضا فتخبرهم أن البراض بن قيس قتل عروة الرحال فليحذروا قيسا ، وجعل له

عشرا من الابل فخرج الأسدى حتى أتى عكاظ و بها جماعة الناس ، فأتى حرب بن أمية فاخبره الخبر : فبعث الى عبد الله بن جدعان التيمى والى هشام بن المغيرة المخزومي وهو والد أبي جهل وهما من أشرف قریش وذوى السنّ منهم ، والى كل قبيلة من قریش أحضر منها رجلا : والى الحليس بن يزيد الحرثي وهو سيد الاحابيش فاخبرهم أيضا فتشاوروا ، وقالوا نخشى من قيس أن يطلبوا ثار صاحبهم منا فانهم لا يرضون ان يقتلوا به خليعا من بني ضمرة ، فاتفق رأيهم على أن يأتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنه وهو يومئذ سيد قيس وشريفها ، فيقولوا له : انه قد كان حدث بين نجد وامة وانه لم يأتنا عليه فأجز بين الناس حتى تعلم وتعلم فأتوه وقالوا له ذلك فاجاز بين الناس وأعلم قومه ما قيل له ثم قام نفر من قریش فقالوا : يا أهل عكاظ انه قد حدث في قومنا بمكة حدث أتانا خبره ونخشى إن تخلفنا عنهم تفاقم الشر فلا يرو عنكم تحملنا ، ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة ، فلما كان آخر اليوم أتى عامر بن مالك ملاعب الأسنه الخبر فقال غدرت قریش وخدعني حرب بن أمية والله لا تنزل كنانة عكاظ أبدا ثم ركبوا في طلبهم حتى أدر كوهم بنخلة فاقتتل القوم فاشتعلت^(١) قيس فكادت قریش تهزم الا انها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا الحرم مع الليل ، وكان رسول الله ﷺ معهم وعمره عشرون سنة ، وقال الزهري : لم يكن معهم لو كان معهم لم ينهزموا ، وهذه العلة ليست بشيء لانه قد كان بعد الوحي والرسالة ينهزم أصحابه و يقتلون ، واذا كان في جمع قبل الرسالة وانهم موافغير بعيد *

ولما دخلت قریش الحرم عادت عنهم قيس ، وقالوا لهم : يا معشر قریش انا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ في العام المقبل وانصرفنا الى بلادها يحرص بعضها بعضا ويكون عروة الرحال *

ثم ان قيسا جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها وجمعت قریش جموعها منهم كنانة جميعها والاحابيش وأسد بن خزيمه ، وفرقت قریش السلاح في الناس ، فاعطى عبد الله ابن جدعان مائة رجل سلاحا تاما وفعل الباقون مثله ، وخرجت قریش للوعد على كل بطن منها رئيس ، فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ وإخوته ، أبو طالب ، وحمزة . والعباس بن عبد المطلب ، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية ، وعلى

(١) كذا الأصل بالشين المعجمة والصواب فاستمعت تيس بالسين المهملة من الاستعلاء

بنى عبد الدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . وعلى بنى اسد بن عبد العزى
خويلد بن اسد ، وعلى بنى مخزوم هشام بن المغيرة أبو أبي جهل . وعلى بنى تيم عبد الله
ابن جدعان ، وعلى بنى جمح معمر بن خبيب بن وهب ، وعلى بنى سهم العاص بن وائل ، وعلى
بنى عدى زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد ، وعلى بنى عامر بن لؤى عمرو بن
عبد شمس والد سهيل بن عمرو ، وعلى بنى فهر عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة ؛ وعلى
الاحايش الحليس بن يزيد وسفيان بن عوف هما قائداهم ، والاحايش بنو الحرث بن
عبدمناة بن كنانة وعضل والقارة والديش من بنى الهون بن خزيمة والمصطلق بن خزاعة
سموا بذلك لحلفهم بنى الحرث ، والتحبش التجمع ، وعلى بنى بكر بلعاء بن قيس ، وعلى بنى
فراس بن غنم من كنانة عمير بن قيس جذل الطعان ، وعلى بنى اسد بن خزيمة بشر بن أبي
حازم . وكان على جماعة الناس حرب بن أمية لمكانه من عبد مناف سنا ومنزلة *

و كانت قيس قد تقدمت الى عكاظ قبل قريش ، فعلى بنى عامر ملاعب الأسنه أبو براء ،
وعلى بنى نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع بن معاوية . وعلى بنى جشم الصمة والد دريد ،
وعلى غطفان عوف بن أبي حارثة المري ، وعلى بنى سليم عباس بن زعل بن هنى بن أنس
وعلى فهم وعدوان ددام بن عمرو *

وسارت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس . وكان مع حرب بن أمية اخوته
سفيان . وأبو سفيان . والعاص . وأبو العاص . بنو أمية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان
وأبو العاص نفسيهما وقالوا : لن يبرح رجل منا من مكانه حتى نموت أو نظفر فيومئذ
سموا العنابس والعنابس الأسد ، واقتتل الناس قتالا شديدا فكان الظفر أول النهار لقيس
وانهزم كثير من بنى كنانة وقريش ، فانهزم بنو زهرة وبنو عدى . وقتل معمر بن
خبيب الجمحى ، وانهزمت طائفة من بنى فراس ، وثبت حرب بن أمية وبنو عبد مناف
وسائر قبائل قريش ، ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكنانة الى أن اتصف النهار ،
ثم عاد الظفر لقريش وكنانة فقتلوا من قيس فاكثروا وحمى القتال واشتد الأمر فقتل
يومئذ تحت راية بنى الحرث بن عبدمناة بن كنانة مائة رجل وهم صابرون فانهزمت قيس
وقتل من أشرفهم عباس بن زعل السلى وغيره * فلما رأى أبو السيد عم مالك بن عوف
النصرى ما تصنع كنانة من القتل نادى يامعشر بنى كنانة اسرفتم فى القتل فقال ابن جدعان :
انامعشر يسرف ، ولما رأى سبيع بن ربيع بن معاوية هزيمة قبائل قيس عقل نفسه

واضطجع وقال يامعشر بنى نصر: قاتلوا عنى اوذروا فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد ابن بكر وفهم وعدوان وانهمز باقى قبائل قيس فقاتل هؤلاء أشد قتال رآه الناس ثم انهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يعدوا القتلى فأتى الفريقين فضل له قتلى أخذ ديتهم من الفريق الآخر، فتعادوا القتلى فوجدوا قريشاً وبنى كنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلاً فرهن حرب بن أمية يومئذ ابنه أبا سفيان فى ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعوا الحرب وهدموا ماينهم من العداوة والشر وتعاهدوا على أن لا يؤذى بعضهم بعضاً فيما كان من أمر البراض وعروة*

* يوم ذى نجب *

وكان من حديث يوم ذى نجب ان بنى عامر لما أصابوا من تميم ما أصابوا يوم جيلة رجوا أن يستأصلوهم، فكاتبوا احسان بن كبشة الكندى، وكان ملكاً من ملوك كندة وهو احسان بن معاوية بن حجر فدعوه إلى أن يغزو معهم بنى حنظلة من تميم، فاخبروه انهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم فاقبل معهم بصنائعه ومن كان معه، فلما أتى بنى حنظلة خبر مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو: يا بنى مالك انه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد فانتقلوا من مكانكم وكانوا فى أعالي الوادى مما يلي مجىء القوم، وكانت بنو يربوع باسفله فتحولت بنو مالك حتى نزلت خلف بنى يربوع وصارت بنو يربوع تلى الملك فلما رأوا ما صنع بنو مالك استعدوا وتقدموا إلى طريق الملك فلما كان وجه الصبح، وصل ابن كبشة فيمن معه، وقد استعد القوم فاقتتلوا، فلما رآهم بنو مالك وصبرهم فى القتال ساروا اليهم وشهدوا معهم القتال، فاقتتلوا ملياً فضرب جشيش بن نمران الرياحى ابن كبشة الملك على رأسه فصرعه فمات، وقتل عبيدة بن مالك بن جعفر وانهمز طفيل ابن مالك على فرسه قرزل: وقتل عمرو بن الأحوص بن جعفر وكان رئيس عامر، وانهمز بنو عامر وصنائع ابن كبشة، قال جرير فى الاسلام يذكر اليوم بنى نجب:

بنى نجب ذذنا وواكل مالك * أخالم يكن عند الطعان بواكل

وكان يوم ذى نجب بعد يوم جيلة بسنة. وبقى الأحوص بعد ابنه عمرو يسيراً وهلك أسفا عليه *

﴿ يوم نعف قشاوة ﴾

وهو يوم لشييان على تميم، قال أبو عبيدة: أغار بسطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهو بنعف قشاوة فاتاهم ضحى وهو يوم ريع ومطر، فوافق النعم حين سرح فاخذه كله، ثم كرراجعا وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحرث ابن شهاب فكر عليه بسطام فقتله، ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتله، وأتاهم أيضا بجير بن أبي مليل فقتله بسطام، وقتلوا من يربوع جمعا وأسروا آخرين، منهم مليل بن أبي مليل وسلموا وعادوا غانمين، فقال بعض الأسرى لبسطام أيسرك أن أبامليل مكاني؟ قال نعم قال فان دلتك عليه أتطلقني الآن؟ قال نعم قال فان ابنه بجيرا كان أحب خلق الله إليه وستجده الآن مكبا عليه يقبله فخذ أسيرا، فعاد بسطام فرآه كما قال فاخذه أسيرا وأطلق اليربوعي فقال له أبو مليل: قتلت بجيرا وأسرتني وابني مليلا والله لا أطعم الطعام أبدا وأنا موثق فخشى بسطام أن يموت. فأطلقه بغير فداء على أن يفادى مليلا وعلى أن لا يتبعه بدم ابنه بجير ولا يبيغيه غائلة ولا يدل له على عورة ولا يغير عليه ولا على قومه أبدا وعاهده على ذلك فأطلقه وجز ناصيته فرجع إلى قومه وأراد الغدر ببسطام والنكث به فأرسل بعض بني يربوع إلى بسطام يخبره فحذره، وقال متم بن نويرة:

أبلغ شهاب بني بكر وسيدها عنى بذلك أبا الصهباء بسطاما
أروى الأسنه من قومي فأنهلها فاصبحوا في بقيع الأرض نواما
لا يطبقون اذا هب النيام ولا في مرقد يحملون الدهر أحلاما
أشجى تميم بن مر لا مكايده حتى استعادوا له أسرى وأنعاما
هلا أسير اذ تكت النفس تطعمه مما أراد وقد ما كنت مطعاما

وهي أبيات عدة *

﴿ يوم الغيظ ﴾

وهو يوم كانت الحرب فيه بين بني شييان وتميم أسر فيه بسطام بن قيس الشيباني، وسبب ذلك ان بسطام بن قيس والحوفز ان بن شريك ومفروق بن عمرو و ساروا في جمع من بني شييان إلى بلاد تميم، فاغاروا على ثعلبة بن يربوع، و ثعلبة بن سعد بن ضبة، و ثعلبة بن عدى بن فزارة، و ثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاوزين بصحراء فلج فاقتلوا فانهمزمت الثعالبه وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم بنو شييان أموالهم ومروا على

بني مالك بن حنظلة من تميم وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا ابلهم فركت اليهم بنو مالك يقدمهم عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي وفرسان بني يربوع وساروا في اثر بني شيان ومعه من رؤساء تميم الاحيمر بن عبد الله وأسيد بن جبابة وحر بن سعد ومالك بن نويرة فادر كوههم بغبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان، ثم انهزمت شيان واستعادت تميم ما كانوا غنموه من أموالهم، وقتلت بنو شيان ابا مرحب ربيعة بن حصية، وألح عتيبة بن الحرث على بسطام بن قيس فادر كوه، فقال له استأسر ابا الصهباء فانا خير لك من الفلاة والعطش فاستأسر له بسطام بن قيس، فقال بنو ثعلبة لعتيبة ان ابا مرحب قد قتل وقد أسرت بسطاماً وهو قاتل مليل وبيجر ابني ابي مليل ومالك بن حطان وغيرهم فاقتله قال اني معيل وأنا أحب اللبن قالوا: انك تفسديه فيعود فيحربنا مالنا فابي عليهم وسار الى بني عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل وانما قصد عامر الان عمته خولة بنت شهاب كانت ناكحاً فيهم، فقال مالك بن نويرة في ذلك:

لله عتاب بن مية اذ رأى الى نارنا في كفه يتلدد
أتحمي امرأ أردى بجيرا ومالكا وأتوى حريثا بعدما كان يقصد
ونحن نارنا قبل ذاك ابن أمه غداة الكلابيين والجمع يشهد

فلما توسط عتيبة بيوت بني عامر صاح بسطام واشيانه ولا شيان لي اليوم فبعث اليه عامر بن الطفيل ان استطعت أن تلجأ الى قبتي فافعل فاني سأمنعك وان لم تستطع فاخذف نفسك في الركا فاتي عتيبة تابعه من الجن فاخبره بذلك فامر بيته فقوض فركب فرسه وأخذ سلاحه ثم أتى مجلس بني جعفر وفيه عامر بن الطفيل الغنوي فياهم، وقال: يا عامر قد باغني الذي أرسات به الى بسطام فانا مخيرك فيه خصالا ثلاثا فقال عامر: وما هي قال: ان شئت فاعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك حتي أطلقه لك فليست خلعتك وخلعة أهل بيتك بشر من خلعتك وخلعة أهل بيته فقال عامر: هذا لا سبيل اليه قال عتيبة: ضع رجلك مكان رجله فليست عندي بشر منه، فقال: ما كنت لافعل قال عتيبة: تتبعني إذا جاوزت هذه الراية فتقار عني عنه على الموت فقال عامر هذه أبخضهن الي فانصرف به عتيبة الى بني عبيد بن ثعلبة فرأى بسطام مركباً أم عتيبة رثا فقال يا عتيبة: هذا رحل أمك قال: نعم قال: ما رأيت رحل أم سيد قط مثل هذا، فقال عتيبة: واللات والعزى لا أطلقك حتي تاتيني أمك بهودجها وكان كبير اذا ثمن كثير، وهذا الذي أراد بسطام ليرغب

فيه فلا يقتله فارس بسطام فاحضر هودج امه، وفادى نفسه بار بعائة بعير، وقيل: بالف بعير وثلاثين فرسا و هودج امه و حـجـجها^(١)، وخلص من الأسر فلما خلس من الأسر أذكى العيون على عتية و ابله فعادت اليه عيونه. فاخبروه انها على أراب، فاغار عليها وأخذ الابل كلها وما لهم معها *

﴿عتية﴾ بالتاء فوقها نقطتان والياء تحتها نقطتان ساكنة وفي آخرها باء موحدة *

﴿يوم لشيان على بنى تميم﴾

قال أبو عبيدة: خرج الأقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان وهما الأقرعان في بنى مجاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بكر بن وائل ومعهما البروك أبو جعل، فلقبهم بسطام بن قيس الشيباني وعمران بن مرة في بنى بكر بن وائل بزُباله^(٢) فاقتلوا قتالا شديدا ظفرت فيه بكر وانزمت تميم، وأسر الأقرعان وأبو جعل وناس كثير، واقتدى الأقرعان نفسيهما من بسطام وعاهداه على ارسال الفداء فاطلقهما فبعدا ولم ير سلاشيئا وكان في الأسرى انسان من ير بوع فسمعه بسطام بن قيس في الليل يقول:

فدى بوالدة علي شفيقة فكأنها حرض على الأقسام

لو أنها علمت فيسكن جاشها أني سقطت على الفتي المنعام

ان الذي ترجين ثم ايا به سقط العشاء به على بسطام

سقط العشاء به على متعم سمح اليدين معاود الأقدام

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له: وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك وأطلقه، وقال

ابن رميض العنزي:

جاءت هدايا من الرحمن رسالة حتى أنيخت لدى أبيات بسطام

جيش الهذيل وجيش الأقرعين معا وكبة الخيل والأزواد في عام

مسوم خيله تعد ومقانبه على الذوائب من أولاد هام

وقال أوس بن حجر:

وصبحنا عار طويل بناؤه نسب به ملاح في الأفق كوكب

فلم أربوما كان أكثر باكيا ووجها ترى فيه الكتابة تجنب

أصابوا البروك وابن حابس عنوة فظل لهم بالقاع يوم عصب صب^(٣)

(١) بكسر اوله الجمل ومركب من صراكب النساء ام الصحاح (٢) منزل بطريق مكة بن الكوفة (٣) الشديد الشر *

وان أبا الصهباء في حومة الوغى اذا ازورت الأبطال ليث مجرب
 وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس، وأكثر الشعراء في هذا اليوم وفي مدح بسطام بن
 قيس تركنا ذكره اختصاراً ﴿حجر﴾ بفتح الحاء والجيم *
 ﴿يوم مباحض﴾

وهو لشيبان على بنى تميم، قال أبو عبيدة: حج طريف بن تميم العنبري التميمي وكان رجلاً
 جسيماً يلقب مجدعا وهو فارس قومه ولقيه حميصة^(١) بن جندل الشيباني من بني أبي
 ربيعة وهو شاب قوى شجاع وهو يطوف بالبيت فأطال النظر إليه فقال له طريف لم
 تشد نظرك إلي؟ قال حميصة: أريد أن أثبتك لعل أن ألقاك في جيش فأقتلك فقال طريف:
 اللهم لا تحول الحول حتى ألقاه ودعا حميصة مثله فقال طريف:

أوكلمنا وردت عكاظ قبيلة * بعثوا إلي عريفهم يتوسم
 لا تنكروني إني داء لكم * شاكي السلاح^(٢) في الحوادث معلم
 حولي فوارس من أسيد جمعة * وبني الهجيم وحول بيتي خضم^(٣)
 تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة * زغف ترد السيف وهو مثل^(٤)

في آيات ثم إن بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وبني مرة بن ذهل بن شيبان كان
 بينهم شر وخصام، فاقتلوا شيبان قتالاً ولم يكن بينهم دم. فقال هاني بن مسعود رئيس
 بني أبي ربيعة لقومه إني أكره أن يتفاقم الشر بيننا فارتحل بهم، فنزل على ماء يقال له
 مباحض وهو قريب من مياه بني تميم، فأقاموا عليه أشهراً. وبلغ خبرهم بني تميم فأرسل
 بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا حي منفرد وإن اصطلمتموهم أو هتمم بكر بن وائل، واجتمعوا
 وساروا على ثلاثة رؤساء، أبو الجدعاء الطهوي على بني حنظلة، وابن فديك المنقري
 على بني سعد، وطريف بن تميم على بني عمرو بن تميم * فلما قاربوا بني أبي ربيعة بلغهم
 الخبر فاستعدوا للقتال، فخطبهم هاني بن مسعود وحشهم على القتال، فقال: إذا أتوكم
 فقاتلوهم شيئاً من قتال، ثم انحازوا عنهم فاذا اشتغلوا بالنهب فعودوا إليهم، فانكم تصيبون
 منهم حاجتكم، وصبحهم بنو تميم والقوم حذرون، فاقتلوا قتالاً شديداً، وفعلت

(١) على وزن سفينة (٢) وفي رواية سلاحى (٣) رواية العقدة الفريد

حول أسيد والهجوم ومازن وإذا حلت فحول بيتي خضم

(٤) النثرة الدرع، والزغف الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل *

بنو شيان ما أمرهم هاني فاشتغلت تميم بالغنيمة ، و مر رجل منهم بابن لهاني بن مسعود صبي فأخذه وقال : حسبي هذا من الغنيمة و سار به و بقيت تميم مع الغنيمة والسبي ، فعادت شيان عليهم فوز موهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاؤوا ولم تصب تميم بمثلها لم يفلت منهم إلا القليل . ولم يلو أحد على أحد ، وانهزم طريف فاتبعه حميصة فقتله ، واستردت شيان الأهل والمال وأخذوا مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هاني بن مسعود ابنه بمائة بغير ، وقال بعض شيان في هذا اليوم :

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * غر وأنت بمنظر لا تعلم
وأيت حيا في الحروب محلمهم * والجيش باسم أيهم يستهزم
فوجدتهم يرعون حول ديارهم * بسلا اذا حام الفوارس أقدموا
وإذا اعتزوا بأبي ربيعة أقبلوا * بكشيبة مثل النجوم تلم
ساموك درعك والأغر كليهما * وبنو أسيد أسلوك وخضم
وقال عمرو بن سواد يرثي طريفا :

لا تبعدن ياخير عمرو بن جندب * لعمرى لمن زار القبور ليعدا
عظيم رماد النار لا متعبس * ولا مؤيسا منها اذا هو أوقدا
وما كان وقافا اذا الخيل أحجمت * وما كان عيطانا اذا ما تجردا

﴿ يوم الزويرين ﴾

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم ، فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة و هجر . فلما تدانوا جعلوا لا يلتقى بكري تميمياً إلا قتله ولا يلتقى تميمي بكرياً إلا قتله اذا اصاب أحدهما مال الآخر أخذه حتى تفاقم الشر وعظم ، فخرج الحوفزان بن شريك والوادك بن الحرث الشيبانيان ليغيرا على بني دارم ، فاتفق ان تميما في تلك الحال اجتمعت في جمع كثير من عمرو بن حنظلة والرباب وسعد وغيرها ، وسارت الى بكر بن وائل وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلي ، فبلغ خبرهم بكر بن وائل فتقدموا وعليهم الأصم عمرو ابن قيس بن مسعود أبو مفروق ، وحنظلة بن سيار العجلي ، وحران بن عبد عمرو العبسي * فلما التقوا جعلت تميم والرباب بغيرين وجللوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتر كوهما بين الصفين معقولين وسموهما زويرين يعني إلهين ، وقالوا لا نفر حتى نفر هذان البعيران ، فلما رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فأعلم حالهما ، فقال أنا زويركم

وبرك بين الصفين ، وقال : قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر ، فاقتل الناس قتالا شديدا فوصلت شيان الى البعيرين فاخذوهما فذبجوهما واشتد القتال عليهما . فانهزمت تميم ، وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير ، واجترفت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا اسرى كثيرة ، ووصل الخوف ان الى النساء والأموال وقد سار الرجال عنها للقتال ، فاخذ جميع ما خلفوه من النساء والأموال وعود الى أصحابه سالما ، وقال الأعشى في ذلك اليوم :

ياسلم لا تسألني عنا فلا كشف * عند اللقاء ولا سود مقاريف

نحن الذين هزمتنا يوم صبغنا * يوم الزويرين في جمع الأحاليف

ظلوا وظلت تكرر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

تستأنس الشرف الأعلى باعينها * لمح الصقور علت فوق الأظاليف^(١)

انسل عنها نسيل الصيف فانبجرت * تحت اللبون متون كالزحاليف^(٢)

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم لاسيما الاغلب العجلي ، فمن ذلك ار جوزه التي اولها :

* ان سرك العز فججج بحشم * * يقول فيها *

جاؤا بزورهم وجثنا بالأصم * شيخ لنا كالليث من باقى إرم

شيخ لنا معاود ضرب اليهم^(٣) * يضرب بالسيف اذا الرمح انقصم

* هل غير غار صك غارا فانهزم *

الغار ان بكر وتميم ، وله الأرجوزة التي اولها * يارب حرب ثرة الأخلاف *

يذكر فيها هذا اليوم *

* ذكر أسر حاتم طي *

قال أبو عبيدة : أغار حاتم طي بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طي . وقتل منهم وأسرجاعة كثيرة ؛ فكان في الأسرى حاتم بن عبد الله الطائي ، فبقى موثقا عند رجل من عنيزة فآتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة . فقالت له افسد هذه فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت ، فقال حاتم *

(١) جمع اظلوفة بالضم أرض فيها حجارة حداد كأن خلقها خلقة جبل (٢) جمع زحلوفة وهي اثار تزلج الصبيان من فوق التل الى اسفله او مكان منحدر مملس (٣) بالياء المشاة التحية اي الشجاع ، والايهمان السيل والجل الهاج . قاموس *

عالي لا تلتد من عاليه * ان الذي اهلكك من ماليه
 ان ابن اسماء لكم ضامن * حتي يؤدي أنس ناويه
 لا أفصد الناقة في أنفها * لكنني أوجرها العاليه
 إني عن الفصد لفي مفخر * يكره مني المفصد الآليه
 والخيل إن شمس^(١) فرسانها * تذكر عند الموت أمثاليه

وقال رميض العنزي يفتخر:

نحن أسرنا حاتما وابن ظالم فكل ثوى في قيدنا وهو يخشع
 وكعب ايداد قد أسرنا وبعده أسرنا بأحسان والخيل تطمع
 وريان غادرنا بوج كأنه وأشياعه فيها صريم مصرع

وقال يحيى بن منصور الذهلي: قصيدة يفتخر بايام قومه وهي طويلة، وفيها آداب حسنة
 تركناها كراهية التطويل وأولها:

أمن عرفان منزلة ودار تعاورها البوارح والسواري
 وقال أبو عبيدة: جاء الاسلام وليس في العرب أحد أعز دارا ولا أمنع جارا ولا أكثر
 حليفاً من شيان كانت عنينة من لحم في الأحناف، وكانت در مكة بن كندة في بني هند
 وكانت عكرمة من طيء، وحوثكة من عذرة وبنانة كل هؤلاء في بني الحرث بن همام،
 وكانت عائذة من قریش، وضبة وحواس من كندة هؤلاء في بني أبي ربيعة، وكانت
 سليمة من بني عبد القيس في بني أسعد بن همام، وكانت وثيلة من ثعلبة، وبنو خيبر
 من طيء في بني تميم بن شيان، وكانت عوف بن حارث من كندة في بني محلم، كل هذه
 قبائل و بطون جاورت شيان فعزت بها وكثرت *

* يوم مسحلان *

قال أبو عبيدة: غزا ربيعة بن زياد الكلبي في جيش من قومه فلقى جيشاً لبني شيان
 عامتهم بنو أبي ربيعة فاقتلوا قتالا شديداً، فظفرت بهم بنو شيان وهزموهم وقتلوا منهم
 مقتلة عظيمة. وذلك يوم مسحلان، وأسروا ناساً كثيراً وأخذوا ما كان معهم، وكان
 رئيس شيان يومئذ حيان بن عبدالله بن قيس المحلبي * وقيل: كان رئيسهم زياد بن مرثد
 من بني أبي ربيعة فقال شاعرهم:

(١) اي طرد ولحق *

ریعة سائل حیث حل بجیشہ مع الحی کلب حیث نبت^(۱) فوارسه
عشیة ولی جمعهم فتابعوا فصار إلینا نهبه وعوانسه^(۲)

ثم ان الربیع بن زیاد الکلبی نافر قومه و حاربهم فهزموه ، فاعز لهم و سار حتی حل
ببني شیبان فاستجار برجل اسمه زیاد من بني أبي ربيعة ، فقتله بنو أسعد بن همام ، ثم ان
شیبان حملوا دیتہ الی کلب مائتی بعیر فرضوا *

﴿ حرب لسلم وشیبان ﴾

قال أبو عبيدة: خرج جيش لبني سليم عليهم النصيب السلي ، وهم يريدون الغارة على
بكر بن وائل فلقبهم رجل من بني شيبان اسمه صليح بن عبد غنم وهو محرم على فرس له
يسمى البحراء ، فقال لهم: أين تذهبون؟ قالوا: نريد الغارة على بني شيبان ، فقال لهم: مهلا
فاني لكم ناصح اياكم و بني شيبان فاني أقسم لكم بالله لئن أتيتكم على ثلاثمائة فرس خصي
سوى الفحول والاناث ، فابوا إلا الغارة عليهم فدفع صليح فرسه ركضا حتى أتى قومه ؛
فانذرهم فركبت شيبان واستعدوا ، فاتاهم بنو سليم وهم معدون فاقتلوا قتالا شديدا .
فظفرت شيبان وانهزمت سليم و قتل منهم مقتلة كثيرة و أسر منهم ناس كثير ولم ينج إلا
القايل ، و أسر النصيب رئيسهم أسره عمران بن مرة الشيباني فضرب رقبة فقال صليح :

نهيت بني زعل غداة لقيتهم وجيش نصيب والظنون تطاع
وقلت لهم: ان الحريب^(۳) ورا كسا به نعم ترعى المزار رتاع
ولكن في الموت يرتع سر به وحق لهم أن يقبلوا ويطاعوا
متي تأته تلقى على الماء حارثا وجيشا له يوفى بكل بقاع^(۴)

﴿ يوم جدود ﴾

وهو يوم بين بكر بن وائل و بني منقر من تميم . و كان من حديثه ان الحوفزان واسمه
الحرث بن شريك الشيباني : كانت بينه و بين بني سليط بن يربوع موادعة ، فهم بالغدر
بهم ، و جمع بني شيبان و ذهلا و اللهازم و عليهم حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو .
ثم غزا وهو يرجو أن يصيب غرة من بني يربوع . فلما انتهى الی بني يربوع نذر به
عتيبة بن الحرث بن شهاب . فنادى في قومه فقالوا بين الحوفزان و بين الماء ، وقال لعتيبة:

(۱) نب ياب ونبيا ونبابا بالضم ونبب صاح عند الهياج (۲) جمع عانس وحي البنت التي طال مكثها
في أهلها ولم تتر و ج حتى خرجت من عداد الأبقار (۳) هراسم واد (۴) وفي هذا البيت اقواء حيث رفع الحجر و *

إني لا أرى معك إلا رهطك ، وأنا في طوائف من بني بكر فلئن ظفرت بكم قل عدكم
 وطمع فيكم عدوكم ، ولئن ظفرتم بي ماتقتلون إلا أقاصى عشيرتي وما إياكم أردت فهل
 لكم أن تسالمونا وتأخذوا ما معنا من التمر ووالله لا نروع ويربوعاً أبداً ؟ فأخذ ما معهم
 من التمر وخلي سييلهم ، فسارت بكر حتى أغاروا على بني ربيع بن الحرث وهو مقاعس
 بجدود - وإنما سمي مقاعسا لأنه تقاعس عن حلف بني سعد - فأغار عليهم وهم
 خلوف فأصاب سبياً ونعماً ، فبعث بنو ربيع صريخهم إلى بني كليب فلم يجيئهم فأتى
 الصريخ بني منقر بن عبيد فركبوا في الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون فما شعر
 الحوفزان وهو في ظل شجرة إلا بالأهتم بن سمي بن سنان المنقري واقفاً على رأسه
 فركب فرسه فنادى الأهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل ؛ ولحق بنو منقر
 فقاتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت بكر وخلوا السبي والأموال ، وتبعتهم منقر فن قتل وأسير
 وأسر الأهتم حمران بن عبد عمرو ، ولم يكن لقيس بن عاصم المنقري همة إلا الحوفزان
 فتبعه على مهر والحوفزان على فرس فارح ، فلم يلحقه وقد قاربه ، فلما خاف أن يفوته
 حفزه بالرمح في ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا فسمى يومئذ الحوفزان ، وقيل غير هذا ، وقال الأهتم
 في أسره حمران :

نيطت بحمران المنية بعد ما * حشاه سنان من شراعة أزرق

دعا يا ل قيس واعتزيت لمنقر * وكنت اذا لاقيت في الخيل أصدق

وقال سوار بن حيان المنقري يفتخر على رجل من بكر :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعاً من دم البطن أشكلا

وحمران قسراً أنزلته رماحنا * فعالج غلا في ذراعيه مثقلا

فيالك من أيام صدق نعدنا * كيوم جوثي والنباج ونبتلا^(١)

قضى الله أنا يوم تقسم العلا * أحق بها منكم فاعطى فاجزلا

فلمست بمسطيح السماء ولم تجد * لعز بناه الله فوقك منقلا

﴿منقر﴾ بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف ﴿وربيع﴾ بضم الراء وفتح الباء الموحدة ﴿

﴿يوم الاياد وهو يوم أعشاش ويوم العظالي﴾

(١) هراسم لحصن في البحرين ، والنباج ككتاب بلدة في البادية ، ونبتل موضع أيضاً وهذه الثلاث مواضع

حصلت فيها حروب كان بنو منقر الغالبين فيها.

وإنما سمي يوم العظالي لأن بسطام بن قيس وهاني بن قبيصة ومفروق بن عمرو
تعاظلوا على الرياسة، وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس؛ وكانوا يقرونهم ويجهزونهم
فأقبلوا من عند عامل عين التمر في ثمانمائة متساندين، وهم يتوقعون انحدار بني يربوع
في الحزن، فاجتمع بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زيد في الحزن، فحلت بنو زيد الحديقة
وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الئمد. فاقبل جيش بكر حتى نزلوا حضبة الحصى،
فرأى بسطام السواد بالحديقة وشم غلام عرفه بسطام، وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة
حين أسره عتيبة، فسأله بسطام عن السواد الذي بالحديقة، فقال هم بنو زيد قال كم هم
من بيت؟ قال خمسون بيتا قال فاين بنو عتيبة وبنو عبيد؟ قال هم بروضة الئمد وسائر
الناس بخفاف وهو موضع، فقال بسطام: أتطيعونني يا بني بكر؟ قالوا: نعم قال: أرى لكم أن
تغنموا هذا الحى المتفرد بنى زُيد وتعودوا سالمين قالوا: وما يغنى بنو زيد عنا؟ قال: إن
في السلامة احدى الغنيمتين قالوا: إن عتيبة بن الحرث قد مات، وقال مفروق قد اتفخ
سرك^(١) يا أبا الصهباء، وقال هاني: أخسأ فقال: إن أسيد بن جباة لا يفارق فرسه الشقراء
ليلا ونهارا فاذا أحس بكم ركبا حتى يشرف على مليحة، فينادى يا آل ثعلبة فيلقاكم
طعن ينسيكم الغنيمة ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه وقد عصيتموني وأنا تابعكم
وستعلون. فأغاروا على بنى زيد وأقبلوا نحو بنى عتيبة وبنى عبيد فاحست الشقراء فرس
أسيد بوقع الحوافر فنخست بحاقرها، فركبها أسيد وتوجه نحو بنى يربوع بمليحة، ونادى
ياسوء صباحاه يا آل ثعلبة بن يربوع فما ارتفع الضحى حتى تلاحقوا فاقتلوا قتالا شديدا
فانهزمت شيبان بعد أن قتلت من تميم جماعة من فرسانهم، وقتل من شيبان أيضا،
وأسر جماعة منهم هاني بن قبيصة فقدى نفسه ونجا، فقال متم بن نويرة في هذا اليوم:
لعمرى لنعم الحى أسمع غدوة * أسيد وقد جد الصراخ المصدق
وأسمع فتيانا كجثة عبقر * لهم ريق^(٢) عند الطعان ومصدق
أخذن بهم جنبي أفاق وبطنها * فما رجعوا حتى أرقوا وأعتقوا
وقال العوام في هذا اليوم:

قبح الاله عصاة من وائل * يوم الأفاقة أسلموا بسطاما^(٣)
ورأى أبو الصهباء دون سوامهم * طعنا يسلى نفسه وزحاما

(١) أى ملئت خوفا (٢) الريق ككيس الجواد بالنفس عند الموت (٣) الأفاقة ككناسة، وضع بالكوفة

كنتم أسودا في الوغا فوجدتم * يوم الأفاقة في الغيظ (١) نعاما
وأكثر العوام الشعر في هذا اليوم فلما ألح فيه أخذ بسطام إليه فقالت أمه *
أرى كل ذى شعر أصاب بشعره * خلا أن عواما بما قال عيلا (٢)
فلا ينطقن شعرا يكون جوازه * كما شعر عوام أعام وأرجلا (٣)
* يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس *

هذا يوم بين بني شيبان وضبة بن اذ قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان، وكان سببه
أن بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذى الجدين غزا بني ضبة، ومعه أخوه
السليل بن قيس، ومعه رجل يزجر الطير من بني أسد بن خزيمة يسمى نقيدا، فلما كان
بسطام في بعض الطريق رأى في منامه كأن آتيا أتاه فقال له * الدلوتأتي الغرب (٤) المزله *
فقص رؤياه على نقيد فتطير وقال: الاقلت ثم تعود باديا مبتله * فتفرط عنك النحوس،
ومضى بسطام على وجهه فلما دنا من نقا (٥) يقال له الحسن في بلاد ضبة صعدته ليراه، فاذا
هو بنعم قد ملأ الأرض فيه ألف ناقة لمالك بن المنتفق الضبي من بني ثعلبة بن مسعود بن
ضبة قد فقأ عين فخلها، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية اذا بلغت ابل أحدهم ألف بعير
فقوا عين فخلها لترد عنها العين وهي ابل مرتبعة، ومالك بن المنتفق فيها على فرس له
جواد، فلما أشرف بسطام على النقا تخوف ان يروه فيندروا به فاضطجع وتدهدى حتى
بلغ الأرض، وقال: يا بني شيبان لم أر كالיום قط في الغرة وكثرة النعم ونظر نقيد الى
لحية بسطام معفرة بالتراب لما تدهدى فتطير له أيضا، وقال ان صدقت الطير فهو أول
من يقتل، وعزم الأسدى على فراقه فاخذته رعدة تهيبا لفراقه والانصراف عنه، وقال
له: ارجع يا أبا الصهباء فاني أتخوف عليك أن تقتل فعصاه فقارقه نقيد وركب بسطام
وأصحابه وأغاروا على الابل واطردوها وفيها فحل لمالك يقال له أبو شاعر، وكان أعور
فجاء مالك على فرسه الى قومه من ضبة حتى اذا أشرف على تعشار نادى يا صباحاه. وعاد
راجعا وأدرك الفوارس القوم وهم يطردون النعم فجعل فحله أبو شاعر يشذ من النعم
ليرجع. وتتبعه الابل فكلما تبعته ناقة عقرها بسطام، فلما رأى مالك ما يصنع بسطام

(١) الغيظ كأمر المركب الذي مثل الكف البخاني او رحل قنقه واحناؤه واحدة. (٢) اي صار
ذاعيلة وفقر (٣) من قولك أعامه الله أي تركه من غير لبن فأعام، وأرجلا اي صير أهلا راجلين بعد أن كانوا
ركباناً (٤) النرب الداء العظيمة (٥) النفا الرمل الكثير *

وأصحابه قال: ماذا السفه يا بسطام؟ لاتعقرها فاما لنا واما لك فابي بسطام، وكان في آخريات الناس على فرس أدهم يقال له الزعفران يحمي أصحابه، فلما لحقت خيل ضبة قال لهم مالك: ارموا روابيا القوم فجعلوا يرمونها فيشققونها فلحقت بنو ثعلبة وفي أوائلهم عاصم بن خليفة الصباحي وكان ضعيف العقل، وكان قبل ذلك يعقب قناة له فيقال له ما تصنع بها يا عاصم؟ فيقول: أقتل عليها بسطاما فيهرعون منه، فلما جاء الصريخ ركب فرس أبيه بغير أمره ولحق الخيل، فقال لرجل من ضبة: أيهم الرئيس؟ قال صاحب الفرس الأدهم فعارضه عاصم حتى حاذاه ثم حمل عليه فطعنه بالرمح في صماخ أذنه أنفذ الطعنة الى الجانب الآخر: وخر بسطام على شجرة يقال لها الألامة فلما رأت ذلك شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الأدبار فمن قتيل وأسير، وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس أخا بسطام في سبعين من بني شيبان، وكان عبد الله بن عنمة الضبي مجاورا في شيبان فخاف ان يقتل فقال يرثي بسطاما:

غداة أضر بالحسن السبيل	لأمّ الارض ويل ما أجت
أبا الصهباء اذ جنح الأصيل	يقسم ماله فينا وندعو
تخب به عذافرة ذمول ^(١)	اجدك لن تربه ولن نراه
تعارضها مزينة ذؤل ^(٢)	حقيبة بطنها بدن وسرج
تضمر في جوانبه الخيول	الى ميعاد أرعن مكفهر
وحكمك والنشيطه والفضول ^(٣)	لك المربع منها والصفايا
ولا يوفى ببسطام قتيلا	لقد صمت بنو زيد بن عمرو
كان جبينه سيف صقيل	نخر على الألاء لم يوسد
فقد فجعوا وفاتهم جليل	فان يجزع عليه بنو أبيه
الى الحجرات ليس لها فصيل	بمطعام اذا الأشوال راحت

(١) الذمول المسرعة في مشيها (٢) مزينة اي كثيرة الشعر، ورواية ابن عبد ربه في البيت

حقيبة رحلها بدن وسرج يعارضها مرتبة ذؤل

ولعلها الزؤل وهي التي تسير سير الذئب والا فلامعنى لها بالذال المهملة ولا الذال المعجمة (٣) المربع ربع الغنيمة يكون للرئيس، والصفايا ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل القسمة، والحكم هو الامرة على الجند، والنشيطه ما اصيب من المال قبل اللقاء، والفضول ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة، وهذه كلها حقوق الرياسة في الجاهلية *

فلم يبق في بكر بن وائل بيت الاوألقي لقتله لعلو محله، وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة الضبي يذكره :

ويوم شقيقة الحسين لاقى
شككنا بالرماح وهن زور
وأوجرناه^(١) أسمر ذا كعوب
يشبه طولها مسدا مغارا

﴿الشقيقة﴾ أرض صلبة بين جبلي رمل ﴿جزال الحسان﴾ نقوا رمل كانت الواقعة عندهما،
وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه :

ليك ابن ذى الجدين بكر بن وائل
إذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم
فله عينا من رأى مثله فتى
عزيز المكر لا يهد جناحه
وحمال أثقال وعائد محجر
سيبك عان^(٢) لم يجد من يفكه
وتبكك أسرى طالما قد فككتهم
مفرج حومات الخطوب ومدرك الحروب
إذا صالت وعز صيالها
تغشى بها حينا كذاك ففجعت
فقد ظفرت منا تميم بعثرة
أصابت به شيان والحي يشكر

﴿عنة﴾ بفتح العين المهملة والنون *

﴿يوم النصار﴾

النصار^(٣) أجبل متجاورة وعندها كانت الواقعة وهو موضع معروف عندهم، وكان سبب ذلك اليوم ان بنى تميم بن مر بن أد كانوا يأكلون عمو متهم ضبة بن أد وبنى عبد مناة ابن أد، فاصابت ضبة رهطا من تميم فطلبته تميم، فانزاحت جماعة الرباب وهم تميم وعدى وثور أطحل وعكل بنو عبد مناة بن أد وضبة بن أد وانما سموا الرباب لأنهم غمسا أيديهم في الرب حين تحالفوا - فلحقت بنى أسد وهم يومئذ حلفاء لبنى ذيسان بن بغيض

(١) أوجره بالرمح طعنه به في فيه اه قاموس (٢) العاني الاسير (٣) بكسر النون وزنه كتاب *

فنادى صارخ بنى ضبة يا آل خندف فاصرختم بنو اسد وهو اول يوم تخندفت فيه ضبة، واستمدوا حليفهم ظيباً وغطفان، فكان رئيس أسد يوم النصار عوف بن عبد الله ابن عامر بن جذيمة بن نصر بن قعين، وقيل: خالد بن نضلة، وكان رئيس الرباب الأسود ابن المنذر اخو النعمان وليس بصحيح، وكان على الجماعة كلهم حصن بن حذيفة بن بدر وفيه يقول زهير بن أبي سلمي:

ومن مثل حصن في الحروب ومثله لانداد ضيم أو لأمر يحاوله
إذا حل أحياء الأحياء حوله بنى نجب هداته وصواهله

فلما بلغ بنى تميم ذلك استمدوا بنى عامر بن صعصعة فامدوهم، وكان حاجب بن زرارة على بنى تميم، وكان عامر بن صعصعة جواً أباً وهو لقب مالك بن كعب من بنى أبي بكر ابن كلاب لان بنى جعفر كانوا جواً بين قد أخرجهم الى بنى الحرث بن كعب فحالفوهم، وقيل كان رئيس عامر شريح بن مالك القشيري، وسار الجمعان فالتقوا بالنصار واقتلوا، فصبرت عامر واستحرت بهم القتل وانقضت تميم فنجت ولم يصب منهم كثير، وقتل شريح القشيري رأس بنى عامر، وقتل عبيد بن معاوية بن عبد الله بن كلاب وغيرهما، وأخذ عدة من أشرف نساء بنى عامر: منهن سلمي بنت المخلف، والعنقاء بنت همام وغيرها، فقالت سلمى تعير جواباً والطفيل:

لحي الاله أبا ليلى بفرته يوم النصار وقنب العير جوابا
كيف الفخار وقد كانت بمعترك يوم النصار بنو ذبيان أربابا
لم تمنعوا القوم إذ أشلوا سوامكم ولا النساء وكان القوم أحرابا
وقال رجل يعير جواباً والطفيل بفراره عن امرأته *

وفر عن ضرتيه وجه خارته * ومالك فرقنب العير جواب

﴿القنب﴾ غلاف الذكر، وجواب لقب لأنه كان يجوب الآثار، واسمه مالك، وقال بشر ابن أبي خازم في هزيمة حاجب:

وأقلت حاجب جوب العوالى على شقراء تلع في السراب
ولو أدركن رأس بنى تميم عفرن الوجه منه بالتراب

وكان يوم النصار بعد يوم جبلة وقتل لقيط بن زرارة ﴿جواب﴾ بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره باء موحدة، و﴿خازم﴾ بالخاء المعجمة والزاي *

(٤٨٢ - ج ١ الكامل)

﴿ يوم الجفار ﴾

لما كان على رأس الحول من يوم النصار اجتمع من العرب من كان شهد النصار
و كان رؤساؤهم بالجفار الرؤساء الذين كانوا يوم النصار إلا أن بني عامر قيل كان
رئيسهم بالجفار عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة فالتقوا بالجفار واقتلوا، وصبرت
تميم فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو بن تميم، وكان يوم الجفار يسمى الصيلم
لكثرة من قتل به، وقال بشر بن أبي خازم في عصابة تميم لبني عامر:

عصبت تميم ان يقتل عامر يوم النصار فأعقبوا بالصيلم
كنا اذا نفروا لحرب نفرة نشفى صداعهم برأس صلدم
نعلو الفوارس بالسيوف ونعترى والخيل مشعلة النحور من الدم
يخرجن من خلل الغبار عوابسا خب السباع بكل ليث ضيغم

وهي عدة أبيات، وقال أيضا:

يوم الجفار ويوم النسا ركانا عذاباً و كانا غراما
فاما تميم تميم بن مر فألفاهم القوم روبي نياما
وأما بنو عامر بالجفا رويوم النصار فكانوا نعاما

فلما أكثر بشر على بني تميم قيل لئن مالك ولتميم وهم أقرب الناس منك أرحاما؟ فقال
اذا فرغت منهم فرغت من الناس ولم يبق أحد:

﴿ يوم الصفقة والكلاب الثاني ﴾

اما يوم الصفقة، وسببه فان باذان نائب كسرى ابرويز بن هرمز باليمن ارسل اليه
حملا من اليمن فلما بلغ الحمل الى نطاع من أرض نجد أغارت تميم عليه واتهبوه، وسلبوا
رسل كسرى وأساورته فقدموا على هودة بن علي الحنفي صاحب اليمامة مسلوبين
فاحسن اليهم وكساهم، وقد كان قبل هذا اذا ارسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهز
رسله ويخفرهم ويحسن جوارهم، وكان كسرى يشتهي أن يراه ليجازيه على فعله،
فدأ أحسن أخيرا الى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له: ان الملك لا يزال يذكرك
ويؤثر ان تقدم عليه، فسار معهم اليه، فلما قدم عليه أكرمه وأحسن اليه وجعل يحادثه
لينظر عقله، فرأى ماسره فامر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه، وأقطعه أموالا

نهجر وكان هودة نصرانيا. وأمره كسرى ان يغزو هو والمكعب^(١) مع عساكر كسرى بنى تميم فساروا الى هجر ونزلوا بالمشقر، وخاف المكعب وهودة ان يدخلوا بلاد تميم لانها لا تحملها العجم وأهائها ممتنعون فبعثا رجلا من بنى تميم يدعونهم الى الميرة، وكانت شديدة^(٢) فاقبلوا على كل صعب وذلول فجعل المكعب يدخلهم الحصن خمسة خمسة وعشرة عشرة وأقل وأكثر يدخلهم من باب على انه يخرجهم من آخر، فكل من دخل ضرب عنقه. فلما طال ذلك عليهم ورأوا أن الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجلا يستعلمون الخبر، فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من كان بالباب، فأمر المكعب بغلق الباب وقتل كل من كان بالمدينة، وكان يوم الفصح فاستوهب هودة منه مائة رجل فكساهم وأطلقهم يوم الفصح، فقال الأعشى من قصيدة يمدح هودة:

بهم يقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

فصار يوم المشقر^(٣) مثلاً وهو يوم الصفقة لاصفاق الباب وهو إغلاقه وكان يوم الصفقة وقد بعث النبي ﷺ وهو بمكة بعد لم يهاجر وأما يوم الكلاب الثاني فان رجلا من بنى قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران على بنى الحرث بن كعب وهم أخواله، فسأله عن الناس خلفه فحدثهم انه أصمق على بنى تميم باب المشقر وقتلت المقاتلة وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها فاجتمعت بنو الحرث من مذحج وأحلافها من نهد وجرم بن زبان، فاجتمعوا في عسكر عظيم بلغوا ثمانية آلاف ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بنى قار، ومن يوم جبلة، وساروا يريدون بنى تميم فحذرهم كاهن كان مع بنى الحرث، واسمه سلمة بن المغفل. وقال: انكم تسرون أعياننا. وتغزون احيانا. سعدا وريانا. وتردون مياهها جيايا. فتلقون عليها ضرابا^(٤) وتكون غنيمتكم ترابا، فاطيعوا أمرى ولا تغزوا تميما فعصوه. وساروا الى عروة فبلغ الخبر تميما فاجتمع ذوو الرأي منهم الى أكثم بن صيفى وله يومئذ مائة وتسعون سنة فقالوا له: يا أبا حيدة حقق هذا الأمر فانا قد رضيناك رئيساً فقال لهم:

وان امرأ قد عاش تسعين حجة الى مائة لم يسام العيش جاهل

(١) المكعب بكسر الباء العربى والعجمى ضدو بفتح الباء شاعراناه قاموس (٢) لعل قوله شديدة صفة لموصوف محدوف تقديره سنة (٣) المشقر كمعظم حصن بالبحرين (٤) مصدر ضارب اي جالد اه صحاح

مضت مائتان غير عشر وفاؤها وذلك من عد الليالي قلائل
ثم قال لهم لا حاجة لي في الرياسة ولكني أشير عليكم لينزل حنظلة بن مالك بلدهناء،
ولينزل سعد بن زيد مناة والرباب وهم ضبة بن أد وثور وعكل وعدى بنو عبد مناة بن
أد الكلاب فاي الطريقين اخذ القوم كفى أحدهما صاحبه، ثم قال لهم: احفظوا وصيتي
لا تحضروا النساء الصفوف: فان نجاة اللثيم في نفسه ترك الحریم، وأقلوا الخلاف على امرائكم
ودعوا كثرة الصياح في الحرب فانه من الفشل: والمرء يعجز لا محالة، فان أحق الحق
الفجور، وأكيس الكيس التقى، كونوا جميعا في الرأي، فان الجميع معزز للجميع،
وإياكم والخلاف: فانه لا جماعة لمن اختلف، ولا تلبثوا ولا تسرعوا، فان أحزم الفريقين
الركين، ورب عجلة تهب ريثا: واذعزأ خوك فهن، البسوا جلود النمر، وأبرزوا للحرب
وادرعوا الليل واتخذوه جملا فان الليل أخفى للويل: والثبات أفضل من القوة، وأهنا
الظفر كثرة الأسرى، وخير الغنيمة المال، ولا ترهبوا الموت عند الحرب: فان الموت
من ورائكم وحب الحياة لدى الحرب زلل، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن حارث
ابن جساس وهو من بني تميم بن عبد مناة بن أد فقبلوا مشورته *
ونزلت عمرو بن حنظلة الدهناء، ونزلت سعد والرباب الكلاب، واقبلت مذحج
ومن معها من قضاة فقصدوا الكلاب وبلغ سعدا والرباب الخبر فلما دنت مذحج نذرهم
شميت بن زباع اليربوعي، فركب جملة وقصد سعدا ونادى يا آل تميم يا صباحاه فثار
الناس وانتهت مذحج الى النعم فانتبهها الناس وراجزهم يقول:
في كل عام نعم ننتابه * على الكلاب غيب أصحابه * يسقط في آثاره غلابه
فلحق قيس بن عاصم المنقري، والنعمان بن جساس، ومالك بن المنتفق في سرعان الناس
فاجابه قيس يقول:

عما قليل تلتحق أربابه مثل النجوم حسرا سحابه

لئمنن النعم اغتصابه سعد وفرسان الوغى أربابه

ثم حمل عليهم قيس وهو يقول:

في كل عام نعم تحوونه يلحقه قوم وينتجونه (١)

أربابه نوكي (٢) فلا يحمونه ولا يلاقون طعانا دونه

(١) صوابه يلحقه قوم و تنتجونه (٢) جمع انوك وهو الاحق

أنعم الأبناء تحسبونه ؟ هيات هيات لما ترجونه

فاقتل القوم قتالا شديدا يومهم أجمع فحمل يزيد بن شداد بن قنان الحرثي على النعمان ابن مالك بن جساس فرماه بسهم فقتله، وصارت الرياسة لقيس بن عاصم، واقتلوا حتى حجز بينهم الليل وباتوا يتحارسون، فلما أصبحوا غدوا على القتال، وركب قيس بن عاصم، وركب مذحج واقتلوا أشد من القتال الأول. فكان أول من انهزم من مذحج مدرج الرياح وهو عامر بن الجون بن عبد الله الجرهمي، وكان صاحب لوائهم فالقي اللواء وهرب فلحقه رجل من بني سعد فعقر به دابته فزل يهرب ماشيا، ونادى قيس بن عاصم: يا آل تميم عليكم الفرسان ودعوا الرجالة فانهالكم وجعل يلتقط الأسارى وأسر عبد يغوث بن الحرث بن وقاص الحرثي رئيس مذحج فقتل بالنعمان بن مالك بن جساس وكان عبد يغوث شاعرا فشدوا لسانه قبل قتله لئلا يهجوهم فأشار اليهم ليحلوا لسانه ولا يهجوهم فحلوه فقال شعرا:

ألا لا تلوماني كفى اللوم مايا	فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلمنا ان الملامة نفعها	قليل وما لومي أخي من شماليا
فيارا كبا إما عرضت فبلغن	نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والايهمين كليهما	وقيسا بأعلى حضر موت اليمانيا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة (١)	:معاشر تيم أطلقوا من لسانيا
كأنى لم اركب جوادا ولم أقل	لخيل كرى كرة من ورائيا
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل	لايسار صدق عظموا ضوء ناريا
وقد علمت عرسي مليكة اني	انا الليث معدوا عليه وعاديا
لحى الله قوما بالكلاب شهدتهم	صميمهم والتابعين المواليا
ولو شئت نجتني من القوم شطبة (٢)	ترى خلفها الكمت العتاق تواليا
و كنت اذا ما لخيل شمصها (٣) القنا	ليقا بتصرف القناة بنانيا
فيا عاص فك القيد عني فاني	صبور على مر الحوادثنا كيا (٤)

(١) النسمة قطعة من سير ينسج عريضا تشد به الرجال (٢) الشطبة الفرس الطويلة السبعة اللحم (٣) شمصها طردها (٤) نا كيا بالنون اى قاتلا وجارحا ويحتمل با كيا اى يبكى نفسه لايهجوم، وهذا البيت لا وجود له في مفضليات الضبي ولا في الاغانى ولا في المقدم الفريد في اثناء روايتهم للقصيد. الادارة

فان تقتلونى تقتلوا بي سيدا وإن تطلقونى تحربونى ماليا
 ﴿أبو كرب﴾ بشر بن علقمة بن الحرث ﴿والايهمان﴾ الأسود بن علقمة بن الحرث والعاقب
 وهو عبد المسيح بن الأبيض، وقيس بن معد يكرب فزعموا أن قيسا قال لو جعلني اول
 القوم لافتديته بكل ما أملك ثم قتل ولم يقبل له فدية ﴿رباب﴾ بالراء والباء الموحدة *
 ﴿يوم ظهر الدهناء﴾

وهو يوم بين طيء وأسد بن خزيمة، وسبب ذلك ان أوس بن حارثة بن لأم الطائي
 كان سيدا مطاعا في قومه وجوادا مقداما. فوفد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند،
 فدعا عمرو وأوسا، فقال له: أنت أفضل أم حاتم؟ فقال أبيت اللعن ان حاتما أو حدها وأنا
 احدها، ولو ملكنى حاتم وولدى ولحمتى لوهبنا فى غداة واحدة، ثم دعا عمرو وحاتما
 فقال له: أنت أفضل أم أوس، فقال: أبيت اللعن إنما ذكرت أوسا ولا أحد ولده أفضل
 منى فاستحسن ذلك منهما وجباهما وأكرمهما، ثم ان وفود العرب من كل حى
 اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس فدعا بحلة من حلل الملوك، وقال للوفود
 احضروا فى غد فاني ملبس هذه الحلة أكرمكم فلما كان الغد حضر القوم جميعا إلا أوسا
 فقيل له: لم تتخاف؟ فقال: ان كان المراد غيرى فاجمل الأشياء بي أن لا أكون حاضرا
 وان كنت المراد فسأطلب فلما جلس النعمان ولم ير أوسا قال: اذهبوا الى أوس، فقولوا
 له: احضر آمننا مما خفت فحضر فلبس الحلة ففسده قوم من أهله، فقالوا للخطيئة أهجه
 ولك ثلثمائة ناقة، فقال: كيف أهجو رجلا لأرى فى بيتى أثانا ولا مالا إلا منه؟ ثم قال *

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من أهل لأم بظهر الغيب تا تبنى

فقال لهم بشر بن أبي خازم أنا أهجوكم لكم فاعطوه النوق وهجاء فافخس فى هجائه وذكروا
 أمه سعدى فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها وطلبه فهرب منه والتجأ
 الى بني أسد عشيرته فمنعوه منه ورأوا تسليمه اليه عارا، فجمع أوس جديلة طيء وسار
 بهم الى اسد، فالتقوا بظهر الدهناء تلقاء تيم فاقتلوا قتالا شديدا، فانهزمت بنو أسد وقتلوا
 قتلا ذريعا، وهرب بشر فجعل لا يأتى حيا يطلب جوارهم الا امتنع من إجارته على أوس
 ثم نزل على جندب بن حصن الكلابي باعلى الصمان^(١)، فارسل اليه أوس يطلب منه بشرا
 فارسله اليه فلما قدم به على أوس أشار عليه قومه بقتله فدخل على أمه سعدى فاستشارها،

(١) الصمان كل أرض صلبة وموضع بعالج *

فاشارت أن يرد عليه ماله و يعفو عنه و يحبوه فانه لا يغسل هجاءه الامدحه فقبل ما اشارت به و خرج اليه ، وقال يا بشر ماترى اني اصنع بك فقال :

اني لأرجو منك يا أوس نعمة * واني لأخري منك يا أوس راهب
واني لأحبو بالذى انا صادق * به كل ما قد قلت اذ أنا كاذب
فهل نافعى فى اليوم عندك انى * ساشكر ان انعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتي * بني أسد أقصاهم والأقارب
تدار كني أوس بن سعدى بنعمة * وقد أمكنته من يدى العواقب

فمنّ عليه أوس ، وحمله على فرس جواد ، ورد عليه ما كان أخذ منه ، وأعطاه من ماله مائة من الابل ، فقال بشر لا جرم لامدحت أحدا حتى أموت غيرك ، ومدحه بقصيدته المشهورة التى أولها :

اتعرف من هنيذة رسم دار * بخرجى ذروة فالى لواها
ومنها منزل ببراق خبت * عفت حقا و غيرها بلاها
وهى طويلة (۱) *

* يوم الوقيط *

وكان من حديثه ان اللهازم تجمعت : وهى قيس و تيم اللات ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ومعها عجل بن لجيم و عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بني تميم وهم غارون ، فرأى ذلك الأعور وهو ناشب بن بشامة العنبرى ، و كان أسير انى قيس بن ثعلبة ، فقال لهم : أعطونى رجلا أرسله الى أهلى أوصيهم ببعض حاجتى ، فقالوا له : ترسله ونحن حضور قال : نعم ، فاتوه بسلام مولد ، فقال أتيتمونى باحق : فقال الغلام والله ما أنا باحق ، فقال : إني أراك مجنونا قال : والله ما بي جنون : قال أتقل ، قال نعم إني لعاقل ، قال فالنيران أكثر أم الكواكب ؟ قال الكواكب و كل كثيرة ، ففلاً كفه رملا ، وقال كم فى كفى ؟ قال لا أدرى فانه لكثير : فإوما الى الشمس يده ،

(۱) الى أن يقول :

الى أوس بن حارثة بن لأم ليقضى حاجتى فيمن قضاها
فإوطى الثرى مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

وكان قد هجاهم فى خمس قصائد فعوضهم عنها بخمس قصائد كما ذكره المرحوم السيد شكرى الأوسى فى بلوغ الأرب . الادارة

وقال: ما تلك؟ قال: الشمس قال: ما أراك إلا عاقلاً اذهب إلى قومي فابلغهم السلام،
وقل لهم: ليحسنوا إلى أسيرهم فاني عند قوم يحسنون إلى ويكرموني وقل لهم:
فليعرفوا جملي الأحمر، ويركبوا ناقتي العيساء، وليرعوا حاجتي في بني مالك وأخبرهم
أن العوسج قد أورد، وأن النساء قد اشتكت، وليعصوا همام بن بشامة فإنه
مشتم مجدود، وليطيعوا هذيل بن الأخنس فإنه حازم ميمون، واسألوا الحرث عن
خبري، وسار الرسول فأتى قومه فابلغهم فلم يدروا ما أراد، فاحضروا الحرث وقصوا
عليه خبر الرسول، فقال للرسول اقصص على أول قصتك فقص عليه أول ما كلفه حتى أتى
على آخره، فقال: أبلغه التحية والسلام وأخبره أنا نستوصي بما أوصى به: فعاد الرسول
ثم قال لبني العنبران صاحبكم قد بين لكم أما الرمل الذي جعل في كفه فإنه يخبركم أنه قد
أتاكم عدد لا يحصى، وأما الشمس التي أوما إليها فإنه يقول ذلك أوضح من الشمس،
وأما جملة الأحمر فالصمان فإنه يأمركم أن تعرفوه يعني ترتحلوا عنه؛ وأما ناقته العيساء فإنه
يأمركم أن تحترزوا في الدهناء، وأما بنو مالك فإنه يأمركم أن تندروهم معكم، وأما
إيراق العوسج فإن القوم قد لبسوا السلاح، وأما اشتكاء النساء فإنه يريد أن النساء قد
خرزن الشكا، وهي أسقية الماء للغزو، فحذر بنو العنبر وركبوا الدهناء وأنذروا بني
مالك فلم يقبلوا منهم، ثم إن اللهازم وعجلا وعزة أتوا بني حنظلة فوجدوا عمرا قد أجلت
فاوقعوا بني دارم بالوقيط، فاقتلوا قتالا شديدا وعظمت الحرب بينهم، فاسرت ربيعة
جماعة من رؤساء بني تميم منهم ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة فجزوا ناصيته وأطلقوه،
واسروا عثجل^(١) بن المامون بن زرارة وجويرة بن بدر بن عبد الله بن دارم^(٢) ولم يزل
في الوثاق حتى رآهم يوماً يشربون فانشأ يتغني يسمعهم ما يقول *

وقائلة ماغاله أن يزورنا وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل
وقد أدركتني والحوادث جمّة مخالف قوم لاضعاف ولا عزل
سراع إلى الجلي^(٣) بطاء عن الحنا رزان^(٤) لدى الباذين^(٥) في غير ما جهل
لعلمهم أن يمتروني بنعمة كما صاب ماء المزن في البلد المحل

(١) هو بفتح فسكون ففتح (٢) وبذلك غيرهم جرير بقوله:

انغام لو شهد الوقيط فوارسي مافيه يقتل عثجل وضرار

ولكن علمت انهما اخذا اسيرين ولم يقتلا ولعله يريد التشنيع على بني دارم انتقاما من الفرزدق. الادارة

(٣) اي الامور العظام (٤) اي ثقال (٥) هم اصحاب البذاءة وفاحش القول

فقد ينعش الله الفتي بعد ذلة وقد تبنتى الحسيني سراة بني عجل
فلما سمعوا الآيات أطلقوه واسر أيضا نعيم وعوف ابنا القعقاع بن معبد بن زرارة
وغيرهما من سادات بني تميم: وقتل حكيم بن النهشلي^(۱) ولم يشهدا من نهشل غيره،
وعادت بكر فمرت بطريقها بعد الوقعة بثلاثة بجذيمة بن الاصيلع نفر من بني العنبر لم
يكونوا ارتحلوا مع قومهم، فلما رأوهم طردوا ابلهم فاحرزوها من بكر* وأكثر
الشعراء في هذا اليوم، فمن ذلك قول أبي مهوش الفقعسي يعير تميما يوم الوقيط:

فما قاتلت يوم الوقيطين نهشل ولا الانكد الشؤمي فقيم بن دارم
ولا قضبت^(۲) عوف رجال مجاشع ولا قشر الاستاه غير البراجم^(۳)

وقال أبو الطفيل عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد:

حكمت تميم بر كها لما التقت رايانا ككواسر العقبان
دهموا الوقيط بحففل جم الوغى ورماحها كنوازع الاشطان^(۴)

﴿يوم المروت﴾

وهو يوم بني تميم وعامر بن صعصعة وكان سببه أنه التقى قعنب بن عتاب الرياحي،
وبحير بن عبد الله بن سلة العامري بعكاظ، فقال بحير لقعنب: ما فعلت فرسك البيضاء؟
قال نهى عندي وما سؤالك عنها؟ قال لأنها نجتك مني يوم كذا وكذا، فانكر قعنب ذلك
وتلاعنا وتداعيا ان يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق فكثا ماشاء الله، وجمع بحير
بني عامر وسار بهم، فاغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم بارم الكلبة وهم خلوف،
فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالا شديدا، وأتى الصريح بن العنبر بن عمرو بن تميم،
وبني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبني يربوع بن حنظلة، فركبوا

(۱) وفي قتله يقول عنتره

وغادرنا حكبا في مجال صريما قد سلبناه الازارا

وحكيم هذا قتل وهو يرنجز:

كل امرئ مصبح في أهله والموت ادنى من شرك نعله

وبه تمثل ابو بكر لما اصابته حمى المدينة المشهورة بها واذهبها الله عنهم بركة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم. الادارة (۲) اى قطعت (۳) البراجم قوم من تميم، قال ابو عبيدة: خمسة من اولاد حنظلة
ابن مالك بن عمرو بن تميم يقال لهم البراجم اه صحاح (۴) جمع شطن وهو جبل البثر*

(۴۹۲ - ج ۱ الكامل)

في الطلب فتقدمت عمرو بن تميم فلما انتهى بحير الى المروت قال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئاً؟ قالوا: نرى خيلاً عارضةً رماحها على كواهل خيلها قال: هذه عمرو بن تميم وليست بشيء، فلحق بهم بنو عمرو فقاتلوهم شيئاً من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير، ثم قال يا بني عامر انظروا هل ترون شيئاً؟ قالوا: نرى خيلاً ناصبةً رماحها قال: هذه مالك ابن حنظله وليست بشيء، فلحقوا فقاتلوا شيئاً من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير، وقال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئاً؟ قالوا: نرى خيلاً ليست معهما رماح وكاتمات عليها الصبيان قال هذه يربوع رماحها بين آذان خيلها إياكم والموت الزؤام فاصبروا ولا أرى أن تنجو، فكان أول من لحق من بني يربوع الواقعة وهو نعيم بن عتاب - وكان يسمى الواقعة لبليته - فحمل على المثلم القشيري فأسره، وحملت قشير على دو كس بن واقد ابن حوط: فقتلوه وأسر نعيم المصفي القشيري فقتله، وحمل كدام بن بجيلة المازني على بحير فعانقه ولم يكن لقعب همة إلا بحير فنظر اليه والى كدام قد تعانقا فاقبل نحوها فقال كدام يا قعب أسيري فقال قعب مازرأسك والسيف، يريد يامازني فخلى عنه كدام وشد عليه قعب. فضربه فقتله (١) وحمل قعب أيضاً على صهبان وأم صهبان مازنية فأسره، فقالت بنو مازن: يا قعب قتلت أسيرنا فاعطنا ابن أخينا مكانه فدفع اليهم صهبان في بحير فرضوا بذلك، واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا.

﴿ بحير ﴾ بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة *

(١) وفي ذلك يقول يزيد بن الصمق يرثي بحيراً:

اواردة على بنو رباح بفخرهم وقد قتلوا بحيراً

فاجابته العوراء من بني سليطة بن يربوع وهي تقول:

قميدك يا يزيد أباقيس اتنذركي تلاقينا الندورا
وتوضع حجر الركبان انا وجدنا في مراسم الحرب خورا
الم تعلم قميدك يا يزيد باننا نقمع الشيخ الفجورا
ونفقاً ناظره ولا نبالي ونجمل فوق هامته الدرورا
فأباغها ان عرضت بني كلاب فانا نحن اقمصنا بحيرا
وضرنا عبدة بالموالي فاصبح موثقا فينا اسيراً
أخراً في الخلاء بنير فخر وعند الحرب خوارا ضجورا

فذكرته بما نذر من قعب وان الله استجاب دعاءهما فقتل بسيف قعب. الادارة *

﴿ يوم فيف الريح ﴾

وهو بين عامر بن صعصعة والحارث بن كعب. وكان خبره ان بنى عامر كانت تطلب بنى الحارث بن كعب بأوتار كثيرة، فجمع لهم الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي وهو ذو النصة واستعان بجمعة زيد. وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء، ونهد، وخنثم وشهران، وناهس. ثم أقبلوا يريدون بنى عامر وهم متجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مذحج النساء والذرايرى حتى لا يفروا فاجتمعت بنو عامر، فقال لهم عامر بن الطفيل: أغيروا بنا على القوم، فاني أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم؛ فاجابوه الى ذلك؛ وساروا اليهم فلما دنوا من بنى الحارث ومذحج ومن معهم أخبرتهم عيونهم، وعادت اليهم مشايخهم فحذروا، فالتقوا فاقتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام يعادونهم^(١) القتال بفيف الريح. فالتقى الصميل بن الأعور الكلابي وعمرو بن صبيح النهدي فطعنه عمرو، فاعتنق الصميل فرسه وعاد، فلقبه رجل من خنثم فقتله وأخذ درعه وفرسه، وشهدت بنو نمير يومئذ مع عامر بن الطفيل فابلوا بلاء حسنا وسموا ذلك اليوم حريجة الطعان لانهم اجتمعوا برماحهم فصاروا بمنزلة الحرجة وهي شجر مجتمع * وسبب اجتماعهم أن بنى عامر جالوا جولة الى موضع يقال له العرقوب والتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بنى نمير فوجدهم قد تخلفوا في المعركة فرجع وهو يصيح يا صباحاه يا نميراه ولا نمير لي بعد اليوم حتى اقتحم فرسه وسط القوم، فقويت نفوسهم، وعادت بنو عامر وقد طعن عامر بن الطفيل ما بين ثغرة نحره إلى سرتة عشرين طعنة وكان عامر في ذلك اليوم يتعهد الناس فيقول: يافلان مارأيتك فعلت شيئا فمن أبلي فليرني سيفه أو رمحه، ومن لم يبل شيئا تقدم فأبلي، فكان كل من أبلي بلاء حسنا أتاه فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه، فأتاه رجل من الحارثيين اسمه مسهر، فقال له: يا أبا علي انظر ما صنعت بالقوم؟ انظر الى رمحي فلما أقبل عليه عامر لينظر وجاءه بالرمح في وجنته ففلقها وبقأ عينه وترك رمحه وعاد إلى قومه، وانما دعاه إلى ذلك مارآه يفعل بقومه فقال: هذا والله مبير قومي فقال عامر بن الطفيل:

أتونا بشهران العريضة كلها * واكلب طرافي جياذ السنور^(٢)
لعمرى وما عمرى على بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

(١) وفي نسخة يعادونهم (٢) قال في القاموس السنور كحزور لبوس من قد كالدرع وجملة السلاح

فبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا * جباناً وما أغى لدى كل محضر
وأسرت بنو عامر يومئذ سيد مراد جريحا فلما برأ من جراحته أطلق، ومن أبلي
يومئذ أر بد بن قيس بن حر بن خالد بن جعفر، وعبيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر،
وقال ليبد بن ربيعة ويقال انها لعامر بن الطفيل :

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا * يبت عن قرى أضيافه غير غافل
أعاذل لو كان البداد لقبولوا * ولكن أتانا كل جن وخابل
وخثعم حتى يعدلون بمدحج * فهل نحن الا مثل احدى القبائل
وأسرع القتل في الفريقين جميعاً ثم انهم افرقوا ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة
وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر *

﴿ يوم اليحاميم ويعرف أيضا بقارات حوق ﴾

وهو بين قبائل طيء بعضها في بعض، وكان سبب ذلك ان الحرث بن جبلة الغساني
كان قد أصلح بين طيء فلما هلك عادت الى حربها، فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال
له غرثان، فقتل قائد بني جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة
ابن لأم وأخذ رجل من سنبس يقال له مصعب أذنيه فخصف بهما نعليه، وفي ذلك يقول
أبوسرة السنبي :

نخصف بالأذان منكم نعالنا * ونشرب كرها منكم في الجماجم
وتناقل الحيان في ذلك اشعارا كثيرة وعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد
ابن لأم وعزم على لقاء الحرب بنفسه و كان لم يشهد الحروب المتقدمة هو ولا أحد من
رؤساء طيء كحاتم بن عبدالله وزيد الخيل وغيرهم من الرؤساء، فلما تجهز أوس للحرب
وأخذ في جمع جديلة ولفها قال أبو جابر :

أقيموا علينا القصد يا آل طيء * والا فان العلم عند التحاسب
فمن مثلنا يوما اذا الحرب شممت * ومن مثلنا يوما اذا لم نحاسب
فان تقطعيني أو تریدی مساءتي * فقد قطع الخوف المخوف ركابي
وبلغ الغوث جمع أوس لها وأوقدت النار على مناع وهي ذرورة اجأ وذلك أول يوم
توقد عليه النار فاقبلت قبائل الغوث كل قبيلة وعليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم،

واقبلت جدیلة مجتمعمة علی اوس بن حارثة بن لام، وحلف اوس أن لا یرجع عن طی حتى ینزل معها جلیها أجاوسلی وتجبی له أهلها وتزاحفوا والتقوا بقارات حوق علی رایاتهم فاقتلوا قتالا شديدا ودارت الحرب علی بنی کباد بن جندب فايروا، قال عدی بن حاتم: انی لو اقف یوم الیحامیم والناس یقتلون إذ نظرت الی زید الخیل قد حضر ابنه مکنفا وحرثانی شعب لا منفله وهو یقول ای ابنی أبقیا علی قومکما فان الیوم یوم التفانی فان یکن هؤلاء أعماما فهؤلاء أخوال فقلت کأنک قد کرهت قتال أخوالک قال فاحمرت عیناه غضبا وتناول الی حتی نظرت الی ماتحته من سرجه نخفته فضربت فرسی وتنحیت عنه واشتغل بنظره الی عن ابنه فخرجا کالصقرین، وحمل قیس بن عازب علی بحیر بن زید الخیل ابن حارثة بن لام فضربه علی رأسه ضربة عنق لها بحیر فرسه وولی فانهزمت جدیلة عند ذلك وقل فیها قتل ذریع، فقال زید الخیل:

بجیء بنی لام جیاد کأنها عصاب طیر یوم طل وحاصب
فان تنج منها لا یزل بک شامة انا حیا بین الشجا والترائب
وفر ابن لام واتقانا بظهره یردعه بالرحم قیس بن عازب
وجاءت بنو معن کأن سیوفهم مصایح من سقف فلیس بآیب
وما فرحتی أسلم بن حمارس لوقعة مصقول من البیض قاضب

فلم تبق لجدیلة بقیة للحرب بعد یوم الیحامیم فدخلوا بلاد کلب فخالقوهم وأقاموا معهم *

* یوم ذی طلوح *

وهو یوم الصمد ویوم أود أيضا وهو بین بکر وتمیم، وکان من حدیثه ان عمیره بن طارق بن ارقم الیربوعی التیمی تزوج امریة بنت جابر العجلی أخت أبجر، وسار الی عجل لیبتی باهله. وکان له فی بنی تمیم امرأة أخرى تعرف بابنة النطف من بنی تمیم، فأتی أبجر اخته یزورها وزوجها عندها، فقال لها أبجر: انی لا رجوان آتیک بابنة النطف امرأة عمیره، فقال له: ما أراک تبقى علی حتی تسلبنی أهلی فندم أبجر، وقال له: ما کنت لأغزو قومک ولکنی متأسر فی هذا الحی من تمیم، وجمع أبجر والخوفزان ابن شریک الشیبانی، الخوفزان علی شیبان وأبجر علی اللهازم، ووکلا بعمیره من یحرسه لتلا یأتی قومه فینذرهم، فسار الجیش فاحتال عمیره علی الموکل بحفظه، وهرب منه وجد السیر الی ان وصل الی بنی یربوع، فقال لهم قد غزا کم الجیش من بکر بن وائل،

فاعلموا بني ثعلبة بطنامنهم، فارتسلوا طليعة منهم فبقوا ثلاثة أيام، ووصلت بكر فركبت
يربوع، والتقوا بندي طلوح فركب عميرة ولقى أبحر فعرفه نفسه والتقى القوم
واقتلوا فكان الظفر ليربوع، وانهمت بكر واسر الحوفزان وابنه شريك وابن عنمة
الشاعر^(١) وكان مع بني شيبان فاقتكهم متم بن نويرة وأسر أكثر الجيش البكري، وقال
ابن عنمة يشكر متما:

جزى الله رب الناس غني متما * بخير الجزاء ما أعف واجودا
اجيرت به ابناؤنا ودماؤنا * وشارك في اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل إني لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال سرمدا

* يوم أقرن *

قال أبو عبيدة: غزا عمرو بن عمرو بن عدس التميمي بني عبس، فاخذابهم واستاق
سبيهم وعاد حتى إذا كان أسفل ثنية أقرن نزل وابتني بجارية من السبي، ولحتمه الطلب
فاقتلوا قتالا شديدا، فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسي عمرا وابنه حنظلة، واستردوا
الغنيمة والسبي، فنعى جرير على بني دارم ذلك فقال:

أتسون عمرا يوم برقة أقرن * وحنظلة المقتول اذ هو يافعا
وكان عمرو أسلع أبرص وكان هو ومن معه قد أخطوا ثنية الطريق في عودهم
وسلكوا غير الطريق فسقطوا من الجبل الذي سلكوه فلقوا شدة، ففي ذلك يقول عنتر:
كان السرايا يوم نيق وصارة * عصائب طير ينتحين لمشرب
شفى النفس مني أو دنا لشفائها * تهورهم من حالق متصوب
وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقم * مراتب عمرو وسط نوح مسلّب
وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو من عبس فزاره خاله فقتله باييه، فقال في ذلك
مسكين الدارمي:

وقاتل خاله باييه منا * سماعة لم يبع نسبا بخال

(١) وقد ذكر ذلك جرير في قوله:

ولما لقينا خيل أبحر يدعى بدعوى لجيم قبل ميل العواتق
صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيا فنا تحت الظلال الخوافق
فلمارأوا أن لاهوادة عندنا دعوا بعد كرب يا عمير بن طارق

﴿ يوم السلان ﴾

قال أبو عبيدة كان بنو عامر بن صعصعة حمسا والحس قريش ومن له فيهم ولادة، والحس متشددون في دينهم، وكانت عامر أيضا لقاحا لا يدينون للماوك فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى ابرويز، وكان يجهز كل عام لطيمة، وهي النجارة لتباع بعكاظ عرضت بنو عامر لبعض ما جهزه، فاخذوه فغضب لذلك النعمان، وبعث الى أخيه لأمه وهو وبرة بن رومانس الكلبي، وبعث الى صنائعه - ووضائعه، والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغز به، والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ - وأرسل الى بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم، فجمعهم فاجابوه - فأتاه ضرار بن عمرو والضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف - وكان فارسا شجاعا - فاجتمعوا في جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرا وأمرهم بتسييرها، وقال لهم: اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم، فاقصم دوا بني عامر فانهم قريب بنواحي السلان فخرجوا وكتموا أمرهم، وقالوا: خرجنا لئلا يعرض أحد للطيمة الملك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم. فأرسل عبد الله بن جدعان قاصدا الى بني عامر يعلمهم الخبر، فسار اليهم وأخبرهم خبرهم، فحذروا وتهيؤا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون وعاد عامر عليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنة، وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان، فاقتلوا قتالا شديدا فبينما هم يقتلون اذ نظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق الى وبرة بن رومانس أخى النعمان فأعجبه هيئته فحمل عليه فأسره فلما صار في أيديهم هم الجيش بالهزيمة، فنهاهم ضرار بن عمرو والضبي. وقام بامر الناس فقاتل هو وبنوه قتالا شديدا فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه وكان أبو براء رجلا شديدا الساعد، فلما حمل على ضرار اقتتلا فسقط ضرار الى الأرض وقاتل عليه بنوه حتى خلسوه وركب، وكان شيخا فلما ركب قال: من سره بنوه ساءتة نفسه فذهبت مثلا، يعنى من سره بنوه اذا صاروا رجالا كبر وضعف، فساء ذلك وجعل أبو براء يلح على ضرار طمعا في فدائه وجعل بنوه يحمونته فلما رأى ذلك أبو براء قال له اتموتن أو لا موتن دونك فاحلني على رجل له فداء فاوما ضرار الى حبيش بن دلف، وكان سيديا فحمل عليه أبو براء فأسره. وكان حبيش أسود نحيفا دميما فلما رآه كذلك ظنه عبدا وان ضرارا خدعه فقال انا لله أعزز سائر القوم إلا في الشوم وقعت فلما سمعها حبيش

منه خاف ان يقتله ، فقال : أيها الرجل ان كنت تريد اللبن يعني الابل فقد أصبته ، فافتدى نفسه باربعائة بعير ، وهزم جيش النعمان فلما رجع الفل^(١) إليه أخبروه بأسر أخيه وقيام ضرار بأمر الناس وما جرى له مع أبي براء وافتدى وبرة بن رومانس نفسه بالف بعير وفرس من يزيد بن الصعق . فاستغني يزيد وكان قبله خفيف الحال ، وقال لبيد

إني امرؤ منعت أرومة عامر ضيماً وقد حنقت على خصوم

يقول فيها

وغداة قاع القريتين أتاهم رهوا^(٢) يلوح خلالها التسويم

بكتائب رجح تعود ككباشها نطح الكباش كأنهن نجوم

قوله قاع القريتين يعني يوم السلان * جيش بن دلف * بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة وبالياء المثناة من تحتها نقطتان و آخره شين معجمة *

* يوم ذى علق *

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بنى علق فاقتلوا قتالا عظيماً قتل في المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري أبو لييد الشاعر ، وانهزمت عامر فقبهم خالد بن نضلة الاسدي وابنه حبيب والحرث بن خالد بن المضلل ، وأمعنوا في الطلب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم أبو براء عامر بن مالك من وراء ظهورهم في نفر من اصحابه فقال لخالد : يا ابا معقل ان شئت أجزتنا وأجزناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلتنا قال قد فعلت فتواقفوا فقال له أبو براء : هل علمت ما فعل ربيعة ؟ قال نعم تر كته قتيلا قال ومن قتله ؟ قال : ضربته أنا وأجهز عليه صامت بن الاققم ، فلما سمع أبو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه ، فمانعهم خالد وصاحبه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ولحقهم بنو أسد فمنعوا أصحابهم وحموهم فقال الجميع :

سائل معدا عن الفوارس لأوفوا بجيرانهم ولا سلموا

يسعى بهم قرزل ويستمع الناس اليهم وتنفق اللمم

ركضا وقد غادروا ربيعة في الآ نار لما تقارب النسم

في صدره صعدة ويخلجه بالرمح حران باسلا أضم

(١) اي المنهزمون يستوى فيه الواحد والجمع (٢) الرهو المكان المرتفع والمنخفض ضد

قرزل فرس الطفیل والد عامر بن الطفیل، وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه:
ولامن ربيعة المقترين وريته بذي علق فاقى حياك واصبري

* يوم الرقم *

قال أبو عبيدة: غزت عامر بن صعصعة غطفان ومع بني عامر يومئذ عامر بن الطفيل شابا لم يرأس بعد، فبلغوا وادي الرقم وبه بنو مرة بن عوف بن سعد ومعهم قوم من أشجع ابن ذئب بن غطفان وناس من فزارة بن ذبيان، فذروا بني عامر وهجمت عليهم بنو عامر بالرقم وهو واد بقرب تضرع فالتقوا فاقتلوا قتالا شديدا، فاقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها فقالت: أنا أسماء بنت نوفل الفزارية، وقيل: كانت أسماء بنت حصن بن حذيفة، فبينا عامر يسألهما خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرة في أعقابهم، فلما رأى ذلك عامر ألقى درعه إلى أسماء وولى منهزما فأدتها إليه بعد ذلك، وتبعتهم مرة وعليهم سنان بن حارثة بن أبي حارثة المري وجعل الأشجعيون يذبحون كل من أسروه من بني عامر لوقعة كانت أوقعها بهم بنو عامر فذلك البطن من بني أشجع يسمون بني مذحج، فذبحوا سبعين رجلا منهم فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفان ويعرض بأسماء:

قد ساءلت أسماء وهي خفية * لضحائها أطردت أم لم أطرده

فلا تبغينكم القنا وعوارضا * ولا قبلن الخيل لابة ضرغدا^(١)

ولا برزن بمالك وبمالك * واخى المرورات الذي لم يسند

في آيات عدة فلما بلغ شعره غطفان هجاه منهم جماعة وكان نابغة بن ذبيان حينئذ غائبا عند ملوك غسان قد هرب من النعمان فلما آمنه النعمان وعاد سأل قومه عما هجوا به عامر ابن الطفيل فأنشدوه ما قالوا فيه وما قال فيهم فقال: لقد أخشتم وليس مثل عامر يهجي بمثل هذا، ثم قال يخطيء عامر في ذكره امرأة من عقائلهم

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب

فانك سوف تحلم أو تباهي * اذا ماشبت أو شاب الغراب

فكن كايك أو كابي براه * توافقك الحكومة والصواب

فلا تذهب بحملك طامثا^(٢) * من الخيلاء ليس لهن باب

(١) جبل أو حرة لغطفان (٢) أي فاسدات دنسات

(٣٠٠ - ج ١ الكامل)

الى آخرها فلما سمعها عامر قال ما هجيت قبلها (١) *

﴿ يوم ساحوق ﴾

قال أبو عبيدة: غزت بنو ذبيان بني عامر وهم بساحوق وعلى ذبيان سنان بن أبي حارثة المدي وقد جهزهم وأعطاهم الخيل والابل، وزودهم فاصابوا نعا كثيرة وعادوا، فلحقهم بنو عامر واقتلوا قتالا شديدا، ثم انهزمت بنو عامر وأصيب منهم رجال وركبوا الفلاة فهلك أكثرهم عطشا وكان الحر شديدا وجعلت ذبيان تدرك الرجل منهم، فيقولون له: قف ولك نفسك وضع سلاحك فيفعل وكان يوما عظيما على عامر وانهزم عامر بن الطفيل وأخوه الحكم ثم ان الحكم ضعف وخاف ان يؤسر فجعل في عنقه جبلا وصعد إلى شجرة وشده ودلى نفسه فاختنق (٢) وفعل مثله رجل من بني غني، فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب فادر كوه وخلصوه وعيروه بجزعه، وقال عروة بن الورد العبي في ذلك:

ونحن صبغنا عامرا في ديارها * علالة (٣) ارماع وضربا مذكرا
بكل رقاق الشفرتين مهند * ولدن من الخطى قد طراسمرا
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم * ومقتلهم إذ يلتقى (٤) كان أعذرا

﴿ يوم أعيار و يوم النقيعة ﴾

كان المثلث بن المشجر العائذي ثم الضبي مجاورا لبني عبس فتقامر هو وعمارة بن زياد وهو أحد الكلمة فقمرة عمارة حتى اجتمع عليه عشرة أبكر فطلب منه المثلث أن يخلى عنه حتى يأتي أهله فيرسل اليه بالذي له فأبى ذلك فرهنه ابنه شرحاف بن المثلث، وخرج المثلث فأتى قومه فاخذ البكارة فأتى بها عمارة وافتك ابنه فلما انطلق بابنه قال له في الطريق: يا أبتاه من معضال؟ قال: ذلك رجل من بني عمك ذهب فلم يوجد الى الساعة قال شرحاف، فاني قد عرفت قاتله قال أبوه: ومن هو؟ قال عمارة بن زياد سمعته يقول للقوم يوما وقد أخذ فيه الشراب انه قتله ولم يلق له طالبا، ولبثوا بعد ذلك حيناً وشب شرحاف، ثم ان عمارة جمع جمعا عظيما من عبس، وأغار بهم على بني ضبة فاخذوا إبلهم وركبت بنوضبة

(١) وذ كر ابن عبدر به أن قسا منهم قطع المعش أعناقهم والحكم بن الطفيل بمنق نفسه خشية المثلة: وسيأتي ذكر المؤلف الحكاية في وقعة ساحوق. الادارة (٢) قد علمت ان ابن عبدر به ذكر ذلك في وقعة الرقم. الادارة (٣) العلالة. احلب بعد الفيقة الاولى (٤) وفي العقد: ومقتلهم تحت الوغى كان اجدرا

فادر كوهم في المرعى ، فلما نظر شرحاف الى عمارة ، قال يا عمارة أتعرفني ؟ قال من أنت ؟ قال
انا شرحاف أد إلى ابن عمي معضالا لامثله يوم قتلته ، وحمل عليه فقتله . واقتلت ضبة
وعبس قتالا شديدا واستنقذت ضبة الابل ، وقال شرحاف :

ألا أبلغ سراة بني بغيض * بما لاقت سراة بني زياد
وما لاقت جذيمة إذ تحامى * وما لاقى الفوارس من بجاد
تركنا بالنقيعة آل عبس * شعاعا يقتلون بكل واد
وما إن فاتنا إلا شريد * يؤم القفر في تيه البلاد
فسل عنا عمارة آل عبس * وسل وردا وما كل بداد
تركتم بوادي البطن رهنا * لسيدان^(١) القرارة والجلاد

﴿ يوم النباة ﴾

قال أبو عبيدة: خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك بئارها يوم الرقم و يوم ساحوق
فصادفت بني عبس وليس معهم أحد من غطفان ، وكانت عبس لم تشهد يوم الرقم ولا
يوم ساحوق مع غطفان ولم يعينوهم على بني عامر . وقيل: بل شهدا أشجع وفزارة
وغيرهما من بني غطفان على ما نذكره قال: وأغارت بنو عامر على نعم بني عبس وذبيان
وأشجع فأخذوها ، وعادوا متوجهين الى بلادهم فضلوا في الطريق فسلكوا وادي النباة
فامعنوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره و كاد الجبلان يلتقيان اذا هم
بامرأة من بني عبس تخبط الشجر^(٢) لهم في قلة الجبل فسألوها عن المطلع فقالت لهم: الفوارس
المطلع ، وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهي على الجبل ولم يرها بنو عامر لأنهم في
الوادي فارسلوا رجلا الى قلة الجبل ينظر فقال لهم: أرى قوما كأنهم الصبيان على متون
الخيال أسنة رماحهم عند آذان خيلهم قالوا: تلك فزارة قال وأرى قوما أيضا جعادا كأن
عليهم ثيابا أحمر اقالوا تلك أشجع ، قال: وأرى قوما أنسورا قد قلعوا اخيولهم بيدادهم كأنهم يحملونها
حملا بانخاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجرونها قالوا: تلك عبس أتاكم الموت الزؤام .
ولحقهم الطلب بالوادي فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد دفقات القوم
وأعيا فرسه الورد وهو المربوق أيضا فعقره لثلا تفتحله فزارة ، واقتل الناس ودام
القتال بينهم وانهمزمت عامر فقتل منهم مقتلة كبيرة قتل فيها من أشرفهم البراء بن عامر

(١) جمع سيد بكسر السين وهو الذئب (٢) أي تضرب الشجر بالمصا يسقط ورقها

ابن مالك وبه يكنى أبوه، وقتل نهشل، وأنس، وهزار بنومرة بن انس بن خالد بن جعفر وقتلوا عبدالله بن الطفيل أبا عامر قتله الربيع بن زياد العبسي وغيرهم كثير، وتمت الهزيمة على بني عامر *

﴿ يوم الفرات ﴾

قال أبو عبيدة: أغار المثنى بن حارثة الشيباني وهو ابن أخت عمران بن مرة على بني تغلب وهم عند الفرات وذلك قبيل الاسلام فظفر بهم فقتل من أخذ من مقاتلتهم، وغرق منهم ناس كثير في الفرات وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه فقال شاعرهم في ذلك: وما الذي غشى الدليكة سيفه * على حين ان أعيا الفرات كتابه
وما الذي شد الركي ليستقى * ويسقى محضا غير ضاف جوانبه
وما غريب الشام لم ير مثله * أفك لعان قد تنأى أقاربه
﴿الدليكة﴾ فرس المثنى بن حارثة . والذي شد الركي مرة بن همام، وغريب الشام ابن القلوص بن النعمان بن ثعلبة *

﴿ يوم بارق ﴾

قال المفضل الضبي: ان بني تغلب والنمر بن قاسط وناسا من تميم اغتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق وهي من أرض السواد . وأرسلوا وفدا منهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح فاجتمعت شيبان ومن معهم ، وأرادوا قصد تغلب ومن معهم ، فقال زيد بن شريك الشيباني ان قد اجرت أخوالى وهم النمر بن قاسط فأمضوا جواره وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تصب تغلب بمثلها ، واقتسموا الأسرى والأموال ، وكان من أعظم الأيام عليهم قتل الرجال ونهب الأموال وسبي الحرير ، فقال أبو كلبه الشيباني:

وليلة بسعادي لم تدع سندا لتغلي ولا انفلا ولا حسبا
والنمريون لولا سر من ولدوا من آل مرة شاع الحى منتها

﴿ يوم طخفة ﴾

وهو لبني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر ، قال أبو عبيدة: وكان سبب هذه الحرب ان الرداقة وهي بمنزلة الوزارة وكان الرديف يجلس عن يمين الملك كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيرا عن كبير؛ فلما كان أيام النعمان ، وقيل أيام ابنه المنذر

سألها حاجب بن زرارة الدارمي التميمي النعمان ان يجعلها للحرث بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم أسفل طخفة فحيث امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسانا أخاه ابني المنذر: قابوس على الناس، وحسان على المقدمة وضم اليهم جيشا كثيفا منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم، فساروا حتى أتوا طخفة فالتقوا بهم ويربوع واقتلوا وصبرت يربوع وانهمزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسره، وأراد أن يجز ناصيته، فقال: ان الملوك لا تجز نواصيها فارسله. وأما حسان فأسره بشر بن عمرو بن جوين فمن عليه وأرسله، فعاد المنهمزون الى النعمان: وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك، فقال له: يا شهاب أدرك ابني وأخي، فان أدركتهما حين فلبي يربوع حكمهم وأرد عليهم رداقتهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيتهم الفى بعير، فسار شهاب فوجدتهما حين فأطلقتهما، ووفى الملك لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهم في رداقتهم، وقال مالك بن نويرة:

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما رأى القوم منه الموت والخيل تلجب^(١)
عليه دلاص^(٢) ذات نسج وسيفه جراز من الهندي أبيض مقضب
طلبنا بها إنا مداريك نيلها اذا طلب الشأو البعيد المغرب

﴿ يوم النباج وئيتل ﴾

قال أبو عبيدة: غزا قيس بن عاصم المنقري ثم التميمي مقاعس وهم بطون من تميم وهم صريم، وربيع، وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد. وغزاهم سلامة بن ظرب الحمانى فى الأحارث، وهم بطون من تميم أيضا: وهم حمان، وربيعة؛ ومالك، والأعرج بنو كعب بن سعد، فغزوا بكر بن وائل فوجدوا اللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات أبناء، ثعلبة بن عكاشة^(٢) بن صعيب بن على بن بكر بن وائل ومعهم بنو ذهل بن ثعلبة، وعجل ابن لجيم، وعنزة بن أسد بن ربيعة بالنباج وئيتل وبينهما روحة، فأغار قيس على النباج ومضى سلامة الى ئيتل ليغير على من بها، فلما بلغ قيس الى النباج سقى خيله ثم أراق ما معهم من الماء، وقال لمن معه قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم، فأغار على من به من بكر صباحا، فقاتلوهم قتالا شديدا وانهمزمت بكر وأصيب من غنائمهم مالا

(١) تعجل وتعطرب (٢) أى الدرع المساء الالية (٣) كذا فى الاصول وهو غلط والصواب كتابة

يحد كثرة، فلما فرغ قيس من النهب عاد مسرعا الى سلامة ومن معه نحو ثبتل، فادر كهم ولم يغر سلامة على من به فاغار عليهم قيس ايضا فقاتلوه وانهزموا؛ واصاب من الغنائم نحو ما اصاب بالنباج، وجاء سلامة فقال أغرتم على من كان لي فتنازعوا حتي كاد الشر يقع بينهم، ثم اتفقوا على تسليم الغنائم اليه ففى ذلك يقول ربيعة بن طريف (١) *

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فانت لنا عز عزيز ومقل
وانت الذي خويت بكر بن وائل * وقد عضلت بها النباج وثبتل (٢)

وقال قرّة بن زيد بن عاصم *

أنا ابن الذي شق المرار وقدرأى * بثبتل أحياء اللهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجحدوا إلا الأسته مصدرا
سقاهم بها الذيفان (٣) قيس بن عاصم * وكان اذا ما أورد الأمر أصدر
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من أعطافهن تحدرا (٤)
فلم يرها الراون إلا فجاة * ثرن عجاجا كاللواخن أكدرا
وحران أدته الينا رماحنا * فنازع غلافي ذراعيه أسمرا (٥)

* ثبتل * بالثاء المثناة المفتوحة والياء المسكنة المثناة من تحتها والياء المثناة من فوقها *

* (يوم فلج) *

قال أبو عبيدة: هذا يوم لبكر بن وائل على تميم، وسببه أن جمعا من بكر ساروا الى الصعاب، فشتوا بها فلما انقضى الربيع انصرفوا، فمروا بالدو (٦) فلقوا ناسا من بني تميم من بني عمرو وحنظلة. فأغاروا على نعم كثير لهم ومضوا، واتي بني عمرو وحنظلة، الصريخ فاستجاشوا لقومهم، فاقبلوا في آثار بكر بن وائل فساروا يومين وليلتين حتي جهدهم السير وانحدروا في بطن فلج وكانوا قد خلفوا رجلين على فرسين سابقين

(١) كذا في الأصول وفي العقد الفريد ربيعة بن طريف (٢) وبعده:

غدا وغدت يا آل شيدان اذ رأات كراديس يزجيهن ورد محجل

وذلت عقاب الموت تهفو عليهم وشعث النواصي لجهن تصلصل

فما منكم أبناء بكر بن وائل لغارتنا إلا ركوب مدلل

(٣) الذيفان السم الناقع أو القاتل (٤) في العقد الفريد يقدم هذا البيت على الذي قبله (٥) وبتدلك

وجشاة الدهلي قدناه عنوة الى الحى مصفود اليدين مفكرا

وهذا يدل على انهم أخذوا منهم أسارى أيضا. الادارة (٦) هي الصحراء الواسعة

ريثة ليخبراهم بخبرهم ان ساروا اليهم فلما وصلت تميم الى الرجلين اجرا يفرسيهما وسارا مجدين ، فأنذرا قومهما ، فاتاهم الصريخ بمسير تميم عند وصولهم الى فلج ، فضرب حنظلة ابن يسار العجلي قبه ونزل ، فنزل الناس معه وتهيؤا للقتال معه ، ولحقت بنو تميم فقاتلتهم بكر بن وائل قتالا شديدا ، وحمل عرجة بن بجير العجلي على خالد بن مالك بن سلمة التميمي فطعنه وأخذه أسيرا ، وقتل في المعركة ربيعي بن مالك بن سلمة . فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت ، ثم ان عرجة أطلق خالد بن مالك وجز ناصيته فقال خالد :

وجدنا الردف رفد بني لجيم * اذا ما قلت الارفاد زادا
هو ضربوا القباب بيطن فلج * وذادوا عن محارمهم ذيادة
وهم منوا على وأطلقوني * وقد طاوعت في الجنب القيادة
ألسواخير من ركب المطايا * وأعظمهم اذا اجتمعوا رمادا
أليس هو عماد الحى بكرا * اذا نزلت مجللة شدادا

وقال قيس بن عاصم يعير خالدا :

لو كنت حرا يا ابن سلمي بن جندل * نهضت ولم تقصد لسلمي بن جندل
فما بال أصداء بفلج غربية * تنادى مع الأطلال يا لابن حنظل
صوادي لا مولى عزيز يجيها * ولا أسرة تسقى صداها بمنهل
وغادرت ربعا بفلج ملحبا^(١) * وأقبلت في أولى الرعيل المعجل
تؤامل من خوف الردى لا وقته * كما نالت الكدراء من حين أجدل

يعيره حيث لم يأخذ بثار أخيه ربيعي ومن قتل معه يوم فلج ويقول: ان أصداءهم تنادى ولا يسقيها أحد على مذهب الجاهلية ولولا التطويل لشرحناه أبين من هذا *

﴿ يوم الشيطان^(٢) ﴾

قال أبو عبيدة: كان الشيطان لبكر بن وائل ، فلما ظهر الاسلام في نجد سارت بكر قبل السواد وبقى مقاييس بن عمرو العائذي بن عائذة من قریش حليف بني شيبان بالشيطان ، فلما أقامت بكر في السواد لحقهم الوباء والطاعون الذي كان أيام كسرى شيرويه ، فعادوا هاربين فنزلوا العلع وهي مجدبة ، وقد أخصب الشيطان فسارت تميم، فنزلوا بها

(١) اللعاب كالمعظم هو الذي يودأ ويداس (٢) هوثنية شيط ككيس موضع بالعمان

وبلغت أخبار خصب الشيطان الى بكر فاجتمعوا، وقالوا: نغير على تميم، فان في دين ابن عبد المطلب يعنون النبي ان من قتل نفسا قتل بها فغير هذه الغارة، ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذراري والاموال ورئيسهم بشر بن مسعود بن قيس بن خالد فأتوا الشيطان في أربع ليال والذي بينهما مسيرة ثمان ليال فسبقوا كل خبر حتي صبحوهم وهم لا يشعرون، فقاتلوهم قتالا شديدا، وصبرت تميم، ثم انهزمت فقال رشيد ابن رميض العنبري يفتخر بذلك:

وما كان بين الشيطان ولعلع لنسوتنا إلا مناقل أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله يكاد له ظهر الوديعة يطلع
بأرعن دهم تنسل البلق وسطه له عارض فيه المنية تلعب
صبحنا به سعدا وعمر او مالكا فظل لهم يوم من الشر أشنع
وذا حسب من آل ضبة غادروا بجري كما يجري الفصيل المفزع
تقصع يربوع بسرة أرضنا وليس ليربوع بها متقصع

ثم ان النبي ﷺ كتب الى بكر بن وائل على ما بأيديهم * (الشيطان) * بالشين المعجمة والياء المشددة المثناة من تحتها وبالطاء المهملة آخره نون *

* أيام الأنصار وهم الأوس والخزرج التي جرت بينهم *
الأنصار لقب قبيلتي الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مز يقيا
ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن
ابن الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان، لقبهم به رسول الله ﷺ لما هاجر اليهم، ومنعوه ونصروه، وأم الأوس
والخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد ولذلك يقال لهم ابنا قيلة، وانما لقب ثعلبة
العنقاء لطول عنقه، ولقب عمرو مز يقيا لأنه كان يمزق عنه كل يوم حلة لثلا يلبسها
أحد بعده، ولقب عامر ماء السماء لسماخته وبذله كأنه ناب مناب المطر، وقيل لشرفه،
ولقب امرؤ القيس البطريق لأنه اول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد
بلقيس فبطرقه رجبم بن سليمان بن داود عليه السلام فليل له: البطريق (١) وكانت

(١) تسميته بالبطريق ليس من لغة اليهود فلا بد أن تكون التسمية رومانية والرومان لم يكن بينهم وبين الأوس والخزرج اتصال فكيف جاء هذا؟

مساكن الأزد بمأرب من اليمن إلى أن أخبر الكهان عمرو بن عامر مزيقياء أن سيل العرم يخرب بلادهم، ويغرق أكثر أهلها عقوبة لهم بتكذيبهم رسل الله تعالى (١) إليهم فلما علم ذلك عمرو باع ماله من مال وعقار، وسار عن مأرب هو ومن تبعه، ثم تفرقوا في البلاد فسكن كل بطن ناحية اختاروها، فسكنت خزاعة الحجاز، وسكنت غسان الشام، ولما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فيمن معه اجتازوا بالمدينة، وكانت تسمى يثرب فتخلف بها الأوس والخزرج ابنا حارثة فيمن معهما، وكان فيها قرى وأسواق وبها قبائل من اليهود من بني إسرائيل وغيرهم: منهم قريظة، والنضير، وبنو قينقاع وبنو ماسلة، وزعورا وغيرهم، وقد بنوا لهم حصونا يجتمعون بها إذا خافوا فزل عليهم الأوس والخزرج فابتنوا المساكن والحصون إلا أن الغلبة والحكم لليهود إلى أن كان من الفطيون ومالك بن العجلان ما ذكره ابن شاة الله تعالى، فعادت الغلبة للأوس والخزرج ولم يزلوا على حال اتفاق واجتماع إلى أن حدث بينهم حرب سمير على ما ذكره ابن شاة الله تعالى *

﴿ ذكر غلبة الأنصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل الفطيون ﴾

قد ذكرنا أن الاستيلاء كان لليهود على المدينة لما نزلها الأنصار، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن ملك عليهم الفطيون اليهودي، وهو من بني إسرائيل، ثم من بني ثعلبة، وكان رجلاً سوء فاجراً وكانت اليهود تدين له بأن لا تزوج امرأة منهم إلا دخلت عليه قبل زوجها، وقيل: إنه كان يفعل ذلك بالأوس والخزرج أيضاً، ثم إن اختل مالك بن العجلان السالمى الخزرجي تزوجت، فلما كان زفافها خرجت عن مجلس قومها وفيه أخوها مالك، وقد كشفت عن ساقها، فقال لها مالك: لقد جئت بسوء قالت: الذي يراد بي الليلة أشد من هذا أدخل على غير زوجي، ثم عادت فدخل عليها أخوها، فقال لها: هل عندك من خبر؟ قالت: نعم فما عندك؟ قال أدخل مع النساء فاذا خرجن ودخل عليك قتله قالت: افعل، فلما ذهب بها النساء إلى الفطيون انطلق مالك معهن في زى امرأة ومعه سيفه فلما خرج النساء من عندها ودخل عليها (٢) الفطيون قتله مالك وخرج هارباً، فقال بعضهم في ذلك من آيات:

(١) من هم أولئك الرسل؟ (٢) في النسخة الأميرية عليهن وهي خطأ

(٣٥١ - ج ١ الكامل)

هل كان للفطيون نعر نسائكم؟ * حكم النصيب فبئس حكم الحاكم
حتى جباه مالك بمرشة * حمراء تضحك عن نجيع قاتم
ثم خرج مالك بن العجلان هاربا حتى دخل الشام، فدخل على ملك من ملوك
غسان يقال له أبو جيلة واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم، وهو أحد بني غضب بن
جشم بن الخزرج، وكان قد ملكهم وشرف فيهم، وقيل: إنه لم يكن ملكا؛ وإنما كان
عظيما عند ملك غسان وهو الصحيح لأن ملوك غسان لم يعرف فيهم هذا وهو أيضا
من الخزرج على ما ذكر، فلما دخل عليه مالك شكاه إليه ما كان من الفطيون وأخبره
بقتله، وأنه لا يدرى على الرجوع، فعاهد الله أبو جيلة أن لا يمس طيبا ولا يأتي النساء
حتى يذل اليهود ويكون الأوس والخزرج أعز أهلها، ثم سار من الشام في جمع كثير
وأظهر أنه يريد اليمن حتى قدم المدينة فنزل بنى حرص، وأعلم الأوس والخزرج
ما عزم عليه، ثم أرسل إلى وجوه اليهود يستدعيهم إليه، وأظهر لهم أنه يريد الإحسان
اليهم فاتاه أشرافيهم في حشمتهم وخاصتهم، فلما اجتمعوا يبابه أمر بهم فدخلوا رجلا رجلا
وقتلهم عن آخرهم فلما فعل بهم ذلك صارت الأوس والخزرج أعز أهل المدينة فشاركوا
اليهود في النخل والدور، ومدح الرمق بن زيد الخزرجي أبا جيلة بقصيدة منها:

وأبو جيلة خير من * يمشى وأوفاه يمينا
وأبرهم برا وأعلمهم بهدى الصالحينا
أبقت لنا الأيام والسحرب المهمة تعترينا
كبشاله قرن يعرض حسامه الذكر السنينا

فقال له أبو جيلة: غسل طيب في وعاء سوء وكان الرمق رجلا ضئيلا، فقال الرمق:
إنما المرء باصغريه قلبه ولسانه، ورجع أبو جيلة إلى الشام ﴿ حرص ﴾ بضم الحاء والراء
المهملتين وآخره ضاد معجمة *

﴿ حرب سمير ﴾

ولم يزل الأنصار على حال اتفاق واجتماع، وكان أول اختلاف وقع بينهم وحرب كانت
لهم حرب سمير، وكان سببها أن رجلا من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له: كعب
ابن العجلان نزل على مالك بن العجلان السلمي، فخالفه وأقام معه، فخرج كعب يوما
إلى سوق بني قينقاع، فرأى رجلا من غطفان معه فرس وهو يقول: ليأخذ هذا الفرس

أعز أهل يثرب، فقال رجل فلان، وقال رجل آخر أحيحة بن الجلاح الأوسى، وقال غيرهما فلان ابن فلان اليهودى أفضل أهلها، فدفع الغطفاني الفرس إلى مالك بن العجلان، فقال كعب: ألم أقل لكم إن حليفى مالكا أفضلكم؟ فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له سمير، وشتمه وافترقا وبقى كعب ماشاء الله، ثم قصد سوقا لهم بقاء، فقصدته سمير ولازمه حتى خلا السوق فقتله، وأخبر مالك بن العجلان بقتله، فأرسل إلى بني عمرو بن عوف يطلب قاتله، فأرسلوا أنا لاندري من قتله وترددت الرسل بينهم: هو يطلب سميرا، وهم ينكرون قتله، ثم عرضوا عليه الدية قبلها، وكانت دية الحليف فيهم نصف دية النسب منهم فإبى مالك إلا أخذ دية كاملة وامتنعوا من ذلك وقالوا نعطي دية الحليف: وهى النصف ورجع الأمر بينهم حتى أتى إلى المحاربة فاجتمعوا والتقوا واقتلوا قتالا شديدا وافترقوا ودخل فيها سائر بطون الأنصار ثم التقوا مرة أخرى واقتلوا حتى حجز بينهم الليل وكان الظفر يومئذ للأوس فلما افترقوا أرسلت الأوس إلى مالك يدعونه إلى أن يحكم بينهم المنذر بن حرام النجارى الخزرجى جد حسان بن ثابت بن المنذر فاجابهم إلى ذلك فاتوا المنذر فحكم بينهم المنذر بان يدوا كعبا حليف مالك دية الصريح ثم يعودون إلى سنتهم القديمة فرضوا بذلك وحملوا الدية وافترقوا وقد شبت البغضاء فى نفوسهم وتمكنت العداوة بينهم *

﴿ ذكر حرب كعب بن عمرو المازني ﴾

ثم إن بني جحجبا^(١) من الأوس وبني مازن بن النجار من الخزرج وقع بينهم حرب كان سببها إن كعب بن عمرو المازني تزوج امرأة من بني سالم فكان يختلف إليها، فأمر أحيحة بن الجلاح سيد بني جحجبا جماعة فرصدوه حتى ظفروا به فقتلوه فبلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو فأمر قومه فاستعدوا للقتال وأرسل إلى بني جحجبا يؤذنههم بالحرب فالتقوا بالرحابة فاقتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو جحجبا ومن معهم وانهمز معم أحيحة فطلبه عاصم بن عمرو فأدركه وقد دخل حصنه فرماه بسهم فوقع فى باب الحصن فقتل عاصم أخا لأحيحة فكثروا بعد ذلك لىالى فبلغ أحيحة أن عاصم يتطلبه ليجد له غرة فيقتله فقال أحيحة:

(١) بجيم مفتوحة فحاء مهملة سا كنة فجيم مفتوحة آخره ألف مقصورة رة رسم هنا وفى الاغانى بالالف ورسمه صاحب القاموس بالياء، وهم حتى من الأنصار. الادارة

نبئت أنك جئت تسرى بين داري والقبابه
 فلقد وجدت بجانب الضحيان شبانا مهابه
 فيان حرب في الحديد وشامرين كأسد غابه
 هم نكبوك عن الطريق فبت تركب كل لابه
 أعصم لا تجزع فان الحرب ليست بالدعا به
 فانا الذي صبحتكم بالقوم اذ دخلوا الرحابه
 وقتلت كعبا قبلها وعلوت بالسيف الذوابه
 ﴿فاجابه عاصم﴾

أبلغ أحيحة ان عرضت بداره غني جوابه
 وانا الذي أعجلته عن مقعد ألهي كلابه
 ورميته سهما فاخ طاه واغلق ثم باباه

في أبيات، ثم ان أحيحة اجمع ان بيت بني النجار وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد
 النجارية، وهي أم عبد المطلب جد النبي ﷺ، فما رضيت، فلما جنها الليل وقد سهر معها
 أحيحة فنام، فلما نام سارت الى بني النجار فاعلمتهم^(١) ثم رجعت فحذروا وغدا أحيحة بقومه
 مع الفجر فلقبهم بنو النجار في السلاح فكان بينهم شيء من قتال وانحاز أحيحة وبلغه
 ان سلمى أخبرتهم فضر بها حتى كسر يدها وأطلقها^(٢) وقال أبياتا منها: ^(٣) *

(١) وأورد صاحب الأغاني تفصيل ذلك بأنها شدت ولدها عمرو بن أحيحة حتى آلمته فبقي يبكي وهي
 وأحيحة ساهران عليه الى معظم الليل فأرخت الشد فسكت الصبي وادعت وجع الرأس فمصبت رأسها وفي
 آخر الليل أعلمته أن صحتها تمسنت وقالت له قم فنام وعمات ذلك ليثقل رأسه فلما نام ربطت في الحصن
 جبلا فتدلت منه فسميت المتدلية. الادارة (٢) كذا في الأصول ولعلها وطلقها لان الطلاق معروف عند
 العرب قديما. الادارة (٣) وأول الأبيات فيه صراحة لما نقلناها وهي *

تفهم أيها الرجل الجهول ولا يذهب بك الرأي الويل
 فان الجهل محمله خفيف وان الحام محمله ثقيل
 اذا باتت أعصبها فنامت على مكانها الحمى الشمول
 لعل (عصابها) يبيئك حربا ويأتيهم بعمو رتك الدليل
 وقد أعددت لإحداثان أصلا لو أن المرء ينفقه العقول

و بعدها ما ذكره المصنف. وقد ذكر صاحب الأغاني هذين البيتين:

أخلق الربع من سعاد فأمسى ربه مخلقا كدرس الملاة

لعمرك أيك ما يغنى مكاني من الحلفاء آكلة غفول
 تووم لا تقلص مشمعلًا مع الفتیان مضجعه ثقیل
 تنزع للحيلة حيث كانت كما يعتاد لقحته الفصيل
 وقد اعددت للحدثان حصناً لو ان المرء ينفعه العقول
 جلاء القين ثمت لم تخنه مضاربه ولاطته فلول
 فهل من كاهن آوى اليه إذا ما حان من آل نزول
 يراهننى ويرهنى بنيه وارهنه بنى بما أقول
 فما يدري الفقير متي غناه وما يدري الغني متي يعيل
 وما تدري وان اجمعت أمرا بأى الارض يدركك المقييل
 وما تدري وان انتجت سقيا لغيرك أم يكون لك الفصيل
 وما ان اخوة كبروا واطابوا بياقية وأمهم هبول
 ستشكل أو يفارقها بنوها بموت أو يحيى لهم قتل

﴿ ذكر الحرب بين بني عمرو بن عوف وبنى الحرث وهو يوم السرارة ﴾*

ثم ان بنى عمرو بن عوف من الأوس وبنى الحرث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة، وكان سببها ان رجلا من بنى عمرو قتله رجل من بنى الحرث، فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة، فاستكشف أهله، فعملوا كيف قتل فتهيؤوا للقتال وأرسلوا الى بنى عمرو بن عوف يؤذنونهم بالحرب، فالتقوا بالسرارة، وعلى الأوس حضير بن سماك والد أسيد بن حضير، وعلى الخزرج عبد الله بن سلول أبو الحباب الذى كان رأس المناقنين، فاقتلوا قتالا شديدا صبر بعضهم لبعض أربعة أيام؛ ثم انصرفت الأوس الى دورها ففخرت الخزرج بذلك، وقال حسان بن ثابت فى ذلك:

فدى لبنى النجار أمى وخالتى * غداة لقوهم بالثقفة السمر
 وصرم من الأحياء عمرو بن مالك * اذا مادعوا كانت لهم دعوة النصر
 فوالله لا أنسى حياتى بلاءهم * غداة رموا عمراً بقاصمة الظهر

باليا بمدحاضر ذى انيس من سليمان اذ تغتدى كالمهاة

— الملاة الصحراء — وقال انها قصيدة طويلة لكنه لم يذكر سواها، وقال: يقال ان فى هذين البيتين منها غناء. الادارة *

﴿ وقال حسان أيضا ﴾

لعمر أليك الخير بالحق^(١) مانبا * على لساني في الخطوب ولايدي
لساني وسيفي صارمان كلاهما * ويبلغ مالا يبلغ السيف مذودي
فلا الجهد ينسيني حياتي وحفظتي * ولاوقعات الدهر يفلن مبردي^(٢)
أكثر أهلي من عيال سواهم * وأطوى على الماء القراح المبرد

﴿ ومنها ﴾

وإني لمنجاء المطى على الوجى * وإني لنزال لما لم أعود^(٣)
وإني لقوال لذي اللوث^(٤) مرحبا * وأهلا اذا ماريع من كل مرصد
وإني ليدعوني الندى فاجيبه * وأضرب بيض العارض المتوقد
فلا تعجلن ياقيس واربع فانما * قصارك أن تلقى بكل مهند
حسام وأرماع بايدي أعزة * متي ترهم ياابن الخطيم تلبد
أسودلدى الأشبال يحمى عرينها * مداعيس بالخطى في كل مشهد
وهي آيات كثيرة فاجابه قيس بن الخطيم *
تروح عن الحسناء أم أنت مغتدى * وكيف انطلاق عاشق لم يزود
ترايت لنا يوم الرحيل بمقلتي * شريد بملتف من الصدر مفرد
وجيد كجيد الريم^(٥) حال^(٦) يزينه * على النحر يا قوت وفص زبرجد
كأن الثريا فوق ثغرة نحرها * توقد في الظلماء أى توقد

(١) الذى فى ديوانه ياشعث بدل بالحق (٢) الذى فى ديوانه

فلا المال ينسينى حياتى وعفتى ولا واقعات الدهر يفلن مبردى

وقبله بيت تركه المصنف وهو

وان أك ذامال قليل اجده وان يهتصر عودى على الجهدى محمد

(٣) الذى فى ديوانه تقسيم هذا البيت الى بيتين وهما :

وانى لخلوتعتربنى مرارة وانى لتراك لما لم اعود

وانى لزوج للمطى على الوجى وانى لتراك الفراش المهد

والوجى الحناء (٤) اى مرتكب الجريمة وفى نسخة لديوان لى البث، أى الحزن والمعنى على الاثنى صحيح

الادارة (٥) الريم النزال (٦) وفى ديوان حسان صاف و بدل فص فصل وهو الاوجه لان الفص فى الخاتم لافى العنق

الا ان بين الشرعي ورايح (١) * ضرابا كتجديم السيال المعضد
لنا حائطان الموت أسفل منهما * وجمع متي يصرخ بيثرب يصعد
ترى اللابة السوداء يحمرّ لونها * ويسهل منها كل ربع وفدقد
فاني لا أغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضللا وليس بمهتد
نشا غمرا بورا شقيا ملعنا * الدكان رأسه رأس أصيد (١)
كثير المتي بالزاد لا صبر عنده * اذا جاع يوما يشتكه ضحى الغد
وذى شيمة عسراء خالف شيمتى * فقلت له دعني ونفسك أرشد
فما المال والاخلاق إلا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
متي ماتقد بالباطل الحق يابه * فان قدت بالحق الرواسى تنقد
اذا ماتت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتد
وهى طويلة * وقال عبيد بن ناقد :

لمن الديار كأنهن المذهب * بليت وغيرها الدهور تقلب
يقول فيها فى ذكر الوقعة :

لكن فرار أبي الحباب بنفسه * يوم السرارة سىء منه الاقرب
ولى وألقى يوم ذلك درعه * اذ قيل جاء الموت خلفك يطلب
فك منا بعد ما قد أشرعت * فيك الرماح هناك شد المذهب
وهى طويلة أيضا * وأبو الحباب هو عبد الله بن سلول *

﴿ حرب الحصين بن الاسلت ﴾

ثم كانت حرب بين بني وائل بن زيد الأوسيين وبين بني مازن بن النجار الخزرجيين

(١) هذا هو الصواب كما أورده ياقوت فى معجمه قال ابن حبيب الشرعي ورايح ومزاحم أطام بالمدينة
وهو لبني زعورا من الخزرج . والتجديم القطع قال فى القاموس جذمه — بالتضعيف — فأنجدم وتجدم
قطعه، والسيال كسحاب ما طال من السمير او هونبات له شوك ابيض طويل ، وفى الاصول.

الا ان بين السروعين ورايح ضرابا كتجديم السيال المعضد
وهو تحريف كما علمت. الادارة (٢) هكذا ورد فى الديوان ، والغمر من لم يجرب الامور، والبور الرجل الفاسد ،
والالد الخصم الشحيح الذى لا يزج الى الحق والاصيد هنا هو الذى يرفع رأسه كبيرا وقد جاء فى الاصول :

فنا عمرا ثورا شقيا مرهطا الدكان رأسه رأس أصيد

وهو لا معنى له وتحريف ظاهر . الادارة

وكان سيبهان الحصين بن الأسلت الأوسى الوائلى نازع رجلا من بني مازن فقتله الوائلى ثم انصرف الى أهله فتبعه نفر من بني مازن فقتلوه فبلغ ذلك أخاه أبا قيس بن الأسلت فجمع قومه وأرسل الى بني مازن يعلمهم انه على حربهم فتهيؤ للقتال ولم يتخلف من الأوس والخزرج أحد فاقتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا؛ وقتل أبو قيس ابن الأسلت الذين قتلوا أخاه ثم انهزمت الأوس فلام وحوح بن الأسلت أخاه أبا قيس وقال لا يزال منهزم من الخزرج: فقال أبو قيس لآخيه ويكنى أبا حصين:

أبلغ أبا حصن وبه ض القول عندي ذو كباره
ان بن أم المرء ليدس من الحديد ولا الحجارة
ماذا عليكم ان يكو نلكم بها رحلا عماره
يحمى ذماركم وبه ض القوم لا يحمى ذماره
يبي لكم خيرا وبذيان الكريم له آثاره

في آيات

* حرب ربيع الظفري *

ثم كانت حرب بين بني ظفر من الأوس وبين بني مالك بن النجار من الخزرج، وكان سيبها ان ربيعة الظفري كان يمر في مال لرجل من بني النجار الى ملك له، فمنعه النجارى فتنازعا فقتله ربيع فجمع قومه فاقتلوا قتالا شديدا كان أشد قتال بينهم، فانهزمت بنو مالك بن النجار، فقال قيس بن الخطيم الأوسى في ذلك:

أجد بعمره غيانها * فتهجر أم شاننا شانها
فان تمس شطت بهادارها * وباح لك اليوم هجرانها
فاروضة من رياض القطا * كأن المصايح حوذانها
باحسن منها: ولا نزهة * ولوج تكشف أديانها
وعمره من سروات النساء * ينفع بالمسك أردانها
* منها * ونحن الفوارس يوم الريع قد علوا كيف أديانها^(١)
جنونا لحرب وراء الصريخ حتى تقصد مرانها
تراهن يخلجن خلع الدلا * يبادر بالزوع أشطانها
وهي طويلة فأجابه حسان بن ثابت الخزرجى بقصيدة أولها *
لقد هاج نفسك أشجانها * وغادرها^(٢) اليوم أديانها

(١) في الاغانى بعده: حسان الوجوه حداد السيو ف يتدر المجد شبانها (٢) الذى في ديوانه وعاودها

﴿ومنها﴾

ويثرب تعلم أنا بها . * اذا التبس الحق ميزانها
ويثرب تعلم أنا بها * اذا أقحط القطر نواًها^(١)
ويثرب تعلم اذ حاربت * بأنا لدى الحرب فرسانها
ويثرب تعلم أن المبيت عند الهزاهز ذلانها

﴿ومنها﴾

متي ترنا الأوس فى بيضنا * نهز القنا تخب نيرانها
وتعطى المقاد على رغبها * وتنزل من الهام عصيانها^(٢)
فلا تفخرن والتمس ملجأ * فقد عاود الأوس أديانها

﴿حرب فارغ بسبب الغلام القضاعى﴾

ومن أيامهم يوم فارغ ، وسببه أن رجلاً من بنى النجار أصاب غلاماً من قضاة ثم من بلى ، وكان عم الغلام جاراً لمعاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسى والد سعد بن معاذ ، فأتى الغلام عمه يزوره فقتله النجارى ، فأرسل معاذ الى بنى النجار أن ادفعوا إلى دية جارى أو ابعثوا إلى بقاتله أرى فيه رأي فابوا أن يفعلوا ، فقال رجل من بنى عبد الأشهل والله إن لم تفعلوا لا نقتل به إلا عامر بن الاطنابة ، وعامر من أشراف الخزرج فبلغ ذلك عامراً فقال :

ألا من مبلغ الا كفاء غنى * وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكم وما ترجون شطرى * من القول المزجى والصریح
سيندم بعضكم عجلاً عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لى عزتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الريح
وإعطائى على المكروه مالى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات * وأحمى بعدُ عن عرض صحيح

(١) نواً جمع نوء وهو النجم مال الى الغروب أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله فى ساعته من الشرق (٢) كذا فى الأصول وهو كلام غير مفهوم ولعلها محرفة عن عقبانها

بذى شطب كلون الملح صاف * ونفس لا تقر على القبيح
 فقال الربيع بن أبي الحقيق اليهودى فى عراض قول عامر بن الاطنابة:
 ألا من مبلغ الأ كفاء عنى * فلا ظلم لى ولا اقترأ
 فلىست بغائظ الأ كفاء ظلما * وعندى للملامات اجزاء
 فلم أر مثل من يدنو لخصف * له فى الأرض سىر واستواء
 وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفى إلا عناء
 وبعض القول لى له علاج^(١) * كمحص الماء لى له إناء
 وبعض خلأق الأ قوام داء * كداء الشح لى له دواء
 وبعض الداء ملتمس شفاء * وداء النوك لى له شفاء
 يحب المرء أن ىلقى نعيما * وىأبى الله إلا ما ىشاء
 ومن ىك عاقلا لم ىلق بؤسا * ىنخ يوما بساحته القضاء
 تعاوره بنات الدهر حتى * ثلله كما ثلم الاناء
 وكل شدائد نزات بحى * سىأتى بعد شدتها رخاء
 فقل للبقى عرض المنايا * توق فلىس ىنفعك اتقاء
 فما ىعطى الحر ىص غنى بحرص * وقد ىنمى لى الجود الثراء
 ولىس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه الحباء
 غنى النفس ما استغنى بشىء * وفقر النفس ما عمرت شقاء
 ىود المرء ما تفد اللىالى * وكان فناؤهن له فناء

فلما رأى معاذ بن العمان امتناع بنى النجار من الدية أو تسليم القاتل اليه تهباً للحرب
 وتجهز هو وقومه؛ واقتتلوا عند فارع وهو أطم حسان بن ثابت، واشتد القتال بينهم ولم
 تزل الحرب بينهم حتى حمل ديتة عامر بن الاطنابة؛ فلما فعل صلح الذى كان بينهم؛ وعادوا
 الى أحسن ما كانوا عليه؛ فقال عامر بن الاطنابة فى ذلك:

صرمت ظليلة خلتى ومراسلى وتباعدت ضنا بزاد الراحل
 جهلا وما تدرى ظليلة انى قد أستقل بصرم غير الواصل

(١) كذا فى الأصول وهو غير مناسب والأنسب عناج - بالنون - ككتاب جبل يشد فى أسفل
 الدلو العظيمة يشد الى العراقى وقول لا عناج له - بالكسر - أرسل بلا روية

ذللر كابي حيث شئت مشيعي
 اظلم ما يدريك ربة خلة
 قد بت مال كها وشارب قهوة
 بيضاء صافية يرى من دونها
 وسرابها جرة قطعت اذا جرى
 أجد^(٢) مراحلها كأن عفاءها^(٣)
 فلنأكلن بنا جز من مالنا
 اني من القوم الذين اذا اتدوا
 المانعين من الخنى جيرانهم
 والخالطين غنيهم بفقيرهم
 والضارين الكبش يرق بيضه
 والعاطفين على المصاف خيولهم
 والمدركين عدوهم بذحولهم
 والقائلين معاً خذوا أقرانكم
 خزر عيونهم الى أعدائهم
 ليسوا بأنكاس ولا ميل إذا
 لا يطبعون وهم على أحسابهم
 والقائلين فلا يعاب خطيبهم

وانما أثبتنا هذه الآيات وليس فيها ذكر الواقعة لجودتها وحسنها *

* حرب حاطب *

ثم كانت الواقعة المعروفة بحاطب؛ وهو حاطب بن قيس من بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف الأوسي وبينها وبين حرب سمير نحو مائة سنة. وكان بينهما أيام ذرنا المشهور منها وتر كنا ما ليس بمشهور، وحرب حاطب آخر واقعة كانت بينهم الا يوم بُعث حتى جاء الله بالاسلام، وكان سبب هذه الحرب ان حاطبا كان رجلا شريفا سيدا

(١) كذافي الأصول ولم أقف له على معنى ولله محرف عن ترغمها والترغم التفضب و زناومعنى (٢) الاجد القوية

(٣) العفاء الشعر الطويل، يشبهه بريش ذكر النعام الساقط من كتفه اذ جفل

فأتاه رجل من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فزل عليه ، ثم انه غدا يوما الى سوق بني قينقاع فرآه يزيد بن الحرث المعروف بابن فُسْحَم^(١) وهي أمه وهو من بني الحرث بن الخزرج ، فقال يزيد لرجل يهودى لك ردائي أن كسعت^(٢) هذا الثعلبي ، فاخذ رداه و كسعه كسعة سمعها من بالسوق ، فنادى الثعلبي يا لحاطب كسع ضيفك وفضح ، وأخبر حاطب بذلك فجاء اليه ، فسأله من كسعه فإشار الى اليهودى ؛ فضر به حاطب بالسيف فلقى هامته فاخبر ابن فُسْحَم الخبر ؛ وقيل له قتل اليهودى قتله حاطب فاسرع خلف حاطب ؛ فأدركه وقد دخل بيوت أهله ؛ فلقى رجلا من بني معاوية فقتله فثارت الحرب بين الأوس والخزرج^(٣) واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردم بني الحرث بن الخزرج وكان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى ، وعلى الأوس حُضَيْر بن سماك الأشهلي ، وقد كان ذهب ذكر ما وقع بينهم من الحروب فيمن حولهم من العرب ، فسار اليهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وخيار بن مالك بن حماد الفزارى فقدا المدينة ، وتحدثا مع الأوس والخزرج فى الصلح ، وضمننا ان يتحملا كل ما يدعى بعضهم على بعض فابوا . ووقعت الحرب عند الجسر وشهدها عيينة وخيار ، فشاهدا من قتالهم وشدتها ما أيضا معه من الاصلاح بينهم ، فكان الظفر يومئذ للخزرج وهذا اليوم من أشهر أيامهم ، وكان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب فمنها *

* يوم الربيع *

ثم التقت الأنصار بعد يوم الجسر بالربيع وهو حائط فى ناحية السفح فاقتلوا قتالا شديدا حتى كاد يفني بعضهم بعضا فانهزمت الأوس وتبعها الخزرج حتى بلغوا دورهم وكانوا قبل ذلك اذا انهزمت إحدى الطائفتين فدخلت دورهم كفت الاخرى عن اتباعهم فلما تبع الخزرج الأوس الى دورهم طلبت الأوس الصلح فامتنعت بنو النجار من الخزرج عن إجابتهم فحصنت الأوس النساء والذرارى فى الآطام وهى الحصون ثم

(١) على وزن قنفذ (٢) كسعه أى ضربه برجليه على دبره (٣) وهكذا عادة اليهود وابعهم المعروف بالعداء لجميع شعوب العالم غير شعب اسرائيل فلا تحصل فتنة إلا وهم محرکوها ولا تقع مؤامرة إلا ولهم فيها يد ولا يثور نزاع إلا كانوا عاملا فيه كبير افهم وقف على الشر والفن والقلاقل ليستفيدوا جمع الثروة لأنهم يزعمون بل يمتقدون أن جميع ما فى الأرض من أمرا لى لهم فيتخذون كل وسيلة لجمعه وللأضرار بالناس كأنهم قد خلقوا بلاء على الانسانية ونعمة على راحة العباد فلا تستريح أمة وين ذهرانىها يهودى واحد . الادارة

کفت عنهم الخزرج فقال صخر بن سليمان البياضی :

ألا أبلغا عني سويد بن صامت ورهط سويد بلغا وابن الأسلت
بأنا قتلنا بالربيع سراتكم وأفلت مجروحاً به كل مفلت
فلولا حقوق في العشيرة إنها أدلت بحق واجب إن أدلت
لناهم منا كما كان نالهم مقانب خيل أهلكت حين حلت

فاجابه سويد بن الصامت :

ألا أبلغا عني صخيراً رسالة فقد ذقت حرب الأوس فيها ابن الأسلت
قتلنا سراياكم بقتلي سراتنا وليس الذي ينجو اليكم بمفلت

﴿ومنها يوم البقیع﴾

ثم التقت الأوس والخزرج ببقیع الغرقد فاقتلوا قتلاً شديداً فكان الظفر يومئذ
للأوس فقال عبيد بن ناقد الأوسی :

لما رأيت بني عوف وجمعهم * جاؤا وجمع بني النجار قد حفلوا
دعوت قومي وسهلت الطريق لهم * الى المكان الذي أصحابه حللوا
جادت بأنفسها من مالك عصب * يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا
وعاوروكم كؤوس الموت اذبرزوا * شطر النهار وحتى أدبر الاصل
حتى استقاموا وقد طال المراس بهم * فكلهم من دماء القوم قد نهلوا
تكشف البيض عن قتلى أولى رحم * لولا المسالم والأرحام ما نقلوا
تقول كل فتاة غاب قيمها * أكل من خلفنا من قومنا قتلوا
لقد قتلتم كريماً ذا محافظة * قد كان حالفه القينات والحلل
جزل نوافله - لموشمائه * ريان واغله تشقى به الابل

الواغل الذي يدخل على القوم وهم يشربون ، فأجابه عبد الله بن رواحة

الحارثي الخزرجي :

لما رأيت بني عوف واخوتهم * كعبا وجمع بني النجار قد حفلوا
قدما أباحوا كما بالسيوف ولم * يفعل بكم أحد مثل الذي فعلوا
و كان رئيس الأوس يومئذ في حرب حاطب أبو قيس بن الأسلت الوائلي فقام في
حربهم وهجر الراحة فشحب وتغير وجاء يوماً الى امرأته فأنكرته حتى عرفته بكلامه
فقال له : لقد أنكرتك حتى تكلمت فقال :

قالت ولم تقصد لقيلى الخى * مهلا فقد ابلغت أسماعى
واستنكرت لونا له شاجبا * والحرب غول ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعامها * مرا وتتركه بجمعجاء (١)
قد حصت البيضة (٢) رأسى فما * أطعم نوما غير تهجاء
أسعى على جل بنى مالك * كل امرئ فى شأنه ساعى
أعددت للأعداء موضونة (٣) * فضفاضة كالنهي بالقاع
أحفزها (٤) غنى بذى رونق * مهند كاللمع قطاع
صدق حسام وادق (٥) حده * ومنحن أسمر قراع

وهى طويلة ثم ان أبا قيس بن أسلت جمع الأوس ، وقال لهم ما كنت رئيس قوم
قط إلا دزموا فرئسوا عليكم من أحببتم فرأسوا عليهم حضير الكتائب بن السماك الأشهبلى
وهو والد أسيد بن حضير لولده صحبة وهو بدرى ، فصار حضير بلى أمورهم فى حروبهم
فالتقى الأوس والخزرج بمكان يقال له الغرس (٦) فكان الظفر للأوس ثم ترأسوا فى
الصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى فمن كان عليه الفضل أعطى الدية فأفضلت
الأوس على الخزرج ثلاثة نفر ، فدفعت الخزرج ثلاثة غلبة منهم رهنا بالديت فعدرت
الأوس فقتلت الغلمان *

* حرب الفجار (١) الأول للأنصار *

وليس بفجار كنانة وقيس ، فلما قتلت الأوس الغلمان جمعت الخزرج وحشدوا والتقوا
بالحدائق (٨) وعلى الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول . وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت
فاقتلوا قتالا شديدا حتى كاد بعضهم يفنى بعضا ، وسمى ذلك اليوم يوم الفجار لغدرهم
بالغلمان وهو الفجار الأول ، فكان قيس بن الخطيم فى حائط له فانصرف ، فوافق قومه

(١) الجمجاء الموضع الضيق الحشن (٢) حصت البيضة رأسى أى حلقتة والبيضة غطاء الرأس يتخذ من
حديد لوقيته من السلاح (٣) أى درعا أسيرة بالوضين وهو القدمن الجلد ، والفضفاضة الواسعة ، والنهي
الماء القليل ، والقاع الأرض المتسمة أى ان لون الدرع كلون الماء الذى يتخلف بالقاع بعد المطر (٤) احفزها
أى ادفعها والضمير ها . يرجع للأعداء (٥) وادق أى ممطر والمراد انه يقطر منه دم الأعداء (٦) الغرس اسم لبئر
بالمدينة غسل منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غسل لدفنه وموضع قبر فدىك (٧) الفجار على وزن
كتاب (٨) قرية من اعراض المدينة

قد برزوا للقتال فعجز عن أخذ سلاحه إلا السيف ثم خرج معهم فعظم مقامه يومئذ وأبلى بلاء حسنا، وجرح جراحة شديدة فمكث حيناً يتداوى منها وأمر أن يحتبى عن الماء فذلك يقول عبدالله بن رواحة:

رميناك أيام الفجار فلم تزل * حيا فمن يشرب فلست بشارب

﴿ يوم معبس ومضرس ^(۱) ﴾

ثم التقوا عند معبس ومضرس وهما جداران فكانت الخزرج وراء مضرس، وكانت الأوس وراء معبس، فاقاموا أياما يقتتلون قتالا شديدا. ثم انهزمت الأوس حتى دخلت البيوت والآطام وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها. ثم ان بني عمرو بن عوف وبنى أوس مائة من الأوس وادعوا الخزرج، فامتنع من الموادة بنو عبد الأشهل وبنو ظفر وغيرهم من الأوس، وقالوا الانصالح حتى ندرك ثارنا من الخزرج، فألحت الخزرج عليهم بالأذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف وأوس مائة فعزمت الأوس إلا من ذكرنا على الانتقال من المدينة، فأغارت بنو سلمة على مال لبني عبد الأشهل يقال له الرعل ^(۲) فقاتلوهم عليه فجرح سعد بن معاذ الأشهلي جراحة شديدة، واحتمله بنو سلمة الى عمرو بن الجموح الخزرجي فأجاره، وأجار الرعل من الحريق وقطع الأشجار، فلما كان يوم بعثت جازاه سعد على ما نذره ان شاء الله، ثم سارت الأوس الى مكة لتحالف قريشا على الخزرج وأظهروا انهم يريدون العمرة. وكانت عادتهم أنه اذا أراد أحدهم العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل، ففعلوا ذلك وساروا الى مكة فقدموها وحالفوا قريشا وأبوجهل غائب، فلما قدم أنكر ذلك، وقال لقريش: أما سمعتم قول الأول: ويل للأهل من النازل انهم لأهل عدد وجلد ولقلبا نزل قوم على قوم إلا أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليه قالوا: فما المخرج من حلفهم؟ قال أنا: أ كفيكموهم، ثم خرج حتى جاء الأوس، فقال: انكم حالقتم قومي وأنا غائب فحنت لأحالفكم واذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم انا قوم تخرج اماؤنا الى أسواقنا، ولا يزال الرجل منا يدرك الأمة فيضرب عجيزتها فان طابت

(۱) مضرس كمنحدر الاسد بمضغ لحم فريسته ولا يتلعه وكمعظم نوع من الوشى فيه صور كأنها اضراس والاول انسب هنا وقد سمي به احد الجدارين (۲) قال في معجم البلدان رعل بفتح اوله وسكون ثانيه وآخره لام موضع عن ابن دريد والرعلة القطعة من الخيل والموالى من النخل اه *

انفسكم ان تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفناكم ، وان كرهتم ذلك فردوا الينا حلفنا ، فقالوا لانقر بهذا ، وكانت الانصار بأسرها فيهم غير شديدة فردوا اليهم حلقهم ، وساروا الى بلادهم ، فقال حسان بن ثابت يفتخر بما أصاب قومه من الأوس :

الا أبلغ أبا قيس رسولا * اذا ألقى له سمع مبین
 فلست بحاضر ان لم يزر كم * خلال الدار مسبلة طجون
 يدين لها العزيز اذا رآها * ويسقط من مخافتها الجنين
 تشيب الناهد العذراء منها * ويهرب من مخافتها القطين^(١)
 يطوف بها من النجار أسد * كأسد الغيل مسكنها العرين
 يظل الليث فيها مستكينا * له في كل ملتفت أنين
 كأن بهاءها للناظرها * من الاسلات والبيض الفتين^(٢)
 كأنهم من الماذى عليهم * جمال حين يجتلدون جون
 فقد لاقاك قبل بعث قتل * وبعد بعث ذل مستكين
 وهي طويلة أيضا *

* يوم الفجار الثاني الانصار *

كانت الأوس قد طلبت من قريظة والنضير أن يحالفوهم على الخزرج ، فبلغ ذلك الخزرج فارسوا اليهم يؤذنونهم بالحرب ، فقالت اليهود : لانريد ذلك ، فاخذت الخزرج رهنهم على الوفاء وهم أربعون غلاما من قريظة والنضير ، ثم أن يزيد بن قسح شرب يوما فسكر فتغنى بشعر يذكر فيه ذلك

هلم الى الأحلاف اذرق عظمهم * واذا صلحوا مالا الجذمان^(٣) ضائعا
 اذا ما امرؤ منهم أساء عمارة * بعثنا عليهم من بني العير جادعا
 فاما الصريخ منهم فتحملوا * وأما اليهود فاتخذنا بضائعا
 أخذنا من الأولى اليهود عصابة * لغدرهم كانوا لدينا ودائعا
 فذلوا لرهن عندنا في جبالنا * مصانعة يخشون منا القوارعا

(١) القطين اي المقيم كذا في ديوانه وفي الأصول بالفاء وهو خطأ (٢) قال في القاموس الفتين الحرة السوداء ولا يخفى انه غير مناسب هنا والأنسب ان يقال فتين بمعنى مفتون وبراد منه المعدن الذي صفى بماءه من الخبث (٣) قال في قاموس والجذمان الذكر

وذاك بانا حين نلقى عدونا * نصول بضر بترك العز خاشعا
فبلغ قوله قريظة والنضير فغضبوا، وقال كعب بن أسد: نحن كما قال: ان لم نُفر فخالف
الأوس على الخزرج، فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كل من عندهم من الرهن من
أولاد قريظة والنضير. فاطلقوا نفرا، منهم سليم بن أسد القرظي جد محمد بن كعب بن سليم
واجتمعت الأوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج، فاقتلوا قتالا شديدا، وسمى
ذلك الفجار الثاني لقتل الغلمان من اليهود *

وقد قيل في قتل الغلمان غير هذا، وهو ان عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي قال
لقومه بني يياضة إن اباكم أنزلكم منزلة سوء والله لا يمس رأسي ماء حتى أنزلكم منازل
قريظة والنضير أو أقتل رهنهم وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع، فأرسل الى
قريظة والنضير: اما أن تخلوا بيننا وبين دياركم، واما أن نقتل الرهن فهموا بأن يخرجوا
من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسيد القرظي: يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الغلمان
ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأة حتى يولد له مثل أحدهم، فأرسلوا اليهم انا
لانتقل عن ديارنا، فانظروا في رهننا فعوالنا^(۱) فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم
فقتلهم، وخالفه عبد الله بن أبي ابن سلول فقال: هذا بغى واثم * ونهاه عن قتلهم وقاتل
قومه من الأوس وقال له: كأي بك وقد حملت قتيلا في عباءة يحملك أربعة رجال فلم
يقتل هو ومن أطاعه أحدا من الغلمان وأطلقوهم * ومنهم سليم بن أسد جد محمد بن كعب،
وحالفت حينئذ قريظة والنضير الأوس على الخزرج، وجرى بينهم قتال سمي ذلك
اليوم يوم الفجار الثاني، وهذا القول أشبه بأن يسمى اليوم فجارا، وأما على القول الاول
فانما قتلوا الرهن جزاء للغدر من اليهود فليس بفجار من الخزرج إلا أن يسمى فجارا
لغدر اليهود *

﴿يوم بعاث﴾

ثم ان قريظة والنضير جددوا العهد مع الأوس على الموازرة والتناصر، واستحکم
أمرهم وجدوا في حربهم، ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا، فلما سمعت
بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة، وراسلت الأوس

(۱) يظهر ان الكلمة ناقصة بعض الاحرف وصحتها فادفوم الينا

(م ۵۳ - ج ۱ الكامل)

حلفاءها من مزينة، ومكثوا أربعين يوماً يتجهزون للحرب، والتقوا ببعث وهي من أعمال قريظة، وعلى الأوس حضير الكتائب بن سهاك والد أسيد بن حضير، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، وتخلف عبد الله بن أبي ابن سلول فيمن تبعه عن الخزرج، وتخلف بنو حارثة بن الحرث عن الأوس * فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديداً وصبروا جميعاً، ثم إن الأوس وجدت مس السلاح، فولوا منهزمين نحو العريض، فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح واعقراه كعقر الجمل والله لا أعود حتى أقتل، فان شتم يامعشر الأوس أن تسلموني فافعلوا فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلوا وأقبل سهم لا يدري من رمى به. فأصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله * فبينا عبد الله ابن أبي ابن سلول يتردد راكباً قريبا من بعاث يتجسس الأخبار إذ طلع عليه بعمر وبن النعمان قتيلاً في عباءة يحمله أربعة رجال كما كان قال له، فلما رآه قال ذق وبال البغي، وانهمزت الخزرج ووضعت فيهم الأوس السلاح، فصاح صائح يامعشر الأوس أحسنوا ولا تهلكوا اخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب، فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وإنما سلبهم قريظة والنضير، وحملت الأوس حضيراً مجروحاً فمات، وأحرق الأوس دور الخزرج ونخيلهم، فاجار سعد بن معاذ الأشهلي أموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم جزاء بما فعلوا له في الرعل وقد تقدم ذكره. ونجى يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس ابن شماس الخزرجي أخذه فجز ناصيته وأطلقه وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة وسند كره، وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله، وكفى الله المؤمنين القتال، وأكثرت الأنصار الأشعار في يوم بعاث فمن ذلك قول قيس بن الخطيم الظفري الأوسي:

أتعرف رسماً كالطراز المذهب * لعمرة ركباً غير موقف راكب
ديار التي كانت ونحن على مني * تحل بنا لولا رجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بداحاجب منها وضنت^(١) بحاجب

﴿ومنها﴾

(١) في بلوغ الأرب للالوسي وبانت بدل وضنت، وراءت عوض تبدت

و كنت امرأ لا أبعث الحرب ظالما * فلما أبوا شعلتها كل جانب
أذنت بدفع الحرب حتى رأيتها * عن الدفع لا تزداد غير تقارب
فلما رأيت الحرب حربا تجردت (١) * لبست مع البردين ثوب المحارب
مضعفة يفشى الأنامل ريعها * كان قتيورها (٢) عيون الجنادب
ترى قصد (٣) المران تلقى كأنها * تذرّع خرصان بأيدي الشواطب
وسأحني ملكا هنين ومالك * وثعلبة الأخيار رهط المصائب
رجالمتي يدعوا إلى الحرب يسرعوا * كمشى الجمال المشعلات المصا
إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الأقدام عند التضارب
ظأرنا كموا بالبيض حتى لا تموا * أذل من السقبان بين الحلاب
يجردن أيضا كل يوم كريهة * ويرجون حمرا جارحات المضارب
لقيتكموا يوم الحدائق حاسرا * كأن يدي بالسيف مخراق لاعب
ويوم بعات أسلمتنا سيوفنا * إلى حسب في جزم غسان ثاقب
قتلنا كموا يوم الفجار وقبله * ويوم بعات كان يوم التغالب
أت عصب للأوس تخطر بالقنا * كمشى الأسود في رشاش الأهاضب (٤)
فاجابه عبدالله بن رواحة :

أشأقتك ليلي في الخليط المجانب * نعم فرشاش الدمع في الصدر غالب
بكي اثر من شطت نواه ولم يقم * لحاجة محزون شكوا الحب ناصب
لذن غدوة حتى إذا الشمس عارضت * أراحت له من له كل غارب (٥)

(١) الفقرة الأولى في بلوغ الأرب : ولما رأيت الحرب قد جد جدها (٢) القتيور رؤس مسامير الدروع
وثناها لانها تكون في الجانبين (٣) القصد جمع قصدة وهي القطعة والمراد نوع من الشجر تتخذ منه
الرماح، والخرصان بضم الخاء وكسرهما جمع خرص بالضم وهو حلق الذهب والفضة وعويد محدود وهو المقصود،
والشواطب جمع شاطب وهي المرأة التي تفرى الأديم بعد ما حلقتة، والمثنى ان قصد المران كالأعواد التي
في طرفها حديدة في أيدي النساء اللاتي يقطن الأديم (٤) وقد ترك المؤلف بيت القصيدة منها وهو :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا بالتقارب

فالمعجب كيف أهمله بعد أن أتى بمعظم القصيدة . الإدارة (٥) أحسبها عازب بالعين المهملة والزاي المعجمة
لأباليين المعجمة والراء المهملة

نحامي على أحسابنا بتلادنا * لمفتقر أو سائل الحق واجب
وأعمى هدته للسيل سيوفنا * وخصم أقمنا بعد مانج ثاعب
ومعترك ضنك برى الموت وسطه * مشينا له مشى الجمال المصاعب
برجل ترى الماذى فوق جلودهم * وبيضا نقياً مثل لون الكواكب
وهم حسر لافي الدروع تخالهم * أسودا متي تنشأ الرماح تضارب
معاقلهم في كل يوم كرهية * مع الصدق منسوب السيوف القواضب
وهي طويلة. ويلي التي شبب بها ابن رواحة هي أخت قيس بن الخطيم، وعمرة
التي شبب بها ابن الخطيم هي أخت عبد الله بن رواحة وهي أم النعمان بن بشير
الأنصاري (بعث) بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة: وقال صاحب كتاب العين وحده:
وهو بالعين المعجمة *

﴿ ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الأحناف وبنى مالك ﴾

كانت أرض الطائف قديماً لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فلما كثر
بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد، وكان بنو عامر يصيفون بالطائف
ويشتون بأرضهم من نجد وكانت مساكن ثقيف حول الطائف، وقد اختلف الناس
فيهم؟ فمنهم من جعلهم من أياد فقال ثقيف اسمه قسي بن نبت بن منبه بن منصور بن يقدم
ابن أفي بن دُعمي بن أياد من معد. ومنهم من جعلهم من هوازن فقال: هو قيس بن منبه
ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فرأت ثقيف
البلاد فأعجبهم نباتها وطيب ثمرها فقالوا لبني عامر: إن هذه الأرض لا تصلح للزرع وإنما
هي أرض ضرع ونزاً كم على أن آثرتم المشاة على الغراس ونحن أناس ليست لنا
مواش فهل لكم أن تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤنة تدفعون إلينا بلادكم هذه
فثيرها ونغرسها ونحفر فيها الأثواء ولا نكلفكم مؤنة: نحن نكفيكم المؤنة والعمل فإذا
كان وقت إدراك الثمر كان لكم النصف كاملاً ولنا النصف بما عملنا فرغب بنو عامر
في ذلك وسلوا إليهم الأرض فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الأرض
وزرعوها من الأعتاب والثمار ووفوا بما شرطوا لبني عامر حيناً من الدهر وكان
بنو عامر يمنعون ثقيفاً ممن أرادهم من العرب فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها

وبنوا سورا على الطائف وحصنوه ومنعوا عامرا مما كانوا يحملونه اليهم عن نصف الثمار وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدرُوا عليه فقاتلُوهم فلم يظفروا وكانت ثقيف بطنين: الأُحلاف. وبنو مالك بن مالك كان للأُحلاف في هذا أثر عظيم ولم يزل تعتد بذلك على بني مالك فأقاموا كذلك ثم ان الأُحلاف أثروا وكثرت خيلهم فحموا لها حمى من أرض بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن يقال له جلدان^(١) فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلُوهم عليه ولجت الحرب بينهم وكان راس بنو نصر عفيف بن عوف بن عباد النصرى ثم اليربوعي: ورأس الأُحلاف مسعود بن معتب^(٢) فلما لجت الحرب بين بنو نصر والأُحلاف اغتم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب بن عوف بن الحرث بن مالك ابن حطيظ بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الأُحلاف فخالفوا بني يربوع على الأُحلاف فلما سمعت الأُحلاف بذلك اجتمعوا وكان أول قتال كان بين الأُحلاف وبين بنو مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف واقتتلوا قتالا شديدا فانتصر الأُحلاف وأخرجوهم منه إلى واد من وراء الطائف يقال له الحلب^(٣) وقتل من بنو مالك وبنو يربوع مقتلة عظيمة في شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الابان ثم اقتتلوا بعد ذلك أياما مسميات: منهن يوم عمر ذى كنده من نحو نخلة ومنهن يوم كروبا من نحو حلوان وصاح عفيف بن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون أن سبعين حبل منهن ألفت ما في بطنها فاقتتلوا أشد قتال ثم افرقوا فسارت بنو مالك تبتغي الحلف من دوس وخشم وغيرهما على الأُحلاف وخرجت الأُحلاف إلى المدينة تبتغي الحلف من الانصار على بنو مالك فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو بن عوف من الأوس، وكان أشرف الانصار في زمانه فطلب منه الحلف فقال له أحيحة، والله ما خرج رجل من قومه إلى قوم قط بخاف أو غيره إلا أقر لا أولئك القوم بشر ما أنف منه من قومه فقال له مسعود: إني أخوك وكان صديقا له فقال أخوك الذي تركته وراك فارجع إليه وصالحه ولو بجدع أنفك وأذنك فان أحدا لن يبرك في قومك اذ خالفته فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد وأعطاه غلاما كان يبني الآطام يعني الحصون بالمدينة فبني مسعود بن معتب أطما فكان أول أطم بني بالطائف ثم بنيت

(١) بالجيم والذال المعجمتين كذا صوابه وفي النسخ حلدان بالحاء المهملة وهو خطأ صححناه من معجم

البلدان (٢) معتب كحدث وزنا (٣) اللحب في الأصل الطريق الواضح *

الآطام بعده بالطائف ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر وقالوا : في حربهم أشعارا كثيرة، فمن ذلك قول محبر وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الأحناف :

وما كنت ممن أرت الشريينهم * ولكن مسعودا جناها وجندبا
 قريعي ثقيف أنشبا الشريينهم * فلم يك عنها منزع حين أنشبا
 عناقا ضروسا بين عوف ومالك * شديدا لظاها مترك الطفل أشيبا
 مضمرة شبا أشبا وقودها * بإيديهما ما أورياها وأثقا
 أصابت براء من طوائف مالك * وعوف بما جرا عليها وأجلبا
 كجثمورة جاؤا تخطوا ما بنا * اليهم وتدعو في اللقاء معتبا
 وتدعو بني عوف بن عقدة في الوغى * وتدعو علاجا والحليف المطيبا
 حيبا وحيما من رباب كتائبها * وسعدا إذا الداعي إلى الموت ثوبا
 وقوما بمكر وثناء^(١) شنت معتب * بغارتها فكان يوما عصبصبا
 فاسقط أحبال النساء بصوته * عفيف إذا نادى بنصر فطر با

﴿ عفيف ﴾ هذا بضم العين وفتح الفاء

تم

تم بعون الله وحسن توفيقه الجزء الاول من كتاب الكامل في التاريخ للبؤرخ القدير العلامة ابن الأثير ويليه الجزء الثاني وأوله ﴿ نسب رسول الله ﷺ ﴾ أسأل الله تعالى من فضله أن يعينني على إتمامه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ما

(١) مكر وثناء بفتح أوله وسكون ثانيه وراء مهملة وثناء مثلثة موضع في ديار بني جحاش رهط الشماخ ، قال كعب بن زهير :

صبحنا الحى حتى بنى جحاش * بمكر وثناء داهية ناآدا

اه معجم البلدان . الادارة *

فهرست

الجزء الأول من الكامل في التاريخ لابن الأثير

صحيفة	صحيفة
٢	مقدمة الناشر
٤	خطبة المؤلف
٥	سبب تأليف هذا الكتاب
٥	جمع المصنف تاريخ الطبري وسبب ذلك مع الزيادة عليه
٦	بيان الموصل . ترجمة الطبري مختصرة
٦	اعراض المصنف عنه ثم عوده اليه بأمر ملكي
٧	سبب تسميته بالكامل
٧	فوائد التاريخ الدنيوية
٨	العقل وتقسيمه
٩	فوائد التاريخ الأخروية
٩	ذكر الوقت الذي ابتدئ فيه بعمل التاريخ
١٠	مطلب التاريخ قبل الاسلام
١٠	القول في الزمان
١١	القول في جميع الزمان من أوله الى آخره
١١	قول اليهود في الزمان
١١	« المجوس » « »
١٢	رد المعلق على الاشتغال بضبط التواريخ المجهولة
١٢	رد المؤلف على خرافات المؤرخين في الزمان
١٢	القول في ابتداء الخلق . القلم . ضبط بر يده
١٢	القول فيما خلق بعد القلم . أولية الغمام . رد المصنف على أولية الغمام
١٣	اختلاف العلماء فيما خلق بعد الغمام
١٣	« » في اليوم الذي ابتدأ الله فيه الخلق
١٤	رد المؤلف على تعيين أيام الخلق
١٤	القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه
١٤	ضبط سلام
١٥	رد المؤلف على أحاديث الشمس والقمر
١٥	قصة إبليس لعنه الله وابتداء أمره وإطغائه آدم عليه السلام
١٦	ذكر الأخبار بما كان لابليس لعنه الله من الملك وذكر الأحداث في ملكه
١٧	بحث الجن قبل آدم . اسم إبليس القديم رأي المؤلف في فسوق إبليس . ضبط مرة الحمداني
١٧	ذكر خلق آدم عليه السلام . محاورة الأرض ورؤساء الملائكة الأربعة
١٨	خلق آدم من الطين ومحاورة الملائكة وإبليس للسجود ونزول إبليس و آدم
١٩	البشارة ان آدم يقبول التوبة
١٩	بحث الأسماء التي علمها الله لآدم
١٩	ذكر اسكان آدم الجنة وإخراجه منها
٢٠	خلق حواء . سبب الشجرة تسميتها . الحية ووصية ابن عباس في قتلها
٢١	كيد النساء وسبب الحيض والطلق
٢٢	أسناد سعيد بن المسيب لآدم عليه السلام السكر . ورد المؤلف عليه
٢٢	ذكر اليوم الذي أسكن آدم فيه الجنة ، واليوم الذي أخرج منها ، واليوم الذي تاب فيه
٢٢	ذكر الموضوع الذي أهبط فيه آدم وحواء
٢٣	سبب بناء القرى وسبب تسمية مزدلفة وعرفات
٢٣	هبوط آدم على جبل مرد وتعلمه مع زوجته اللباس . بناء آدم البيت الحرام . حج آدم
٢٣	وسبب نبات الطيب في الأرض

صحيفة	صحيفة
٤٢ قول المجوس في الطوفان ذكر بيوراسب المسمى بالضحاك ، قول الفرس في الضحاك وخرافة الحيتين على منكبيه	٢٤ عصا موسى وأصلها . تعلم آدم الزراعة . وإخراج النار من الحجر وصنعة الحديد . تميره للبيت الحرام . ضبط نود
٤٣ رد المؤلف على كاذب الفرس . قتل الضحاك	٢٥ ذكر إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق . ضبط نعمان
٤٤ ذكر ذرية نوح والكلام على سواد أبناء حام	ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا
٤٥ اولاد سام : العرب والفرس والقحطانيون والبربر	٢٧ قتل قابيل هايل ٢٧ قتل قابيل ، تسمية آدم وحواء ابنيها عبد الحرث . مرثية آدم شعراً الرد عليها ونبوة آدم وتفسير اسمه
٤٦ اولاد يافث وحام ، الانساب في التوراة	٢٨ مطلب أب الفرس وإعمار آدم وابنائهم ذكر ولادة
٤٧ ذكر ملك افر يدون . وتقسيم الدنيا لابنائهم على زعم الفرس	٢٩ شيث ٢٩ بيان أول من ملك الأرض
٤٨ ذكر الأحداث التي كانت بين نوح و ابراهيم ، الكلام على عاد واستسقامها	٣٠ ذكر وفاة آدم ٣٠ حكاية آدم وداود
٤٩ هلاك عاد	٣١ ذكر شيث وبنائه الكعبة
٥٠ ثمود قوم صالح وحديث الناقة	٣٢ قيام انوش بمدشيث . ذكر الأحداث التي كانت من لدن شيث الى ان ملك يرد
٥١ سبب قتل الناقة	٣٣ أول عبادة الاصنام
٥٢ قتل الناقة وهجرة صالح الى فلسطين ومحل قبره	٣٤ اول اتخاذ الملامى والمزامير والطبول في زمن مهلائيل وانه اول من استخرج الحديد وزرع وبنى مدينة الري
٥٣ ذكر ابراهيم الخليل ومن كان في عصره من ملوك المعجم . بحث الاهواز والحمرية ولفوا مارتها العربية . الاسباك المحرم صيدها لدى الجهلاء	٣٥ ضبط عتية . ذكر يرد . صحف ادريس ادريس هو هرمس
٥٤ ولادة ابراهيم عليه السلام ومحاجته مع النجوم	٣٥ ضبط يارز وخنوخ . ذكر ملك طهمورث اول من خط الفارسية . اول ما عرف من الصوم . ذكر خنوخ ادريس
٥٥ كسر ابراهيم للاصنام ٥٦ نار ابراهيم	٣٦ ضبط محويل ومتوشلح ، ولادة نوح وزواجه والقرون التي بينه وبين آدم
٥٧ ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه ، قصة سارة مع فرعون مصر	٣٦ ذكر ملك جمشيد
٥٨ ذكر ولادة اسماعيل وحمله الى مكة	٣٧ اول عمل السيوف والدروع والابريس
٥٩ حديث مصر والكلام على القيراط وبتدأة اهلها حديث زمزم	وتقسيم الناس طبقات وتمدينهم
٦٠ زيارة ابراهيم لاسماعيل	٣٨ رد المؤلف خرافات الفرس . ذكر الأحداث التي كانت في زمن نوح ، اصل وضع الاضام
٦١ ذكر عمارة البيت الحرام	٣٩ سفينة نوح عليه السلام وبيانها
مقام ابراهيم	٤١ محل وقوف السفينة
	٤١ ايضاح الجودي

صحيفة	صحيفة
بعد اتهامهم له بالسرقة	٦٢ ذكر قصة الذبح ونقل انجيل برنابا انه
سبب بلاء يعقوب ٨٦	اسماعيل، ذكر من قال انه اسحق والرد عليهم
تمريف يوسف عليه السلام نفسه لاختوته	٦٣ ضبط اسيد وجارية
شم يعقوب عليه السلام رائحة يوسف	ذكر من قال ان الذبيح اسماعيل عليه السلام
سفرهم الى مصر لاجل يوسف	٦٤ ذكر السبب الذي من اجله امر ابراهيم
سجود يعقوب وزوجه واولاده ليوسف	بالذبح وصفة الذبح
تكلمة للرؤيا	٦٥ كلام الحسن بن الفداء كان تيساروى
وفاة يعقوب ووصاته بنقل جثته	ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام
قصة شميب	ذكر عدو الله نمrod وهلاكه
نسب اهل مدين وسبب هلاكهم	٦٦ الكلام على الذين ملكوا الارض
قصة الخضر وخبره مع موسى عليه السلام	٦٧ الكلام على الاصبيند وبلخ
ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث في ايامه	٦٧ ذكر قصة لوط وقومه وهلاكهم
رد المؤلف على كذبة الفرس برمي السهم	٧٠ ذكر وفاة سارة زوج ابراهيم عليه السلام
خطبة منوجهر	وذكر اولاده وازواجه
الخبر عن الرائش وملكه اليمن	٧٠ ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما نزل عليه
ابرهة ذو النار وتسميته بنى الازغار	٧١ ذكر خبر ولد اسماعيل بن ابراهيم
قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في	ذكر اسحق واولاده
ايامه من الاحداث ، فرعون موسى	٧٢ زواج اسحق وولادة يعقوب وعيسى ،
قتل فرعون لابناء بنى اسرائيل وسبب ذلك	زواج يعقوب وجمعه بين الاختين
التقاط آل فرعون لموسى من البحر ورجوعه	٧٣ قصة ايوب عليه السلام
الى امه	قول الاوروبائين بعربية ايوب
حكاية مسك موسى لحية فرعون مصر	٧٤ اسباب البلاء والاختلاف فيه
ذكر وكزه موسى للقبلى وقتله له	٧٥ مخاصمة تلامذة ايوب له وشفائه ورد
افشاء الاسرائيلى قتل موسى للقبلى وهرب	اهله وماله عليه
موسى	٧٧ مناجاة ايوب ٧٨ قصة يوسف ورؤياه
ورود موسى ماء مدين واتفاقه مع شميب	٧٩ رمى يوسف فى البئر ٨٠ ييمه فى مصر
رجوع موسى ومصادفته النار فى الطريق	٨٠ الكلام على براءته من الهم بالزنا
ومناجاته لله	٨١ امرأة العزيز والنسوة
المصاوييد وذهاب موسى الى مصر ولقى	٨٢ رؤيا المسجونين ، رؤيا ملك مصر
هرون له	٨٣ تفسير يوسف الرؤيا وتوليته خزائن الارض
مقابلة موسى وهرون لفرعون	٨٤ ورود اخوة يوسف على اخيهم لاجل الميرة
حكاية السحرة واسلامهم وصلبهم	٨٥ استبقاء يوسف عليه السلام لبنيامين
حكاية ماشطة فرعون وحرقتها فى النار مع	
اولادها	

(٥٤م - ج ١ الكامل)

صحيفة	صحيفة
١٢٤ تزويج طالوت لداود ابنته	١٠٤ حكاية آسية امرأة فرعون وصلبها
١٢٥ ذكر ملك داود ، حكاية اصحاب السبت	تكليف فرعون لبني اسرائيل ببناء مدينتي
ذكر فتنته بزوجة اوريا	مخازن فيثوم ورعمسيس
١٢٦ حكاية النجبات	١٠٥ ارسال الطوفان والتمل والضفادع والجراد
١٢٧ ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود	على قوم فرعون
١٢٨ بناء سليمان بيت المقدس	نقل موسى لرفات يوسف
ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام	١٠٦ سفر بني اسرائيل ومصادمتهم للبحر وانفلاقه
١٢٩ الدليل على اصابة كل مجتهد	هلاك فرعون وقومه غرقا
ذكر ماجرى لسليمان مع بلقيس	١٠٧ ذهاب موسى للجبل لاجل التوراة
زواج الانس بالجن	حكاية السامري والعجل
١٣٠ ملك بلقيس لليمن وكيفية ذلك	١٠٨ طلب موسى من الله ان يراه
١٣١ رد المؤلف على المغالاة بملك بلقيس	١٠٩ رجوع موسى من الطور ومعه التوراة
هيكل عبادة الشمس	حكاية البقرة
سبب مجيء بلقيس لسليمان	١١٠ ذكر بني اسرائيل في التيه ووفاة هارون
١٣٢ حديث الهدد. حديث العرش	سبب التيه والمن والسلوى
١٣٣ زواج سليمان بلقيس والاختلاف فيه	١١١ حكاية عروج بن عنق ، وفاة هارون ، ذكر
ذاتبع ملك همدان	وفاة موسى
ذكر غزوة سليمان ابازوجته جرادة ونكاحها	١١٢ حكاية موسى مع ملك الموت
وعبادة الصنم في داره واخذ خاتمه وعوده اليه	١١٣ ذكر يوشع بن نون وفتح مدينة الجبارين
تصوير والجرادة	حكاية بلعم بن باعوراء
١٣٤ حديث صخر الجنى والخاتم	١١٤ رجوع الشمس ليوشع عند فتح أريحا
الرد على هذه الدسائس المفتراة	١١٥ أصل البرابرة وصنهاجة وكتامة
١٣٥ سبب آخر لذهاب ملك سليمان	ذكر امر قارون ، اتهام قارون لموسى بالزنا
حكاية الصيادين	١١٦ خسف الأرض بقارون ، حكم الزنا في
١٣٦ ذكر وفاة سليمان	التوراة ، ذكر من ملك من الفرس بعد
بيان الجسد	منو جهر ، زو وأعماله
توجيه حديث العصا	١١٧ ذكر ملك كيقباز ، ذكر الاحداث في
١٣٧ حديث الجن مع الارضة ورد ذلك	بني اسرائيل في عهد زو و كيقباز ونبوة حزقييل
ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباز	١١٨ احياء حزقييل للموتى ووفاته ، ذكر الياس
حديث سياوخش	١١٩ حكاية البستان
١٣٨ خرافات للفرس ردها المؤلف	١٢٠ ذكر نبوة اليسع واخذ التابوت من بني اسرائيل
١٣٩ ذكر ملك كيخسر و بن سياوخش بن كيكاس	١٢١ ذكر حال شموئيل وطالوت
١٤١ ذكر امر بني اسرائيل بمد سليمان	١٢٢ حكاية طالوت وكيفية تملكه
ذكر محاربة اسا بن افياور زح الهندي	١٢٣ مسألة النهر وانتخاب داود

صحيفة	صحيفة
١٦١ حكاية ملك الصين مع الاسكندر	١٤٣ ذكر شياو الملك الذي معه من بني اسرائيل
١٦٢ ذهاب الاسكندر الى جهات الشمال ويا جوج	ومسير سنحاريب الى بني اسرائيل
١٦٣ ومأجوج ١٦٢ سد الصين	١٤٤ هلاك كفو والبابلي وخلص مختصر كتابه
١٦٤ موت الاسكندر	١٤٥ هرب شعيا من بني اسرائيل
١٦٥ ما قيل في الاسكندر من المرائي والمواظ	ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهر
١٦٦ حيل الاسكندر في الحروب	زرادشت ١٤٦ أصل زرادشت ونسبه
١٦٧ رأى إرسطاطاليس في توزيع المملكة	كتابه وكيفية انتشاره وتاريخ ذلك
١٦٨ الواحدة الى دول لسهولة الاستعمار	١٤٧ ذكر مسير مختصر الى بني اسرائيل
١٦٩ الكلام على تقسيم فرانسوا وانكاترا ابلاد	أول أمر مختصر ثم ذهابه الى الشام رائدا
١٧٠ الشام لاجل تفريق كاهنهم	١٤٨ تخريب مختصر لبيت المقدس
١٧١ ذكر من ملك من قوم الاسكندر بعده	سبب انتقام الله من بني اسرائيل
١٧٢ ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم	١٤٩ حكاية أرميا ودعائه على بني اسرائيل من
١٧٣ ملوك الطوائف	حيث لا يشمر ١٥٠ رؤيا مختصر وتفسيرها
١٧٤ ذكر ملك أشك بن أشكان. ذكر ملك جوذرز	١٥١ حكاية دانيال والخمرة. سب قتل مختصر
١٧٥ الكلام على ملوك الفرس بعد الاسكندر	أوموته. عود بني اسرائيل الى بيت المقدس
١٧٦ ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف فن	١٥٢ قصة عزيز ونومه مائة عام
١٧٧ ذلك ذكر المسيح عيسى ابن مريم ويحيى بن	١٥٣ ذكر غزو مختصر العرب
١٧٨ ذكر يا عليهم السلام	١٥٤ ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل أبيه
١٧٩ كفل ذكر يا لمريم	لهراسب. غلبة الترك للفرس بسبب سجن
١٨٠ وجود الفاكهة عند مريم في غير أوانها	اسفنديار
١٨١ دعاء زكريا وولادة يحيى	١٥٥ غلبة الفرس للترك لتأولى القيادة اسفنديار
١٨٢ نبوة يحيى صبياً وكثرة بكائه من خشية الله	١٥٦ ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكائوس
١٨٣ قتل هيرودس ليحيى وسبب ذلك	الى أيام بهمن بن اسفنديار. الملك تبع ومنازبه
١٨٤ تخريب بيت المقدس وذبح بني اسرائيل	١٥٧ ذكر خبر اردشير بهمن وابنته خمانى
١٨٥ حكاية الدم وغليانه التي قتلت عليه الألو	١٥٨ تاريخ سبي بني اسرائيل
١٨٦ المؤلف من بني اسرائيل	ذكر خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر وكيف
١٨٧ ذكر قتل زكريا	* كان هلاكه مع ذى القرنين. بناء دارا الواقعة
١٨٨ دخول زكريا في الشجرة ونشورها وتفنيد ذلك	بين نصيبين وماردين
١٨٩ ذكر ولادة المسيح ونبوته الى آخر أمره	١٥٩ ذكر الاسكندر المكدوني
١٩٠ حكاية الانجيل في وجود اخوة لعيسى وبيان	١٥٩ محاربة الاسكندر لدارا. ادعاء الفرس أن
١٩١ أسماهم	الاسكندر منهم
١٩٢ حمل مريم بعيسى والاختلاف في المدة	١٦٠ صورة قتل دارا واقتران الاسكندر بيته
١٩٣ كيفية الولادة ومحلها وكلام عيسى في الهد	روشنك. جمع الاسكندر ملك الروم بعد تفرقه،
١٩٤ خروج مريم من أرض قومها	نقله كتب العلم الى الرومية
١٩٥ مسألة ابليس حين ولادة عيسى	غزو الاسكندر بنية مملكة فارس والهند
١٩٦ ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته	

صحيفة	صحيفة
١٩٠ الاجتماع الثاني للأساقفة في القسطنطينية للنن مقدونس وأشياعه بيان كراس البطارقة الأربع الاجتماع الثالث للأساقفة في أفسوس للنن نسطورس رأس النسطورية	١٧٨ دلالة على مال الدهقان حكاية الضيوف وانقلاب الماء شرابا
١٩١ الاجتماع الرابع للأساقفة وفيه خالفت اليمقوبية سائر النصارى	١٧٩ إحياء الموتى . حادثة الصباغة نزول عيسى وأمه بقرية الناصرة بركة الطعام وأصل الحوارين
الاجتماع الخامس للأساقفة وحرمان أذربيحا أسقف منبج . الكلام على المارون ولبنان	١٨٠ إحياء عيسى لمازر وسام بن نوح ١٨٠ ذكر نزول المائدة
١٩٢ الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة ١٩٣ نغفور أول من بايع ولده وأول من عفا لحيته	١٨١ عذاب الذين جحدوها فآفة قلبوا خنازير ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى أمه وعوده الى السماء
١٩٤ ملك البطريق . أرمانوس	إلقاء شبه عيسى على نطليانوس أو يوشع الاسرائيلي فصب
١٩٥ حصار الطوائف للقسطنطينية سنة ٣٧٢	١٨٢ جزع عيسى من الموت وخدمته لقومه إنجيل برنابا . والرفع .
ذكر وصول قبائل العرب الى العراق وتزولهم الحيرة ١٩٦ التنوخين وسبب تسميتهم ذلك لما كانوا بالبحرين	١٨٣ رفع عيسى الى السماء تمذيب اليهود للحواريين وأصل النصرانية بيان أن الانجيل يقول نزل عيسى على مريم المجدلية
١٩٧ ذكر جذيمة الأبرش زواج أخته لمدى وولادتها عمرو	ذكر من ملك من الروم بمدر رفع المسيح الى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
١٩٨ عمرو بن عدى وذهابه في الفلاة وعودته قتل جذيمة لملك الجزيرة عمرو بن الظرب والد الزباء	١٨٥ بيان التاريخ ما بين عمارة بيت المقدس . تخريب بمختصر له
١٩٩ جذيمة والزباء . وخلص قصير	ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الأولى الصابثون
٢٠٠ جدع قصير لأنفه وذهابه الى الزباء	١٨٦ ظهور الرقونية القائلين بألوهية الخير والشر اندر يانوس آخر من خرب بيت المقدس
٢٠١ ذهاب قصير ووجهه تجارة ازباء ثم جلب عمرو اطلاعه على النفق، وقتل عمرو وللزباء	١٨٧ صاحب المجسطى وزمانه
الكلام على مدينة الزباء وهي حلبية أو صور الكفر ٢٠٢ ما قيل في الزباء من الشعر العربي	التاريخ ما بين دارا الى كيلو بطره آخره ملوك اليونان . جالينوس وبطليموس
٢٠٣ ذكر طسم . وجديس وكانوا أيام ملوك الطوائف	١٨٨ ملوك الروم قبل الاسلام أشبه بملوك الطوائف
حكاية هزيمة مع طسم	١٨٩ الطبقة الثانية من ملوك الروم المنتصرة أول بناء استانبول القسطنطينية
٢٠٤ قتل جديس لطسم وسبب ذلك استنجاد طسم بتبع وغزوه لجديس	الاجتماع الأول للأساقفة بمدينة نيقية الرومية وحرمان أريوس الاسكندراني
٢٠٥ زرقاء اليمامة	بناء كنيسة القمامة التي في القدس
الكلام على شمر وجبل حائل	

صفحة	صفحة
٢٣٤	٢٠٦
ذكر ملك بهرام بن زردجرد الاثيم	ذكر أصحاب الكهف
٢٣٥	٢٠٨
بيان أن المنذر سبب تملك بهرام	ذكر يونس بن متى
٢٣٦	٢١١
حروب بهرام والديلم	أيام ملوك الطوائف
٢٣٧	قصة انطاكية وإرسال الرسل اليها
ذكر ملك ابنه زردجرد	٢١٢
ذكر ملك فيروز بن زردجرد	حبيب النجار ورفقاؤه
٢٣٩	٢١٣
ذكر الأحداث في العرب أيام زردجرد	شمسون ٢١٤ جرجيس
وفيروز ٢٤٠ (ملوك الحيرة)	٢١٩
ذكر ملك بلاش بن فيروز	خالد بن سنان العبيسي
٢٤١	﴿ ذكر طبقات ملوك الفرس ﴾
ذكر ملك قباد بن فيروز	الطبقة الأولى الفيشداذية
مزدك وشريفة زرادشت	٢٢٠
٢٤٢	الطبقة الثانية الكيانية
قتل المزدكيين	الطبقة الثالثة الاشغانية
٢٤٣	الطبقة الرابعة الساسانية
ذكر حوادث العرب أيام قباد	ذكر اخبار اردشير بن بابك وملوك الفرس
الحرث الكندي	٢٢٣
حكاية تبع وغزوه الفرس	ذكر ملك سابور بن اردشير بن بابك
٢٤٤	٢٢٤
تبع والحجاز	حكاية حياته الخفية
٢٤٥	ذكر خبر مدينة الحضرم
سطيح وشق الكاهنان	٢٢٥
٢٤٦	الفرق بين الخابورين ومرآة الشعراء
قتل عمرو تبعاً المسمى حسان	للحضر
٢٤٧	٢٢٦
تفنيد المؤلف حكاية تبع لغزو الفرس والصين	ذكر ملك هرمزين سابور بن اردشير
٢٤٩	كلام المنجمين فيه
ذكر ملك الخثيمية	٢٢٧
٢٥٠	ذكر ملك بهرام بن هرمزين سابور
ذكر ملك ذى نواس. وقصة أصحاب الأخدود	ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز
حكاية فيميون	٢٢٨
٢٥١	ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز
« عبد الله بن التامر عن محمد بن كعب القرظي	ذكر ملك نرسی بن بهرام
٢٥٢	٢٥٣
« « « « ابن عباس	ذكر ملك الحبشة اليمين
٢٥٣	٢٥٤
ذكر ملك الحبشة اليمين	قتل أبرهة الحبشي لأرباط الحبشي
٢٥٤	٢٥٥
قتل أبرهة الحبشي لأرباط الحبشي	ذكر ملك كسرى أنوشروان
٢٥٥	قتل مزدك وإعادة ملك المنذر
٢٥٦	قتل المنذر لجماعة الحارث الكندي
٢٥٧	٢٥٧
ذكر ملك كسرى بلاد الروم	ذكر ملك كسرى اليمين ورد القول في ذلك
٢٥٨	٢٥٩
غزو كسرى اليمين ورد القول في ذلك	ذكر ما فعله أنوشروان بأرمينية وأذر بيجان
٢٥٩	٢٦٠
ذكر ما فعله أنوشروان بأرمينية وأذر بيجان	ذكر أمر الفيل
٢٦٠	٢٦١
ذكر أمر الفيل	مقابلة عبد المطلب لأبرهه
٢٦١	٢٦٢
مقابلة عبد المطلب لأبرهه	ما قيل في حجارة سجبل
٢٦٢	٢٦٣
ما قيل في حجارة سجبل	ذكر عود اليمين الى حمير واخراج الحبشة منه
٢٦٣	
	٢٢٣
	حكاية سنهار والخورنق

صحيفة	صحيفة
٢٩١ ما قيل في الوقعة	٢٦٤ قتل مسروق بن أبرهة
٢٩٢ ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند	٢٦٥ قتل الحبشة لسيف بن ذي يزن
٢٩٣ ذكر الروزان وولايته اليمن من قبل هرمض	٢٦٦ ذكر ما أحدثته قرينس بعد الفيل
ذكر قتل كسرى ابرويز	٢٦٧ ذكر حلف المطيين والأحلاف وسبب ذلك
٢٩٤ ذكر ملك كسرى شيرويه ابرويز بن هرمض	٢٦٨ ذكر ما فعله كسرى في أمر الخراج والجند
أنوشروان	كلمات ملسوبه الى كسرى
٢٩٥ مناظرة كسرى وولده	٢٦٩ ﴿ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾
٢٩٦ ذكر ملك اردشير	٢٧٠ ﴿رضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾
٢٩٧ ذكر ملك شهر براز	٢٧١ حكاية حليمة السعدية وما جرى لها أثناء
» » بوران بنت ابرويز	رضاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
» » ارزמידخت ابنة ابرويز	٢٧٢ شق قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٢٩٨ ذكر ملك يزديجرد بن شهر يار	٢٧٤ إرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى
﴿ذكر أيام العرب في الجاهلية﴾	الكاهن واخبارهم عن أمره
٢٩٩ ذكر حرب زهر بن جناب الكلابي مع	٢٧٥ وفاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم
غطفان وبكر وتغلب وبنو القين	ومحل ذلك . ذكر قتل تميم بالمشقر
٣٠٠ أسر المهازل ٣٠١ ذكر يوم البردان	٢٧٦ ما قيل في الوقعة من الأشعار
٣٠٣ زوجة حجر وقتلها	٢٧٧ ذكر ملك ابنه هرمض أنوشروان
٣٠٤ ذكر مقتل حجر والدا امرئ القيس والحروب	٢٧٨ حكاية قصر هرمض وكشفها ظلم الاصبهيد
الحادثة بمقتله الى أن مات امرؤ القيس	٢٧٩ ذكر مملكة كسرى ابرويز بن هرمض
٣٠٥ تقسيم الحارث الكندي اولاده امراء في	٢٨٠ إعانة الروم لابرويز وغزوه لهم
العرب	٢٨١ حكاية شهر براز مع أخيه
٣٠٦ قتل بني اسد لحجر	٢٨٢ حيلة كسرى في الفتنة بين شهر براز وبين
٣٠٧ تعقب امرئ القيس لبني أسد	الروم
٣٠٨ أخذ جديلة إبل امرئ القيس وإعطائهم	٢٨٣ ذكر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول
عنها معزى	الله صلى الله عليه وآله وسلم
٣٠٩ ذهاب امرئ القيس الى الروم . وموته	٢٨٤ نصف دجلة لقصور كسرى
بأنقرة ٣١٠ يوم خزاز	٢٨٥ ﴿ذكر وقعة ذي قار وسديبا﴾
٣١١ غباة كايب مذحجا	٢٨٦ نصب عدى بن زيد النعمان ملكا على الحيرة
٣١٢ ذكر مقتل كايب والأيام بين بكر وتغلب	٢٨٧ قتل النعمان لعدى . وأشمار عدى
٣١٣ حكاية البسوس والناقة	٢٨٨ صفة الجارية التي طلبها كسرى من النعمان
٣١٤ قتل جساس كايبا وقصائد المهلهل	فكانت سبب النزاع
٣١٥ اجتماع قوم جساس على والده مرة	٢٨٩ تحريك زيد بن عدى على النعمان وهربه
٣١٦ مراني كايب ٣٢٠ وقعة الذنائب	من كسرى
٣٢١ قتل جساس	موت النعمان في سجن كسرى بعد إيداعه
٣٢٢ اشتراك الحرث بن عباد في الحرب بعد مقتل	أهله وأمواله عند بني شيان
ابنه بجير	٢٩٠ اشتراك شيان وبكر وعجل في حرب الفرس

صفحة	صفحة
٣٤٩	٣٢٣
٣٥٠	٣٢٤
٣٥١	٣٢٥
٣٥٢	٣٢٦
٣٥٣	٣٣٠
٣٥٤	٣٣١
٣٥٥	٣٣٢
٣٥٨	٣٣٣
٣٦٠	٣٣٤
٣٦١	٣٣٥
٣٦٢	٣٣٦
٣٦٤	٣٣٧
٣٦٦	٣٣٨
٣٦٨	٣٣٩
٣٧٠	٣٤٠
٣٧١	٣٤١
٣٧٢	٣٤٢
٣٧٤	٣٤٣
٣٧٦	٣٤٤
٣٧٩	٣٤٥
٣٨٠	٣٤٦
٣٨١	٣٤٧
	٣٤٨

صحيفة	صحيفة
٤١٠ المجاورة الشمرية لهذه الحرب	٣٨٢ بقصيدته الشهورة يوم ظهر الدهناء
٤١١ الصلح و ذكر عامر بن الاطنابة له في قصيدته	٣٨٣ يوم الوقيط
٤١٢ حرب حاطب ٤١٢ سبب الحرب. اليهود	٣٨٤ حل لفض الاعور ناشب بن بشاشة المنبري
٤١٣ على العالم اجمع . يوم الربيع ٤١٣ يوم البقيع	٣٨٥ يوم المروت ٣٨٧ يوم فيف الريح
٤١٤ حرب الفجار الاول للانصار	٣٨٨ يوم اليحاميم ويرف أيضاً بقارات حوق
٤١٥ يوم معبس ومضرس	٣٨٩ يوم ذى طلوح ٣٩٠ يوم اقرن
٤١٦ عقد الاوس الحلف مع قريش اثناء ذهابهم الى مكة لاداء العمرة	٣٩١ يوم السلان ٣٩٢ يوم ذى علق
٤١٧ قتل عمرو بن النعمان البيداءى رئيس الخزرج	٣٩٣ يوم الرقم ٣٩٤ يوم ساحوق
٤١٨ قتل حضير رئيس الأوس	٣٩٥ يوم اعيار . و يوم النقيعة
٤١٩ ما قيل في بيات من الأشعار وافتخار الأوسى بظفرم	٣٩٦ يوم النبأة يوم الفرات
٤٢٠ ذكر غلبة ثقيف على الطائف	٣٩٧ يوم البارق . يوم طخفة
٤٢٠ و الحرب بين الأحلاف و بنى مالك	٤٠٠ يوم النباج و ثبتل ٣٣٨ يوم فليج ٣٣٣ يوم الشيطان
٤٢٠ غلبة بنى عامر قبيلة عدوان على الطائف	٤٠٠ أيام الأنصار . وهم الأوس والخزرج التي جرت بينهم
٤٢١ إجارة بنى عامر ثقيفا الطائف بنصف الثمار	٤٠١ ذكر غلبة الانصار على المدينة وضمف أمر اليهود بها و قتل المغطيون ٤٠٢ مساعدة ملك غسان للانصار على اليهود حرب سمير
٤٢١ امتناع ثقيف عن أداء الاجارة واستقلالهم بالطائف	٤٠٣ ذكر حرب كعب بن عمرو و المازني
٤٢١ محاربة الأحلاف و بنى مالك و بيان مواقعها	٤٠٤ حكاية زوجة أحيحة و تدليها من الحصن
٤٢١ أول أطم بناء بالطائف مسعود بن معتب باشارة أحيحة بن الجلاح سيد الأوس و بيدغلامه	٤٠٥ ذكر الحرب بين بنى عمرو بن عوف و بنى الحارث وهو يوم السراة
٤٢٢ قصيدة محبر التي بين بها حروب الطائف	٤٠٦ ما قيل في هذه الحرب من الاشعار
	٤٠٧ حرب الحصين بن الاسلت
	٤٠٨ حرب ربيع الظفري
	٤٠٩ حرب فارغ بسبب الغلام القطاعي

اصلاح الخطأ الواقع في هذا الجزء

سطر	صحيفة	صواب	خطأ	٥	٢٥٦	مربن	مربن
٢٠	٥٣	مضر	مصر	٢	٣٣١	بن	ابن
٢٢	٦٧	لقب	بلف	٢١	٣٣٦	وأى	رأى
١٨	١٦٨	الاشفاني	لاشفاني	٣	٣٥٠	بدر	ندبة
٢٦	١٧٢	تخريف ما بعده	تخريب ما بعده	١	٣٥١	انهزم	انهزمت
		تخريف	تخريب	١	٣٧٣	نهجر	بهجر
٢٦	٢٣١	سلمان باك	سلمان باك	١٣	٤١٠	الهمان	النهمان
٢٣	٢٣٣	ابن جرير	ابن خلبكان	٨	٤١٢	الخرزج	الخرزج
١٦	٢٣٧	عميد	عميل	٢٦	٤١٦	مقاموس	القاموس

(تبييه) القولة رقم ٤ من صفحة ٤٠ تخص رقم ١ من صفحة ٤١ وقولة رقم ١ من ٣١ تخص ٣ من صفحة ٣٠

